شَمْسُ الْإِخْوَانِ

يَسْتَضِيئُونَ بِهِ فِي أُصُولِ الْأَدْيَانِ

تأليف

نُورِ الزَّمَانِ مُجَدِّدِ الدِّينِ سَيْفِ الْحَقِّ إِمَامِ الْأَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الشَّيْخ عُثْمَانَ بْنِ فُودُيَ

SANKORE UNIVERSITY PRESS

Copyright ©1445 /2024 Muhammad Shareef

Published by
SANKORE'

Institute of Islamic - African Studies International
The Palace of the Sultan of Maiurno
Maiurno, Sennar, Sudan
www.siiasi.org

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced، stored in any retrieval system، or transmitted in any form or by any means، electronic or otherwise، without written permission of the publishers

Book design by Muhammad Shareef

SANKORE'
Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'

Institute of Islamic-African Studies International

شَمْسُ الْإِخْوَانِ

يَسْتَضِيئُونَ بِهِ فِي أُصُولِ الْأَدْيَانِ

تأليف

نُورِ الزَّمَانِ مُجَدِّدِ الدِّينِ سَيْفِ الْحَقِّ إِمَامِ الْأَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الشَّيْخ عُثْمَانَ بْنِ فُودُيَ

تغمّده الله برحمته آمين

المحقّق والمدقّق والشرح والمترجم

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ بْنُ فَرِيدٍ شَرِيفِ الْفُودِيُّ

المسمى ضياء البيان من شمس الإخوان لنور الزمان الشيخ ابن فودي عثمان

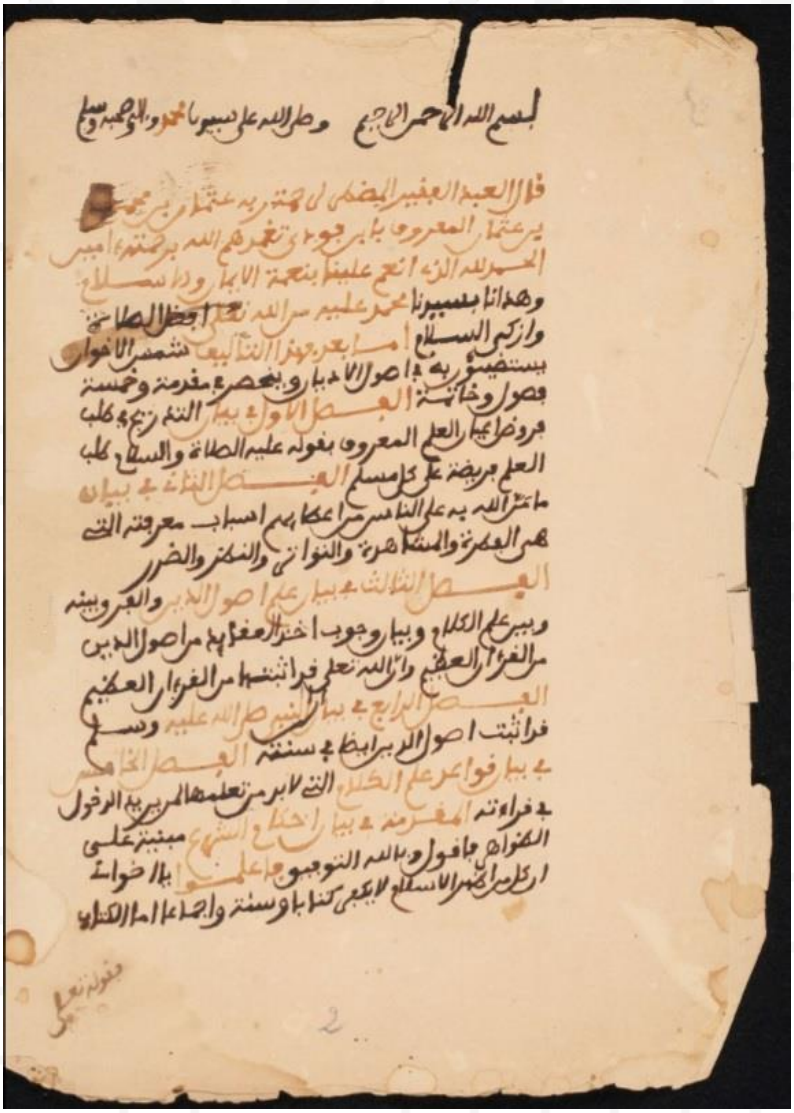

الورقة 1، من كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان من مكتبة محمد حيدر، تنبكت، مالي، # 148، ELIT-ESS-000148

SANKORE'
Institute of Islamic-African Studies International

الورقة 1، من كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان مكتبة الوزير جنيد بن محمد البخاري.

Institute of Islamic-African Studies International

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[1]

[1] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى أله وصحبه وسلم تسليما، ورضي الله تعالى عن السادات التابعين والعلماء العاملين والأولياء لله الكمال العارفين وعلى الذين يتبعهم بالإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه الحميد المجيد: محمد شريف بن فريد، غفر الله خطيئاته الشريد وتوفاه على كلمة التوحيد، الحمد لله الذي رفع علم التوحيد على كل علم وجعل معرفته على كل مكلف واجبا سنيدا، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيئين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين، فهذا شرحي وتعليقي وتحريري على كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان لأمير المؤمنين سيدي الشيخ عثمان بن فودي محمد بن عثمان، المعروف بابن فودي، تغمده الله برحمته آمين، ألفته طالبا بركة الشيخ عثمان بن فودي ورجاءً لدخول فيمن لا ينقطع عمله الصالح بعد الموت، وسميته ضياء البيان من شمس الإخوان لنور الزمان الشيخ ابن فودي عثمان، فنسأل الله الحنان المنان أن يجعله خالصا لوجهه الله المستعان ويجعله في الآخرة عملاً مقبولاً عند الرحمان، فهو حسبي وعليه التوكلان؛ وفي تعليقي التوضيحي حيث أستخدم كلمات: "المصنف الشيخ رحمه الله" أشير إلى الشيخ عثمان بن فودي ذاته، فأقول بإجازةٍ عاليةٍ عن عمدتي وسراجي الشيخ محمد الأمين بن آدم كَرِيعَنْغَ بن محمد تكر عن الده الشيخ آدم بن محمد تكر بن محمد سَنْبُ عن الشيخ موسى المهاجر عن العارف الشيخ علي دِنْبَ بن أبي بكر معلمي عن المصنف نور الزمان مجدد الدين إمام الأولياء سيف الحق أمير المؤمنين الشيخ عثمان بن فودي محمد بن عثمان بن صالح رحمه الله تعالى الذي قال: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، أي مبتدئًا بالبسملة كما أفتتح كل العلماء مؤلفاتهم وامتثالًا بكتاب الله لفظًا وكتابةً في الفاتحة وجميع سور القرآن إلا سورة التوبة، وإقتدائًا بقوله عليه الصلاة والسلام: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ)) وفي رواية: ((هُوَ أَقْطَعُ))، وفي رواية: ((هُوَ أَجْزَمُ))، فمعناه بدأتُ ببسم الله طلبًا البركة ما أبدأه، واسمه تعالى "الله" غيرُ حادثٍ وهو جامع لصفات الألوهية ونعوت الربوبية المنفردة بالوجود الحقيقي، ومعنى الألوهية استغناه الله عن كل ما سواه، ومعنى الربوبية افتقار كلُّ ما سواه إليه، وصفات الألوهية احدى عشرة، وهي: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والسمع، والبصر، والكلام وكونه تعالى: سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، وإن عدمت منها واحدة لم توجد الألوهية؛ وصفات الربوبية تسعة، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة، وكونه تعالى: قادرًا ومريدًا وعالمًا وحيًّا والوحدانية، وإن عدمت منها واحدة لم توجدْ الربوبية، "الرحمن" يعنى يرحم الرحمة العامّة والخاصّة، فعمومها هنا في الدنيا للمسلم والكافر من غير اعتبار اعمالهما، وخصوصها في الأخرة للمؤمنين فقط، فإذا مات الكافر خرج من رحمته تعالى كما تخرج الحية من سلخها، لا يمشي إليها ولا تعود إليه، "الرحيم" يعنى يرحم الرحمة الخاصّة، وهي رحمته في الأخرة للمؤمنين فقط من غير امتنان عليهم؛ ومعنى قول المنصف الشيخ رحمه الله تعالى: "وَصَلَّى اللَّهُ"، يعني زاد الله الرحمة والأمان، والصلاة من الله على رسوله الرحمةُ، والصلاة من الملائكة الاستغفارُ، والصلاة من المؤمنين الدعاءُ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا اَلَّذِينَ اَمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِمُواْ تَسْلِيمًا﴾، ومعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله: "عَلَى سَيِّدِنَا" أي سيّدٌ منا وسيّدٌ يملكنا، قال القاضي عياض: "فالسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ سيّدًا منفردًا من بين البشر لم يزحمه أحد في ذلك، ولا ادعاه"، وقد قال رسول الله ﷺ: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ))، وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِيَدِي لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرٌ، وَمَا نَبِيٌّ يُومَئِذٍ آدَمُ فَمَن سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُ عَنْهُ اَلْأَرْضُ وَلَا فَخْرٌ))، فسيدنا محمد ﷺ هو سيّدنا ومالكنا لأنه يملك منا ما يملكه السيد على عبده، ومعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله تعالى: "مُحَمَّدٍ" سُميَ محمدًا لكثرة الخصال المحمودة فيه قولًا

قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُضْطَرُّ لِرَحْمَةِ رَبِّهِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ فُودُيَ،[2] تَغَمَّدَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي اَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا بِسَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا التَّأْلِيفُ:

وفعلًا وحالًا، وهو خيرُ مَن حَمَدَ وخيرُ الْحامِدِين، وهو المحمود في الأرض وفي السماء، ومعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله تعالى: "وَأَلِهِ" أي وزاد الله الرحمةَ والسلامةَ على أله، وهم أربعة نفرٍ كما قال شيخ سيوخنا محمد الوالي بن سليمان: "أل عليّ، وأَلِ عَقيلٍ، وأَلِ عبّاسٍ وأَلِ جَعْفَرٍ، هم الشرفاء من بني هاشمٍ وبني عبد المطلب" ومعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله تعالى: "وَصَحْبِهِ" أي زاد الله الرحمةَ والسلامةَ على صحبه، والصّحابيُ كما حكّاه شيخ شيوخنا محمد الوالي بن سليمان: "هم كل من اجتمع مؤمنًا بمحمدٍ ﷺ ومات كذلك، وإن لم تطلْ صحبته ولم يرو عنه حديثًا، ولما قال كلّ مَن اجتمع احترز به مِمَن أمن ولم يجتمع معه كالنجاشيّ ملك الحبشة"، وتوفى النبيّ ﷺ وترك أصحابه وهم مائة ألف وأربعة وعشرين الفًا، ومعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله تعالى: "وَسَلَّمَ" أي زادهم أمانًا.

[2] فهو أبو محمد سعد، عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غُرْطُ بن محمد جُبُ بن محمد سَنْبُ بن أيوب بن ماسران بن بوب باب (أبي بكر) بن موسى جُكُلُ بن الإمام دَنْبُوبَ، فهو المعروف بابن فودي، وتنسب إمه حواء إلى الشرفاء من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، هو أمير المؤمنين ومجدد الدين ومحيي السنة وشيخ الإسلام والعالم الرباني والغوث الصمداني وإمام الأولياء وسيف الحق والحادي عشر من الخلفاء الراشدين المهديين، المحدث الأصولي الفقيه، ولد يوم الأحد ثلاثة من شهر صفر في سنة 1168 الهجرية [حول 15 دِيسِمْبُر في سنة 1754 الميلادي] في مَرَطَ ونشأ فيها، ثم انتقل إلى مُرْنُونَ، ثم إلى محلة التي اشتهر بها ونسب إليها، وهي طَغَلْ، ونشأ الشيخ عثمان من صغره في الدعوة إلى الله، وتبحر في العلوم من تدريس والدته ووالده، ثم من الشيوخ من عائلته، ثم من الشيوخ من قبيلته الترودي، ثم رحل في أقاليم بلاد السودان وأخذ العلوم العديدة حتى صار قطب العلوم في زمانه، وقيل عدد شيوخه ما أقل من ثلاثمائة العلماء، فقام الشيخ عثمان بن فودي بدعوة الناس إلى دين الله واحياء السنة المحمدية واخمد البدعة الشيطانية وزجر عن العوائد المذمومة المخالفة السنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى بدأت السلطات الكافرة وعلماء السوء في اضطهاده وجماعته، وبسبب هذه فتنة وقعت بينه وبين السلاطين، فخرج مع جماعته من طَغَلْ مهاجرًا إلى الله ورسوله إلى غُدُ، ثم جمع سلطان غُوبِرْ الجيوش من الطوارق والنوبة وبعض من اتبعه من الفلانيّين ما لا يعلم عدده إلا الله، حتى وصل قريبًا من جماعة الشيخ، فجمع الشيخ جماعته فشاورهم على نصب الإمام، فاتفقوا على تأميره عليهم، ثم بايعه الجماعة عامتها وخاصّتها على الكتاب والسنة في المنشط والمكره، ثم جهز جيشًا واقام الجهاد في سبيل الله ونصر دينه حتى اشتهر أمره بين الأقطار السودانية وغيرها، وأتاه الناس من جميع الأقطار فبايعوه، واستقام له الأمر وتمكن من البلدان، وسبط فيها العدل ونصب القضاة والوزراء والخلافة الإسلامية حتى توفى نور الزمان مجدد الدين أمير المؤمنين إمام الأولياء سيف الحق الشيخ عثمان بن فودي رضي الله تعالى عنه في صكت وهو ابن ثلاث وستين سنة يوم الأحد 3 جمادي الآخرة في سنة 1232 الهجرية [حول 20 أبريل سنة 1817 الميلادي] رحمه الله تعالى ونوّر ضريحه، وأفادنا من بركاته، آمين.

شَمْسُ الْإِخْوَانِ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ فِي أَصُولِ الْأَدْيَانِ[3]

[3] فصنف الشيخ عثمان بن فودي هذا الكتاب يوم الخميس بعد صلاة الظهر 19 من جمادي الأول في سنة 1228 الهجرية [الموافق بيوم 19 مايو سنة 1813 الميلادي]، وفي هذه السنة كان الشيخ في سِيفَاوَ، فهذا الزمان الذي تقاعد فيه الشيخ عثمان بن فودي من الحكم النشط، فقسم الشيخُ الدولةَ الصكتية قسمان: قسم الشرق لابنه محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي والغرب لشقيقه عبد الله بن فودي، كما قال الشيخ عبد القادر بن مصطفى في موصوفات السودان:

"وَقَسَمَ الشَّيْخُ نَوَاحِ الأَرْضِ * مِن طُولِهَا وَالكَثْرَةِ وَالْعَرْضِ

غَرْبِيُّهَا لِسَيِّدِ الْعُلَمَاءِ * شَرْقِيُّهَا لِبَلٌ بِالسَّوَآءِ"

وفي هذا الزمان أيضا بعث الشيخ أمير جيلاني على الطوارق فيكافحهم وقتلهم قتلا ذريعا في عدة زاحفات وابلًا في الإسلام بلاء حسنًا، وفيه أيضا وصل جيش المسلمين إلى بلد بَرْغُ فأنهزم ورجع وكانت فتوح، كان ذلك في نفس العام الذي أعطى فيه الأعلام للشيخ أحمد لُوبُو بن أبي بكر لأرض ماسينا، وللشيخ مؤدب آدم لأرض فُومْبِينَا، وللشيخ الفا صالح عليمي لأرض إِيلُورِنْ، وللشيخ محمد سَنْبُ دَرْنيما لأرض هَادِجِيَة، وغيرهم كعمر دُلاجي ومحمد نامُودى ومعلّم سليمان وغيرهم من أمراء الخلافة الصكتية، فكان شمس الإخوان أخر كتاب من العديد من الكتب التي ألفها الشيخ عثمان بن فودي في علم أصول الدين والتوحيد وعلم الكلام، والسبب في تأليفه بسبب انتشار التطرف في بلاد الحوس، وتأثر الأفكار المتعصبة من شبه الجزيرة العربية، وهم طائفة نظروا في كلام من حض من الأئمة على النظر في علم التوحيد، وحذر من الجهل فيه ومن التقليد، ويزعموا أن العوام ليس بمؤمنين إلا بعد قرؤوا ستا وستين من عقائد الإيمان على عبارة طريق المتكلمين، فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه، أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة، أو يظنونه قادحاً، وإن لم يقدح فيشيعون عليه الجهل والكفر، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وجعلوا يقررون العقائد للعوام بعبارات مقررة عندهم، واصطلاحات محررة، وحدود معبرة حسب ما في كتب المتكلمين، وبعضهم توهموا إن العقائد إنما تعرف بالتشديد والألفاظ الاصطلاحات التي أحدثوها فرقهم، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، وأشاعوا أن عوام المسلمين لا يؤكل ذبائحهم ولا يناكحون، مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد، ثم لم يقفوا في هذا، بل لما انتهكوا حرمة عوام المسلمين، ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصّتهم أيضاً، فتناولوا فقهاء وقتهم، ووقعوا في أهل العلم والدين، ومن هم على سبيل المهتدين وضلّلوهم إذ لم يضلّلوا العامّة، وبعضهم خرجوا عوام المسلمين عن ظاهر حكم الشرع بتكفير من لم يظهر الكفر قولا وفعلا، وقد اشتعلتْ فتنتهم، وتراكمتْ ظلماتهم، حتى كادت تطبق على هذا القطر كلّه، فطلع هذا الشيخ عليهم، فأطفأ الله به نار فتنتهم، وكشف بنوره ظلماتهم فأبطل مذهبهم، واجتث شجرتهم من فوق الأرض، ولم يبق لها فرار، وله تأليف في الرد عليهم، تنيف على خمسين تأليفاً، وله معهم وقائع ومشاهد في المناظرة أجاد فيها وكشف عن ساق الحق والحقيقة، فمن الكتب التي ألفه الشيخ عثمان بن فودي ردا على هذه طائفة منها: أصول الدين، وتنبيه الطلبة على أن الله تعالى معروف بالفطرة، وتنزيه ربنا القدوس عن كل ما يخطر في النفوس، وكفاية المهتدين، وكتاب كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين، وكتاب رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد في التقليد، وغيرها من خمسين كتب التي صنفها الشيخ في هذا الأمر، فهذا كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان آخر الكتاب صنفه الشيخ عثمان بن فودي ردًا واعتراضًا على التعصب والتطرف في العقيدة وعلم التوحيد، ويضم فيه جميع المسائل التي ذكر في كتبه السابقة، فهو الكتاب نافع إن شاء الله لمن عول عليه في عقيدته والتوحيد وأصول الدين وعلم الكلام؛ انظر نصيحة أهل الأركان حيث ما كانوا في

وَيُنْحَصِرُ فِي مُقَدِّمَةٍ وَخَمْسَةِ فُصُولٍ وَخَاتِمَةٍ:

اَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي بَيَانِ التَّدْرِيجِ فِي طَلَبِ فُرُوضِ إِيْمَانِ الْعِلْمِ الْمَعْرُوفِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ [4] عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)).

اَلْفَصْلُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ اَعْطَائِهِمْ أَسْبَابِ مَعْرَفَةٍ اَلَّتِي هِيَ الْفِطْرَةُ وَالْمُشَاهِدَةُ وَالتَّوَاتِرُ وَالنَّظَرُ وَالضَّرَرُ.

اَلْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي بَيَانِ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَبَيَانِ وُجُوبِ أَخَذِ الْعَقَائِدِ مِنَ أُصُولِ الدِّينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَثْبَتَهَا مِنَ الْقُرآنِ الْعَظِيمِ.

اَلْفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي بَيَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَثْبَتَ أَصُولَ الدِّينِ أَيْضًا فِي سُنَّتِهِ.

اَلْفَصْلُ الْخَامِسُ: فِي بَيَانِ قَوَاعِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ اَلَّتِي لَا بُدَّ مِنْ تَعْلِيمِهَا لِمَنْ يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي قَرَاءَتِهِ.

البلدان للمصنف الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق الشيخ محمد شريف بن فريد، مطبعة جامعة سنكرى، باماكو، 1443 هـ/2022 م، ص 8–15؛ انظر أيضاً إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور للسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، ص 52–53 .

[4] هنا انتهى الورقة 1 في المخطوطة: ب، الورقة 2 مفقودة في المخطوطة: ب.

اَلْمُقَدَّمَةُ:

فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ مَبْنِيَةٌ عَلَى الْظَّوَاهِرِ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: فَاعْلَمُواْ يَا إِخْوَانِي إِنَّ كُلَّ مَنْ أَظْهَرُ الْإِسْلَامَ لَا يُكَفِّرُ كِتَابًا وَسُنَّةً وَإِجْمَاعًا.[5]

أَمَّا الْكِتَابُ[6] فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنَ اَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤمِنًا﴾.[7]

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ اِبْنِ عُمَر: ((أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُواْ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولَ اللَّهِ[8] وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاَةَ، فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ عَصَمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُم اِلَّا بِحَقّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)).[9]

---

[5] قال المصنف الشيخ عثمان بن فودي في احياء السنة وإخماد البدعة في الباب الأول في بيان حد الكتاب والسنة والإجماع: "أما حد الكتاب هو كما قال عبد الرحمن السيوطي في النقاية: فهو الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه"، وأما حد السنة فأصله من سنّ أي سنّ الأمر سَنًّا إذا بَيَّنَه، وسنّ اللهُ سُنَّةً أي بَيَّنَ طريقًا قويمًا، وسَنَّ الشيءَ يَسُنُّهُ سَنًّا أي صوّرهُ، والسُّنَّةُ السيرةُ حسنةً أو قبيحةً، قال الأزهري: "السنة الطريقةُ المحمودةُ المستقيمةُ"، والسنة إذا أطلقتْ في الشرع فإنما يرادُ بها مما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به القرآن العزيز، قال المصنف الشيخ رحمه الله في احياء السنة: "وأما حد الإجماع كما قال عبد الرحمن السيوطي في النقاية: "فهو اتّفاق فقهاء العصر أي المجتهدين على حكم الحادثة في أي عصر كان"، وقال في الكوكب:

"هو اتفاق جاء من مجتهدي * أمتنا بعد وفاة أحمد
في أيما عصر وأمر كانا * ذلك حد فائق اتقانا"،

فمتفق الكتاب والسنة والإجماع على أن أحكام الشرع مبنية على الظواهر وعلى من أظهر أحكام الإسلام لا يكفّر.

[6] هنا انتهى الورقة 2 في المخطوطة: ا؛ هنا أيضاً انتهى الورقة 3 في المخطوطة: ب.

[7] سورة النساء: 94، أي لا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم، فالسلم والسلم، والسلام واحد، قال البخاري، "أي لا تقولوا لمن ألقى بيده واستسلم لكم وأظهر دعوتكم لست مؤمنا"، وقيل: السلام قول السلام عليكم، وهو راجع إلى الأول، لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذن بطاعته وانقياده، ويحتمل أن يراد به الانحياز والترك، وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين مروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمة يبيعها فسلم على القوم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فحمل عليه أحدهم فقتله، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ شقّ عليه ونزلت الآية، وأخرجه البخاري عن عطاء عن ابن عباس قال: قال ابن عباس: "كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم؛ فقتلوه وأخذوا غنيمته؛ فأنزل الله تعالى ذلك الآية.

[8] وفي المخطوطة: "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ولكنه ليس في نص الحديث.

[9] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر، كلهم إلى الصحيحين، أي إلى جامع الصحيح للإمام البخاري والمسند الصحيح للإمام مسلم، سيتم الاستشهاد بسيرة هذين الإمامين أدناه في الحاشيتين رقم # 342 ورقم # 345 على التوالي؛ فسند الحديث في

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَقَدْ اِتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ جَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِثْلُ مُنَاكِحَهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ إِذَا مَاتَ، وَغَسْلُهُ وَدَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَظْهَرْ كُفْرَهُ بِالْفِعْلِ، كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ أَوْ بِالْقَوْلِ كَإِنْكَارِ شَيْءٍ مِمَا عُلِمَ فِي الدِّينَ ضَرُورَةً مَثَلًا.[10]

رواية البخاري في كتاب الإيمان في باب ﴿فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ﴾ الآية، رقم الحديث # 25، وسند الحديث في رواية صحيح مسلم في كتاب الإيمان في باب الأمر أمرت أن أقاتل الناس الأخ، رقم الحديث # 126، عن أبي هريرة؛ فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أُمِرْتُ))، أي أمرني الله، لأنه لا آمر لرسول الله ﷺ إلّا الله، وقياسه في الصّحابي إذا قال أُمِرْتُ فالمعنى أَمَرَنِي رسول الله ﷺ، ولا يحتمل أن يريد صحابي آخر لأنهم من حيث أنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهد آخر، وإذا قاله التّابعي احتمل، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ))، لنصر كلمة الله وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل وفي بعض بالجزية وفي بعض بالمعاهدة أو الصلح أو الأمان، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حتَّى يَشْهَدُواْ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولَ اللَّهِ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤتُواْ الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ عَصَمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُم إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ))، فمقتضاه أن من شهد بشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة عصم دمّه ولو جحد باقي الأحكام، والجواب أن الشّهادة بالرّسالة تتضمن التّصديق بما جاء به، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، أي أمر سرائرهم، وفيه دليل على قبول الأعمال الظّاهرة والحكم بما يقتضيه الظّاهر، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتّوحيد المتلازمين للشّرائع، وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن، قال الشيخ محمد بن محمود الأزهري في حاشيته: "أنه ليس في الحديث تصريح بوجوب المعرفة بالدليل، فلعله رآها شأن الشهادة"، قال القطب محيي الدين ابن عربي الحاتمي في الفتوحات المكية: "فإذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها في الدنيا والآخرة، وحسابهم على الله في الآخرة من أجل المنافق، ومن ترتب عليه حق لأحد فلم يؤخذ منه، وأمّا في الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة، فإن قول: لا إله إلّا الله لا يسقطها في الدنيا ولا في الآخرة، وأما حسابهم على الله في الآخرة يوم يجمع الله الرسل فيقول: ما أجبتم؟ فيعلمون بقرينة الحال أنه سؤال واستفهام عن إجابتهم بالقلوب، فيقولون: لا علم لنا إي لم نطلع على القلوب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، تأكيد وتأييد لما ذكرنا".

[10] قال المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في إحياء السنّة وإخماد البدعة: "وقَدِ انْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالشَّهَدَتَينِ جَرَتْ عَلَيْهِ الأَحْكَامُ الإِسْلَامِيَّةِ، فَيُنَاكِحُ وَيَؤُمُّ وَتُؤَكَلُ ذَبِيحَتُهُ وَيَرِثُهُ الْمُسْلِمُونَ وَيَرِثُونَ وَيُدْفَنُ فِي مَقَابِرِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ: الْإِيمَانُ الْكَافِي فِي الدُّنْيَا الْإِقْرَارِ فَقَطْ، فَمَنْ أَقَرَّ جَرَتْ عَلَيْهِ الأَحْكَامُ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ بِكُفْرِهِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِقَيْدٍ يَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ"؛ فقد قال جمهور العلماء كالشيخ السنوسي في العمدة شرح الكبرى وفي شرحه للوسطى، والشيخ أبي الحسن المالكي في الكفاية شرح الرسالة، والشيخ محمود بن محمد القونوي في شرح العمدة النفيسة، وشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في الفتح المبين شرح الأربعين للنووي، والامام ولي الله بن أبي جمرة في بهجة النفوس شرح البخاري، والشيخ العارف عبد الوهاب الشعراني في قواعد الكشفية وغيرهم من علماء أهل السنة والجماعة ينعقدوا على أن من قرأ بالشهادتين جرت عليه الأحكام الإسلامية وحقوقها، وعلى أنه لا يجوز يكفر من قرأ بالشهادتين ما لم يظهر كفره بالفعل أو بالقول، فحكم بالفعل كالسجود للصنم أو كمثل الذين في زماننا هذا

قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيُّ فِي إِتْحَافِ الْمُرِيدِ بِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:[11] "فَالْإِيْمَانُ الْكَافِي[12] فِي الدُّنْيَا هُوَ الْإِقْرَارُ فَقَطْ، فَمَنْ أَقَرَّ أُجْرِيَتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الدُّنْيَا، وَلَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا إِذَا أَقْتَرَنَّ بِهِ قَيْدٌ يَدِلُّ عَلَى كُفْرِهِ، كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ مَثَلًا".[13]

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَا:[14] "حُكْمُ الْإِسْلَامِ [مُتَعَلَّقٌ بِإِظْهَارِ شَهَادَةِ اللِّسَانِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا][15] الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَئِمَةِ وَحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْكَامُهُم عَلَى الظَّوَاهِرِ،[16] إِذْ لَمْ يَجْعَلْ

يزعموا انهم مسلمون ومع ذلك أنهم يعبدون الشخص اسمه "فَرْدْ محمد"، ويزعمون في ضلالاتهم أن الله جاء في شخص "فرد محمد" وأن هذا الرجل الله في شخص، وحكم بالقول كأنكار شيء مما علم في الدين ضرورة أو كمثل الذين في زماننا هذا، كإِيلَاجَى محمد ونَوبُلْ دُرُو عَلِي والذين ينكرون معجزات الأنبياء والمرسلين أو ينكرون نزول عيسى بن مريم من السماء في آخر الزمن، أو يزعمون أن نزوله عليه السلام هو مجرد مجازي، أو أن مجتمعهم أو إمامهم هو عيسى بن مريم، وكالذين يزعمون أن الجنة وأنعامها ولذاتها وخمرها وانهارها وقصورها وحور عينها ليست مادية ولكنها مجازية، فهذا قول الكفر وإنكار ما علم في الدين ضرورة، كما صرح بذلك القاضي عياض في الشفاء، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"فَصْلٌ: وَالْإِيْمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ * بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الطَّرِيقُ
عَنِ الرَّسُولِ عِلْمُهُ بِالضَّرُرِ * فِي رَسْمِ الْأَكْثَرِينَ وَالْمُعْتَبِرِ".

[11] هو شرح جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، وشرحها ولده الشيخ عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري المالكي الفقيه المتكلم الصوفي، وُلِدَ سنة 971 الهجرية [الموافق بـ 1564 الميلادي]، وتوفى سنة 1078 الهجرية [الموافق بـ1668 الميلادي]، فهذا الشرح سماه اتحاف المريد بجوهرة التوحيد، وفرغ في 20 رمضان سنة 1047 الهجرية، فصنفه لبعض طلبة التُّكْرُور من تِنْكُبْتُ الذين أرادوا له توضيح القضايا الاشكالية في جوهرة التوحيد، ومنهم الشيخ محمد بغيغ وأخوه الشيخ أحمد بغيغ والشيخ محمد الونكري والقاضي العاقب بن محمود والشيخ أحمد بن عمر التنبكتي والشيخ أحمد بن أحمد والد الشيخ أحمد بابا المشهور، والشيخ أحمد بن سعيد بن محمود التنبكتي وغيرهم؛ انظر اتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1375 هـ\1955 م.

[12] هنا انتهى الورقة 4 في المخطوطة: ب.

[13] أي باعتبار النظر إلى أحكام الدنيا فالإيمان الكافي فيها هو إقرار بكلمتي الشهادة فقط، فمن أقرّها أمام الشاهدين جرّتْ عليه الأحكام الإسلامية في الدنيا، فيناكح ويؤم وتؤكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ودفن في مقابرهم، ولم يحكم عليه بالكفر إلا إذا اقترن فعل يدلّ على كفره بالفعل كسجوده للصنم مثلا أو إذا اقترن قولٌ يدلّ على كفره كإنكاره شيء مما عُلِمَ في الدين ضرورة، مثل الادعاء بوجود الرسول بعد سيدنا محمد ﷺ، أو بإنكار معجزات الأنبياء، أو بالادعاء بأنّ نعمات الجنة مجازية، أو بحل المحرم أو بحرم الحل، وغير ذلك.

[14] هو الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى السبتي اليحصبي الأندلسي المالكي الفقيه المؤرخ، وُلِدَ سنة 476 الهجرية [الموافق بـ1083 الميلادي]، وتوفى سنة 544 الهجرية [الموافق بـ1149 الميلادي]، فكتاب الشفا هو كتاب عظيم النفع كثير الفائدة، لم يؤلف مثله في الإسلام.

لِلْبَشَرِ سَبِيلٌ إِلَى السَّرَائِرِ، وَلَا أُمِرُواْ بِالْبَحْثِ عَنْهَا، بَلْ نُهِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّحَكَمِ عَلَيْهَا وَذَمَّ ذَلِكَ،[17] وَقَالَ: ((هَلْ شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟!))"، اِنْتَهَى.[18]

---

[15] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[16] هذا الاقتباس من الشفا غير مكتمل، فحذف المؤلف ما يلي: "بما أظهروه من علامة الإسلام".

[17] فمعناه كما شرحه الشيخ شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض: "حُكْمُ الْإِسْلَامِ مُتَعَلَّقٌ" في الدنيا، فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم، "بِإِظْهَارِ شَهَادَةِ اللِّسَانِ"، أي بسببه لأنّه نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، والمراد بحكم الإسلام كل ما كان داخلًا "فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا"، أي ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع، "الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَئِمَّةِ"، أي السلاطين والخلفاء لا العلماء لأنهم ليسوا مأمورين بإجرائها، "وَحُكَامِ الْمُسْلِمِينَ"، كالقضاة وغيرهم من النواب، وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم، فإن من ظهر حاله يكون كافرًا، فلا وجه لإيراده نقضًا هنا كما توهم، ولذا لم يصل النبي ﷺ على ابن أبي بن سلول، وإن كنا نصلي عليهم، وإنما لم يقتله لمصلحة أشرا إليها في الحديث الآتي بقوله: ((لَئَلَا يَتَحَدَثَ النَّاسُ بِأَنَّ مُحمَّدًا يَقْتِلُ أَصْحَابَهُ))، فَكان هذا من خصائصه في ابتداء الإسلام، ثم انتهى بانتهاء سببه، ولذا رفع عمر رضي الله تعالى عنه، حكم المؤلفة قلوبهم، وهذا من عطف العام على الخاص، ثم زادهم بيانًا بقوله: "اَلَّذِينَ أَحْكَامُهُم" جاريةٌ ومبنيةٌ "عَلَى الظَّوَاهِرِ" من أحوال النّاس كلّهم، "بما أظهروه من علامة الإسلام"، أي أن أحكام الدنيا جاريةٌ عليهم بسبب إظهار الإسلام بانقيادهم له والْتزامهم أحكام ظاهرًا، وإن لم يعتقدوها بقلوبهم، وفي نسخة: "علامات"، وزادها إشارةً إلى أنهم ليسوا مسلمين حقيقةً، وإنما عليهم علامته، "إِذْ لَمْ يُجْعَلْ"، ببناء المجهول، أي لم يجعل الله، "لِلْبَشَرِ"، أي الناس كلّهم، "سَبِيلٌ" أي طريق "إِلَى السَّرَائِرِ"، جمع سريرة، وهي ما في القلب مما لم يطلعْ عليه، فلم يكلّفهم بمعرفته، وإجراء حكمه، "وَلَا أُمِرُواْ"، الضمير للبشر باعتبار المعنى، "بِالْبَحْثِ"، أي التفحص والتفتيش، "عَنْهَا"، أي عن السرائر، ثم ترقى فقال: "بَلْ نُهِيَ النبي ﷺ عَنِ التَّحَكَمِ عَلَيْهَا"، أي الحكم على السرائر، وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف، أو لأنه ليس بحكم كما يقال: تحلم الرجل لمن لا حلم له، "وَذَمَّ ذَلِكَ" أي ذمّه رسول الله ﷺ في الاحاديث الكثيرة كما يأتي.

[18] اخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في المصنف عن جندب بن عبد الله البجلي أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك لأسامة بن زيد رضي الله عنه إذا قتل رجلا من المشركين الذي نطق بالشهادة وزعم أسامة أن هذا الرجل قالها معاذا وخوفاً من القتل، فقال رسول الله ﷺ: ((هَلَا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ فَنَظَرْتَ أَصَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟!))، فذلك دليل قاطع على أن الحكم إنما يجري على الظواهر وأن السرائر موكلة إلى الله تعالى، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنِّي لَمْ أُومرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا شُقَّ بُطُونَهُمْ))، فأصل نقب فتش وبحث أي لا أُمِرَ رسولُ الله ﷺ وغيره من أمته أن يفتش ويبحث في قلوب الناس، كأنه قال إنما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، ((وَلَا شُقَّ بُطُونَهُمْ))، فمعنى "شُقّ" هنا "فلع و"مزّق" ما في صدورهم أو في قلوبهم، فبطونهم جمع البطن وهو خلاف الظهر وهو كناي عن سرائرهم وما في صدورهم، وفي هذا الحديث رد على الذين يزعمون أنهم على منهج السلف الصالح ومع ذلك يفتش ويبحث في عقائد العوام وينكرونهم بذلك، وكل العلماء أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر، وفي الحديثين حاجز عن بروز ديوان التفتيش في قلوب الناس، وإن يظهر الاستجواب في قلوب الناس فأنه ليس من السنة والدين القائم، بل هو بدعة شيطانية محرمة، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"فَالْحُكْمُ فِي الْإِيْمَانِ مُوقُوفٌ عَلَى * عُنْوَانِهِ الْإِسْلَامِ أَن تَحَصَلَا

وَقَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى:[19] "مَبْنِيٌّ أَحْكَامِ الدُّنْيَا عَلَى الظَّوَاهِرِ لِأَنَّ السُّنَّةَ مَضَّتْ بِعَدَمِ الْبَحْثِ عَنِ الضَّمَائِرِ، وَإِنَّهَا تَنْكَشِفُ[20] فِي الْأَخِرَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ".[21]

قُلْتُ: لَا يَجُوزُ أَيْضًا[22] أَنْ نَسِئَ الظَّنَّ بِإِيْمَانِ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.[23]

وَلَيْسَ مُوقُوفًا عَلَى الْإِنْظَارِ * إِذْ لَمْ يَرُدْ عَنِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ
مَا أَوْفَقُ الْحُكْمُ بِإِيْمَانِ الْبَشَرِ * عَلَى قَوَاعِدِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ
بَلْ اَكْتَفَى بِمُسْتَقَرِ الْعَادَةِ * مِنْ مُقَبِّلٍ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ".

[19] هو مجدد الدين القطب الرباني العارف بالله الإمام الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، الفقيه المحدث الأصولي المتكلم الصوفي، يلقب بالسنوسي لأنه بنسبة والده من قبيلة سنوسة من البرابرة في المغرب، وأمه شريفة حسنية نسبتها للحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم، وُلِدَ سنة 830 الهجرية [الموافق بـ 1426 الميلادي]، وتوفى سنة 895 الهجرية [الموافق بـ1490 الميلادي]، هو الزاهد العلامة المتفنن المحقق المقرئ، إمام أهل الحق والتوحيد والمتكلمين في عصره، وله كتب كثيرة في كل الفن، منها: عقيدة أهل التوحيد يسمى العقيدة الكبرى وشرحها بالكتاب المذكور هنا العمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، ثم اختصر هذا الشرح، وفرغ منه يوم عرفة سنة 875 الهجرية، ثم صنف العقيدة الوسطى وشرحها، والعقيدة الصغرى يسمى أم الْبراهين وشرحها يسمى نور السعادة، وغيرها، قدس الله سرّه ونفعنا ببركاته؛ انظر العمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م.

[20] هنا انتهى الورقة 3 في المخطوطة: ا.

[21] أي بُنِيَ فروع الظاهر الذي هو الإسلام على أفعال وأقوال الظواهر، وهي إقرار كلمتي الشهادة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أركان الإسلامية، وحكم الناس بما هو مخفي في قلوبهم قد حُرِمَ بالكتاب والسنة والاجماع، فلا يحكم الناس بما كُمِنَ في صدورهم من النفاق والكفر والعقد الفساد إلا يوم الحساب، فلذلك قال رسول الله ﷺ: ((وَحِسَابُهُم عَلَى اللَّهِ))، أي أمر سرائرهم على الله يوم القيامة، وقال المصنف الشيخ رحمه الله في مرآة الطّلاب: "وقال ابن العربي في الأحكام: أما شهادة اللسان بالكلام هو الركن الظاهر، وعليه تبنى الأحكام وتترتّب الأعذار والاعتصام"، قال المصنف الشيخ رحمه الله في حصن الأفهام من جيوش الأوهام: "ومن الأوهام اعتقاد بعضهم أنّ الحكم مبنيٌّ على البواطن لا على الظواهر، وهذا أيضاً باطلٌ ووهمٌ على الإجماع لقوله ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُواْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، قال الشيخ السنوسي في العمدة شرح الكبرى: ومبنى أحكامها يعني الدنيا على الظواهر، ثم قال بعد كلام: لأنّ السنة مضتْ بعدم البحث عن الضمائر وإنما تُنْكشفُ في الآخرة يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾"؛ انظر العمدة أهل التوفيق للإمام محمد بن يوسف السنوسي، ص 33.

[22] هنا انتهى الورقة 5 في المخطوطة: ب.

[23] قال المصنف الشيخ رحمه الله في عمدة العلماء: "وأثبت من أسلم لا يكفر ولا يساء الظن به ما لم يظهر كفره بالقول أو بالفعل بالكتاب والسنة والاجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا

قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ الْوُسْطَى:[24] "أَمَّا الْإِنْسَانُ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ فَهُوَ اَعْرِفٌ بِهَا، وَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا غَيْرَهُ، [فَإِذَ أَرَادَ أَنْ يَعْرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ فِي الْعَقَائِدِ فَلْيَسْأَلْ عَنْ حَقِيقَةِ التَّقْلِيدِ وَعَنِ حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَمَيَّزَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْأُخْرَى تَمْيِيزًا صَحِيحًا، وَلِيَعْرَضْ ذَلِكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ، فَإِنَّهُ سَيَعْرِفُ مَا هُوَ الْحَاصِلُ لَهُ مِنَ الْحَقِيقَتَيْنِ، وَلْيَبْحَثْ عَنِ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ أَيْضًا لِيَعْرَفُ هَلْ كَانَ مُصِيبًا فِي عَقَائِدِهِ أَمْ لَا، وَبِالْجُمْلَةِ فَلِيَعْرَفِ الْحَقَّ يَعْرِفْ أَهْلَهُ وَتَزُولُ عَنْهُ الْحِيرَةُ فِي أَمْرِهِ]،[25] أَمَّا الْإِنْسَانُ بِاعْتِبَارِ غَيْرِهِ فَحَظُّهُ الْجَهْلُ بِحَالِ ضَمِيرِهِ، وَعَدَمُ الْجَزْمِ فِي حَقِّهِ بِشَيْءٍ بِاعْتِبَارِ مَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، إِلَّا أَنْ يَشْهَدَ الشَّارِعُ ﷺ فِي أَحَدٍ بِشَيْءٍ، فَلْيَقْطَعْ بِذَلِكَ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِذْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اَعْلَمُ؛ ثُمَّ وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُسِئَ الظَّنَّ بِإِيْمَانِ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَامِّيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، إِذِ الْمَعْرِفَةُ محلُّهَا الْقَلْبُ، [وَالتَّقْلِيدُ يَكْفِي فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ الدَّلِيلُ الجُمْلِيُّ، وَلَا يَشْتَرَطُ الْقُدْرَةُ عَلَى تَرْتِيبِهِ عَلَى الْوَجْهِ اَلَّذِي يَرْتَّبُهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا دَفَعِ الشُّبَهِ اَلْوَارَدَةِ عَلَيْهِ، وَلَا الْقُدْرَةُ عَلَى

تَجَسَّسُوا﴾، فمعنى "اجتنبوا كثيرا من الظن" أي كونوا في جانب منه مطاوع جنبه الشر أبعده عنه، فاجتنب هو ونكر كثيراً لئلا يجترئ على أيّ ظن إلا بعد التأمل والعلم بأنه من أيّ قبيل ولو علمه لكان المنهى عنه الظن الموصوف بالكثرة، ومعنى: "إن بعض الظن إثم"، أي أنه مؤثم أو منه الإثم، أي هو حرام يوجب العقاب، وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، ومنه قول عمر: "لا تظن بأخيك سوءًا بكلمة تسمعها وأنت تجدلها محملا"، ومن ذلك اتباع الظن في الالهيات والنبوّيات حيث يخالفه قاطع، ومن الظن ما يجب اتباعه كالظن للمجتهد حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله، ومنه ما يباح كظن أهل الفسق بنحو ما يظهر منهم والظن في الأمور المعاشية وإنّ ومعموله تعليل مستأنف للأمر، أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين من الجس وهو الاختبار باليد شاع في الشر كالتحسس في الخبر ويتداخلان، وأما السنة فوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله: ((إِذَا ظَنَنْتُمْ فَلَا تُحَقِّقُواْ، وَإِذَا حَسَدْتُمْ فَلَا تَبْغُواْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتُمْ فَامْضُواْ، وَعَلَى اَللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ، وَإِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُواْ))، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((لَا تَتَّبِعُواْ عَوْرَاتَ اَلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَتَهُم تَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ))، وقد ورد في الخبر من عليّ بن أبي طالب: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله"، فبسوء الظن يدخل الشيطان في قلبه فيوقفه في غيبتهم والتقصير في حقهم والتوانى في إكْرامهم والنظر إليهم بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منهم.

[24] انظر شرح العقيدة الوسطى للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الحسني التلمساني، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار التقوى دمشق، 1441 هـ\1019 م؛ قال الشيخ أبي إسحاق الأندلسي السرقسطي في شرحه للوسطى: "إن أفضل ما صُنِّفَ فيه من المختصرات المغنية عن كثير من المطولاتِ العقيدةُ المسمّاةُ بـالوسطى وشرحُها لسيدنا شيخ الإسلام ومصباح الأنام، أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، نفعنا الله به وبعلومه وبركاته، وجعلنا الله منه وإليه في الدنيا والآخرة".

[25] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

التَّعْبِيرِ عَنْهُ، بَلْ إِذَا فَهِمَهُ فَهْمًا عَرَفَ بِهِ الْحَقَّ، وَخَرَجَ عَنِ التَّقْلِيدِ فَهُوَ عَارِفٌ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُعَبِّرَ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا قَدَرَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى مُبْتَدِعٍ شُبْهَةٍ يَورِدُهَا عَلَى الْحَقِّ، لِأَنَّ ذَلِكَ وَظِيفَةُ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي كُلِّ قُطْرٍ أَجْزَأَ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَلِكَ الْقُطْرِ.[26]

وَإِذَا عَرِفْتَ أَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى تَقْدِيرِ الدَّلِيلِ، وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ لَيْسَ بِشَرْطٍ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْخُرُوجِ عَنِ التَّقْلِيدِ، بَلْ فَهْمُهُ فِي الْقَلْبِ هُوَ الْمُشْتَرَطُ لَمْ يَكُنْ لِنَسِيءِ الظَّنِّ بِعَامِي أَوْ غَيْرِهِ، وَلَا أَنْ نَجْزَمَ فِي حَقِّهِ بِالتَّقْلِيدِ بِمُجَرَّدِ عَجْزِ لِسَانِهِ عَنْ تَقْرِيرِ أَدِلَّةِ الْعَقَائِدِ لِاحْتِمَالَ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِعَقَائِدِ إِيْمَانِهِ وَبِأَدِلَتِهَا، لَكِنْ عَلَى وَجْهٍ يَعْسِرُ عَلَيْهِ التَّعْبِيرُ عَنْهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَعْجِزُونَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الْمَحَقِّقَةِ، فَكَيْفَ بِالْعَامَةِ]،[27] اللَّهُمَّ! إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ عَلَى لِسَانِ إِمْرَاءٍ يَدِلُّ عَلَى مَا كُمِنَ فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْعَقَدِ الْفَاسِدِ، فَالْوَاجِبُ حِينَئِذٍ أَنْ يَتَلَطَّفَ فِي تَعْلِيمِهِ وَمَعَانَاةِ دَائِهِ بِمَا أُمْكِنُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"،[28] اِنْتَهَى كَلَامُهُ وَبِانْتِهَائِهِ اِنْتَهَتْ الْمُقَدَّمَةُ، وَقَدْ أَنَّ شَرُوعَنَا فِي بَيَانِ فُصُولِ الْكِتَابِ.

---

[26] ولهذا السبب لا ينبغي لعوام المسلمين يشتغل بمعرفة دقائق المصطلحات من علم الكلام، قال الشيخ عثمان بن فودي في ترويح الأمة ببيان تيسير الملة: "قال القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري في كتابه المسمى سراج المهتدين: اعلم أن علمَ التوحيد قد عظّمه قومٌ على الخلق حتى أيأسوهم منه، وما أعظمه قدرًا، وأقربه يسرًا، ولقد إنه بحر لا ساحلَ له، وصدقوا، وهو نهر عذب نخوضه بالأقدام، وإنما عظّمه تخليط الملحدين"؛ انظر شرح العقيدة الوسطى للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار التقوى، دمشق، 1441 هـ/2019 م، ص 350-351.

[27] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[28] فالحاصل أن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريتْ عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك، فيدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: ((وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ))، أي في أمر سرائرهم وضمائرهم، فهو دليل على قبول الأعمال الظاهرة، وأن الحكم بما يقتضيه الظاهر، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد المتلازمين للشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن، وقول النبي ﷺ: ((إِنِّي لَمْ أومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا شُقَّ بِطُونَهُمْ)) يدلّ على تحريم تفتيش وباحث في قلوب الناس وعقائدهم، فقد أجمع العلماء على أن أحكام الدنيا مبنيٌّ على الظاهر، والله يتولى السرائر والضمائر، قال الإمام الشاطبي، رحمه الله: "إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه، لا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: ((خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقولَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقتَلُ أَصْحَابَهُ))"، وقال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه: "وقد بيّن الشيخ

الْفَصْلُ الْأَوّلُ

فِي بَيَانِ التَّدْرِيجِ فِي طَلَبِ[29] فُرُوضِ اَعْيَانِ الْعِلْمِ اَلْمَعْرُوفِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))[30]

السنوسي أيضا رحمه الله مع تشديده أنه لا يكفر كل من أظهر الإسلام ما لم يظهر الكفر لأن أحكام الدنيا مبنيةٌ على الظواهر لقوله في العمدة: إنما كلامنا فيما بين العبد وربّه، وفيما ينجيه من الخلود مع سائر الكفرة في النار، ثم قال: وأما في الدنيا فمبنيّ أحكامها على الظواهر"، ثم قال الشيخ عثمان بن فودي: "وبيّن في العمدة أيضا بأن الإيمانَ سرّ من أسرار الله لا يطلع عليه غير الله لقوله فيها: إن الإيمان من الباطن الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، وبيّن في العمدة أيضا استواء من اقر البراهين وغيره في كونه نطلق عليه لفظ المؤمن بناء على الظاهر لا على الحقيقة مغيّره ممن يظهر الإسلام، ولم يقرْ البراهين بقوله: لو نطق مظهر الإيمان بأدلته وأقر براهينه لما قطعنا في حقّه بالإيمان، قلتُ: يعني لأن الإيمان قلْبيٌّ، وأمر القلوب من أسرار الغيوب"، وقال المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"قِيلَ وَهَذَا الْحُكْمُ إِنَّمَا جَرَى * بِظَاهِرِ الْإِسْلَامِ فِي اَلَّذِي يُرَى
لَا فِي اَلَّذِي يَنْجِي مِنَ الْخُلُودِ * فِي النَّارِ ذَاكَ عِنَايَةُ الْمَقْصُودِ
وَهُوَ اَلَّذِي يَحْتَاجُ لِلدَّلِيلِ * إِجْمَالًا أَوْ ذَاكَ عَلَى التَّفْصِيلِ"؛

انظر رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد في عقائد التوحيد للشيخ عثمان بن فودي، المخطوطة عند المؤلف، الورقة 10-11.

[29] هنا انتهى الورقة 6 في المخطوطة: ب.

[30] روي هذا الحديث عن هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي عن أنس بن مالك بن النضر الأنصاري والحديث رواه الطبراني عن ابن مسعود والبيهقي والخطيب عن علي وابن ماجه عن أنس بزيادة، ونص الحديث: عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ))، وروى ابن عبد البر في العلم عن أنس بلفظ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ))، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((طَلَبُ الْعِلْمِ))، أي العلم لا بد منه في إقامة الدين من الإيمان والإسلام والإحسان، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَرِيضَةٌ))، أي عَيْنِيَّةٌ أو مطلق طلب علم الشّريعة فريضة منها فرض عين ومنها فرض كفاية، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))، أي على كلّ مسلمة أيضا، فطلب علوم الدين فريضة على كل مسلم مكلف ومسلمة مكلفة، قال البيضاوي: المراد بالعلم هنا ما لا مندوحة للعبد عن تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانية الله ونبوة رسوله وكيفية الصّلاة فإن علمه فرض عين، وقال الشيخ السهروردي: قيل هو علم الإخلاص بمعرفته آفات النفوس وما يفسد الأعمال لأن الإخلاص مأمور به، وقيل: معرفة الخواطر إذ به يعرف الفرق بين لمة الملك ولمة الشّيطان، وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة، وقيل: هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذ أراد الدّخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه، وقيل: هو طلب علم الفرائض الخمس الّتي بني الإسلام عليها، وقيل: هو علم التّوحيد بالنّظر والاستدلال، وقيل: هو طلب علم الباطن وما يزداد به العبد يقينًا، والله سبحانه وتعالى أعلم، كما في شرح مسند أبي حنيفة للإمام القاري.

فَأَقُولُ وِبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: فَاعْلَمُواْ يَا إِخْوَانِي إِنَّ الْعِلْمَ اَلَّذِي عَرَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ عِلْمُ الْمُعَامِلَةِ اَلَّتِي كَافِي الْعَبْدُ الْعَاقِلُ الْبَالِغُ، فَإِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ بِالْإِحْتِلَامِ أَوْ بِالسِّنِّ أَوْ أَسْلَمَ إِنْ كَانَ كَافِرًا ضَحْوَةَ النَّهَارِ مَثَلًا، فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ لَفْظُ كَلِمَتَيْ الشَّهَادَةِ، وَفَهِمَ مَعْنَاهُمَا الْقَرِيبُ، وَلَفْظُهُمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالتَّوْحِيدِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالصَّحَابَةِ وَالتَابِعِينَ وَتَابِعِ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.[31]

وَلِذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ مَلِكٌ[32] عَنِ الْكَلَامِ وَالتَّوْحِيدِ كَمَا فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيِّ[33] قَالَ: "مُحَالٌ أَن نَظُنَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ الْإِسْتِنْجَاءَ وَلَمْ يَعَلِّمْهُمْ التَّوْحِيدَ،

---

[31] هنا انتهى الورقة 4 في المخطوطة: ا.

[32] هو إمام دار الهجرة وأمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله مالك بن أنس بن عامر بن عمرو الأصبحي التيمي المدني وُلِدَ بمدينة النبي ﷺ سنة 97 الهجرية [الموافق بسنة 715 الميلادي]، هو مؤسس مذهب المالكية، كان يعيش بعيدًا عن السلاطين والأمراء، واشتهر بالزهد والورع، وصنف الموطأ المشهور في عمال أهل المدينة، وتوفى بالمدينة ودفن بالبقيع سنة 179 الهجرية [الموافق بسنة 795 الميلادي].

[33] هو المجدد جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، المعروف بجلال الدين السيوطي، ولد في القاهرة يوم الأحد في شرح رجب سنة 849 الهجرية [الموافق بسنة 1445 الميلادي]، وكان يلقب بـ"ابن الكتب" لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب، فهو إمام وحافظ ومفسر ومؤرخ وأديب، حفظ القرآن في صغره، وقام برحلات علمية عديدة إلى الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب، وأخذ العلوم من الشيخ البلقيني، والشيخ محيي الدين الكافيجي، والشيخ شرف الدين المناوي، والشيخ تقي الدين الشبلي، الشيخ جلال الدين المحلي والشيخة آسية بنت جار الله بن صالح، والشيخة كمالية بنت محمد الهاشمية، والشيخة أم الفضل بنت محمد المقدسي وغيرهم، فأخذ علم الحديث عن مائة وخمسين شيخًا، وإذا بلغ الأربعين من عمره اعتزل عن الناس فتجرد للعبادة والتأليف، فألف جلال الدين السيوطي عدد كبيراً من الكتب والرسائل في كل الفن، أن مصنفاته بلغت ست مائة مصنفٍ في التفسير والفقه والحديث والأصول والنحو والبلاغة والتاريخ والتصوف والأدب وغيرها، ومن أمهاتها: الإتقان في علوم القرآن، والإكليل في استنباط التنزيل، ولباب النقول في أسباب النزول، وتاريخ الخلفاء، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وصون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، والديباج على صحيح مسلم الحجاج، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والكوكب الساطع الذي هو منظومة جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي في أصول الفقه، وهذا الكتاب المذكور هنا شرح الكوكب الساطع، وتوفى مجدد الدين الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في القاهرة في 19 جمادي الأولى سنة 911 الهجرية [الموافق 20 أكتوبر سنة 1505 الميلادي]: انظر شرح الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع للشيخ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1420 هـ\2000 م.

فَالتَّوْحِيدُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ[34] ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُواْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ))، فَاعْصَمُ بِهِ الدَّمَّ وَالْمَالَ، هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ"، اِنْتَهَى.[35]

وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ بِقَوْلِهِ: "أَوَّلُهَا التَّوْحِيدُ".[36]

قَالَ سَيِّدِي مَيَّارَةُ فِي الدُّرِّ الثَّمِينِ:[37] "سُئِلَ السَّنُوسِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "هَلْ يَشْتَرَطُ فِي الْإِيْمَانِ أَنْ يَعْرِفَ الْمُكَلَّفُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الْعَقِيدَةِ

---

[34] هنا انتهى الورقة 7 في المخطوطة: ب.

[35] كان النص الكمال لقول الإمام مالك فقد روي بإسناد صحيح من طريق المزني: "وسأل رجل إسماعيل الرياحي المزني عن شيء من الكلام فقال: إني أكره هذا، أنا أكره الخوض في هذه المسائل، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، فلقد سمعت الشافعي يقول: سُئِلَ مالك عن الكلام والتوحيد، فقال مالك: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، محال أن يقول النبي ﷺ لهم: توضئوا كذا وصلوا كذا، وزكوا كذا وصوموا كذا، ولم يعلمهم الإيمان بالله وتوحيده في الأسماء والصفات وتوحيد الذات وتوحيد الأفعال، محال أن النبي ﷺ ترك ذلك وعلمهم كيف يتوضؤون وكيف يصلون، لأن هذه العبادة كلها لا تصح إلا بعد صحة التوحيد وصحة الاعتقاد، فكيف ينطق النبي ﷺ بالفرع ويترك الأصل؟ ومن خلال هذا الكلام نعلم أنه لم يرد عن النبي ﷺ وأصحابه أنهم خاضوا في شيء من ذاته أو صفاته أو أسمائه، إذاً: يسعنا ما وسعهم، فلما لم يتكلموا في توحيد الله عز وجل وفي أسمائه وصفاته وآمنوا بها وأخذوها كما جاءت فإنه يلزمنا ما لزمهم، ويحرم علينا الخوض فيه كما كان يحرم عليهم الخوض فيه، قال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ، قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُواْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، فهذا هو أصل الأصول، فالله سبحانه لا يقبل من أحد ديناً إلا بهاتين الشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ولا يسمى العبد مسلماً إلا إذا أتى بهاتين الشهادتين ظاهراً وباطناً عند الله عز وجل، وأما عند الخلق فيأتي بهما ظاهراً، وإن كان هناك نفاق في قلبه فله حكم الإسلام في الدنيا، وأما في الآخرة فإنه عند الله كافر، ومن المخلدين في النار لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، وما عصم الدم والمال والأعراض حقيقة إلا بهذه الكلمة.

[36] لم أطلع على ترجمة الشيخ يحيي القرطبي المالكي الأشعري [486 – 567 الهجرية]، ولكن قصيدته مشهورة في المغرب والإفريقية والاندلس وبلاد التكرور المسمى بـمنظومة القرطبي ونظم الشيخ يحيي القرطبي والمقدمة القرطبية، في العبادات على مذهب الإمام مالك، الذي قال في باب قواعد الإسلام:

"قَوَاعِدُ الْإِسْلَامِ خَمْسٌ فَاعْلَمِ * مَا جَاءَ فِي نصِّ الْحَدِيثِ الْمُحْكَمِ،
أَوَّلُهَا التَّوْحِيدُ وَالصَّلَاةُ * ثُمَّ الصِّيَامُ بَعْدَهُ الزَّكَاةُ،
وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ لِلْمُسْتَطَاعِ * ذَاكَ الَّذِي بِأَشْرَفِ الْبِقَاعِ"،

فمعنى قوله: "أَوَّلُهَا التَّوْحِيدُ"، أي أولُ قواعدِ الإسلامِ الإقرارُ للهِ بالوحدانيةِ والألوهيةِ والرُبوبيةِ والإقرار لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة والنبوّة، ومعنى الإقرار هنا إقرار بكلمتي الشهادة التي هي: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله، التي هي كلمة التوحيد.

الْصُّغْرَى أَمْ لَا؟"، فَالْجَوَابُ: "بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَشْتَرِطُ إِلَّا فِي كَمَالِ الْإِيْمَانِ، وَإِنَّمَا يَشْتَرَطَ فِي الصِّحَّةِ مَعْرِفَةِ الْمَعْنَى عَلَى الْوَجْهِ اَلَّذِي يَتَضَمَنُ التَّفْصِيلَ".

ثُمَّ قَالَ: "وَلَا شَكَّ إِنَّ الْغَالِبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ مَعْرِفَةٌ ذَلِكَ، إِذْ كُلَّ أَحَدٍ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، الرَّازِقُ وَلَيْسَ بِمَرْزُوقٍ، وَذَلِكَ مَعْنَى غِنَاهُ جَلَّ وَعِزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَافْتِقَارُ[38] كُلُّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُصَلِّي إِلَّا لَهُ، وَلَا يُصَامُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَحِجُّ إِلَّا لَهُ، وَلَا مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مُسْتَحِقُ الْعِبَادَةِ وَلَا يَسْتَحِقَّهَا غَيْرُهُ"، اِنْتَهَى.

وَمَقْصُودٌ فِي إِيْرَادِ هَذَا الْكَلَامِ تَنْبِيهُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَتَعَيَّنُ الْبِدَايَةُ بِقِرَاءَةِ كُتُبِ الْمُتَكَلِمِينَ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ تَعَلُّمُ مَا يُقِيمَ بِهِ أَمْرَ دِيْنِهِ كَمَا تَزْعَمَهُ الْجُهَلَةُ مِنَ الطُّلَبَةِ، وَسُئِلَ اِبْنُ رُشْدٍ عَنْ حُكْمِ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِمِينَ يَقُولُونَ أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَى الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ قِرَاءَةُ كُتُبِ الْمُتَكَلِمِينَ، وَالْبَدَايَةُ ذَلِكَ قَبْلَ تَعَلَّمِ مَا يُقِيمُ بِهِ أَمْرَ دِينِهِ مِنْ وُضُوءٍ[39] وَصَلَاةٍ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ[40] اَلْمُفْتَرِضَةِ عَلَيْهِ، وَيَكْفُرُونَ مَنْ خَالِفَ فِي ذَلِكَ، فأجَابَ بِقَوْلِه: "وَأَمَّا الْكُفْرُ إِلَّا فِي اِعْتِقَادِ مَا ذَهَبُواْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَصَّلُواْ [وَلَمْ يُصُومُواْ][41] وَلَمْ يَزَكُّواْ وَلَمْ يَحِجُّواْ حَتَّى يَعْرِفُواْ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ تِلْكَ الطُّرُقِ الْغَامِضَةِ فَقَدْ لَا يُعْرِفُونَهُ إِلَّا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ أَوْ تَنَبُواْ أَفْهَامُهُمْ عَنْهَا، فَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَيَخْرَجُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِين"، حَكَّاهُ اَلْمَنْجُور فِي شَرْحِ الْمُحَصَلِ.[42]

---

[37] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي المعروف بـ"ميارة"، وُلِدَ بمدينة فاس سنة 999 الهجرية [الموافق بسنة 1590 الميلادي]، هو فقيه مالكي من أهل فاس، وكان إمامًا علامة متبحر في العلوم، وكان ثقةً أمينًا معروفًا بالتقوى والورع، وكان أهم التلاميذ للعارف بالله سيدي عبد الواحد بن عاشر، بأنه صنف شرح الكبير والصغير على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لشيخه ابن عاشر، أما الشرح المذكور هنا هو شرح الكبير المسمى الدر الثمين والمورد المعين، وتوفى الشيخ الميارة سنة 1072 الهجرية [الموافق بسنة 1661 الميلادي].

[38] هنا انتهى الورقة 8 في المخطوطة: ب.

[39] هنا انتهى الورقة 9 في المخطوطة: ب.

[40] هنا انتهى الورقة 5 في المخطوطة: ا.

[41] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[42] هو الحافظ المتفنن المسند أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي المغربي، وُلِدَ بمكناسة سنة 926 الهجرية [الموافق بسنة 1520 الميلادي]، فهو محدث فقيه أديب وأصولي، معروف بالتحقيق والتدقيق، وحسن الإلقاء والتقرير،

قُلْتُ: وَلِمِثْلِ هَذَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيجٍ[43] كَمَا فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ[44] لَمَّا سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ؟ قالَ: "تَوْحِيدُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَوْحِيدُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الخَوْضُ فِي الْإِعْرَاضِ وَالْأَجْرَامِ"، اِنْتَهَى.

وكان كثير القراءة والمطالعة، شديد الإدراك والفهم، وقد تفرد على أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء ورجال الحديث، كان شديدا في الإتباع للسنة، وكان آية من آيات الله تعالى في المعقول والمنقول، قال الشيخ أحمد بابا التنبكتي: "هو آخر الناس بفاس لم يخلف بعده مثله"، وصنف المؤلفات الكثيرة، منها: الحاشية الكبرى على كبرى شرح السنوسي، وشرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، وغيرها، وتوفى رحمه الله يوم 16 ذو القعدة سنة 995 الهجرية [الموافق بـ17 أكتوبر 1587 الميلادي]، وأما المؤلف محصل المقاصد هو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن زكري المانوي المغراوي التلمساني، وُلد بمدينة تلمسان حوالي سنة 830 الهجرية، توفي والده وهو صغير فكفلته أمّه، وأشرفت على تربيته، المفسّر الفقيه النّاظم النّاثر المشارك في بعض العلوم كالتّفسير والمنطق والبيان وعلم الكلام، (ت:900هـ)، مدحه الشيخ أحمد بابا التنبكتي بقوله: "العالم الحافظ المتفنّن الإمام الأصولي الفروعي المفسّر الأبرع المؤلّف النّاظم النّاثر، ولمّا ظهر من تمرّسه في العلم من تفسير وفقه ومنطق عيّن مدرّسًا في الجامع الكبير لإلقاء الدّروس، وكان مشتغلًا بالعلم والتّدريس، يكرّر المسألة الواحدة ثلاثة أيّام حتّى يفهمها الخاص والعام، وانتفع به المسلمون كلّهم وكلّ من يحضر مجلسه"، وقد بلغت شهرته الآفاق وسمع به القاصي والدّاني ممّا دعا بالسلطان إلى تعيينه في منصب الفتوى وهو لا يزال في ريعان الشّباب، وألّف الشيخ أحمد ابن زكري العديد من الكتب في مسائل القضاء وفقه المعاملات والشّروحات، ومنها: بغية الطّالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، وشرح الورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه، وكتاب القواعد في أصول الفقه، وله فتاوى كثيرة منقولة في موسوعة المعيار المعرّب للونشريسي، وأما الكتاب المذكور هو شرح محصل المقاصد ممّا به تعتبر العقائد، مسمى مختصر نظم الفرائد ومبدى الفوائد لمحصل المقاصد ، وتوفي رحمه الله عن عمر في أوائل صفر سنة 900 الهجرية، ودفن بروضة الشيخ السنوسي.

[43] هو مجدد الدين القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، إمام الشافعية في عصره، وُلِدَ في بغداد سنة 249 الهجرية [الموافق بسنة 863 الميلادي]، سمع العلم والحديث والفقه من تلاميذ الامام الشافعي، وصنف القاضي ابن سريج أكثر من أربعمائة مصنف، منها: الغنية في فروع الشافعية، والبيان عن أصول الأحكام، ومختصر في الفقه، والفروق في الفروع، وغيرها، قال الشيخ السيوطي أن الأمام ابن سريج من مجددي القرن الثالث الهجري، وقال الحاكم سمعت حسان بن محمد يقول: كنا في مجلس ابن سريج سنة 303 الهجرية، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر دينها، وإن الله تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وبعث على رأس المائتين محمد بن إدريس الشافعي، وبعثك على رأس الثلاثمائة، ثم أنشأ يقول:

"اثنان قد ذهبا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السؤدد
الشافعي الألمعي محمد * إرث النبوة وابن عم محمد."
أبشر أبا العباس إنك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد"،

قال: فصاح أبو العباس وبكى، وقال: "لقد نعى إلى نفسي!"، فمات القاضي أبو العباس تلك السنة، يوم الاثنين 28 ربيع الأول سنة 306 الهجرية [الموافق بسبتمبر 12، سنة 918 الميلادي].

Institute of Islamic-African Studies International

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ[45] عِنْدَ ذِكْرِ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)): "لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْعِلْمِ إِلَّا عِلْمُ الْمُعَامِلَةِ، وَالْمُعَامِلَةُ الَّتِي كُلِّفَ بِهَا الْعَبْدُ الْعَاقِلُ الْبَالِغُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: [1] اِعْتِقَادٌ، [2] وَفِعْلٌ، [3] وَتَرْكٌ.[46]

فَإِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ بِالِاحْتِلَامِ أَوْ بِالسِّنِّ ضَحْوَةَ[47] النَّهَارِ مَثَلًا، فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ كَلِمَتَيْ الشَّهَادَةِ، وَفَهِمَ مَعْنَاهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ،[48] وَلَيْسَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْصُلَ كَشْفَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ بِالنَّظَرِ وَالْبَحْثِ وَتَحْرِيرِ الْأَدِلَّةِ.[49]

---

[44] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه، هنا انتهى الورقة 10 في المخطوطة: ب.

[45] هو مجدد الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المشهور بالإمام الغزالي، وُلِدَ في الطباران بخراسان سنة 450 الهجرية [الموافق بسنة 1058 الميلادي]، هو أصولي متصوف متكلم، قام بالتدريس في مدرسة النظامية في بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، وصنف المؤلفات الكثيرة في كل الفن، من أفضلها الكتاب المذكور: إحياء علوم الدين، الذي هو من اجل كتب المواعظ واعظمها، وهو مرتب على أربعة أقسام: العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات، قيل فيه أنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب، وتوفى الأمام الغزالي سنة 505 الهجرية [الموافق بسنة 1111 الميلادي].

[46] قال شيخ شيوخنا العارف بالله محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: "اعتقاد هو عقد القلب على الشيء واثباته في نفسه"، ثم قال: "وقال الراغب: الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإيجاده أو بغيره ولما كان بعلم أو بغيره وبقصد أو بغيره ولما من الانسان والحيوان والعمل والصنع أخص منه، وترك هو رفض الشيء قصدًا واختيارًا أو قهرًا واضطرارًا، وهذا التقسيم فيه تصريح أن الترك غير الفعل كم صرح به غير واحد"، انظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ\1994م، الجزء الأول، ص 135.

[47] هنا انتهى الورقة 11 في المخطوطة: ب.

[48] قال الشيخ ابن السبكي في الطبقات: "واعلم أن جميعَ ما سقناه في قولِ لا إله إلا الله المرادُ به في أكثر الأحاديث صيغة الشهادتين، وقد صاروا كالشيءِ الواحدِ لأن الاعتبارَ بأحدِهما متوقفٌ على الآخرِ"؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 137.

[49] أما النظر عند الأصوليين هو الفكرُ المؤدى إلى علمٍ أو ظنٍ، وأما البحث هو اثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين شيئين بطريق الاستدلال، وأما تحرير الأدلة هو التحقيق في الأدلة والبرهان، انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 138.

بَلْ يَكْفِيْهِ أَن يُصَدِّقَ بِهِ وَيَعْتَقِدَهُ جَزْمًا، [مِنْ غَيْرِ اِخْتِلَاجِ رَيْبٍ وَاَضْطِرَابِ نَفْسٍ، وَذَلِكَ قَدْ يَحْصَلَ بِمُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ وَالسَّمَاعِ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا بُرْهَانٍ][50] إِذْ اَكْتَفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِالتَّصْدِيقِ وَالْإِقْرَارِ مِنْ غَيْرِ تَعْلُّمِ دَلِيلٍ.[51]

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْوَقْتِ، وَكَانَ الْعِلْمَ اَلَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَيْهِ فِي الْوَقْتِ تَعَلَّمُ الْكَلِمَتَيْنِ وَفَهْمُهَا،[52] وَلَيْسَ يلْزَمُهُ أَمْرَ وَرَاءَ هَذَا فِي الْوَقْتِ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ عَقِيبَ ذَلِكَ مَاتَ مَطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى[53] غَيْرَ عَاصٍ لَهُ، وإِنَّمَا يَجِبُ غَيْرَ ذَلِكَ بِعَارِضٍ يُعْرِضُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ ضَرُورِيًا فِي حَقِّ كُلِّ شَخْصٍ، بَلْ يَتَصَوَّرُ الْإِنْفِكَاكَ عَنْهَا، وَتِلْكَ الْعَوَارِضُ إِمَّا أَن تَكُونَ فِي الْفِعْلِ وَإِمَّا فِي التَّرْكِ، وَإِمَّا فِي الْاِعْتِقَادِ.[54]

أَمَّا الْفِعْلُ فَبِأَنَّ يَعِيشَ مِنْ ضَحْوَةِ النَّهَارِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ، فَيَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ بِدُخُولِ وَقْتِ الظُّهْرِ تَعَلَّمُ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا، وَكَانَ بِحَيْثُ لَوْ صَبَرَ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ تَمَامِ التَّعَلُّمِ وَالْعَمَلِ فِي الْوَقْتِ، بَلْ يَخْرُجُ الْوَقْتُ، لَوْ اَشْتَغَلَ بِالتَّعَلُّمِ فَلَا يُبْعِدَ أَن نَقُولَ:

---

[50] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا و: ب.

[51] قال الشيخ العراقي: "هو مشهور في كتب السير وفي الصحيح، فمن ذلك حديثُ أنس، المتفق عليه في قصة ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر، وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي أيوب: "أن اعرابيًا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفرٍ، فأخذ بخصام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله! أو يا محمد! أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار؟ فقال: ((تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) الحديث، وزاد مسلمٌ فقال: ((أَن تَمَسَكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ))، وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة: أن اعرابيًا جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول الله دلّني على عملٍ إذا عملتُهُ دخلتُ الجنّةَ؟ قال: ((تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) الحديث، فالأحاديث في اكتفى رسول الله ﷺ من الناس بالتصديق والإقرار كثيرة مشهورة، انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 138.

[52] هنا انتهى الورقة 6 في المخطوطة: ا.

[53] هنا انتهى الورقة 12 في المخطوطة: ب.

[54] قال المصنف الشيخ رحمه الله في عمدة العلماء: "وهي المراد بقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن ماجه ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))، وليس المراد بهذا العلم كما قال العلماء رضي الله عنهم إلا علم المعاملة، والمعاملة التي كلّفنا بها ثلاثة أقسام: اعتقادٌ وفعلٌ وتركٌ، وقد تكفّل بتعليم هذه العلوم الثلاثة، الأوّل بالأوّل والثاني بالثاني والثالث بالثالث"، قال شيخ شيوخنا العارف بالله محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: "قدم الفعل والترك اهتمامًا بشأنهما لأن غالب الشرائع مداره عليهما"، أي مداره على الفعل والترك، فمعرفة الواجبات بأن يفعلها ومعرفة المنهيات بأن يجتنبها هي العلم التي فريضة على كل المسام طلبها من الشرائع، والتصديق والافهام والاقرار بمعنى كلمتي الشهادة هي مدار العلم التي فريضة على كل المسلم أن طلبها في الاعتقاد؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 139.

الظَّاهرَ بَقَاؤُهُ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ التَّعَلُّمِ عَلَى الْوَقْتِ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالُ: وُجُوبَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ الْعَمَلِ[55] بَعْدَ وُجُوبِ الْعَمَلِ، فَلَا يَجِبُ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَهَكَذَا فِي بَقِيَةِ الصَّلَوَاتِ.[56]

فَإِنْ عَاشَ إِلَى رَمَضَانٍ تَجَدَّدُ بِسَبَبِهِ وُجُوبَ تَعَلُّمِ الصَّوْمِ، وَهُوَ [أَنْ يَعْلَمَ][57] أَنَّ وَقْتَهُ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ فِيهِ النِّيَّةُ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالْوَقَاعِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَتَمَادِىَ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ أَوْ شَاهِدَيْنِ.[58]

فَإِنْ تَجَدَّدَ لَهُ مَالٌ أَوْ كَانَ لَهُ مَالٌ عِنْدَ بُلُوغِهِ لَزِمَهُ تَعَلُّمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَكِنَ لَا يَلَزِمُهُ فِي الْحَالِ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُهُ عِنْدَ تَمَامِ الْحَوَلِ مِنْ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا الْإِبْلَ لَمْ يَلْزَمْهُ إِلَّا تَعَلُّمَ زَكَاةَ الْغَنَمِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَصْنَافِ.[59]

---

[55] هنا انتهى الورقة 13 في المخطوطة: ب.

[56] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "أَمَّا الْفِعْلُ فَبِأَنَّ يَعِيشَ مِنْ ضَحْوَةِ النَّهَارِ"، مثلا بعد أن يصير أهلا لوجوب الصلاة عليه ببلوغ وإسلام، "إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ"، الغاية هنا داخلة تحت المعنى بقرينة قوله: "فَيَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ بِدُخُولِ وَقْتِ الظُّهْرِ تَعَلُّمُ الطَّهَارَةِ"، من الاحداث والاخباث، "وَالصَّلَاةِ"، أي صلاة الظهر، وتقديم الطهارة بكونها من مقدمات الصلاة، "وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا، وَكَانَ بِحَيْثُ لَوْ صَبَرَ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَمَامِ التَّعَلُّمِ وَالْعَمَلِ"، ولا من بعضهما "فِي الْوَقْتِ، بَلْ يَخْرُجُ الْوَقْتُ، لَوْ اشْتَغَلَ بِالتَّعَلُّمِ فَلَا يُبْعِدَ أَن نَقُولَ: الظَّاهِرَ بَقَاؤُهُ"، وهو الراجح، "فَيَجِبُ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ التَّعَلُّمِ عَلَى الْوَقْتِ"، وانما عبر بقوله: لا يبعد لأنه لم ير فيه تصريحًا، وانما هو من تحقيقاته، ويكون المراد بالتعلم الذي وجب تقديمه قدر ما يستطيع ويسعه فهمه، وان جعل التعلم شرطًا للصلاة، فلا محالة يقدم عليها تقدم العلة على المعلول، "وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالُ: وُجُوبَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ الْعَمَلِ بَعْدَ وُجُوبِ الْعَمَلِ فَلَا يَجِبُ"، أي لا يستدعى وجوبه، "قَبْلَ الزَّوَالِ"، ويقال هلا يكون المراد من قوله: بعد وجوب العمل ليس مقارنًا له في الوجوب بالزمان، فتدبر، "وَهَكَذَا" الحال، "فِي بَقِيَةِ الصَّلَوَاتِ" أي في بقية الصلوات المفروضة؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 139.

[57] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[58] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "فَإِنْ عَاشَ إِلَى رَمَضَانٍ تَجَدَّدُ بِسَبَبِهِ وُجُوبَ تَعَلُّمِ الصَّوْمِ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ وَقْتَهُ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ فِيهِ النِّيَّةُ"، وهي إجماعيةٌ ولكن اختلفوا في تعيينها، فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه لا بد من التعيين، فان لم يعين لم يجز، ولو نوى صومًا مطلقًا أو صوم التطوّع لم يجز، وقال أبو حنيفة لا يجب التعيين، وان نوى مطلقًا أو نفلًا أجزأه، وهي الرواية الأخرى عن أحمد، ثم اختلفوا في وقت النية على ما يأتي بيانه في الكتاب الثالث إن شاء الله تعالى، "وَالْإِمْسَاكُ" أي الامتناع، "عَنِ الْأَكْلِ" والشرب، "وَالْوَقَاعِ"، أي الجماع وما في معناه، "وَأَنَّ ذَلِكَ يَتَمَادِىَ"، أي تنتهى مدنه، "إِلَى وَقْتِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ"، أي هلال شوّال، "أَوْ شَاهِدَيْنِ"، أي الرجلين المسلمين العادلين"؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 139.

[59] أي عند تمام الحول من وقت إسلامه، قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "فَإِنْ تَجَدَّدَ لَهُ مَالٌ أَوْ كَانَ لَهُ مَالٌ"، بكسبٍ أو هبةٍ أو ارثٍ، والمراد بالمال النقدان، "عِنْدَ بُلُوغِهِ"، أو قبل أن يبلغ بقليل، "لَزِمَهُ تَعَلُّمَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ

فَإِذَا دَخَلَ أَشْهَرَ الْحَجِّ[60] فَلَا يَلْزَمُهُ الْمُبَادِرَةِ إِلَى عِلْمِ الْحَجِّ مَعَ أَنَّ فِعْلَهُ عَلَى التَّرَاخِي، فَلَا يَكُونُ تَعَلُّمُهُ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَكِنَ يَنْبَغِي لِعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَنبِهُوهُ عَلَى أَنَّ الْحَجَّ فَرْضٌ عَلَى التَّرَاخِي عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ، إِذَا كَانَ[61] هُوَ مَالِكًا حَتَّى رُبَّمَا يَرَى الْحَزَمَ لِنَفْسِهِ فِي الْمُبَادِرَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَةَ الْحَجِّ، وَلَمْ يَلْزَمْهُ إِلَّا تَعَلُّمُ أَرْكَانَهُ وَوَاجِبَاتَهُ دُوْنَ نَوَافِلِهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَفْلاً فَعِلْمَهُ أَيْضًا نَفْلٌ، فَلَا يَكُونُ فَرْضُ عَيْنٍ، وَفِي تَحْرِيمِ السُّكُوتِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَى وُجُوبِ أَصْلِ الْحَجِّ فِي الْحَالِ نَظَرَ يَلِيقُ بِالْفِقْهِ، وَهَكَذَا التَّدْرِيجُ فِي عِلْمِ سَائِرِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ.[62]

الزَّكَاةِ"، أي من مسائلها، "وَلَكِنَ لَا يَلْزَمُهُ"، الزكاة، "فِي الْحَالِ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُهُ عِنْدَ تَمَامِ الْحَوَلِ مِنَ الْإِسْلَامِ"، بتحديد الشارع، والمعتبر فيه الشهور القمرية كما في البلوغ لا الشمسية، "فَإِنْ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا الْإِبِلَ لَمْ يَلْزَمْهُ إِلَّا تَعَلُّمَ زَكَاةَ الْغَنَمِ"، وكذا في عكسه، "وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَصْنَافِ"، من الأموال" اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 139.

[60] هنا انتهى الورقة 14 في المخطوطة: ب.

[61] هنا انتهى الورقة 7 في المخطوطة: ا.

[62] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "فَإِذَا دَخَلَ أَشْهَرَ الْحَجِّ"، وهي عند جمهور العلماء شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، سمى بعضه شهرا مجازا تسمية البعض باسم الكل، والعرب تفعل ذلك كثيرا في الأيام يقولون زرتك العام وزرتك الشهر، والمراد وقت من ذلك قلّ أو كثر، وهو من افانين الكلام، وعن مالك ذو الحجة عملًا بظاهر اللفظ، لأن أقله ثلاثة، وعن ابن عمر والشعبي أربعة، هذه الثلاثة والمحرم، "فَلَا يَلْزَمُهُ الْمُبَادِرَةِ إِلَى عِلْمِ الْحَجِّ مَعَ أَنَّ فِعْلَهُ عَلَى التَّرَاخِي"، أي امتداد الزمان، "فَلَا يَكُونُ تَعَلُّمُهُ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَكِنَ يَنْبَغِي لِعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَنبِهُوهُ عَلَى أَنَّ الْحَجَّ فَرْضٌ"، على كل مسلم، "عَلَى التَّرَاخِي"، هذا هو مذهب الشافعي وأحمد في رواية، وقول لمحمد ابن الحسن، قالوا لأنه وظيفة العمر، وظاهر المتون على الفور عند أبي حنيفة، وهو مذهب مالك، وقول لأبي يوسف: واستدلوا بقوله ﷺ: ((مَنْ أَرَادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجِلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرِضُ الْمَرِيضَ وَتَضِلُّ الرَّاحِلَةَ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةَ))، رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه، قال العيني في شرح الكنز: فإن قلتَ حج رسول الله ﷺ في سنة عشر، وكان فرضه في سنة ست، فهذا يدلّ على التراخي، قلتُ: الحج وجب بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ﴾، وهي نزلت سنة تسع والذي نزل في سنة ست قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وهو أمر بإتمام ما شرع فيه، وليس فيه دلالة على الايجاب من غير شروع، وأما تأخيره عليه السلام إلى السنة العاشرة، فيحتمل أن يكون لعذر، إما لأنها نزلت بعد فوات الوقت، أو لخوف من المشركين على أهل المدينة، أو على نفسه، وأما ما قاله بعضهم أنه عليه السلام كان قد علم أنه يدرك الحج قبل موته فليس بشيء، اه، وقال مسكين البخاري في شرحه عليه ما نصه: فرض مرة على الفور عند أبي يوسف ومحمد، وهو احدى الروايتين عنه أنه على التراخي، وهو قول الشافعي إلا أنه يسعه التأخير بشرط أن لا يفوته بالموت، فإذا أخر حتى مات أثم في الخير، وفي النهر لابن نجيم: الحاصل أن الفورية واجبةٌ احتياطًا حتى لو أتى به متراخيًا كان أداء اتفاقًا، وثمرة الخلاف إنما تظهر في الفسق بالتأخير والاثم ورد الشهادة، وقال أبو يوسف: نعم ونفاه محمد، وأجمعوا على لو حج في آخر عمره لم يأثم، ولو مات ولم يحجْ أثم، اه، "عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ، إِذَا كَانَ هُوَ مَالِكًا"، وذلك مما فضل

وَأَمَّا[63] **التَّرْكُ** فَيَجِبُ عَلِمَ ذَلِكَ بِحَسْبِ مَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْحَالِ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِحَالِ الشَّخْصِ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَى الْأَبْكَمِ تَعَلَّمُ مَا يَحْرِمُ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا عَلَى الْأَعْمَى تَعَلَّمُ مَا يَحْرِمُ مِنَ النَّظَرِ، وَلَا عَلَى الْبَدَوِيِّ تَعَلَّمُ مَا يَحِلُّ الْجُلُوسُ فِيهِ مِنَ الْمَسَاكِنِ، فَذَلِكَ أَيْضًا وَاجِبٌ بِحَسْبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ، فَمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَكُ عَنْهُ لَا يَجِبُ تَعْلَّمَهُ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ، فَيَجِبُ تَنْبِيهَهُ كَمَا لَوْ كَانَ عِنْدَ الْإِسْلَامِ لَابِسًا لِلْحَرِيرِ، أَوْ جَالِسًا عَلَى الْغَصَبِ، أَوْ نَاظِرًا إِلَى غَيْرِ ذِي مُحْرَمٍ، فَيَجِبُ تعْرِيفُهُ ذَلِكَ، وَمَا لَيْسَ مُلَابِسًا لَهُ وَلَكِنَهُ بِصَدَدِ التَّعْرَضِ لَهُ عَلَى الْقُرْبِ كَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، فَيَجِبُ تَعْلِيمَهُ، حَتَّى[64] إِذَا كَانَ فِي بَلَدٍ يَتَعاطِىَ فِيْهِ شَرْبَ الْخَمَرِ وَأَكْلَ لَحَمِ الْخِنْزِيرِ، فَيَجِبُ تَعْلِيمَهُ ذَلِكَ، وَتَنْبِيهَهُ عَلَيْهِ، وَمَا وَجَبَ تَعْلِيمَهُ وَجَبَ تَعَلَّمَهُ.[65]

عن مسكنه وعمالًا بدله منه، وعلى نفقة مدة ذهابه وايابه ونفقة عياله، "حَتَّى رُبَّمَا يَرَى الْحَزَمَ لِنَفْسِهِ فِي الْمُبَادِرَةِ"، إليه "فَعِنْدَ ذَلِكَ إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ تَعَلُّمُ كَيْفِيَةِ الْحَجِّ، وَلَمْ يَلْزَمْهُ إِلَّا تَعَلَمُ أَرْكَانَهُ وَوَاجِبَاتَهُ"، مما يصح به حجه ويفسده بدونه، "دُوْنَ نَوَافِلِهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَفْلٌ فَعِلْمَهُ أَيْضًا نَفْلٌ، فَلَا يَكُونُ فَرْضُ عَيْنٍ، وَفِي تَحْرِيمِ السُّكُوتِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَى وُجُوبِ أَصْلِ الْحَجِّ فِي الْحَالِ نَظَرٌ يَلِيقُ بِالْفِقْهِ"، وحكمه مبسوط في كتبه، "وَهَكَذَا التَّدْرِيجُ فِي عِلْمِ سَائِرِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ"، قياسًا على ما ذكر، اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 139-141.

[63] هنا انتهى الورقة 15 في المخطوطة: ب.

[64] هنا انتهى الورقة 16 في المخطوطة: ب.

[65] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "وَأَمَّا التَّرْكُ فَيَجِبُ عَلِمَ ذَلِكَ بِحَسْبِ مَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْحَالِ، وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِحَالِ الشَّخْصِ"، أي باختلاف حاله، "إِذْ لَا يَجِبُ عَلَى الْأَبْكَمِ"، هو الذي لا يقدر على النطق، "تَعَلَمُ مَا يَحْرِمُ"، عليه، "مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا عَلَى الْأَعْمَى"، هو فاقد البصر، "تَعَلَمُ مَا يَحْرِمُ"، عليه "مِنَ النَّظَرِ، وَلَا عَلَى الْبَدَوِيِّ"، ساكن القفار، "تَعَلَمُ مَا يَحِلُّ الْجُلُوسُ فِيهِ مِنَ الْمَسَاكِنِ، فَذَلِكَ أَيْضًا وَاجِبٌ"، تعلمه "بِحَسْبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ، فَمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَكُ عَنْهُ"، وينفصل منه، "لَا يَجِبُ تَعْلَمَهُ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ"، غير منفك عنه، "فَيَجِبُ"، على العلماء "تَنْبِيهَهُ"، وتعليمه وارشاده ليرتدع عما لا يجوز، "كَمَا لَوْ كَانَ عِنْدَ"، دخوله في، "الْإِسْلَامِ لَابِسًا لِلْحَرِيرِ"، مثلاً "أَوْ جَالِسًا عَلَى الْغَصَبِ"، سواء كانت بقعة مغصوبة أو ما فرش تحته كذلك، وفي معناه ما إذا كان راكبًا على دابة مغصوبة لأنه متصرفًا فيما ليس له فيه حق شرعي، "أَوْ نَاظِرًا إِلَى غَيْرِ ذِي مُحْرَمٍ"، هو من لا يحلّ له نكاحها أبدًا برحمٍ أو رضاعٍ أو مصاهرةٍ، "فَيَجِبُ تعْرِيفُهُ ذَلِكَ"، وارشاده بأن ذلك حرامٌ في الشرع، "وَمَا لَيْسَ مُلَابِسًا لَهُ"، حالًا، "وَلَكِنَهُ بِصَدَدِ التَّعْرَضِ لَهُ عَلَى الْقُرْبِ"، منه بحيث أنه كاد أن يقع فيه بأن يكون حائمًا حول حماه، "كَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ" ونحوه، "فَيَجِبُ تَعْلِيمَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَلَدٍ يَتَعاطِىَ"، أي يتناول، "فِيْهِ شَرْبَ الْخَمَرِ وَأَكْلَ لَحَمِ الْخِنْزِيرِ فَيَجِبُ تَعْلِيمَهُ ذَلِكَ"، بأن تناولَ ذلك وتعاطيه حرامٌ لا يجوز للمسلم، "وَتَنْبِيهَهُ عَلَيْهِ، وَمَا وَجَبَ تَعْلِيمَهُ وَجَبَ تَعَلَّمَهُ"، هذا في الترك، اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 141.

وَأَمَّا الْإِعْتِقَادَاتُ وَاَعْمَالُ الْقُلُوبِ فَيَجِبُ عَلَمَهَا بِحَسْبِ الْخَوَاطِرِ، فَإِنْ خَطَرَ لَهُ شَكٌّ فِي الْمَعَانِي اَلَّتِي تَدِلُّ عَلَيْهَا كَلِمَتَا الشَّهَادَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى إِزَالَةِ الشَّكِّ، وَإِنْ لَّمْ يَخْطُرْ لَهُ ذَلِكَ وَمَاتَ قَبْلَ أَنَّ يَعْتَقِدَ إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ، وَأَنَّهُ مَرْئِيٌّ وَأَنَّهُ لَيْسَ مُحَلًّا لِلْحَوَادَثِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُذْكِرُ فِي الْمُعْتَقِدات، فَقَدْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِجْمَاعًا، وَلَكِنَ هَذِهِ الْخَوَاطِرُ الْمُوجِبَةُ لِلْاِعْتِقَادَاتِ، بَعْضُهَا يَخْطَرُ بِالطَّبْعِ[66] وَبَعْضُهَا يَخْطَرُ بِالسَّمَاعِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، فَإِنْ كَانَ فِي بَلَدٍ شَاعٌ فِيْهِ الْكَلَامُ وَتَتَاطِقُ النَّاسُ بِالْبِدَعِ.[67]

فَيَنْبَغِي أَنْ يُضَأَنَ فِي أَوَّلِ بُلُوغِهِ عَنْهَا بِتَلْقِينِ الْحَقِّ خَفِيَةً سَبَقَ غَيْرَ الْحَقِّ إِلَى قَلْبِهِ،[68] لِأَنَّهُ إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ الْبَاطِلُ لَوَجَبَ إِزَالَتَهُ مِنْ قَلْبِهِ [وَصَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ]،[69] وَرُبَّمَا عَسُرَ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْمُسْلِمُ تَاجِرًا وَقَدْ شَاعَ فِي الْبَلَدِ مُعَامِلَةُ الرِّبَا، وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَلَمُ الْحَذْرَ مِنَ الرِّبَا، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي الْعِلْمِ اَلَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ، [وَمَعْنَاهُ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَةِ اِلْعَمَلِ الْوَاجِبُ، فَمَنْ عَلِمَ الْعَمَلَ

---

[66] هنا انتهى الورقة 17 في المخطوطة: ب.

[67] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "وَأَمَّا الْإِعْتِقَادَاتُ وَاَعْمَالُ الْقُلُوبِ"، هو من عطف الخاص على العام أو عطف تفسير، فإن ما عقده القلب عملٌ له، "فَيَجِبُ عَلَمَهَا بِحَسْبِ الْخَوَاطِرِ"، جمع خاطرٍ اسمٌ لما يتحرك في القلب من رأى أو معنى، ثم سمى محله باسم ذلك، وهو من الصفات الغالبة يقال خطر ببالي، وعلى بالي أمر، وأصل التركيب بدل على الحركة والاضطراب، قاله المطرزيُّ، "فَإِنْ خَطَرَ لَهُ شَكٌّ"، وتردد، "فِي"، فهم "الْمَعَانِي اَلَّتِي تَدِلُّ عَلَيْهَا كَلِمَتَا الشَّهَادَةِ"، كلها أو بغضها، "فَيَجِبُ عَلَيْهِ تَعَلَمُ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى إِزَالَةِ"، ذلك "الشَّكِّ"، والتردد، ويكتفى على ذلك القدر، ولا يتجاوز، "وَإِنْ لَمْ يَخْطَرْ لَهُ ذَلِكَ وَمَاتَ قَبْلَ أَنَّ يَعْتَقِدَ إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ"، غير حادث، "وَأَنَّهُ"، عز وجل، "مَرْئِيٌّ"، أي براه المؤمنون في الآخرة بإنظارهم، "وَأَنَّهُ لَيْسَ مَحَلًّا لِلْحَوَادَثِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ"، من المسائل الاعتقادية، "مِمَّا يُذْكِرُ فِي الْمُعْتَقِدات"، في الكتاب الثاني، "فَقَدْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِجْمَاعًا"، من أهل السنة وإن خالفهم المعتزلة والمبتدعة، فقد صرح غير واحدٍ من العلماء أن مخالفة ذوي البدع ونفاة القياس الجلي لا يعد خرقًا في الإجماع، "وَلَكِنَ هَذِهِ الْخَوَاطِرُ الْمُوجِبَةُ لِلْاِعْتِقَادَاتِ، بَعْضُهَا يَخْطَرُ بِالطَّبْعِ"، والجبلة، "وَبَعْضُهَا"، يخطر "بِالسَّمَاعِ"، من أفواه الناس، "مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، فَإِنْ كَانَ فِي بَلَدٍ شَاعٌ فِيْهِ الْكَلَامُ"، أي علمه، "وَتَتَاطِقُ النَّاسُ بِالْبِدَعِ"، والأمور المنكرة، اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 141.

[68] هنا انتهى الورقة 8 في المخطوطة: ا.

[69] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

وَالْوَاجِبَ وَقْتَ وُجُوبِهِ عَلِمَ الْعِلْمِي اَلَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَيْنٌ، وَمَا ذَكَرَهُ الصُّوفِيَةُ مِنْ فَهْمِ خَوَاطِرِ الْعَدُوِّ وَلَمَّةِ الْمَلِكِ حَقٌّ أَيْضاً، وَلَكِنَ فِي حَقِّ مَنْ يَتَصَدَى لَهُ].[70]

وَإِذَا كَانَ الْغَالِبَ أَنَّ الْإِنْسانَ لَا يَنْفَكُ[71] مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ، فَيَلْزِمُهُ أَن يَتَعَلَّمُ [مِنْ رُبَعِ الْمُهْلِكَاتُ][72] مَا يُرَى نَفْسَهُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، [وَكَيْفَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ))، وَلَا يَنْفَكُ عَنْهَا بِشَرٍّ][73] وَبَقِيَةُ مَا سَنَذْكَرَهُ مِن مَذْمُومَاتِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ كَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَأُخُوَتِهَا [تَتَّبِعُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمُهْلِكَاتِ][74] وَإِزَالَتُهَا فَرْضُ عَيْنٍ".[75]

---

[70] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة، قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "فَيَنْبَغِي أَنْ يُضَأَنَ"، ويحفظ، "فِي أَوَّلِ بُلُوغِهِ"، بالسن أو بالاحتلام، "عَنْهَا"، أي عن تلك المقالات، "بِتَلْقِينِ الْحَقِّ خَفِيَةً سَبَقَ غَيْرَ الْحَقِّ إِلَى قَلْبِهِ"، إياه والقائه له في ذهنه كما قالوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

"لِأَنَّهُ إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ الْبَاطِلُ"، ولقنه، "لَوَجَبَ إِزَالَتَهُ"، وابعاده، "مِنْ قَلْبِهِ"، لئلا يرسخ فيه، "وَرُبَّمَا عَسَرَ ذَلِكَ"، وصعب لأنه يصير كالطبع له، "كَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْمُسْلِمُ تَاجِرًا وَقَدْ شَاعَ فِي الْبَلَدِ"، الذي هو فيه، "مُعَامِلَةُ الرِّبَا"، وتعاطيه، "وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَلَمُ الْحَذْرَ مِنَ الرِّبَا"، لئلا يقع فيه، "وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي الْعِلْمِ اَلَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ"، وعليه يحمل الحديث المذكور، "وَمَعْنَاهُ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَةِ الْعَمَلِ الْوَاجِبُ"، إذا العلم لما كان روحه وثمره العمل كان متقدم الوجود على العمل إذ لا بد أن يحصل العلم أولًا، ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم لأن الجهل لا يوجب شيئًا من العمل، "فَمَنْ عَلِمَ الْعَمَلَ وَالْوَاجِبَ وَقْتَ وُجُوبِهِ عَلِمَ الْعِلْمِي اَلَّذِي هُوَ فَرْضٌ عَيْنٌ، وَمَا ذَكَرَهُ"، السادة "الصُّوفِيَةُ"، بأن المراد بالعلم المفروض هو القدر الواجب، "مِنْ فَهْمِ خَوَاطِرِ الْعَدُوِّ"، وهو الشيطان، "وَلَمَّةِ الْمَلِكِ"، والتمييز بينهما، واعلم أن الخاطر عندهم ما يرد على القلب من الخطاب من غير إقامة، وهو على أربعة أقسامٍ: [1] ربّانيٌّ، وهو أول الخواطر، ولا يخطئ أبدًا، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع، [2] وملكيٌّ، وهو الباعث على مندوب أو مفروض، ويسمى الهامًا، [3] ونفسيٌّ، هو ما فيه حظ للنفس، ويسمى هاجسًا، [4] وشيطانيٌّ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق، فذلك: "حَقٌّ أَيْضاً، وَلَكِنَ"، ليس في حق كل أحد، إنما هو: "فِي حَقِّ مَنْ يَتَصَدَى لَهُ"، ويتعرض ممن هو في سلوك طريق الحق، اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 141-142.

[71] هنا انتهى الورقة 18 في المخطوطة: ب.

[72] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[73] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[74] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[75] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: ""وَإِذَا كَانَ الْغَالِبَ"، في الأحوال، "أَنَّ الْإِنْسانَ لَا يَنْفَكُ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ"، وغير ذلك من الاوصاف الذميمة، "فَيَلْزِمُهُ أَن يَتَعَلَّمُ مِنْ رُبَعِ الْمُهْلِكَاتُ مَا يُرَى نَفْسَهُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ"، غير مستغن عنه، "وَكَيْفَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ"، فيما رواه أبو بكر البزار في مسنده وأبو نعيم في الحلية من رواية

ثُمَّ قَالَ الْغَزَالِيُّ: "وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ فِي إِلْقَائِهِ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ اِنْتَقَلَ عَنْ مِلَّةٍ إِلَى مِلَّةٍ أُخْرَى: الْإِيْمَان بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ [وَعَذَابِ الْقَبْرِ][76] حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ وَيُصَدِّقَ، وَهُوَ مِنْ تَتَمَّةِ كَلِمَتَي الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ بَعْدَ التَّصْدِيقِ بِكَوْنِهِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ][77] رَسُولًا يَنْبَغِي أَن يَفْهَمَ الرِّسَالَةَ اَلَّتِي هُوَ مُبْلِغُهَا: وَهُوَ أَنْ مَن أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَن عَصَاهُ فَلَهُ النَّارُ.[78]

زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس بن مالك، رفعه ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات، و: ((ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ)) أي موقعات في الهلاك لفاعلها، أما الكفارات: [1] فانتظار الصلاة بعد الصلاة، [2] واسباغ الوضوء في البردات، [3] ونقل الاقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: [1] فإطعام الطعام، [2] وافشاء السلام، [3] والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات: [1] فالعدل في الغضب، [2] والرضا والقصد في الفقر والغنى، [3] وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات، هي: "((شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ))، الحديث"، أي الخ إشارة إلى أن الحديث له بقية، وهو الذي أوردناه، والمراد بالشح المطاع هو البخل الذي يطيعه الناس فلا يؤدون الحقوق، قال الراغب: خص المطاع لينبه أن الشح في النفس ليس يستحق به ذم إذ ليس هو من فعله، وانما يذم بالانقياد له، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَهَوًى مُتَّبَعٌ)) أي يتبع هوى النفس الامراء بالسوء كما قال الله تعالى: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْواءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)) أي العجب فهو من الصفات المهلكات، وحقيقته استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم، فأن العجب يدعو إلى الكبر ونسيان الذنوب ونسيان نعمة الله واستعظام العبادات واعتقاد المنزلة عند الله وتزكية النفس بالعقل والراي والعلم، كما قال الشيخ عثمان بن فودي في عمدة البيان، "وَلَا يَنْفَكُ عَنْهَا بِشَرٍّ وَبَقِيَّةُ مَا سَنَذْكَرَهُ مِن مَذْمُومَاتِ أَحْوَالِ الْقَلْبِ"، وصفاتها، "كَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَأُخُوَتِهَا تَتَّبِعُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمُهْلِكَاتِ"، ولما كانت هذه الثلاث كالأصول لبقية المهلكات وقع الاقتصار عليها لأنه ما من صفة ذميمة ألا وأصلها احدى هذه الثلاثة، "وَإِزَالَتُهَا" عن القلب، "فَرْضُ عَيْنٍ"، على كل مكلف اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 141-142.

[76] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[77] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[78] قال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزالي: "وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُبَادِرَ فِي إِلْقَائِهِ إِلَيْهِ"، وتلقينه إياه، "إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ اِنْتَقَلَ عَنْ مِلَّةٍ إِلَى مِلَّةٍ أُخْرَى: الْإِيْمَان بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ وَيَصْدِّقَ"، ذلك بقلبه، "وَهُوَ مِنْ تَتَمَّةِ كَلِمَتَي الشَّهَادَةِ"، داخل في ضمنها في الإيمان التفصيلي، "فَإِنَّهُ بَعْدَ التَّصْدِيقِ بِكَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولًا"، من الله تعالى، "يَنْبَغِي أَن يَفْهَمَ الرِّسَالَةَ اَلَّتِي هُوَ"، أي الرسول، "مُبْلِغُهَا"، إليهم، "وَهُوَ أَنْ مَن أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَن عَصَاهُ فَلَهُ النَّارُ" وضمير واحد نظرًا إلى إنكاره ﷺ على خطيب الأنصار إذ قال: من أطاع الله ورسوله فقد هذى ومن يعصهما فقد غوى، فقال: ((بِئْسَ خَطِيبِ الْقَوْمِ أَنْتَ!))، اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 143.

فَإِذَا اِنْتَبَهْتَ[79] **لِهَذَا التَّدْرِيجِ** عَلِمْتَ أَنَّ الْمَذْهَبَ الْحَقَّ هُوَ هَذَا، وَتَحَقَّقْتَ إِنَّ كُلَّ عَبْدٍ فَهُوَ فِي مُجَارِي أَحْوَالِهِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ لَا يَخْلُواْ مِنْ وَقَائِعٍ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامِلَاتِهِ عَنْ تَجَدَّدِ عَلَيْهِ لَوَازِمٌ، فَيَلْزَمَهُ السُّؤَالُ عَنْ كُلِّ مَا يَقَعَ لَهُ مِنَ النَّوَادِرِ، فَيَلْزِمَهُ الْمُبَادِرَةَ وَالْمَسَارِعَةَ إِلَى عِلْمِ مَا يَتَوَقَّعُ وُقُوعُهُ عَلَى الْقُرْبِ غَالِبًا.

فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِالْعِلْمِ الْمَعَرَّفَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ)) عِلْمَ الْعَمَلِ اَلَّذِي هُوَ مَشْهُورُ الْوُجُوبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَا غَيْرَ، فَقَدْ اَتَضَحُ وَجْهَ التَّدْرِيجِ وَوَقْتِ وُجُوبِهِ".[80]

---

[79] هنا انتهى الورقة 19 في المخطوطة: ب.

[80] قال شيخ مشايخنا العارف بالله الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: "فَإِذَا اِنْتَبَهَتْ لِهَذَا التَّدْرِيجِ"، الذي ذكرناه، "عَلِمْتَ أَنَّ الْمَذْهَبَ الْحَقَّ هُوَ هَذَا"، لا غير، "وَتَحَقَّقْتَ إِنَّ كُلَّ عَبْدٍ"، لله تعالى، "هُوَ فِي مُجَارِي أَحْوَالِهِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ لَا يَخْلُواْ مِنْ وَقَائِعٍ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامِلَاتِهِ عَنْ تَجَدَّدِ عَلَيْهِ لَوَازِمٌ، فَيَلْزَمَهُ السُّؤَالُ عَنْ كُلِّ مَا يَقَعَ لَهُ مِنَ النَّوَادِرِ"، والوقائع، "فَيَلْزِمَهُ الْمُبَادِرَةَ وَالْمَسَارِعَةَ إِلَى عِلْمِ مَا يَتَوَقَّعُ"، ويرتجي، "وُقُوعُهُ عَلَى الْقُرْبِ غَالِبًا، فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِالْعِلْمِ الْمَعَرَّفَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ"، أي المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه، "فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ)) عِلْمَ الْعَمَلِ اَلَّذِي هُوَ مَشْهُورُ الْوُجُوبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَا غَيْرَ، فَقَدْ اَتَضَحُ وَجْهَ التَّدْرِيجِ وَوَقْتِ وُجُوبِهِ"، وفي القوت بعد ما ذكر اختلاف الآراء في شرح الحديث المذكورة ما نصّه: ولكلها ساقطة، والخبر بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الاسم، فقال ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ))، ثم قال: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)) بعد قوله: ((اَطْلُبُواْ الْعِلْمَ))، فكان هذا على الاعيان، وكأنه ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه، فأشير بالألف واللام إليه، اه"، ثم قال بعد الكلام: "العلوم ثلاثةٌ العلم الأعلى منها علم الدين، وأفضله العلم بالله وأسمائه وصفاته، وعلم الأوسط وهو علم الدنيا الذي يكون معرفة الشيء بمعرفة نظيره، والعلم الأسفل وهو أحكام الصناعات، والاعمال التي لا نهاية لها"، فتدريج العلم المفروض على كل مسلم هو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم اول الإيمان وهو أصله الذي لا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع الذي لا إله إلا هو، ثم معرفة نبوّة رسله عليهم الصلاة والسلام وبكل ما جاؤوا بهم من ربهم من عقائد التوحيد، وقسم ثاني الإسلام وهو فرعه الظاهر الذي لا مندوحة عن تعلمه ككيفية عبادات الله عز وجل كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من فقه الشريعة، ثم معرفة ما اجتناب من المنهيات، وقسم ثالث الإحسان وهو فرعه الباطن الذي لا مندوحة عن تعلمه كتخلي من القلب جميع صفات المذمومات المهلكات وتحلي القلب بجميع صفات المحمودات المنجيات ومرقبة الله في كل حال كأنه يُرَى" اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 143.

اَلْفَصْلُ الثَّانِي

فِي بَيَّانِ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ[81] مِن اَعْطَائِهِمْ أَسْبَابِ مَعْرَفَتِهِ اَلَّتِي هِيَ الْفِطْرَةُ وَالْمَشَاهِدَةُ وَالتَّوَاتِرُ وَالنَّظَرُ وَالضَّرَرُ

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ[82] فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ اَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾،[83] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)).[84]

---

[81] هنا انتهى الورقة 20 في المخطوطة: ب.

[82] قال العلامة ابن منظور الافريقي في لسان العرب: "الْفِطْرَةُ: الإبتداءُ والإخْتراعُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنتُ أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيّانِ يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُهَا، أي أنا ابتدأْتُ حفرها"، ثم قال: "والفِطْرَةُ بالكسر: الْخِلْقَةُ"، أي الخلقة التي فُطِرَ عليها في الرحم من سعادةٍ أو شقاوةٍ، وقال شيخ مشايخنا الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "اَلْفِطْرَةُ: ما فطر الله عليه الخلقَ من المعرفة به، وقال أبو الهيتم: الفطرة: الخلقة التي خُلِقَ عليها المولود في بطن أُمه"، ثم قال: "وفِطْرَةٌ ثانيةٌ: وهي الكلمةُ التي يصير بها العبد مسلما، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله جاء بالحق من عنده، فتلك الفطرةُ: الدينُ"، قال الشيخ الأكبر ابن عربي في الفتوحات المكية: "فالعبد طاهرُ الأصلِ في عبوديتِهِ لأنه مخلوقٌ على الفطرة وهي الإقرار بالعبودية للربّ سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾، وقال رسول الله ﷺ في هذه الآية: ((إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَبَضَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ))، فَكَذَلِكَ العلم طاهرٌ في تعلّقه بمعلومة"، فربنا القدوس معروف لجميع بني آدم بالفطرة الغريزية.

[83] سورة الروم: 30، قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى التنزيل في معنى هذه الآية: "﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾، خليقته نُصِبَ على الإغراء، أي الزموا ما جبلتم عليه من القابلية للإيمان، ﴿اَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وهي دينه الإسلام، لحديث أبي هريرة عنه عليه السلام: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))، رواه البخاري، وقيل هي العهد في عالم الأرواح، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، لدينه أي لا تغيروا تلك الفطرة خبر بمعنى النهي أو لا يقدر أحد أن يغيره، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، المستقيم توحيداً لله.

[84] اخرجه البخاري في باب ما قيل في أولاد المشركين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ومعناه: ((كُلُّ مَوْلُودٍ))، أي من أولاد بني آدم، كما صرحه في رواية: "كل بني آدم يولد على الفطرة"، ((يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ))، أي على فطرة الإسلام، أو معناه يولد سالماً لا يعرف كفراً ولا إيماناً، أو معناه أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، أو معناه أن الله خلق في كل مولود المعرفة والإنكار، ((فَأَبَوَاهُ))، أي أَبَوَيْ المولود، ((يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))، فمن تغير كان بسبب أبويه، إما بتعليمهما إياه، أو ترغيبهما فيه، أن الله تعالى خلق كل مولود من بني آدم حنفاءَ موحدين، ولكن طرأ الشرك عليهم بعد ذلك بسبب المضلين من آبائهم وأمهاتهم وغيرهم، فأن أبوي المولود يدعونه إلى الشرك، ويربونه عليه، فيخرج عن الفطرة بسبب تربية والديه على اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو غيرها من أنواع الكفر.

قَالَ[85] الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ:[86] "وَلِهَذَا بُعِثَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، لِيَقُولُواْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا أُمِرُواْ أَنْ يَقُولُواْ: لَنَا إِلَهٌ، وَلِلْعَالَمِ إِلَهٌ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ كَانَ مَجْبُولًا فِي فِطْرَةِ عُقُولِهِمْ مِنْ مَبْدَأِ نُشُوئِهِمْ، وَفِي عَنْفَوَانِ شَبَابِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾،[87] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ[88] اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾،[89] فَإِذَا فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِ مَا يُغْنِي عَنْ إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ".[90]

---

[85] هنا انتهى الورقة 9 في المخطوطة: ا.

[86] انظر الحاشية السابقة رقم # 45 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[87] سورة لقمان: 25، قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى التنزيل في معنى هذه الآية: "﴿وَلَئِنْ﴾، لام قسم، ﴿سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، لوضوحه، لا يقدر أحد على نسبة خلقهما إلى غيره"، لأنه معلوم بالفطرة لجميع الاشخاص، وقال سلطان الأولياء محيي الدين عبد القادر الجيلاني في تفسيره لهذه الآية: "﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾، سؤال اختبار وإلزام: ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾، وأوجد العلويات، وما فيها من الكواكب والبروج وأنواع الفجاج، ﴿وَالْأَرْضَ﴾، ومَن عليها، وما عليها مما لا يُعد ولا يُحصى؟، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، في الجواب مضطرين حاصرين: ﴿اللَّهُ﴾، إذ لا يسع لهم إسناد خلقهما وإيجادهما إلى غيره سبحانه، لظهور الدلائل والشواهد المانعة من الاستناد إلى غيره سبحانه"، انتهى، فهذا يدلّ على أن الله تعالى معلوم بالفطرة عند جميع الناس.

[88] هنا انتهى الورقة 21 في المخطوطة: ب.

[89] سورة الروم: 30، قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى التنزيل في معنى هذه الآية: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾، بعد ما بلغتَ أي اصرف كلك ﴿لِلدِّينِ﴾، إلى طاعة الله، ﴿حَنِيفًا﴾، مائلاً عن غيره ملتفت إلى سواه، أي أخلص يا محمد دينك لله، أنت ومن تبعك، والتعبير بالوجه لأن من اهتم بشيء قوّم وجهه مقبلاً عليه، فهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به"، انتهى، وأما تفسير باقية الآية فانظر الحاشية السابقة رقم # 39.

[90] قال شيخ مشايخنا العارف بالله الشيخ محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: "وَلِهَذَا بُعِثَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ"، ولم يسمع منهم إلا ذلك، والمراد من التوحيد هنا عدم التشريك في الألوهية وخواصها كتدبير العالم واستحقاق العبادة وخلق الاجسام بدليل قوله: "لِيَقُولُواْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، ويشهدوا بذلك، "وَمَا أُمِرُواْ أَنْ يَقُولُواْ: لَنَا إِلَهٌ، وَلِلْعَالَمِ إِلَهٌ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ كَانَ مَجْبُولًا فِي فِطْرَةِ عُقُولِهِمْ مِنْ مَبْدَأِ نُشُوئِهِمْ، وَفِي عَنْفَوَانِ شَبَابِهِمْ"، ثابتاً مركوزاً، ثم استدل على هذا الاعتراف بدليل آخر من القرآن، فقال: "وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا"، مائلاً عن ضلالتهم، "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾"، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، "فَإِذَا فِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ"، أي ما ركز فيه من قوته على معرفة التوحيد، "وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِ" التي تقدمت، "مَا يُغْنِي عَنْ إِقَامَةِ الْبُرْهَانِ"، والبرهان هو الدليل القاطع، فهو أخصّ من الدليل الواضح، وقال الراغب: البرهان أوكد

قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[91] "قَالَ اِبْنُ الْعَرَبِي فِي الْبَابِ التَّاسِعِ وَالتِّسْعِينَ وَالْمَائَتَيْنِ:[92] إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الرُّوحَ كَامِلًا بَالِغًا عَاقِلًا عَارِفًا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ مُقِرًّا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهِي الْفِطْرَةُ اَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ خَبَرٌ: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))"، اِنْتَهَى.[93]

الأدلة، وهو ما يقتضى الصدق أبداً لا محالة، ودلالة تقتضى الكذب ابداً، ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب، ودلالة لهما على السواء"، انتهى.

[91] وهو القطب العارف بالله أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني، الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحقق، يرتفع نسبه إلى الإمام محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وُلِدَ بمصر سنة 894 الهجرية [الموافق بسنة 1493 الميلادي]، وسلك الطريق على غوث الرجال وبطل الأبطال في عصره أستاذه الأمي علي الخواص، فأصبح ببركاته ربانياً في نفسه سنياً محمدياً في تفكيره وسلوكه وحياته، ومؤالفته كثيرة، منها هذا الكتاب المذكور: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر [دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1378 هـ\1950 م] الذي الفه في العقائد حاول فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر لم يسبقه إليه أحد، وفرغ من تأليفه بمصر في شهر رجب سنة 955 الهجرية [حول سنة 1547 الميلادي]، وتوفى الشيخ الشعراني في القاهرة سنة 973 الهجرية [الموافق بسنة 1565 الميلادي].

[92] هو الشيخ الأكبر محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من قبيلة طيّ، يرتفع نسبه إلى عديّ بن حاتم، المعروف بابن عربي الحاتمي، وُلِدَ في مدينة مُرْسِيَّة بالأندلس في يوم الاثنين 17 من رمضان سنة 560 الهجرية [الموافق بيوم 28 يوليو سنة 1165 الميلادي]، هو من أعلام الزهد والتقوى والتصوف، ونشأ نشأةً تقيّةً ورعةً نقيّةً، لقبه أتباعه بألقاب عديدة، منها: محيي الدين والشيخ الأكبر ورئيس الكاشفين والبحر الزاخر وبحر الحقائق وإمام المحققين وسلطان العارفين، وتزيد مؤلفاته عن 800 كتب، وأهما وأعظمها هذا الكتاب المذكور: الفتوحات المكية في معرفة أسرار الْمالكية والملكية، الذي وُصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق، وأن لغته رمزية، وبها إشارات إلهية، وفيه خمسمائة وستين باباً، وتوفى الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي في 28 ربيع الثاني سنة 638 الهجرية [الموافق بيوم 16 نوفمبر سنة 1240 الميلادي].

[93] أن المصنف الشيخ رحمه الله يؤيد هذا في كتابه تنبيه الطلبة على أن الله تعالى معروف بالفطرة حيث ذكر أن الله قد بيّن في القرآن أنه معروف بالفطرة الغريزية في آيات كثيرة، وكذلك ذكر الشيخ عثمان بن فودي فيه أن النبي ﷺ قد بين في سنته أَيْضاً أن ربّنا القدوس معروف بالفطرة الغريزية في أحاديث كثيرة، منها ما ذكره هنا: ((كُلُّ مَوْلُود يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ))، وبقوله عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ))، ورود فيه الشيخ عثمان بن فودي قد انعقد إجماع أهل السنة رضي الله تعالى عنهم على صحة عقد عوام المسلمين بالفطرة الإسلامية، وأن عقيدتهم صحيحة بأن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وألوهيته وربوبيته وقدمه واستحقاقه لعبادة.

قُلْتُ: إِنَّ الْمَقْصُودَ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ الْأَصْنَامِ التَّقَرَبُ إِلَى اللَّهِ[94] قَالَ تَعَالَى:[95] ﴿وَالَّذِينَ اَتَّخَذُواْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.[96]

وَقَالَ عَبْدُ الْجَلِيلِ فِي شُعْبِ الْإِيْمانِ:[97] "فإِنَّ الْمَخْلُوقَاتَ كُلَّهَا قَدْ عَبَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ"،[98] ثُمَّ ذَكَرَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ مَعْبُودَاتِهِمْ،[99] فَقَالَ: "وَمَطْلَبُ الْكُلِّ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ لِأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ وَثَبَتَ بِالْفِطْرَةِ

---

[94] هذا بأن المشركين يعرفون بالفطرة الغريزية أن لهم إله ولكن يشرك به إلهاً آخر.

[95] هنا انتهى الورقة 22 في المخطوطة: ب.

[96] سورة الزمر: 3، قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى التنزيل في معنى هذه الآية: ﴿أَلَا﴾، تنبهوا أيها السامعون، ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، لا يستحقه غيره لاتّصافه بصفات الجمال والجلال والاطلاع على الأسرار، ﴿وَالَّذِينَ اَتَّخَذُواْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، وهم كفار مكة مبتدأ والخبر، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، قربى مصدرٌ بمعنى يقربونا، أو الخبر"، وقال سلطان الأولياء محيي الدين عبد القادر الجيلاني في تفسيره لهذه الآية: "وبعدما أمر سبحانه بالعبادة والإخلاص في الإطاعة والانقياد، نبه على عموم عباده بالإخلاص في الطاعات، والخلوص في نيات العبادات، فقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، أي تنبهوا أيها المجبولون على فطرة التوحيد أن الدين الذي كلّفكم الحق عليه، وأوجبه عليكم، هو الدين الخالص عن أمارات الشرك ومقتضيات الهوى، الصافي عن شوب العجب والسمعة وشين الرياء، وبعدما وضح أن الدين الخالص لله ولا مستحقّ له سواه، ﴿وَالَّذِينَ اَتَّخَذُواْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أي والمشركون الذين ادعوا الولاية لغير الله، واستحقاق الإطاعة والانقياد لسواه، قالوا في تعليل اتخاذهم حين سئلوا عنه ونجوا عليه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾، أي هؤلاء الغرانيق العلا التي هي الأصنام والأوثان، وجميع ما يعبد من دونه سبحانه ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، أي تقريباً كاملاً، لأنهم كملة، مقبولون عنده مكرمون لديه سبحانه، فنتوسل بهم لنصل إلى قرب الحق وجواره"، انتهى، الحاصل أن المشركين يعرفوا بالفطرة ان لهم إلهٌ ولكن يشركون به وهم يعلمون.

[97] هو العلامة شيخ الإسلام القاضي أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري الأوسي الأنصاري القرطبي الاندلسي، السنة التي وُلِدَ فيها غير معروف، ، ولد في قصر في مدينة بالجزيرة الخضراء من بلد الأندلس، وأصله من أهل القصر الكبير بالمغرب، ولذلك لقب بالقصري، عاش الشيخ عبد الجليل القصري في ظل خلافة الموحدين، هو العابد العارف الصوفي الزاهد، وروى عن أبي الحسن بن حنين الموطأ للإمام مالك بن أنس، وأخذ القراءة عن الشيخ فتح بن محمد المقرئ، وأخذ الفقه وأصولها عن الإمام السهيلي والشيخ أبي سليمان السعدي، وروى الحديث عن الإمام ابن بشكوال والإمام ابن الفخار، وصحب الشيخ القطب أبا الحسن بن غالب الزاهد ولازمه في علم التصوف حتى نوّر الله بصيرته بأنوار المعارف،، كان عارفًا باللغة والنحو والأدب، كان الشيخ عبد الجليل القصري عبدًا صالحاً كثير الاجتهاد في العمل، قال الشيخ أبو جعفر بن الزبير فيه: "كلامه في طريقة التصوف سهلٌ محرّرٌ مضبوطٌ بظاهر الكتاب والسنة، وله مشاركةٌ في علومٍ وتصرفٌ في العربية، ختم به التصوف بالمغرب، ورزق من الصيت والذكر الميل ما لم يرزق كبير أحد"، وقال فيه أيضًا المجدد جلال الدين السيوطي: "شيخ الإسلام كان مقدمًا في علم الكلام، مشاركًا في فنون، رأسًا في العلم والعمل، منقطع القرين متصوفاً ورعًا عن الدنيا"، قال الشيخ أحمد بابا التنبكتي في كفاية المحتاج: "كان متقدمًا في علم الكلام مشاركًا في العربية وغيرها متصوفًا، وكان صاحب أحوال ومقامات"، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة، منها هذا الكتاب المذكور شعب الإيمان الذي قسمه إلى قسمين: العلم والعمل

أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ صَانِعٍ، فَقَدْ أَجْمَعُواْ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا اَخْتَلَفُواْ فِي الْإِلَهِ مَا هُوَ؟، وَأَيْ شَيءٍ هُوَ؟"، اِنْتَهَى.[100]

وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي نُورِ السَّعَادَةِ شَرْحِ الصُّغْرَى:[101] "لَا نِزَاعُ فِي ثُبُوتِ إِلَاهِيَةِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعزَّ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَّرَ مَنْ كَفَّرَ بِزِيَادَةِ إِلَهٍ أُخْرَى، فَنَفْيُ مَا عَدَّاهُ تَعَالَى[102] مِنَ الْإِلَهَةِ هُوَ الْمُحْتَاجُ، وَبِهِ يَحْصَلُ التَّوْحِيدُ فَتَأَمَّلَهُ"، اِنْتَهَى.[103]

في بيان معنى الحديث: ((اَلْإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ شُعْبَةٍ، أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ))، فاستخدم المؤلف أسلوبًا سهلًا يسيرًا مقرّعًا للنفس وآخذًا بها ولائمًا لها على تقصيرها وتضييعها للأوقات وإهمالها في الطاعات؛ وتوفى الشيخ عبد الجليل القصري سنة 608 الهجرية [الموافق بسنة 1211 الميلادي]، ؛ انظر شعب الإيمان للإمام أبي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري الأندلسي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1316 هـ/1995 م.

[98] ونصه: "ان يعلم أنه ليس من مخلوقاته وممالكه إلهٌ ولا ولدٌ ولا مَن يستحقّ شيئًا من الربوبية والألوهية، ففي الجهل به هلك أكثر الخلق، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتَ كُلَّهَا قَدْ عَبَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ".

[99] فذكر منها: اصنام الأرض والنبات والحيوان وبنى آدم والعناصر الأربعة والافلاك والنجوم والنور والظلمات والملائكة والشياطين وعالم النفوس والنفس الكلية وعالم العقل والخيال والوهم في التخيلات والمتوهمات، ثم قال الشيخ عبد الجليل: "ومطلب الكل الإله والمعبود" الاخ.

[100] ثم قال الشيخ عبد الجليل: "﴿وَلَوْ اِتَّبَعَ الْحَقَّ اَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيْهِنَّ﴾، لأنه لو كان شيءٌ مما توهمتْ هذه الطوائف كلها لم تصح أن تنفذ أوامر الله تعالى في جميع ملكه ولا صحّ استواؤه على عرشه الجامع لمخلوقاته ولا استيلاؤه عليه لأنه كان يكون كل احد وجزء قائم بنفسه غني عن غيره، وذلك هلاك الكلّ كما تقدم لأنه إذا قام بنفسه فقد انحاز وامتنع، وذلك يؤدى إلى أن العاجزَ قادرٌ والقادرَ عاجزٌ، وهو مُحالٌ، لم يبق إلا أن يكون الكلّ مصنوعاً وعبدًا لصانع واحد، وملك واحد تنفذ أوامره من أعلى وجود العرش إلى تخوم الأرض وعروق النبات والنمل واقل المخلوقات في جميع الجهات" انتهى، فان مطلب الْكلّ في عبادات الاصنام الإلهُ المعبودُ بأنه ثبت بالفطرة لجميع المخلوقات أن لهم الإله الخالق الرب عز وجل.

[101] كتاب نور السعادة هو شرح الشيخ محمد بن يوسف السنوسي على كتابه الصغرى، المسمى أم البراهين، ذكر الشيخ ابن عسكر ان أم البراهين أفضل ما ألف في الإسلام، قال الشيخ الملالي في الصغرى: "هو من أجلّ العقائد ولا تعادلها عقيدة من عقائد من تقدم ولا من تأخر"، ووصفها الشيخ مخلوف بقوله: "لا يعادلها شيء من العقائد" وقال الشيخ الأوجلي في الصغرى: "والله! ما خرج هذا الكلام إلا من صدرٍ مُنَوَّرٍ"؛ انظر شرح العقيدة الصغرى وهو شرح العقيدة المسمّاة بـأمّ البراهين لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي المالكي، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار التقوى، مشق الشام، 1441 هـ\2019 م.

[102] هنا انتهى الورقة 23 في المخطوطة: ب.

[103] بأن جميع العقلاء يعرف بالفطرة أن لهم إله ورب، حتى المشركين لأنهم يزيدوا إليه إلهًا أخرى.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[104] "فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَشِيرُونَ إِلَى الصَّانِعِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ طَرَائِقُهُمْ وَعِلَّامُهُمْ وَلَا يَجْهَلُونَ سِوَى كُنْهِ الذَّاتِ،[105] وَلِذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ لِيَعَلِّمُونَا بِوُجُودِ الصَّانِعِ، وَإِنَّمَا أَتُونَا لِيَدْعُونَا إِلَى التَّوْحِيدِ، بِعِلْمٍ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَوْ جَاؤُونَا لِيَعَلِّمُونَا بِوُجُودِ الصَّانِعِ مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾،[106] وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ إِلَهًا، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمُواْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾،[107] فَإِنْ قِيلَ: بِأَيِّ شَيْءٍ سَلَكَ أَهْلُ[108] الْأُصُولِ طَرِيقَ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى هَذَا؟ فَالْجَوَابُ: إِنَّمَا سَلَكُواْ لِذَلِكَ قَطْعًا لِلْأَطْمَاعِ اَلَّتِي تَشْرَئِبُ إِلَى ذَلِكَ كَالْاِسْتِدْلَالِ بِإِمْكَانِ الْمُمْكِنَاتِ عَلَى مَرْجِحٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْفِطْرَةُ أَقْرَبُ إِلَى الْخَلْقِ وَأَسْرَعُ تَعَقِلًا لِأَنَّ اَلْمُمْكِنَ الْجَائِزُ وَالْحَادِثُ الدَّالُ عَلَى مُحْدِثٍ مَوْقُوفَانِ عَلَى النَّظْرَةِ الصَّحِيحِ، وَتِلْكَ دَاعِيَةٌ ضَرُورِيَّةٌ مِنَ النَّظَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ؟﴾،[109] ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدَهُ؟﴾،[110] ﴿أَمَّن

---

[104] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[105] هنا انتهى الورقة 10 في المخطوطة: ا.

[106] سورة محمد ﷺ: 19، قال الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره ضياء التأويل: "ولما بيّن حال الفريقين أمر الله نبيّه بالثبات على ما يوجب السعادة بقوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾، أي دم على العلم، ﴿أَنَّهُ﴾، أي الشأن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾"، عندما يأمرك الله تعالى بمعرفة شيء ما، فمعناه أنه أعطاك القدرة الفطرية على معرفته.

[107] سورة إبراهيم: 52، فمعناها: "﴿وَلِيَعْلَمُواْ﴾، بما فيه من الحجج ودلائل الفطرية ﴿إِنَّمَا هُوَ﴾، أي الله ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، لأنهم إذا أنذروا وخافوا دعاهم ذلك إلى النظر الموصل إلى التوحيد لأن الخشية أصل الخير كله"، كما قال الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره ضياء التأويل، فقوله: ﴿وَلِيَعْلَمُواْ﴾، تثبت أن العباد لهم القدرة الفطرية على معرفة الله تعالى.

[108] هنا انتهى الورقة 24 في المخطوطة: ب.

[109] سورة النمل: 62، فتتضمن هذه الآية سؤالًا يعني أن أولئك الذين يتم استجوابهم يعرفون الإجابة فطريًا، فقال الله تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق التوحيد فيشركون به، ﴿أَمْ﴾ بَل بعد ما ذكر ﴿مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ الذي اشتد به الضرّ ﴿إِذَا دَعَاهُ؟﴾ وفت الاضطرار، فهذه آية الاستفهام تقرير كأنه تعالى يقرّر على عباده التوحيدَ فطرهم عليه.

[110] سورة النمل: 64، كذلك يسأل الله تعالى الأسئلة كما لو أن الإجابات يجب أن تكون معروفة فطريًا، فقال الله تعالى: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ؟ تَعَالَى اللَّهُ﴾، القادر الخالق ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، به من المخلوق العاجز، ثم أضرب عما ذكر إلى ذكرِ نعمتَي الإيجاد والإعادة بقوله: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت؟، وإن لم يعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها، فهذه الآية دلت على أن مبدئ الخلق ومعيده معروف بالفطرة.

جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا؟﴾،[111] إِلَى غَيْرِهَا مِنَ اَلْآيَاتِ اَلَّتِي كُلُّهَا اِسْتِفْهَامَاتُ تَقْرِيرٍ كَأَنَّهُ تَعَالَى يُقَرِّرُ عَلَى عِبَادِهِ شَيْئًا[112] فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ، [وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾،[113] وَقَوْلُهُ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾]،[114] وَمَا وَرَدَ مَرْفُوعًا: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَاخْتَلَهُمْ الشَّيْطَانُ عَنْهَا))، فَمَا بُعِثَتْ الرُّسُلُ إِلَّا لِلتَّذْكِيرِ بِتَوْحِيدِ الْفَطْرَةِ، وَتَطْهِيرِهِ عَنْ تَسْوِيلَاتِ الشَّيْطَانِ"، اِنْتَهَى.[115]

---

[111] سورة النمل: 61، كذلك يؤكد الله تعالى على أنه معروف بالفطرة من عباده بخلال الاستفهام بقوله: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾، أي أغيره يقدر عليه ويجعل شريكًا له مع انفراده بالخلق والتكوين، أي ليس ذلك، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، عن الحق الذي هو التوحيد، أو عادلون به من لا يستحق، ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الأَرْضَ﴾، بعد ما خلقها، ﴿قَرَارًا﴾ مكانًا يستقر فيه الحيوان لا يميد به، فأن القوم يعدلون عن التوحيد يعدلوا عن الفطرة لأن من جعل الأرض قرارا هو معروف عند جميع الخلق بالفطرة الغريزية.

[112] هنا انتهى الورقة 25 في المخطوطة: ب.

[113] سورة الأعراف: 172، هذه الآية هي دلالةٌ واضحةٌ على أن الانسان يعرف الله فطريًا استنادًا إلى العهد الفطرية البدائية، انظر تفسير هذه الآية في الحاشية أدناه.

[114] سورة إبراهيم: 10، قال الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل: "﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾، استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه، أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام في المشكوك فيه لا في الشك، أي إنما ندعوكم إلى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الأدلة"، وما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[115] قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة: "أن الحقّ سبحانه وتعالى معروف لجميع خلقه لا يجهله أحدٌ منهم، لكنه سبحانه وتعالى لما كان واسعًا ويعجز خلقه عن الإحاطة به تعرف إلى كل موجودٍ منهم بوجه خاصٍ لا يشاركه في ذلك الوجه أحدُ غيرِهِ، وبذلك عرف كل شيءٍ ربَّهُ وخالِقَهُ ورازقَهُ ومحيّاهُ ومميتَهُ لكِنَهُ يعجزُ عن التعبيرِ عن صورةِ ذلك الوجه، إذ سُئَلَ كيف عرفتَ ربّك لأن ذلك من علوم الأذواق، والأذْواقُ لا تضبطها عبارةً، ووجوهُ هذه التعريفات على عدد الخلق"، وقال أيضا في القواعد الكشفية: "قال ابن عربي في الفتوحات المكية له: إن الله تعالى خلق الروحَ كامِلًا بالغًا عارِفًا بتوحيدِ اللهِ تَعَالى مُقِرًا بِربوبيته، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها المشار إليها بخبر: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولِدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِدَانَهُ أَوْ يُنَصِرَانَهُ أَوْ يُمَجِسَانَهُ"، وقال أيضًا في اليواقيت الجواهر: "كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة، وغاية الإنسان إذا نظر في الأدلة أن ينتهى أمره إلى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه"، ، قال القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "وهذه الفطرة فطرتان: [1] فِطْرَةٌ مَادَتُهَا الْاحتياج إلى التدبير، وهذه أنما تفيد معرفة ربّ مدبّر فَقَطْ، وتشارك الانسان فيها سائر الدواب والهوام وكل حيوان، بل كل شيء، وربما لم يشعر بها المفطور لعدم كمال فطرته واستقامتها، [2] وفطرةٌ هي قابلية المعرفة الخاصّة، وهذه خاصّةٌ للإنسان، وعنها أخبر تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِيَّاتَهُمْ﴾، كنايةٌ عن تعيينهم في المشهد العلمي، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾، كنايةٌ عن استيعادهم تلك القابلية، ﴿قَالُواْ بَلَى﴾، كنايةٌ عن قبولها لها ومن عظيم نعمة الله تعالى على الناس إن خلق منهم أولًا كاملًا صالحًا للمعرفة سعيدًا، وهو آدم عليه السلام، ثم امتد عنه النوع الإنساني، وبهذا تعلم أن الإنسان كاملٌ في ذاته لأنه ما وجدوا إلا لكامل، وإن النقص عارضٌ له لا ذاتيٌّ، فاعلمْ ذلك وعلمتَ بذلك إن الحكم السابق لا للغالب والأكثر، ثم إن هذه المعرفة الفطرية إنما أفادتنا شيئين:

وَأَمَّا الْمُشَاهِدَةُ[116] فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.[117]

الأول احتياجنا إلى مدبّر كيف كان أعني عن اختياراً أو طبيعةً أو علّةً، فإن كلّ موجودٍ يشعر بذاته أنه محتاجٌ إلى ما يدبّره لعدم غناه بنفسه، الثاني أنها افادتنا قابلية المعرفة الصحيحة إذا وردت علينا لأن السعادة خاصّة بالمعرفة الصحيحة التي هي التوحيد والإيمان، ولو لا أن الأمر كذلك لسعد كل مفطور لحصولها له أمن أول قدم، ومن ذلك شابها الكفر والالحاد وجحد الوحدانية إذ لا يقابل لذلك في جميع الفرق" اه؛ انظر معرفات الحق للعارف الرباني الشيخ عبد القادر بن مصطفى، المخطوطة عند المحقق، ص 3-4.

[116] المشاهدة هي الإدراك بإحدى الحواس الظاهرة أو الباطنة، فلذلك قال الشيخ المنجور: "ومشاهداتٌ وتسمّى أيضًا حِسّيّات، هي ما يجزم به العقل بواسطة حسٍّ، كقولنا: الشمسُ مشرقةٌ والنارُ محرقةٌ"، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾، فالشهادة هو ما يشاهده المخلوقات، والمشاهدة عند أهل السلوك رؤية الحقّ ببصر القلب من غير شبهة كأنه يراه بالعين، ويجيئ في لفظ الوصال، قال العارف بالله الشيخ عبد الكريم الجيلي في الإسفار عن رسالة الأنوار: "المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شكّ"، قال الشيخ أبو الحسن علي الهجويري في كشف المحجوب: "المشاهدة الرؤية بالقلب لأن المشاهد يرى الحقَّ تعالى بالقلب في الخلاء والملاء"، قال الشيخ أحمد النقشبندي في جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وكلمات الصوفية: "المشاهدة وهي ثلاثة أقسام: مشاهدة العام وهي بالحق، ومشاهدة الخاص وهي للحق، ومشاهدة الأخصّ وهي الحق، فالمشاهدة بالحق رؤية الأشياء بالدلائل والمشاهدة للحق رؤية الحق في الأشياء، ومشاهدة الحق شهود الحق بلا أشياء"، قال الشيخ الأكبر الحاتمي في الفتوحات المكية: "المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك".

[117] سورة الأعراف: 172، فهذه الآية تخاطب العارفين بتعريف المشاهدات، وتخاطب الجاهلين بالقهر والامتحانات، فاعترفوا جميعا بوحدانيته طوعًا وكرهًا طوعًا لأهل العرفان وكرهًا لأهل العماء والطغيان، فقال الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى قوله تعالى: ﴿وَ﴾، اذكر ﴿إِذْ﴾، حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار، قاله السيوطي، أو بدل بعض، قاله البيضاوي،﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾، بالجمع لنافع وأبي عمرو وابن عامر، وبالإفراد للباقين، بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلًا بعد نسلٍ أحياه من ثقب المسام، إذ تحت كل شعرة سم كنحو ما يتوالدون كالذرّ بنعمان يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلًا، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾، أَنت ربنا، أي فأقروا بذلك بالنطق لا بكلام الحال والتزموه، وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم مذكرة لهذا العهد، وقيل هو من باب التمثيل أي تشبيه الحال بالحال، وذلك أن الله لما ركب فيهم البصائر والعقول المميزة بين الحسن والقبيح، ونصب لهم دلائل التوحيد وبثها في الآفاق والأنفس بحيث لم يبق لهم معذرة، فكأنه خاطبهم شفاهًا وأقروا له كفاحًا، وهذا الإقرار هو الفطرة التي بولد عليها كل مولود، وهذا القول الثاني هو قول أهل الكلام والنظر، والأول كما في لباب التأويل هو المختار لأنه مذهب جمهور المفسرين من السلف وردت الأحاديث بذلك، وما تقدم من أن العهد كان بنعمان كسحبان واد وراء عرفة، وهو نعمان

قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[118] "فَإِنْ قِيلَ: إِذَا قَالَ الْجَمِيعُ: بَلَى، فَلِمَ قَبَلَ قَوْمًا وَرَدَّ قَوْمًا؟، فَالْجَوَابُ كَمَا قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ: أَنَّهُ تَعَالَى تَجَلَّى لِلْكُفَارِ بِالْهَيْبَةِ، فَقَالُواْ: بَلَى، مَخَافَةً، فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ كَإِيْمَانِ الْمُنَافِقِينَ، وَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ[119]، فَقَالُواْ: بَلَى طَوْعًا، فَنَفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ.[120]

الأراك هو مما روي عن ابن عباس، وقيل كان بالهند، وقيل في الجنة، قال الشعراني: وكل هذه محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد، وهل الذرّات صورت بصور الإنسان أم لا لم يبلغنا دليل في ذلك، وهل ردّهم إلى ظهر آدم أحياء أم قبض الأرواح ثم ردّهم أمواتًا، وهو الظاهر قياسًا على ردّهم إلى الأرض ورجعتْ الأرواحُ إلى حيث كانتْ كالذرّات، وقد جاء الحديث أن كتاب العهد أودع في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وقمًا ولسانًا، اه، ﴿شَهِدْنَا﴾، على أنفسنا بهذا الإقرار، فهو من كلام الذرية، وقيل من الملائكة، قال الله لهم: أشهدوا، فقالوا: شهدنا على إقرارهم، والإشهادُ ﴿أَنْ تَقُولُواْ﴾، لأن لا، أو كراهة أن تقولواْ بالتّاء للجمهور والياء لأبي عمروٍ فِي الموضعين، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾، التَّوحيدِ ﴿غَافِلِينَ﴾، لا نعرفه ولا عتاب على الغافل، وإنما نسى بعضنا العهد لأن تلك البينة تغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، وقال علي بن أبي طالب: إني لأتذكر العهد الذي عهد إليَّ ربي، وكذا كان يقول سهل بن عبد الله وزاد: بأنه يعلم تلامذته من ذلك اليوم، أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ.

[118] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه؛ وهنا انتهى الورقة 26 في المخطوطة: ب.

[119] هنا انتهى الورقة 11 في المخطوطة: ا.

[120] قال الشيخ الأكبر ابن عربي في الفتوحات المكية: "إن العلم بالله سبق إلى نفس كل إنسانٍ في الأخذِ الميثاقِ حين أشهدهم على أنفسهم، فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله، فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله، ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بالعلم بتوحيد الله، وأحياها كلها بالعلم بوجود الله، إذ كان من ضرورة العقل العلمُ بوجود الله، فلهذا سميناه ميتًا، قال تعالى: ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا﴾، يعني بما كان الله قد قبض منه روح العلم بالله، ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، فردّ إليه علمه فحيي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث، وقوله ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾، يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس، وما هو عين الحياة، فالحياة الإقرارُ بالوجودِ أي بوجودِ اللهِ، والنورُ المجعول العلمُ بتوحيد الله، والظلماتُ الجهلُ بتوحيد اللهِ، والموتُ الجهل بوجود الله، ولهذا لم يذكر الله في الآية عنا في الأخذ الميثاقي إلّا الإقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فيها، فقال: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بَلَى﴾، فأقروا له بالربوبية أي أنه سيدهم، وقد يكون العبد مملوكًا لاثنين بحكم الشركة، فأي سيد قال له ألست بربك، فلا بد أن يقول العبد بلى، ويصدق، فلهذا قلنا: إن الإقرار إنما كان بوجود الله ربًا له أي مالكًا وسيدًا، ولهذا أردف الله في الآية حين قال: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، فلم يكتف حتى قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، يريد العلم بتوحيد الله لا غيره، فإنه العلم الذي يقع به الشرف له والسعادة، وما عدا هذا لا يقوم مقامه في هذه المنزلة، فتأمل ما قلنا، فقد علمتَ أن ورود الموت على النفوس إنما كان عن حياة سابقة، إذ الموتَ لا يرد إلّا على حيٍّ، والتفرق لا يكون إلّا عن اجتماع".

ثُمَّ قَالَ: "وَقَدْ أَطَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْقَزْوِينِيُّ،[121] قَالَ: وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ قَوْلَ أَصْحَابِ الشِّمَالِ: "بَلَى" كَانَ عَلَى وَفْقِ السُّؤَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَسْأَلَهُمْ عَنْ إِلَهِهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ، وَلَمْ يَكُونُواْ يَوْمَئِذٍ فِي زَمَانِ التَّكْلِيفِ، وَإِنَّمَا كَانُواْ فِي حَالَةِ التَّحْقِيقِ وَالرُّؤْيَةِ، وَهِيَ الْفِطْرَةُ،[122] فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بَلَى﴾ لِرُؤْيَتِهِمْ إِذْ جَاءَكَ مُشَاهِدَةٌ، فَصَدَّقُواْ بِذَلِكَ كُلُّهُمْ لَمَا أَشْهَدُواْ إِلَى زَمَنِ التَّكْلِيفِ وَظُهُورِ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِي سَابِقِ عِلْمِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ وَافِقُ السَّعَادَةِ فِي قُبُولِ اَلْإِلَهِيَّةِ اَقْرَارُهُ الْأَوَّلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَالِفَهُ، وَلَوْ أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ قَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِوَاحِدٍ، وَقَالُواْ بَلَى، لَمْ يَصِحْ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْرِكَ بِهِ، فَأَفْهَمْ"، اِنْتَهَى.[123]

---

[121] هو بهاء الدين أبو محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني المعروف بالنجار، ولد في قزوين سنة 493 الهجرية [الموافق بسنة 1099 الميلادي]، من علماء اللغة والقراءة وغريب القرآن وأصول الفقه والتصوف، وأخذ العلم من الشيخ محمود بن عمر الزمخشري، والقاضي أبي بكر الأرجاني وأبي الفضل محمد بن عبد الكريم القزويني، وكتب المصنفات الكثيرة، منها سراج العقول في منهاج الأصول، ومواقيت العلوم ودراري النجوم والإفادة عن ترجمة الشهادة وكتاب ديانات العرب وغيرها، وتوفى القزويني سنة 580 الهجرية [الموافق بسنة 1184 الميلادي].

[122] هنا انتهى الورقة 27 في المخطوطة: ب.

[123] قال الشيخ الأكبر ابن عربي في الفتوحات المكية: "لما خلق الله هذه النشأة الإنسانية وشرّفها بما شرفّها به من الجمعية، ركب فيها الدعوى، وذلك ليكمل بها صورتها فإن الدعوى صفة إلهية قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، فادّعى أنه لا إله إلا هو، وهي دعوى صادقة، فمن ادّعى دعوى صادقة لم تتوجه عليه حجة، وكان له السلطان على كل من ردّ عليه دعواه لأن له الشدّة والغلبة والقهر لأنه صادق، والصدق الشدّة فلا يقاوم، ولما كانت الدعوى خبرًا، والخبرُ نسبة الصدق إليه، ونسبة الكذب على السواء بما هو خبر يقبل هذا وهذا علمنا عند ذلك أنه لا بد من الاختبار، فادعى المؤمن الإيمان، وهو التصديق بوجود الله وأحديته، وأنه لا إله إلا هو، وأن كل شيء هالك إلا وجهه، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد، فلما ادعى بلسانه أن هذا مما انطوى عليه جنانه وربط عليه قلبه احتمل أن يكون صادقًا فيما ادعاه أنه صفة له، ويحتمل أن يكون كاذبًا في أن ذلك صفة له فاختبره الله للإقامة الحجة له أو عليه بما كلفه من عبادته على الاختصاص لا العبادة السارية بسريان الألوهة، ونصب له وبين عينيه الأسباب، وأوقف ما تمس حاجة هذا المدعي على هذه الأسباب، فلم يقض له بشيء إلا منها، وعلى يديها، فإن رزقه الله نورًا يكشف به ويخترق سدف هذه الأسباب فيرى الحق تعالى من ورائها مسبباً اسم فاعل أو يراه فيها خالقًا ومُوجِدًا لحوائجه التي اضطره إليها، فذلك المؤمن الذي هو على نور من ربه وبينه من أمره الصادق في دعواه الموفي حق المقام الذي ادّعاه بالعناية الإلهية التي أعطاه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾، فقال بعد إقراره بربوبية خالقه لما أشهده على نفسه في أخذ الميثاق حين قال له ولأمثاله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُواْ بَلَى﴾، فلما أوجده في هذه الدنيا أوجده على تلك الفطرة، فقال بألوهية الْأسباب التي رزقه الله منها وجعلها حجبًا بينه وبين الله، ولم يكون له نور يهتدي به في ظلمات البر والبحر، وليس إلا النجوم وهي هنا نجوم العلم الإلهي، فأضاف الألوهة إلى غير مستحقها، فكذب في دعواه لكثرة الأسباب،

وَأَمَّا التَّوَاتِرُ[124] فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾،[125] وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ[126] وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ [اللَّهُ﴾.[127]

وإقراره في شركه بأن ذلك قربة منه إلى الله خالق الأسباب وجعلها آلهة فلم يصدق قوله لا إله إلا هو، ولهذا قال من قال: ﴿أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، وليس العجب إلا ممن كثر الآلهة والذي لم يقل بنسبة الألوهة للأسباب لكنه لم شركًا خفياً لا يشعر به صاحبه أنه شرك يحجبه عن الأمر العالي الذي طلب به، فلم يوجد صاحب هذه الدعوى في توحيد الله وتوحيده في أفعاله مع الاضطراب عند فقد السبب وسكونه عند وجوده صادقًا، فنقصه على قدر ما فاته من ذلك هذا ولم يجعل للأسباب آلهة"، فالمشاهدة تطلق بإزاء ثلاثة معان: [1] منها مشاهدة الخلق في الحق، وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، والمراد به أحدية كل موجود ذلك عين الدليل على أحدية الحق؛ [2] منها مشاهدة الحق في الخلق، وهي رؤية الحق في الأشياء، فهو الوجه الذي له سبحانه في كل شيء، وهو قوله: ﴿إذا أَرَدْنَاهُ﴾، فذلك التوجه هو الوجه الذي له في الأشياء، فنفى الأثر فيه عن السبب إن كان أوجده عند سبب مخلوق؛ [3] ومنها مشاهدة الحق بلا الخلق، وهي حقيقة اليقين بلا شك ولا ارتياب، إذا لم تكن المشاهدة في حضرة التمثّل كالتجلي الإلهي في الدار الآخرة؛ انظر الشيخ محمد بن علي بن محمد الحاتمي، المعروف بابن عربي، الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420 هـ\1999 م، الجزء الرابع، ص 186.

[124] التواتر هو في اللغة تتابع أمور واحدًا بعد واحد بغيره من الوتْر، ويسماه أيضا الخبر، قال الشيخ المنجور: "ومتواتراتٌ هي ما يجزم به العقل بواسطة حِسِّ السمع ووسط حاضرٍ في الذهن، وذلك أنْ يُخْبِرَ عن محسوسٍ بمكنُ وقوعُهُ جمعٌ كثيرٌ يجزمُ العقلُ بامتناعِ تواطؤهم على الكذب، كقولنا: محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ ادَّعى النّبوَّةَ وَظَهرتِ المعجزاتُ على يديه"، منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾، أي واحدًا بعد واحد، أو رسولًا بعد رسول، أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل، والتاء بدلٌ من الواو لأنه من المواترة، وهي المتابعة بين الأشياء، وفي اصطلاح الأصوليين خبر جماعة مفيد بنفسه العلم خرج خبر الواحد، ويسمّى متواتِرًا أيضًا، واختلفوا في أنه يوجب علم اليقين علمًا ضروريًا أو نظريًا، فذهب عامة العلماء إلى أنه يوجب علمًا ضروريًا، وذهب أبو بكر الدقاق من أصحاب الشافعي إلى أنه يوجب علمًا استدلاليًا، وليس في التواتر عدد محصور، قيل هو خمسة فصاعدًا، وللتواتر شروط: منها تعددهم تعددًا يبلغ في الكثرة إلى أنْ يمنع اتفاقهم وتواطئهم على الكذب عادة، ومن شروطها كونهم مستندين لذلك الخبر إلى الحسّ، فإن خبر جماعة كثيرة في مثل حدوث العالم لا يفيد قطعًا، ومن شروطها استواء الطوفين والوسط أعني بلوغ جميع طبقات المخبرين في الأول والآخر والوسط بالغًا ما بلغ عدد التواتر، فإذا كثرت الأخبار في الوقائع واختلفت فيها لكن كلّ واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينها بحجة التضمن أو الالتزام حصل العلم بالقدر المشترك ويسمى المتواتر من جهة المعنى وتواترًا معنويًا، كوقائع عليٍّ رضي الله تعالى عنه في حروبه من أنه هزم في خيبر كذا، وفعل في أحد كذا، فإنه يدلّ بالالتزام على شجاعته، وقد تواتر عنه ذلك، فالتواتر اتّفق فيما مضى من الزمان إلى الآن، فيقدم الشيخ عثمان بن فودي دليلًا من القرآن على أن الله معروف بالتواتر؛ انظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، 1996، الجزء الأول، ص521–523، وموسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين للدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، 1998، الجزء الأول، ص 501–504.

[125] في سورة الزخرف: 87، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَ﴾، كيف لا نأخذ أولئك المكابرين المعاندين، ﴿لَئِنْ﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾، أي المشركين، أو سألت العابدين أو المعبودين، هو سؤال اختبار وإلزام ﴿مَّنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، لا الأصنام والملائكة، قال الإمام الآلوسي: "لتعذُّر المكابرة في ذلك من فرط ظهوره، ووجه قول المعبودين ذلك أظهر من أن يخفى، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾،

فكيف يُصْرَفُونَ عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره سبحانه ويُشركونه معه عز وجل مع إقرارهم بأنه تعالى خالقهم، أو مع عِلْمهم بإقرار آلهتهم بذلك، والفاء جزائية، أي إذا كان الأمر كذلك فأنَّى يُؤْفَكُونَ، والمراد التعجُّب من إشراكهم مع ذلك، وقيل المعنى: فكيف يُكذَّبون بعد علمهم بذلك؟! فهو تعجُّب من عبادة غيره تعالى، وإنكارهم للتوحيد مع أنه مركوز في فطرتهم، وأيًّا ما كان فهو متعلّق بما قبله من التوحيد والإقرار بأنه تعالى هو الخالق، وأما كون المعنى: فكيف أو أين يصرفون عن التصديق بالبعث مع أنَّ الإعادةَ أهونُ من الإبداء، وجعله متعلقاً بأمر الساعة كما قيل، فيأباه السياق"، انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، تحقيق غياني الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1431 هـ/2010 م، ص 435.

[126] هنا انتهى الورقة 28 في المخطوطة: ب.

[127] في سورة لقمان: 25، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾، وأوجد العلويات، وما فيها من الكواكب والبروج وأنواع الفجاج، ﴿وَالْأَرْضَ﴾، ومن عليها، وما عليها مما لا يُعد ولا يُحصى؟ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، في الجواب مضطرين حاصرين ﴿اللَّهُ﴾، لوضوحه إلى غير الله عز وجل، ﴿قُلْ﴾، بعدما اعترفوا تواترًا بأن المُوجِدَ للعلويات والسفليات هو الله سبحانه بالأصالة والاستقلال، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد واعترافهم بما يوجب بطلان معتقدهم، فليلزمهم لقولهم هذا التوحيد الحق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، لزومه، ولا يفهمون استلزامه لذلك ينكرون له، ويشكرون معه غيره عنادًا واستكبارًا، وقال تعالى في سورة الزمر: 38، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي مما يشهدون بالتواتر من العلويات والسفليات، وما بينهما من الممتزجات، ومن أوجدها وأحدثها وأظهر ما فيها من العجائب والغرائب، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، البتة: ﴿اللَّهُ﴾، لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية وبأنه المتوحد بالألوهية والربوبية ، إذ لا يسع لهم العدول عنه لظهوره، ﴿قُلْ﴾، إلزامًا لهم وتبكيتًا، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾، عيانًا أو سمعتهم بيانًا من ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، من هؤلاء الأصنام المعبودات الباطلة، وتدعونها آلهة شركاء مع الله قوة المقاومة وقدرة المخاصمة معه سبحانه مثلاً، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾، وجرى حكمه على أن يمسني ﴿بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ﴾، أي آلهتكم ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾، سبحانه عني على سبيل المعارضة، هاتين الآيتين دالتا على أن الله تعالى معروف بالتواتر؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 790-791؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الرابع، ص 45-46.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ[128] خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.[129]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[130]

---

[128] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[129] سورة الزخرف: 9، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وأوجدهما من كتم العدم، ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾، الله، ﴿الْعَزِيزُ﴾، ذو العزة، الغالب على الخلق والإيجاد، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بكل شيء، المطلع على سرائر ما أوجد وأظهر، والوصفانِ وما بعدهما من الصفات من كلام الله تعالى وهو لازم لمقولهم، فكأنهم قالوا: الله، فلزم أن يكون هو الذي اتصف بما بعده إذ خلقها لا يكون إلا ممن اتصف به، فهو اعترافهم بأخص أوصاف الفاعل المختار، وإقرارهم متواترًا باستناد الأمور المتقنة إلى أوصافه وأسمائه، فكيف تنكرون وحدة الحق وأن الله هو: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، أي فراشًا، ﴿وَ﴾، كيف تنكرون الله وأنتم تعرفون بالعلم التواتر أنه ﴿جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، فكيف تنكرون الله وأنتم تستقرون في الأرض وتتوطنون عليها مترفهين متنعمين؟، فتعرفون بالتواتر أن في الأرض سبلٌ لمعاشكم تطلبون منها حوائجكم، وتعرفون بالتواتر أن في الأرض طرقٌ تصلون منها إلى معادكم، وبها تهتدون إلى مقاصدكم في أسفاركم، أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك، ﴿وَ﴾، كيف تنكرون وجود مُوجِدِكم وأنتم تعرفون بالتواتر أنه ﴿الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي من عالم الأسباب ﴿مَاءً﴾، محييًا لأموات المسببات، ﴿بِقَدَرٍ﴾، أي بمقدارٍ واحدٍ ومعتدلٍ معتادٍ ينفع ولا يضر على مقتضى الحكمة، ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾، أي أحيينا واخضرنا بإجراء الماء المحيي ﴿بَلْدَةً﴾، جافًا يابسًا لا نبات فيها، ولا خضرة بها ﴿مَيْتًا كَذَلِكَ﴾، أي مثل إخراجنا النبات من الأرض اليابسة بإنزال الماء ﴿تُخْرَجُونَ﴾، أي تنشرون من قبوركم أحياء، أي الموتى حال كونكم موتى من قبوركم بنفخ الروح فيكم تارةً أخرى،﴿وَ﴾، وكيف تجحدون وتنكرون وجود الصانع الحكيم ووحدته مع أنه: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، وأظهر، ﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾، أي جميع أصناف المخلوقات من زوجات ممتزجات التي تعرفون في أنفسكم وفي الأرض اعترافًا متواترًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾، تتميمًا لأمور معاشكم وتسهيلًا لها ﴿مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾، فجميع هذه البركات والنعمات من السماء وفي الأرض معروفة ومعترف بها من قبل جميع كائن حساس، وتتقف كدليل قاطع على أن الله معروف بالتواتر؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 919؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الرابع، ص 392-393.

[130] سورة العنكبوت: 61، معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن﴾، لا قسم، ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾، أي الكفار،﴿مَّنْ خَلَقَ﴾، وأظهر، ﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، من كتم العدم ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، دائبين، أورد هذا التوحيد ما تقدم، فمَن قدر على هذا يقدر على تيسير الرزق على الضعفاء من غير أسباب، ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ المظهر للكائنات، المستقل في إيجادها، والمتصرف فيها حسب إرادته ومشيئته، فيقرّون تواترًا بأن الله هو الخالق لما تقرّر في العقول لا يقدر أحد على إنكاره، وبعدما أقروا بتوحيد الحق وانتهاء مراتب الممكنات إليه، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، ويصرفون عن توحيد الله والإيمان به، والامتثال بأوامره ونواهيه الجارية على ألسنة رسله وكتبه؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.[131]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.[132]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.[133]

الثالث، ص 608؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الخامس، ص 504-505.

[131] سورة العنكبوت: 63، معنى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ﴾، جانب ﴿السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ﴾، أي بواسطة الماء على مقتضى عادته المستمرة من تعقيب الأسباب بالمسببات ﴿الْأَرْضَ﴾، الجامدة اليابسة ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾، أي من بعد جمودها ويبسها، طبعًا ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، طوعًا بالتواتر، بأنه عز وجل القادر المقتدر على الإحياء والإماتة، ومع اعترافهم تواترًا بوحدة الله وانتساب معظم الأشياء إليه يشركون له غيره عنادًا ومكابرةً، فكيف يشركون به وقد اعترفوا بالتواتر أنه المُوجِدُ لكل الكائنات؟؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 608؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الخامس، ص 505.

[132] سورة يونس: 31، معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لمن أنكر توحيد الحق، واستقلاله في الآثار والتدبيرات الواقعة في الأقطار إلزامًا لهم وتبكيتًا ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾، بإمطار الأمطار، وتصعيد البخار، ﴿وَالْأَرْضِ﴾، بالنبات أردنه بأنواع أخر من دلائل التوحيد على وجه لا يقدرون على إنكار شيء منها ﴿أَمَّن يَمْلِكُ﴾، ويستطيع أن يخلق ﴿السَّمْعَ﴾، بمعنى الأسماع، ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾، أي من ملكهما لكم بخلقهما وحفظهما من الآفات مع كقرتها وسرعة انفعالهما بأدنى شيء ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾، الحيوان السوي ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾، أي من النطفة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، أي يخرج النطفة الجامدة من الحيوان، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾، للعالم العلوى والسفلى تعميم بعد تخصيص، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، اعترفا بالتواتر واضطرارًا لغاية ظهوره ووضوحه، لا يمكنهم أن يكابروا: ﴿اللَّهُ﴾، لا يجدون جوابًا غيره لأنه تعالى المدبر لجميع الأمور الكائنة في الآفاق والأنفس، إذ من غاية ظهوره لا يعاندون، ولا يكابرون، ﴿فَقُلْ﴾، لهم بعدما اعترفوا بالله المدبر لجميع الكوائن والفوائد توبيخًا وتقريعًا، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وتحذرون من بطشه وانتقامه، وتشركون له ما لا يسمع ولا يضر، ولا يغني من الحق شيئًا؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثاني، ص 112؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الثاني، ص 263.

[133] سورة المؤمنين: 85، في الآيات القرآنية الثلاث التالية من سورة المؤمنين يسأل الله تعالى الكفار عن أشياء لا يمكنهم إلا الإقرار بها بأنها معروف بالتواتر، ويلزم من إقرارهم الإقرار بتفرّده بالألوهية وقدرته على البعث، فمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾، لمن أنكر توحيد الله، ﴿لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾، من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، خالقها ومالكها، أو إن كنتم من أهل العلم استهانةً بهم وتكريرَ لفرطِ جهلهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح، ولذا جهلوا التوحيد وأنكروا البعث،﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، لأنه

وَقَالَ تَعَالَى:[134] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.[135]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.[136]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[137]

لا يتوقف على فكر ولا يمكن للعاقل إنكاره بأنه معروف بالتواتر، ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإعادة الموت؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 113.

[134] هنا انتهى الورقة 29 في المخطوطة: ب.

[135] سورة المؤمنين: 86، فمعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، فإنه أعظم من ذلك، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، بلام الجر للجمهور وبغبره لأبي بكر وأبي عمرو، وهنا وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال والأول طابق معنى السؤال إذ معنى "مَنْ رَبُّ"، كذا لمن هو، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته، ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 113.

[136] سورة المؤمنين: 88، ومعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي بيده غاية ملكه، والتاء للمبالغة أو من بيده خزائن كل شيء، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾، يغيث من يشاء ويحرسه وينصره، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾، لا يغاث منه أحد، وتعديته بـ"على" لتضمين معنى النصرة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حيث زعمتهم أن ما يقوله: "أساطير الأولين" في الآية السابقة، أعاده زيادة في التوبيخ، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، تخدعون وتصرفون عن الحق مع ظهوره، فيخيل لكم أنه باطلٌ، تأمل في مساق هذه الآيات الثلاث من الأسلوب البديع لأن الله تعالى ذكر الأرض أوّلًا لأنها أقرب إليهم ومنها نشأتهم فيعرفونها بالتواتر، ثم ترقى إلى السموات والعرش العظيم التي الأرض بالنسبة إليها كلا شيء، ثم إلى من بيده ملكوت كل شيء، فأتى بأعم العام وكلمة الإحاطة، ولفظ الملكوت الدال على سعة الملك وغاية الاختصاص، وذكر اليد تصويرًا لعظمته، وأن الكائنات تحت قدرته كلعبة في يد قادر يقلبها كيف شاء، وراعى في الفواصل أيضا ذلك حيث ذكر بعد الأرض التذكر الذي هو أيسر النظر، ثم الاتقاء الدال على الوعيد، ثم التعجيب من خدع عقولهم وتخيل الباطل حقا، والحق باطلا بعد الإقرار والاعتراف بهذه المقامات القواطع بأنها معروفة بالتواتر؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 113-114.

[137] سورة البقرة: 22، معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، خاطبًا للناس عمومًا أجمعين، والإشارة في تحقيق هذه الآية أن الله تعالى خاطب الناسي عهوده يوم الميثاق والإقرار بربوبيته حين قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾، [سورة الأعراف: 172] ويوم معاهدته ألا يعبدوا إلا إياه حين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، [سورة يس: 60]، فخالفوه ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الأصنام والدنيا والنفس والهوى والشيطان، فنزلت قدمهم عن جادة التوحيد ووقعوا في ورطة الشرك

قَالَ عَبْدُ الْوَهَابُ الشَّعْرَانِيُّ:[138] "فَإِنَّ عَامَّةَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ دَعَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ لَهُمْ خَالِقًا مِنْ غَيْرِ مُعَلِّمٍ وَلَا اِثْبَاتِ حُجَّةٍ عِنْدَهُمْ وَلَا اِصْطِلَاحٍ وَقَعَ بَيْنَ[139] كَافَتِهِمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْأَكْرَادِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي وَأَفَاضِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وأَهْلِ الْجَزَائِرِ[140] اَلَّذِينَ لَمْ يَبْلِغْهُمْ دَاعُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَا إِلَى الشِّرْكِ"، اِنْتَهَى.[141]

[**قُلْتُ فَاعْلَمْ** أَنَّ التَّوَاتُرَ يُفِيدُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِي فِي اَتِحَافِ الْمُرِيدِ بِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:[142] "لَيْسَ الْخِلَافُ فِيْمَنْ نَشَأَ فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالصَّحَارِي، وَتَوَاتُرُ عِنْدَهُمُ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ"، اِنْتَهَى.][143]

والهلاك، فبعث إليهم الرسول وأنزل إليهم الكتاب وأخبرهم عن النسيان والشرك ودعاهم إلى التوحيد والعبودية بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾، أيها المنعمون بانتزاع النعم، ﴿لِلَّهِ﴾، الواحد القهار لجميع الأغيار، ﴿أَندَادًا﴾، أمثالًا في استحقاق العبادة والإيجاد والتكوين والترزيق والإنبات والإضاء، وغير ذلك مما يتعلق بالألوهية، ﴿وَأَنتُمْ﴾، إن وصلتم إلى مرتبة التوحيد الذي ﴿تَعْلَمُونَ﴾، بتواتر أن سلسلة الأسباب منتهية إليه سبحانه، ولا مُوجِدٌ إلا هو، بل لا مَوجُودٌ في حقيقة إلا هو، فهو الخالق ولا يخلقون ولا يكون إلهًا إلا من يخلق؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الاول، ص 18، وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الأول، ص 80-83.

[138] أي قال ذلك في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، في المبحث الثالث: في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 81.

[139] هنا انتهى الورقة 12 في المخطوطة: ا.

[140] هنا انتهى الورقة 30 في المخطوطة: ب.

[141] ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "فإنهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الأعم الأغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعي ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط من السلامة، وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والرجز وبتخلصهم من أيدي الأعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها، وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالله الحق جل جلاله، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾"؛ انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 80-81.

[142] انظر الحاشية السابقة رقم # 11 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[143] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، قال الإمام عبد السلام اللقاني قبل هذا الكلام: "ومحلُّ الخلاف في غير النظر الموصَّل لمعرفة الله تعالى، أما هو فواجب إجماعاً، كما أن الخلاف إنما هو فيمن نشأ على شاهقِ جبلٍ مثلا ولم يتفكر في مَلَكُوت السماوات والأرض، فأخبره غيرُ معصومٍ بما يُفترض عليه اعتقاده فصدّقه فيما أخبره به بمجرّد إخباره من غير تفكر ولا تدبر"، المراد بقوله: "لَيْسَ الْخِلَافُ فِيْمَنْ نَشَأَ" أي ليس الخلاف في حصول المعرفة فيمن نشأ في دار الإسلام؛ انظر اتحاف المريد، ص 38.

وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَنْدَلُسِيُّ:[144] "وَمِنَ الْمَعْلُومِ ضَرُورَةً أَنَّ مِنْ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَاهِدِ الْمَعْجِزَةِ وَتَوَاتِرِ عِنْدَهُ حَالَهُ حَتَّى[145] حَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الْعِلْمُ بِكُلِّ مَا ثَبَتَ مِنْهُ وَنُقِلَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ عَقْلِيٍّ وَلَا قِيَاسٍ مُنْطَقِيٍّ"، اِنْتَهَى.[146]

---

[144] هو أبو الأصبغ عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، ولد في شهر شوّال في سنة 310 الهجرية من أهل قُرطُبةَ، أخذ العلم عن عبد الله بن يونس والحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ ومحمد بن عبد الله بن أبي دُليم وغيرهم، وكان عالمًا بالنحو والغريب والشعر شاعرًا، مائلًا إلى علم الكلام والنظر، وكان أديبًا حليمًا حدّث وسُمِعَ منه، وتوفي ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة 387 الهجرية؛ انظر الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429 هـ\2008 م، المجلد الأول، ص 369-370.

[145] هنا انتهى الورقة 31 في المخطوطة: ب.

[146] فالعلم بالتواتر المعرفة ضرورة، لأنه يعلم صحتها بالاستدلال، أي مستند إلى محسوس، فقد تواتر القوم في وجود الخالق، فجميع الإنسان يشيرون إلى الصانع الموجد الخالق عز وجل وإن اختلفت طرائقهم وعللهم، ولا يجهلون سوى كنه الذات، ولذلك لم يأت الأنبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع، وإنما أتونا ليدعونا إلى التوحيد، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، والخلق إنما أشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى، أو لنفي واجب من صفاته أو لإثبات مستحيل منها أو لإنكارهم النبوات، فهم يعلمون أن ما شهدت به الفطرة إلى الخلق وأسرع تعقلًا لأن الممكن الخارج والحادث الدال على محدث وصانع موقوفان على النظر الصحيح، وتلك ضرورية من النظر، فلذلك ورد مرفوعًا أن الله تعالى خلق العباد على معرفته، فاختالهم الشيطان عنها، فما بعثت الرسل إلا للتذكير بتوحيد الفطرة والمشاهدة، وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل المشاهدة العقلية، وبما توجهت التكاليف على العقلاء، وقال المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"قِيلَ وَهَذَا الْحُكْمُ إِنَّمَا جَرَى * بِظَاهِرِ الْإِسْلَامِ فِي الَّذِي يُرَى
لَا فِي الَّذِي يَنْجِي مِنَ الْخُلُودِ * فِي النَّارِ ذَاكَ عِنَايَةُ الْمَقْصُودِ
وَهُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ لِلدَّلِيلِ * إِجْمَالًا أَوْ ذَاكَ عَلَى التَّفْصِيلِ"،

قال القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "اعلم إن الخبر المتواتر يفيد العلم القطعي بالمخبر عنه، ويقوم مقام العيان والمشاهدة، وقد تواتر في سائر العالم معرفة وجود الاله المدبر لهذا الخلق، وأنه الذي خلق السموات والأرض والهواء والماء والريح والجن والإنس وكل شيء، وهذه المعرفة حاصلة لكل عاقل نشأ في بلاد الإسلام، وهذه المعرفة للناس من آدم عليه السلام ولذلك شاعت في جميع الفرق، وعنها وقع البيان في آيات القرآن: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، ومحوها، وفائدة هذه المعرفة إثبات وجود البارئ تعالى، وأنه الخالق والرازق ولا يستفاد منها معرفة التوحيد الإلهي، ولذلك كان الكفرون يقرون بوجود الله وخالقته ويؤمنون بذلك، ومع ذلك يشركون معه في الألوهية، ولا يوحدونه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وُهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، ولا تأثير لها في سعادة الإنسان، لذلك لكنها أشرف وأعرف من المعرفة الفطرية لصحةِ جحد الإله فيها، ولا يصحّ ذلك مع هذه التواتر الخبر بوجوده وألوهيته وربوبيته، وأنه الخالق والرازق، والفطرية إنما ارادت

وَأَمَّا النَّظَرُ[147] فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ كَيْفَ مَدَدْنَاهُ وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *

احتياجك إلى مدبّر فقط، كيف كان وقابليتك للمعرفة الصحيحة أن أوردت عليك وزادت هذه عليها بإثبات الصانع المختار، وأنه إلهٌ لك وخالقُك ورازقُك لتواتر الخبر بذلك من لدن أبيك آدم إلى حينك ووقتك هذا، ومع فشو هذه المعرفة وشيوعها غابت عن بعض لفرق المنهمكين في ظلم الطبيعة وأحكامها، فلا يعتقدون للعالم إلهًا ولا صانعًا، إنما ينسبون الأفعال والأحكام إلى الطبيعة والأفلاك والنجوم جهلًا منها، وقد غرقوا في بحار ظلمة الطبيعة، فلا خلاص لهم أبدًا عاذنا الله وإياكم من الجهل وأسبابه، وهدانا إلى طريق التوحيد بنوره وهدايته"؛ انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 82.

[147] معنى النظر بفتح النون والظاء تأمّله بعينه، قال في موسوعة الفرق والجماعة: "النظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن"، وفي البصائر معنى النظر: تقْليبُ البصيرةِ لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُرادُ به التأمّل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، ويقال: نظرتُ إلى الشيء، إذا مَددتُ طرْفَك إليه فرأيتَهُ أَوْ لَمْ ترهُ، يقال: نظرتُ في الشيء إذا تأمَّلْتُهُ وتدبّرته، قال تعالى: ﴿انَظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي تأمّلوا ما فيهما حكمة، وقال تعالى: ﴿انْظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أي أفصحوا وتفكّروا فيها، وقال تعالى: ﴿فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾، أي تفكّروا وتأمّلوا وتدبَّروا في إنشاءِ الْخلق، وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي أنظر ببصرك وتبصّر ببصارتك، واستعمال النظر في البصر أكثر استعمالًا عند العامّة، وفي البصيرةِ أكثر عند الخاصَّة، فالنظر على ضربين: [1] نظرٌ العين، وهو إدراك المنظور بالبصر؛ [2] ونظرٌ بالقلب والعقل، وهو التفكّر في حال المنظور فيه، والمنظور فيه: هو الأدلة والإمارات الموصلة إلى المطلوب، والنظر عند المنطقين والمتكلمين هو الفكر الذي يُطلب به علم أو غلبة ظنّ، قال إمام الحرمين: "الفكر هو انتقال النفس من المعاني انتقالًا بالقصد، وذلك قد يكون بطلب علم أو ظنّ، فيسمّى نظرًا"، قال القاضي أبو بكر: "النظر هو الفكر الذي يطلب به مَن قام به علمًا أو ظنًّا، وهو مطّرد في القاطع والظنّي"، قال الأستاذ أبو منصور: "النظر هو الفكر في الشيء المنظور فيه طلبًا لمعرفة حقيقة ذاته أو صفة من صفاته، وقد يُفضي إلى الصواب إذا رتّب على وجهه وقد يكون خطأ إذا خولف ترتيبه"، وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني: "قد شبه نظر البصيرة بنظر البصر، فكما أن من يريد إدراك شيء ببصره يقطع نظره عن سائر الأشياء، ويحرك حدقته يمينا وشكالا، حتى يقع في مقابلة ذلك الشيء فيبصره، كذلك من يريد إدراك شيء ببصيرته، يقطع نظره عن سئر الأشياء، ويحرك حدقة عقله من شيء إلى شيء إلى أن يحصل له ما يؤدي إلى ذلك المطلوب"، قال الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في أصول الدين: "وصحّ أنّ الطريق إلى العلم بصحة الأديان إنما هو النظر والاستدلال"، فالنظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعًا بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فإنّ أوّل ما يجب على المكلّف هو معرفة الله تعالى، إذْ النظر فيها هو أصل المعارف، قال الإمام القشيري: النظر واجب بالإجماع لأن الإجماع قام على وجوب معرفة الله، ولا تحصل إلا بالنظر، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، وقيل: وجوب النظر في معرفة الله على أهل النظر والاستدلال لا على غيره، فالنظر أقسامه أربعة: [1] صحيح، [2] وفاسد، [3] وجازم [4] وغير جازم؛ قال القطب الشيخ محمد بن يوسف السنوسي في العقيدة الكبرى: "فأقربُ شيءٍ يخرجك عن التقليد بعون الله أن تنظرَ إلى أقرب الأشياء إليك"؛ انظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، 1996، الجزء الثاني، ص 1704 – 1710؛ وانظر أيضا موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين للدكتور رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، 1998، الجزء الثاني، ص 1637 – 1640 .

تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾،[148] وَفِي تَفْسِيرِ جَلَالِ[149] الدِّينِ الْمَحَلِّي: "وَالْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ نَظَرُواْ وَعَلِمُواْ مَا ذُكِرُواْ"، انتهى.[150]

---

[148] سورة ق: 6-11، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُواْ﴾، بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث، ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾، كائنةً المطبقة المعلقة ﴿فَوْقَهُمْ﴾، من غير سبق مثال، فيدلّهم على أن إعادة أمثالهم أهون منه ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾، أي كيف رفعناها بلا أعمدة وأساطين، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾، بالكواكب المتفاوتة في الإضاءة والتنوير، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾، نتوءٍ وفتوق وشقوق تعيبها بأن خُلقتْ ملساء متلاصقة الطباق، ﴿وَ﴾، ألم ينظروا ببصرهم وأفكارهم أيضاً ﴿الْأَرْضَ﴾، وألم يدبروا فيها، ﴿كَيْفَ مَدَدْنَاهُ﴾، أي مهدناها ودحوناها وبسطناها بكمال قدرتنا وحكمتنا على وجه الماء، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ﴾، جبلًا شامخات تثبتها، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾، صنف من النبات، ﴿بَهِيجٍ﴾، يُبْتَهَجُ بِهِ لحسنهِ، تبهج بها عيون الناظرين وتسر قلوبهم، وإنما خلقنا ما خلقنا من العجائب والغرائب ليكون ﴿تَبْصِرَةً﴾، أي وفعلنا ذلك تبصيرً منا، ﴿وَذِكْرَى﴾، تذكرة وعظة وعبرة دالة على كمال قدرتنا ومتانة حكمتنا وحكمنا وحجة على وجودنا وربوبيتنا، ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، راجع إلينا في التدبر في بدائع صنعنا، وهما علتان للأفعال المذكورة، وإن انتصبنا عن الفعل الأخير، فالأولى للراسخين والثانية للقاصرين، ومتوجهٍ نحونا بكمال التبتل والتفويض، وليتبصروا ويتفحصوا ويتذكروا بها كمال اقتدارنا واختيارنا في الخلق، ﴿وَ﴾، أفلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم كيف ﴿نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾، كثير الخير والمنافع والبركة ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾، أشجاراً ذوات ثمار بعد تنزيله على الأرض اليابسة الميتة، ﴿وَحَبَّ﴾، الزرع، ﴿الْحَصِيدِ﴾، المحصود أي ما شأنه أن يحصد مما يقتات به كالبر والشعير وأخره لقلته عند العرب، فإن أكثر معاشهم الماء والثمر، ولذلك عقبه بقوله ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، طوالًا حال مقدرة أفردها بعد تناول الجنات لها لكثرتها عند العرب وكثرة منافعها، ﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾، ثمر أول ظهوره، ﴿نَضِيدٌ﴾، منضود بعضه فوق بعض لتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر، وإنما أنبتا ما أنبتنا ليكون ﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾، علة للإنبات أو مصدر بمعنى الإنبات لأن الإنبات رزق، يرتزقون بها ويشكرون منعمها ومبدعها ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾، بذلك الماء المنزل من السماء، ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾، أي جدباً يابساً لا كلأ فيها ولا نماء، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي مثل هذا الإحياء ﴿الْخُرُوجُ﴾، أي خروجهم من قبورهم أحياء بقدرتنا مثل ذلك، فكيف تنكرونه وتنظرون جميع هذه بعيونكم؟، فمثل هذا المحسوس الخروج الذي تستحيلونه، والمشار إليه على هذا خروج النبات لا الإحياء؛ وقال الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل أيضًا: "وأعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلًا، ولكن الكلام المجمل أنها أمور ممكنة وُجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة، وأنحاء مختلفة، إذ من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالأرض، وأن تتحرك بعكس حركاتها، فكلٌّ يدل على موجدٍ مريدٍ قادرٍ حكيمٍ متعالٍ عن معارضة غيره، وفي الآية الحث على النظر"؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الرابع، ص 134-135 .

[149] هنا انتهى الورقة 32 في المخطوطة: ب.

[150] أي أنهم نظروا بأعينهم وبصيرتهم في المخلوقات وعلموا بالنظر ما ذكروا لهم الرسل عليهم السلام بأنه لهم إله واحد، وأما المفسر المذكور هو الإمام جلال الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن كمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

قُلْتُ: وَلِأَجْلِ هَذَا النَّظَرِ سَهْلٌ يَسِيرٌ يَقْدِرُ عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ،[151] قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى:[152] "ثُمَّ هَذَا النَّظَرُ كَافٌ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُعَلَّمٍ، خِلَافًا لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ".[153]

هشام العباسي الأنصاري المحلي القاهري الشافعي، ولد بالقاهرة في شهر شوّال في سنة 791 الهجرية [الموافق سنة 1389 الميلادي]، أخذ الفقه وأصول الفقه والعربية عن الإمام شمس الدين محمد بن عبد الدائم النعيمي العسقلاني، وقرأ علم الحديث عن الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر الكناني البلقيني، والإمام ولي الدين أحمد بن المحدث عبد الرحيم العراقي، وأخذ علم الفرائض من الإمام ناصر الدين محمد بن أنس الأقصرائي، ولازمه الإمام محمد بن أحمد الطائي المالكي في علم التفسير وأصول الدين، وغيرهم حتى صار إمامًا علامة محققًا نظارًا مفرط الذكاء آية في الإدراك والفهم صحيح الذهن، وكان الشيخ جلال الدين المحلي غرة عصره في سلوك طريق السلف، وكان شديدًا في الحق يوصي بأحكامه في عقود المجالس على كبراء العلماء وقضاة القضاة، وكان له ثلاثة وعشرون تلميذًا الذين أصبحوا جميعًا علماء بارزين في عصرهم، منهم: الإمام نور الدين علي بن القاضي عفيف الدين السمهودي، والشيخ كمال الدين محمد بن محمد الطرابلسي، والشيخ نحم الدين محمد بن برهان الدين إبراهيم بن جلال الدين عبد الله وغيرهم، ومؤلفاته كثيرة، منها: البدر الطالع في حل جمع الجوامع في أصول الفقه، والدرر اللوامع، وكنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين، وغيرها من الكتب المفيدة التي بلغ عددها واحد وثلاثين كتبا، وأما تفسيره المذكور هنا هو التفسير المشهور الذي لم يكمله، ففسر القرآن من سورة الفاتحة إلى أول سورة الكهف، فقام بأتمه الإمام جلال الدين السيوطي فسمي تفسير الجلالين، وتوفى الشيخ جلال الدين المحلي في صبيحة يوم السبت يوم 15 من رمضان في سنة 864 الهجرية [الموافق سنة 1459 الميلادي].

[151] وذلك بأن النظر يؤخذ كما قال الإمام ابن أبي جمرة في بهجة النفوس: "على ما أمر الله تعالى في كتابه العزيز من النظر إلى ملكوت السماوات والأرض ليكون ذلك دليلاً على وحدانيته عز وجل، من ذلك ما في السماء من الكواكب على اختلافها، والشمس والقمر ومحاقه وكماله، وما في الأرض من البقع وما فيها واختلافها، وكذلك ما فيها من المياه عذبها ومالحها، وكذلك ما فيها الثمار، واختلاف طعمها مع كونها تسقي بماءٍ واحدٍ، وتنبت في بقعةٍ واحدةٍ، وهذا النظرُ والاستدلال على ما أشرنا إليه يكفي في كمال الإيمان، فمن أراد الزيادة على هذا الحدّ ودخل في النظر في أدلة المتكلمين فقد دخل في المقابلة، وهو لا يطيق ذلك"؛ انظر ترويح الأمة ببيان تيسير الملة للمصنف الشيخ عثمان بن فودي، مخطوطة غير منشورة بين يدي المؤلف، الورقة 4.

[152] أي العمدة أهل التوفيق والتسديد؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 19 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[153] فمعنى قوله: "ثُمَّ هَذَا النَّظَرُ كَافٌ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى"، ما حصل من الاعتقاد الصحيح عن النظر معتدٌ به، فإن أوّل واجب الإقرار بالله وبرسوله عن عقْدٍ مطابقٍ، وإن لم يكنْ علمً، ومعنى قوله: "وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُعَلَّمٍ"، أي وأن لم يستند إلى معلم، ولا نزاع أن المعلم محتاج إليه في التعليم والإرشاد إلى المقدمات، وكيفية النظر على سبيل الاستعانة، كما ذكروا أن نظر البصيرة كنظر البصر، وكما أن نظر البصر محتاج في تبين الأشياء إلى ضوء الشمس أو المصباح مثلاً، كذلك نظر البصيرة محتاج إلى ضوء التعليم، فالمعلم كالمصباح، ولذا يعسر تبين الحقائق بدونه غاية، لكن من صادف حقا بهداية الله على غير يد معلم كفى عند الجمهور، كما قال الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي ملخصاً، فمعنى قوله: "خِلَافًا لِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ" كما قال الشيخ إسماعيل

وَلِذَلِكَ قَالَ فِي نُورِ السَّعَادَةِ:[154] "إِنَّ هَذَا النَّظَرَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ غَيْرُ بَعِيدٍ لِحُصُولِهِ لِمُعَظَمِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ لِجَمِيعِهَا"،[155] وَلِذَلِكَ قَالَ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ:[156] "يَسْتَوِي فِي فَهْمِ هَذَا النَّظَرِ الذَّكِيُّ وَالْغَبِيُّ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ".[157]

بن موسى بن عثمان الحامدي المالكي: "فالإسماعيلية فِرقةٌ ضالةٌ أثبتتْ الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، وقالت: النظر لا يكفي في المعرفة إلا إذا كان من معلم معصوم للأمن من الخطأ، وما دام الزمان موجودًا، فلا بدّ من وجود معصوم، فنفتش عليه حتى نجده، ونطلبِ منه أن يعلمنا النظر، والعصمة عندهم ليست خاصة بالأنبياء والملائكة، هذا وظاهر كلام الشارح أنهم يقولون بكفاءة مطلق معلم، وليس كذلك كما علمت، بل لا بدّ من كونه معصومًا"؛ انظر حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي، للإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود السوسي، تحقيق الدكتور حميد حمادي اليوسي، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، 2008، ص 179؛ وانظر أيضًا حواش على شرح الكبرى، للشيخ إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي المالكي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، 1354 هـ\1936 م، ص 28.

[154] انظر الحاشية السابقة رقم # 101 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه، ص 135.

[155] السياق الكامل لاقتباس الشيخ السنوسي هو كما يلي: "ولا يشترط معرفة النظر على طريق المتكلمين، من تحرير الأدلّة وترتيبها، ودفع الشبهة الواردة الجُمليّ الذي حصلتْ به الطمأنينةُ، ولا شكّ أن النظرَ على هَذا الوجه غيرُ بعيدٍ حصولُهُ لمعظمِ الأمَّةِ أو لِجَمِيعِها فيما قبل آخر الزمان الذي يرتفع فيه العلمُ النافعُ، ويثبتُ فيه الجهلُ المضرُّ، ولا يبقى التَّقليدُ المطابقُ فضلًا عن المعرفةِ عند كثيرٍ ممّن يُظَنُّ به العلمُ، فضلاً عن كثيرٍ من العامَّةِ، ولعلَّنا أدركنا هذا الزمانَ الصعبَ بلا ريبٍ، واللهُ الْمستعانُ، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العليّ العظِيمِ، وفي الْحَدِيثِ عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تَكُونُ فَتْنَةٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، إِلَّا مَنْ أَجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعِلْمِ))"، وقال الشيخ السنوسي أيضا في نور السعادة شرح العقيدة الصغرى: "فثبت أنّ طريقهُ النظرُ، وهو أوّلُ واجبٍ على المكلَّفِ، إذْ المعرفة أوّلُ الواجبات، ولا تحصلُ إلا به، فبضرورة تقديمِهِ عليها تثبتُ له صفةُ الوجوبِ قبلَها، وإيجابُ المعرفةِ باللَّهِ معلومٌ من دين الأمَّةِ ضرورةً"؛ انظر شرح العقيدة الصغرى وهو شرح العقيدة المسمّاة بـأمّ البراهين ص 130.

[156] أي المنهج السديد في شرح كفاية المريد، ويعرف أيضًا بـشرح الجزائرية، وهو شرح لقصيدة الإمام الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري [800–884 الهجرية]، وقد نعت الإمام السنوسي هذا القصيدة في طالعة كتابه بقوله: "هو منظوم مشتمل على طريقي هداية الخواص والعوام"، وهي قصيدة لامية من البحر البسيط، وعرفت أيضًا بـالجزائرية في العقائد الإيمانية، والعلامة الناظم هو من طلب من الإمام السنوسي شرحاً، وقال الشيخ البلوي: "وهي قصيدة نفيسة بعث بها إليه من الجزائر ليشرحها، فوضع عليه هذا الشرح الجليل، وهو كبير محشو بالفوائد في علوم شتى"؛ انظر أنس محمد عدنان الشرفاوي في مقدمة تحقيقه لـشرح صغرى الصغرى للشيخ محمد بن يوسف السنوسي، دار التقوى، مشق الشام، 1441 هـ\2019 م، ص 25–26.

[157] السياق الكامل لاقتباس شرح الشيخ السنوسي على قول الناظم: "قَدْ أَنْكَرَ الْبَعْضُ تَقْلِيدًا بَلَا نَظَرٍ * وَلَا دَلِيلَ عَلَى التَّوْحِيدِ لَمْ يُقَلِ"، فقال السنوسي في معنى هذه الابيات: "فأجاب المؤلف رضي الله تعالى عنه عن هذا السؤال بأنه لا عسر في النظر على هذا القول إلا لو كانت الأدلة على عقائد التوحيد لم يبينها الشرع غاية البيان، وكلف العقل أن يهتدي إليها وحدهُ، كيف

وَلِذَلِكَ[158] قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي الْفَتْحِ الْمُبِينِ:[159] "أَنَّهُ يَقِلُّ أَنْ يُرَى مُقَلِّدٌ فِي الْإِيْمَانِ بَاللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّا نَجِدُ كَلَامَ الْعَوَّامِ مَحْشُواً بِالْاِسْتِدْلَالِ بِوُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ"، اِنْتَهَى.[160]

وما من دليلٍ من أدلةِ عَقائدِ التوحيدِ إلا وهو مقُولٌ مُبَيَّنٌ في الكتاب والسنةِ بأوجهٍ من البيان، ومتكاثرةٌ بحيث يستوي في فهمها الغبيُّ والذّكيُّ والقوي والضعيفُ، فلا عذرَ لأحدٍ إذًا في ترك النظرِ الواجبِ لسهولتِهِ على كُلِّ عاقلٍ أعظم سهولةٍ، فهذا معنى قول المؤلف أدام الله النفع به: "وَلَا دَلِيلٌ عَلَى التَّوْحِيدِ لَمْ يَقِلَّ"، فلا في كلامه لنفي الجنس، ودليلٌ اسمها مبني معها على الفتح، ولا يصح جعلها عاطفة، ودليل مخفوضًا معطوفًا على نظر لفساد المعنى حينئذٍ"، ثم قال: "فإن أكثر الناس إذا سمع الأوامر بالنظرِ في أدلة التوحيد تقاعس واعتذر بالعذر الكاذب، وهو أن النطر في ذلك عسير عليه جدًا، ولا خفاء أن هذا العذر تفضحه أدلة القرآن المرتفعة على أعلى منصة الجلاء بحيث كاد الأعمى يراها لو لا سابق القضاء والقدر"؛ انظر المنهج السديد في شرح كفاية المريد لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق الأستاذ مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1994، ص 51-52.

[158] هنا انتهى الورقة 33 في المخطوطة: ب.

[159] هو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي العسقلاني السعدي الأنصاري الشافعي، ولد في مصر في شهر رجب سنة 909 الهجرية [الموافق بسنة 1503 الميلادي]، فقرأ في مبادئ العلوم في مقام أحمد البدوي، وحفظ القرآن في صغره، ثم نقله إلى جامع الأزهر، فأخذ عن علماء مصر، منهم: شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، والشيخ عبد الحق السنباطي، والشمس السمهودي، الشهاب الرملي، وأبو الحسن البكري، وغيرهم، وبرع في علوم كثيرة من التفسير والحديث والكلام والفقه أصولا وفروعا، والفرائض والحساب والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والتصوف، وأذن له بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين، وقدم الإمام ابن حجر إلى مكة مع عياله، وأقام بها يدرّس ويفتي ويؤلّف، فصنف الإمام ابن حجر مائة واثنان وخمسون كتب في كل الفن الإسلامية، منهم: تحفة المحتاج بشرح المنهاج في الفقه، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة في العقيدة، وكنز الناظر في مختصر الزواجر في التصوف، والدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود في الصلاة على النبي ﷺ، وتحفة الأخبار في مولد المختار ﷺ في السيرة، ومبلغ الأرب في فضائل العرب في التاريخ، وشرح ألفية ابن مالك في النحو، ومختصر الهيئة السنية في الهيبة السنية في الهيئة والفلك، وهذا الكتاب المذكور: الفتح المبين في شرح الأربعين في الحديث، وغيرها، قال الشيخ ابن العماد الحنبلي فيه: "وبالجملة فقد كان شيخ الإسلام خاتمة العلماء الأعلام، بحرًا لا تكدره الدلاء، إمام الحرمين كما أجمع عليه الملأ، كوكباً سيّارًا في منهاج سماء الساري، يهتدي به المهتدين تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، واحد العصر، وثاني القطر، وثالث الشمس والبدر، أقسمت المشكلات ألا تتضح إلّا لديه، وأكدت المعضلات أليتها أن لا تنجلي إلا عليه، لا سيما وفي الحجاز عليها قد حجر، ولا عجب فإنه المسمى بابن حجر"، وتوفي شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة 974 الهجرية [الموافق بسنة 1566 الميلادي].

[160] السياق الكامل لاقتباس الشيخ ابن حجر العسقلاني هو كما يلي: "واعلم: أن وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا يشترط فيه أن يكون عن نظرٍ واستدلالٍ، بل يكفي اعتقادٌ جازمٌ بذلك، إذْ المختار الذي عليه السلف، وأئمة

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ[161] الشَّعْرَانِيُّ فِي الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[162] "كَانَ شَيْخَ مَشَايِخِنَا الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْهُمَامُ[163] يَقُولُ: تَصْوِيرُ التَّقْلِيدِ فِي مَسَائِلِ الْإِيْمَانِ عَسِرٌ جِدًّا، فَقَلَّ أَنْ تَرَى أَحَدًا

الفتوى من الخلف، وعامة الفقهاء: صحةُ إيمان المقلدِ، نقلُ المنع عن إمام السنة الشيخ أبي الحسن الأشعري كذبٌ عليه، كما قاله الأستاذ أبو القاسم القشيري عَلَى أَنَّهُ يَقِلُّ أَن يُرَى مُقَلِّدٌ فِي الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّا نَجِدَ كَلَامَ الْعَوَامِ مَحْشُواً بِالْإِسْتِدْلَالِ بِوُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ من نحو العلم والإرادة والقدرة، وليس هذا تقليدًا، إذ هو أن يسمعَ مَنْ نشأ بِقُلَّةِ جَبَلِ النَّاسَ يَقولون: للخلْق ربٌّ خلقهم وخلق كلَّ شيءٍ من غير شريكٍ له، ويستحقُّ العبادة عليهم، فيجزم بذلك، إجلالاً لهم عن الخطَأِ، وتحسيناً للظنّ بهم، فإذا تمَّ جزمه بأن لم يُجوِّزْ نقيضَ ما أخبروا بِهِ، فقد حصل واجب الْإيمانِ وَإِن فَاتَهُ الْاسْتدلَالُ لأنَّه غير مقصودٍ لذاتِه، بل للتوصل به للجزم وقد حصل"؛ انظر الفتح المبين بشرح الأربعين للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي العسقلاني، تحقيق أحمد جاسم محمد المحمد وقصيّ محمد نودسن الحلاق وأبو حمزة بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، دار المنهاج، بيروت لبنان، 1427 هـ\2008 م، ص 164-165.

[161] هنا انتهى الورقة 13 في المخطوطة: ا.

[162] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[163] هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي المعروف بالكمال بن الهمام، ولد بالإسكندرية في سنة 790 الهجرية [الموافق بسنة 1388 الميلادي]، ورحل إلى القاهرة والحرمين والقدس لاقتباس العلوم، وأخذ العلم عن الشيخ العز بن عبد السلام، والشيخ البسطامي، والشيخ الشمني، وجلال الدين الهندي، وولي الدين العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم، وكان إمامًا من علماء الحنفية، وكان إمامًا في الأصول، والتفسير والفقه والفرائض والحساب والتصوف والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والجدل، قال في قدرة علمه الشيخ السخاوي: "إنه عالمُ أهلِ الْأَرضِ ومحقّق أولى العصر"، وقال فيه الشيخ ابن العطار: "لم يزل يضرب به المثل في الجمال المفرط مع الصيانة، وفي حسن النعمة مع الديانة وفي الفصاحة واستقامة البحث مع الأدب"، ومن كتبه فتح القدير في شرح الهداية في فقه الحنفية، والتحرير في أصول الفقه، وزاد الفقير، والمسايرة في العقائد المنجية في الآخرة في العقيدة وعلم الكلام، وتوفى الشيخ ابن الهمام في يوم الجمعة 7 رمضان سنة 861 الهجرية [الموافق بسنة 1457 الميلادي]، فأخذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني هذا الاقتباس من الشيخ ابن الهمام من ختام كتابه المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، قال في كشف الظنون: شرع الشيخ ابن الهمام كتابه المسايرة أولا في اختصار الرسالة القدسية للإمام الغزالي، ثم عرض لخاطره الشريف استحسان زيادات على ما فيها، فلم يزل يزيد حتى خرج التأليف عن المقصد الأول، فصار تأليفًا مستقلًا غير أنه ساواه في تراجمه، وزاد عليها فاتحة بعدها ومقدمة في صدر الركن الأول، وينحصر الكتاب بعد المقدمة في أربعة أركانٍ، الأول في ذات الله تعالى، والثاني في صفاته، والثالث في أفعاله، والرابع في صدق الرسول، وفي كل منها عشرة أصول، والمقدمة في تعريف فن التوحيد، والخاتمة في الإيمان والإسلام.

مُقَلِدًا فِي الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدٍ حَتَّى اِحَادَ الْعَوَّامِ، فَإِنَّ[164] كَلَامَهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ مَحْشُواْ بِالْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَوَادَثِ عَلَى وُجُودِ الْحَقِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ".[165]

وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[166] "كَانَ الشَّيْخَ ضِيَاءَ الدِّينِ الْقَرْمِيِّ[167] لَهُ لَحْيَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَى قَدِمَيْهِ، وَإِذَا رَكَّبَ يَتَفَرَّقُ فَرْقَتَيْنِ، فَكُلُّ مَن رءَاهُ مِنَ الْعَوَّامِ يَقُولُ:

---

[164] هنا انتهى الورقة 34 في المخطوطة: ب.

[165] على الرغم من أن الشيخ عبد الوهاب الشعراني يستشهد بهذا الاقتباس للشيخ ابن الهمام في اليواقيت الجواهر إلا أن شيوخًا أخرين، مثل الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في المسامرة في شرح المسايرة والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي في حاشية على المسايرة، شرحوا معناها بأوضح طريقة ممكنة، فقالوا في معناها: "تَصْوِيرُ التَّقْلِيدِ فِي مَسَائِلِ الْإِيْمَانِ عَسِرٌ جِدًّا"، أي ذلك بأن الجميع يعرف من خلال البصر والبصيرة أن الظواهر الإبداعية هي حوادث، ولكل حادث محدث وصانع وفاعل وهو الله تعالى، قال الإمام أبو الحسن الأشعري: شرط صحة إيمانه أن يعرف كل مسألة بدلالة عقلية، وليس الشرط أن يعبر عنه بلسانه ويجادل خصومه، "فَقَلَّ أَنْ تَرَى أَحَدًا مُقَلِدًا فِي الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدٍ حَتَّى اِحَادَ الْعَوَّامِ، فَإِنَّ كَلَامَهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ مَحْشُواْ بِالْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَوَادَثِ"، أي بحدوثها، "عَلَى وُجُودِ الْحَقِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ"، أي من العلم والإرادة والقدرة وغيرها، ثم قال: "وَصُورَةُ التَّقْلِيدِ هُوَ أَنْ يَسْمَعَ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّ لِلْخَلْقِ رَبًّا خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، يُسْتَحَقُّ الْعِبَادَةُ عَلَيْهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَجْزَمُ السَّامِعُ بِذَلِكَ لِجَزْمِهِ بِصِحَةِ إِدْرَاكِ هَؤُلَاءِ تَحْسِيْنًا لِظَنِّهِ بِهِمْ وَتَكْبِيرًا" أي بالوحدة أي تعظيمًا، "لِشَأْنِهِمْ عَنِ الْخَطَأِ"، لكثرتهم وتوافقهم على ذلك مع رصانة عقولهم، "فَإِذَا حَصَلَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ جَزْمٌ لَا يَجُوزُ مَعَهُ كَوْنُ الْوَاقِعِ النَّقِيضِ"، أي نقيض ما أخبروا به، "فَقَدْ قَامَ"، المكلف الذي حصل له ذلك الجزم، "بِالْوَاجِبِ مِنَ الْإِيْمَانِ"، فحرف الجار "من" بيانيةٌ، أي الذي هو الإيمان، "إِذْ لَمْ يَبْقَ"، بعد حصول الجزم المذكور، "سِوَى الْإِسْتِدْلَالِ، ومَقْصُودُ الْإِسْتِدْلَالِ هُوَ حُصُولُ ذَلِكَ الْجَزْمِ، فَإِذَنْ قَدْ حَصَلَ"، المكلف، "مَا هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْهُ"، أي من الاستدلال، "مِنْ قِيَامِهِ بِالْوَاجِبِ"، أي في هذا شيء لأن العوام إذا كان عندهم استدلالٌ فالذي يسمع الناس يقولون إن للخلق ربا خلقهم وخلق كل شيء، هو من العوام، فلا يكون مقلدًا، لأنه بنى اعتقاده على قول الرسول ﷺ بعد معرفته بدلالة المعجزة أنه صادق، فهذا القدر كاف في صحة إيمانه، وذهب عامة فقهاء أهل الملة إلى أن معرفة الدليل ليس بشرط لصحة الإيمان، وكونه نافعًا، بل كل من صدق غيره في جميع ما يفترض عليه اعتقاده وقبل ذلك بقلبه، فهو مؤمن حقًّا، وإن لم يعرف دليله، وهو قول أبي حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل، وجميع أصحاب الظواهر والمتكلمين؛ انظر كتاب المسامرة في شرح المسايرة لكمال الدين ابن أبي شريف، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2006 م، الجزء الثاني، ص 190–192، وانظر أيضا حاشية على المسايرة للشيخ زين الدين قاسم الحنفي، المطبعة الكبرى الاميرية، مصر، 1318 هـ، ص 298–302.

[166] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[167] هو ضياء الدين عبد الله بن سعد الله بن محمد بن عثمان القرمي ابن قاضي القرم العفيفي القزويني الشافعي، ولد في سنة 725 الهجرية، وأخذ العلم عن الشيخ شمس الدين الخلخالي وبدر الدين التستري والشيخ العفيف المطري وغيرهم، وولي مشيخة ويدرس الفقه الشافعية بالشيخونية، وكان ماهرًا في الفقه والأصول والمعاني والبيان، قال الشيخ طاهر بن حبيب في قدر علمه:

"سُبْحَانَ الْخَالِقِ!"، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ الْعَوَامَ مُؤْمِنُونَ بِالنَّظَرِ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِالصَّنْعَةِ عَلَى الْصَانِعِ."[168]

وَقَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ الْقَصِيدَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ[169] فِي هَذَا النَّظَرِ: "وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَقْرِيرِ[170] الْأَدِلَّةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ سُنَّةِ مُصْطَفَاهِ الرَّسُولِ وَمَا أَبْرَكَهَا مِنْ طَرِيقَةٍ، وَأَنْصَحَهَا مِنْ دَلَالَةٍ، لِتَضَمِنَهَا الْهِدَايَةَ الْعَامَّةَ، وَإِنَالَةَ الْبُغْيَةِ لِكُلِّ مَوَفَّقٍ يَرُومُ إِلَى الْحَقِّ الْوُصُولَ."[171]

"إِن أَرَدْتَ الْخَلَاصَ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ فَمَا تَهْتَدِي بِغَيْرِ الضِّيَاءِ"، وتوفى ضياء الدين القرمي في ذي القعدة سنة 780 الهجرية وعمره حينئذ خمسة وخمسين.

[168] أي يقر عوام المسلمين بوجود الخالق ويعترفون بربوبيته من خلال الأشياء المدهشة التي خلقها، فبمشاهدة الأثر يحكم بوجود المؤثر وهو الله، وبملاحظة أن وجود الأثر مستند إلى وجود المؤثر، فقيل: لكل مصنوعٍ صانعٌ ولكل مخلوقٍ خالقٌ، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، قال ولي الله الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر في المرشد المعين:

"وُجُودُهُ لَهُ دَلِيلٌ قَاطِع * حَاجَةُ كُلِّ مُحْدَثٍ لِلصَّانِع

معناه كما قال الشيخ محمد بن أحمد المالكي في الدر الثمين والمورد المعين: "أن لوجوده تعالى دليلًا قاطعًا، أي لكل شبهةٍ وهو افتقارُ كلُّ مُحْدَثٍ إلى مُحْدِثٍ أي صانعٍ، فأنه أمرٌ ضَرُورِيٌّ لا يفتقر إلى دليل، فقال الإمام فخر الدين الرازي: "إن العلم بذلك مركوزٌ في فطرة طباع الصبيان، فإنك إذا لطمتَ وجه الصبي من حيث لا يراك، وقلتَ إنه حصلت هذه اللطمة من غير فاعلٍ البتة، لا يصدقك، بل في فطرة البهائم، فإن الحمارَ إذا أحس بصوت الخشبة فزع لأنه تقرر في فطرته أن حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محالٌ" اه، قال الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك الفتحي المراكشي في الحبل المتين: "فبرهان الوجود هو افتقار العالم، أي جميع المخلوقات باسرها للصانع الذي يصنعها ويوجدها، وهو الله تعالى"، اه، قال الإمام الطرطوشي: "فالعلم المفيد لإثبات الصانع في الشاهد مثل البناء والنجّار والخياط، وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرار، والعلم المثبت في الصانع سبحانه عند النظر في حدوث العالم، علم استدلال، اعتبارًا للغائب بالشاهد، إذ لا فرق في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع، وإنما كان العلم في الشاهد ضروريًا لأن الإنسان لم يزلْ يرى البناء يبني والخيّاط يخيط والنجار ينجر، ولم تر العقلاء القديم سبحانه وتعالى يخلق ويخترع، وإنما استفادوه من النظر في الشاهد".

[169] انظر الحاشية السابقة رقم # 156 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[170] هنا انتهى الورقة 35 في المخطوطة: ب.

[171] أي بالتفكر في الخلق، فالعقل مجازٌ عن التفكر الذي هو ثمرته، فمن تأمل في المخلوقات وجد كلا منها مشتملًا على وجوه كثيرة من الدلالة على وجود الخالق ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به واستغنى عن سائرها، فالنظر في الموجودات يوجد أنه لا بد لها من موجد لامتناع وجود الممكن بلا موجد قادر إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، حكيم عالم بحقائق الكائنات وما فيها من المفاسد والمصالح بوجده حسبما يستدعيه علمه بما فيه من المصلحة وتقتضيه مشيئته،

Institute of Islamic-African Studies International

قُلْتُ: وَمِثَالُ هَذَا النَّظَرِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ[172] السَّمَاء وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[173]

متعال عن مقابلة غيره إذ لو كان معه واجب يقدر على ما يقدر الحق تعالى عليه، فان وافقت إرادة كل منهما إيجاده على وجه مخصوص أراده الآخر، فالتأثير إن كلن لكل منهما لزم اجتماع فاعلين على أثر واحد، وهو يستلزم اجتماع العلتين التامتين، وإن كان الفعل لأحدهما لزم ترجيح الفاعل من غير مرجح لاستوائهما في إرادة إيجاده على الاستقلال، وعجز الآخر وجوده على نحو آخر لزم التمانع والتطارد لعدم المرجح، فيلزم عجزهما، والعجز مناف للألوهية بدية؛ انظر روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الثاني، ص 33.

[172] هنا انتهى الورقة 36 في المخطوطة: ب.

[173] سورة البقرة: 164، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾، أي من الارتفاع والاتساع وما فيها من الكواكب السيارة والثوابت وما فيها من العجائب وغيرها، فإظهار العلويات التي هي الأسماء والصفات المؤثرة الفاعلة، ﴿وَالأَرْضِ﴾، من الانخفاض والكثافة والاتضاع وما فيها من البحار والجبال والأنهار والأشجار والنبات والحيوان والمعادن وما فيه من العجائب وغيرها، فإظهار السفلية التي هي طبيعة العدم القابلة المتأثرة من العلويات؛ فجمع السموات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة كل سماء، ليست من جنس الأخرى بخلاف الأرضين، فكلها من جنس التراب، ولثقل جمع الأرض، ﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان والنور والظلمة، ﴿وَالْفُلْكِ﴾، السفن، ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾، ولا ترسب موقورة، ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾، من التجارات والحمل، والقصد الاستدلال بالبحر وأحواله، وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه، ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب الأمر وتأنيث الفلك لأنها بمعنى السفينة، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاءٍ﴾، مطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، يبسها، ﴿وَبَثَّ﴾، أي فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾، ما يدب عليها لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه، ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾، أي تقليبها في مهابها قبولًا ودبوراً وجنوبًا وشمالًا، وفي أحوالها حارّة وباردة وعاصفة ولينة وعقيمًا ولواقح، والريح أعظم جند الله تعالى، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾، الغيم المذلل للرياح بأمر الله يسير إلى حيث شاء الله، ﴿بَيْنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ﴾، بلا علاقة لا ينزل ولا ينقشع واشتقاقه من السحب لأن بعضه يجرّ بعضًا، ﴿لآيَاتٍ﴾، دلالات وبراهين يقينية على أن مظهر الكل واحد صانع قديم عليم حكيم قدير، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون ويعلمون الأشياء بالدلائل العقلية اليقينية المنتجة لعلم اليقين إلى العين والحق لو كوشفوا، وعنه عليه السلام: ((وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَمْ يَتَفَكَرْ فِيْهَا))، واعلم أن دلالةَ هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلًا، ولكن الكلام المحمل أنها أمور ممكنة وُجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة، وأنحاء مختلفة، إذ من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السماوات أو بعضها كالأرض، وأن تتحرك بعكس حركاتها، فكلٌّ يدل على موجد مريد قادر حكيم متعال عن معارضة غيره، وفي الآية الحث على النظر في المخلوقات، قال الإمام فخر الدين الرازي: "واعلم أن المقصود من هذا الكتاب جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق، فكلما أطال الكلام في تقرير

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[174]

[**وَقَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾].[175]

الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إثارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال" اه؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الاول، ص 61، وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الأول، ص 173-174.

[174] سورة الرعد: 4، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ﴾، أي في الأرض بقاع كثيرة مختلفة الطبائع وفي الاوصاف، ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾، متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، ومنبت وغير منبت، وممسك للماء وغير ممسك له، وقليل الربع وكثيره، ورخو وصلب، وصالح للزرع دون الشجر والعكس، هذا الاختلاف مع اتحاد الماهية دليل على الصانع الحكيم وذكر التجاور لأن الاختلاف فيه أغرب ﴿وَجَنَّاتٌ﴾، بساتين كثيرة تجن الأرض بأشجارها، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾، أي من أشجار الكرم، ﴿وَزَرْعٌ﴾، من كل نوع من أنواع الحبوب، ﴿وَنَخِيلٌ﴾، أي في الجنات أشجار وزرع وحده، ﴿صِنْوَانٌ﴾، جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾، منفردة ﴿تُسْقَى﴾، أي الجنات وما فيها، ﴿بِمَاء وَاحِدٍ﴾، لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي من ماء الامطار ومن ما الأنهار، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾، أي مع وجود أسباب التشابه بمحض قدرتنا واحساننا، ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ﴾، آخر منها، ﴿فِي الأُكُلِ﴾، أي المأكول، فمن حلو وحامض وخص الأكل بالذكر دون الشكل واللون والرائحة لأنه العمدة في المنافع، أو المراد بالأكل الثمر على تقليب الزرع أي نفضل بعضها في الثمر شكلاً وقدراً ورائحةً وطعماً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فصل من أحوال القطع وغيرها، ﴿لَآيَاتٍ﴾، دلالات وبراهين يقينية على أن مظهر تلك القطع المتباينة المتلاصقة واحد صانع قديم عليم حكيم قدير، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، أي يتدبرون ويعلمون على قضية عقولهم في التفكير بصنعات الحق والتدبير بمبدعاته ومخترعاته، فان من عقل هاتيك الأحوال العجيبة وخروج الثمار المختلفة في الاشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتلاصقة اتحاد ما تسقى به، بل وسائر أسباب نموها لا يتلعثم في الجزم بأن لذلك صانعاً حكيماً قادراً مدبراً لها، لا يعجزه شيء؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثاني، ص 184، وانظر أيضا روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الثالث عشر، ص 101-104، انظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الثاني، ص 388-389 .

قَالَ وَلِيُّ اللَّهِ اِبْنُ أَبِي جَمْرَةَ[176] فِي بُهْجَةِ[177] النُّفُوسِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: "أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّظَرِ أَنْ يَأْخُذَ بِالنَّظَرِ وَالْاِسْتِدْلَالِ عَلَى مُقْتَضَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَلَكُوتِ

---

[175] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا؛ سورة الفاطر: 28، قال علامة السودان الأستاذ عبد الله بن فودي في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا﴾، فيه التفات عن الغيبة لما مر ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾، أجناسها أو أصنافها أو الألوان المعروفة كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾، جمع جدة طريق في الجبل وغيره أو ذو جدد أي خطط من الجدّ وهو القطع لانقطاعها مم سائر الألوان ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾، في الشدة والضعف يقق وقات ودونهما ﴿وَغَرَابِيبُ﴾، عطف على جدد كأنه قيل الجبال ذو جدد مختلفة الألوان، ومنها غرابيب متحدة الألوان، وهو تأكيد موصوف مضمر فسره ﴿سُودٌ﴾، وغرابيب جمع غربيب شديدة السواد، ولا يجوز أن يكون سود تأكيداً له، بل تفسيراً أو بدلاً منه لأن الغربيب تأكيد للأسود لا يتقدمه، وفي مثل هذا التركيب مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ﴾، كل ما يدب أو الخيل والبغال والحمير ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾، الإبل والبقر والغنم من عطف الخاص على العام على الأول صنف ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾، كاختلاف الثمرات والجبال وهو نصب على المصدر أو رفع أي الأمر كذلك، ولما خاطبه بألم تر وعدّد عليه دلائل التوحيد بما ذكر من العالم العلوي والسفلي من البسائط والمركبات من الحيوان والنبات وسائر الهيئات من الألوان والصفات، قال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾، مثلك أو من يدانيك في المعرفة من الذين قدروا الله حقّ قدره، لا الجهلاء ككفار مكة إذ شرط الخشية معرفة المخشي، والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه، ولذا أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعل ولو أخر لانعكس الأمر، قال البيضاوي: قال في الجوهر: إنما في هذه الآية تحضيض للعلماء في الخشية لا للحصر، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم، وقال الشعبي: إنما العالم من يخشى الله، وقال ابن عطاء الله: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، وقال في التنوير: وأعلم أن العلم حيث ما تكرر في الكتاب والسنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية، وحكاياتهم في هذا لا تحصى، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾، في تعذيب من أصر على الطغيان ﴿غَفُورٌ﴾، للتائب علة لوجب الخشية"، قال الإمام الألوسي في تفسيره: "والمراد بالعلماءِ العالمون بالله عزّ وجلّ وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الحميدة وسائر شؤونه الجميلة، لا العارفون بالنحو والصرف مثلاً، فمدار الخشية ذلك العلم لا هذه المعرفة، فكل مَن كان أعلم به تعالى كان أخشى"، قال الإمام النسفي في تفسيره: "وعدّد آيات الله وأعلام قدرته وآثار، وصنعته وما خلق من الفِطر المختلفة الأجناس وما يستدلّ به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾"، أي العلماء بالله الذين علموه بصفاته فعظّموه"؛ انظر ضياء التأويل للأستاذ عبد الله بن فودي، الجزء الثالث، ص 268-269، انظر أيضاً روح المعاني للإمام الألوسي، المجلد 22، ص 217-218: انظر أيضاً الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام حمّد الهندي الحنفي، تحقيق الشيخ أسامة البيرقدار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433 هـ/2012 م، الجزء السادس، ص 170.

[176] هو أبو محمد عبد الله بن سعد ين سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، ولد في بلاد الاندلس وحفظ القرآن ودرس العلوم هناك، ودرس وتعلم علم الحديث وعلم السنة حتى اشتهر بهما، كان بصيرًا بمذهب مالك وعاكفًا على نشره، وكان فصيحًا وحسن البيان، وأمام القدرة الرباني، وكان تمسك بآثار النبي ﷺ وحاله وجمعه على السيادة وشهرة كبيرة بالإخلاص والاستعداد للموت والفرار من الناس، قال عنه الشيخ ابن عطاء الله الاسكندري: "أنه رأى سيد المرسلين في المنام يقول له: ((أَمَّا زَرْتَ سُلْطَانَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟)) فقال له: "يا سيدي ومن سلطان المشرق والمغرب؟" فقال له: ((عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي جُمْرَةَ،

السَّمَاوَاتِ مِنَ الْكَوَاكِبِ[178] عَلَى اِخْتِلَافِهَا، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَحَاقِّهِ وَكَمَالِهِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ النَّفَعِ وَاِخْتِلَافِهَا، وَكَذَا مَا فِيْهَا مِنَ الْمِيَاهِ عَذَبِهَا وَمَالِحِهَا، وَكَذَا مَا فِيْهَا مِنَ الثِّمَارِ وَاِخْتِلَافِ طَعْمِهَا مَعَ كَوْنِهَا تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتُنْبِتُ فِي بَقِعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا النَّظَرُ وَالْاِسْتِدْلَالُ عَلَى مَا أَشَرنَا إِلَيْهِ يَكْفِي فِي كَمَالِ الْإِيْمَانِ"، اِنْتَهَى.[179]

مَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَبَرَ))، ولذلك أوصى ابن عطاء الله أن يدفن بجواره، ومن كتبه: جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري، بهجة النفوس في شرح جمع النهاية، والمرائي الحسان في الحديث والرؤيا، وكان يرى رسول الله ﷺ يقظةً، وتوفى الشيخ ابن أبي جمرة بمصر سنة 699 الهجرية [الموافق بسنة 1296 الميلادي].

[177] هنا انتهى الورقة 37 في المخطوطة: ب.

[178] هنا انتهى الورقة 14 في المخطوطة: ا.

[179] قال ولي الله الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر في المرشد المعين:

"وُجُودُهُ لَهُ دَلِيلٌ قَاطِع * حَاجَةُ كُلِّ مُحْدَثٍ لِلصَّانِع؛

قال الشيخ أحمد بن البشير الشنقيطي في كتاب مفيد العباد: "فأقرب شيء يخرجك من ظلمة التقليد، بعون الله تعالى، أن تنظر إلى أقرب الأشياء إليك، وذلك نفسك، قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، فتعلم على الضرورة أنك لم تكن، ثم كنت فتعلم أن لك موجدًا أوجدك لاستحالة أن توجد نفسك"؛ قال الإمام الطرطوشي في سراج الملوك: "فمن كان في طوقه أن يستدلّ بما شاهد على ما غاب عنه، كان معه عقله، ويسمى عاقلًا عند الموحدين، وبه يتوجه التكليف عليه، وذلك أن من نظر إلى قصر قد كمل بنيانه وحصنت أركانه، وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنه، فأشرف عليه إنسان فرأى بيوتًا مقطوعةً، وأبوابًا منصوبةً، وفرشًا مرفوعةً وزاربي مبثوثةً، وموائد موضوعة، وأرائك منصوبة، وحجلًا مسدولةً، وطسوتًا وبيوتَ ماءٍ، وميازيب تصب الماء، وتحتها بلاليع تغيض الماء، وطيغان للضياء، الواقع، ومداخن للدخان الخارج ومنافس للرياح والهواء، إلى سائر ما يعده العقلاء للانتفاع، ثم فكر: هل هذا القصر بما حاوه صنعه قادرٌ عالمٌ، أو اتّفق لنفسه، وتركب على صورةٍ بلا صانعٍ، فيستقر في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع، وأنه مفتقر إلى صانعٍ صنعه، وهذا علم يهجم على العقول، لا يفتقر إلى نظرٍ واستدلالٍ، وإنما كثرت لك هذه الأمثلة، لأن ما في الإنسان من الأعضاء ولطيف الصنعة والعجب أكثر مما في القصر بأضعاف مضاعفة، فإذا نظر إلى نفسه فرأى ما فيها من العجائب"؛ وقال شيخ شيوخنا القطب الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي في المنح القدسية: "إن وجود الحق له دليل، وهو العالم بأسره، وذلك الدليل هو القاطع عن الوصول إلى معرفة وجود الإله، بحيث كل مَن وقف معه احتجب عن مولاه لكونه أراد أن يعرف الله بما سواه، قال بعضهم: لا دليل على الله سواه ولا وصول إليه بغيره، لأن الدليل حجاب عن المدلول، لأنك مهما احتجت للدليل فأنت لذلك الدليل دليلٌ، فاحتج يا أخي للهِ واستغثْ به، وكنْ مضطرًا في طلبه، فإنّ الله يجيب المضطر إذا دعاه، فالحبيب يطلب حبيبه، ولا برضى بالوقوف مع سواه، وكيف يحتاج الحادث للحادث؟ وليس الشأن أن تكون لك حاجة مع الصنعة، وإنما الشأن أن تكون واقفًا مع الصانع"؛ قال الشيخ محمد بن محمد الفتحي المراكشي في الحبل المتين: "وهذه البراهين لا تتعيّن معرفتها على عامة الأمة كما قال بذلك الأئمة، بل مجرد التصديق بمضمون لا إله إلا الله محمد رسول الله، والاقرار بها يكفي، فبرهان الوجود هو افتقار العالم، أي جميع المخلوقات بأسرها للصانع الذي يصنعها ويوجدها، وهو الله تعالى، إذ لو حدثت المخلوقات بنفسها وبدون

قُلْتُ: إِنَّمَا[180] كَانَ يَكْفِي فِي كَمَالِ الْإِيْمَانِ لِأَنَّ الْمَرْءَ بِهَذَا النَّظَرِ يَكُونُ عَارِفًا،[181] وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ اِبْنُ زَكَرِيَا فِي مَحْصَلِ الْمَقَاصِدِ:[182]

"يَحْصُلُ مِنْ دَلَائِلِ الْآفَاقِ * وَأَنْفَسٍ مَعْرِفَةُ الْخَلَاقِ".[183]

موجد لاجتمع التساوي والرجحان، واجتماعهما محالٌ، لأن المخلوقات يصحّ وجودها ويصحّ عدمها على السواء، فلو حدثت بنفسها ولم تفتقر إلى محدِث لزم أن يكون وجودها الذي قدر مساواته لعدمه راجحًا بلا سبب على عدمه، وهذا لا يعقل"، اه؛ فإن الموجود لا بدّ من سبب لوجوده، وهو الله سبحانه وتعالى؛ انظر المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية للعارف بالله الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن مصطفى العلوي، دار ابن زيدون، بيروت، 1986، ص 45؛ وانظر أيضا كتاب مفيد العباد سواء العاكف فيه والبادي للشيخ أحمد بن البشير القلاوي الشنقيطي، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، 1999، ص 92؛ وانظر أيضا الحبل المتين على نظم المرشد المعين للشيخ محمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك الفتحي المراكشي، طبع بالمغرب، ص 6-7.

[180] هنا انتهى الورقة 38 في المخطوطة: ب.

[181] أي عارفاً بألوهية الله وحدانيته الذاتية وبما يليق بصفاته الجليلة وأفعاله الحميدة وسائر شؤونه الجميلة، فجميع المخلوقات براهين كافي في كمال الإيمان بوحدة خالقها وقدرته وإرادته عزّ وجلّ.

[182] انظر الحاشية السابقة رقم # 42 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[183] قال الشيخ أحمد بن علي المنجور في شرح محصل المقاصد: "يعنى أن دلائلَ إثباتِ الإلهياتِ والنبويات محصورة في دلائل الأفاق والأنفس، وهذا إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، قيل المعنى: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، أثارُ صنعِنا في الأفاقِ الدالةُ على أن لها صانعًا حكيمًا، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، أنهم كانوا في العدم ثم خلقهم نطْفةً ثم علقةً ثم مضْغةً إلى بلغواْ وعقلواْ حتى تبيّنه لهم الله هو الحقُّ، لا ما يعبدون من دونه"، وقال المجدد فخر الرازي في مفاتيح الغيب: "﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، قال الواحدي: واحد الآفاق أفق، وهو الناحية من نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء: ونواحيها وأطرافها، وفي تفسير قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾،...أن المراد بآيات الآفاق: الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات، وآيات عالم العناصر الأربعة وآيات المواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن، وقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكوّن الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، يعني نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى إلى أن تزول الشبهات عن قلوبهم، ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزّه عن المثل والضد"، اه ملخصًا، فإن الله تعالى سيكشف للناس عن آياته في نواحي السموات والأرض وفي أنفسهم حتي يتبين لهم ويثقوا أنه واجب الوجود القديم الباق المريد العالم الحي الواحد الخالق، فما يزال الله تعالى يكشف للناس مل حين عن آيات جديدة حتى تنتهى الدنيا إلى قيام الساعة، قال الإمام القرطبي في معنى قوله تعالى ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: "فيه أربعة أوجه: أحدها أنّه القرآن، الثاني: الإسلام جاءهم به الرسول ودعاهم إليه، الثالث: أنّ ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق، الرابع: أنّ محمدًا ﷺ هو الرسول الحق"، فكل يوم هو تعالى في شأن في بيانه من غرائب صنعه وعجائبه في نواحي السموات والأرض وفي قلوب الناس وأنفسهم وبواطنهم وأرواحهم وأسرارهم أنه هو الرب المعبود وحده، فبالتفكر في المصنوع والخلق يدلّ على صفات الصانع

وَلِذَلِكَ قَالَ الْجَوَرَائِي فِي عَقِيدَةِ الْمَوَحِدِينَ: [184] "بِالْمَخْلُوقَاتِ يُعْرِفُ الْخَالِقُ كَمَا أَنَّ بِالْمَصْنُوعَاتِ يُعْرِفُ الصَّانِعُ"، اِنْتَهَى.[185]

والخالق لأن كل شيء يوجد في المصنوع والمخلوق يدلّ على قدرة الصانع وعلمه وحكمته، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ)) بمعناه من عرف نفسه بأنه مصنوعٌ فقد عرف له صانعٌ، ومن عرف نفسه بأنه أثرٌ فقد عرف أن له مؤثرًا، فهو الله سبحانه وتعالى، قال الإمام النووي: "معناه مَن عرف نفسه بالضعف والافقار إلى الله والعبودية له عرف ربّه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى"، وقال العارف ابن عطاء الله في لطائف المنن: "سمعتُ شيخنا أبا العباس المرسي يقول: في هذا الحديث تأويلان، أحدهما: أي مَن عرف نفسه بذُلّها وعجزها عرف الله بعزّه وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولًا ثم معرفة لله من بعد، والثاني: أن مَن عرف نفسه فقد دلّ منه على أنه عرف الله من قبل، فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين"؛ انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، تحقيق د. عبد الهادي التازي، الرباط، ص 19.

[184] هو الإمام الكبير العلامة أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الجورائي الغفجومي البربري الصنهاجي الزناتي الفاسي المالكي، ولد بمدينة فاس سنة 365 الهجرية [الموافق ب سنة 975 الميلادي]، فعاش أبو عمران الحورائي في مدينة فاس، وأنه نشأ في بيئة علمية، فحفظ القرآن برواية ورش، فدرس العلوم عند علماء القيروان كالشيخ أبي الحسن اللواتي السوسي والشيخ علي المعافري القباسي ثم ينتقل إلى قرطبة في الأندلس ودرس عند الشيخ عبد الله الأصيلي والشيخ أبي عثمان سعيد بن نصر والشيخ أبي القاسم الحبيب والشيخ أبي الفضل أحمد البزاز التاهرتي، ثم ينتقل إلى المشرق نحو مصر غي سنة 397 الهجرية وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن أحمد الوشا والشيخ أبي الحسن بن أبي جدار والشيخ أحمد بن ثور القاضي، ثم ينتقل الشيخ أبو عمران الجورائي إلى بغداد في سنة 399 الهجرية، وأخذ العلم عن الإمام الباقلاني والشيخ أبي الفتح الفوراس والشيخ علي بن إبراهيم المستملي وغيرهم، وأما تلاميذ الشيخ أبي عمران الجورائي فهم: الشيخ محمد بن طاهر الشهيد القيسي التدميري والشيخ عبد الله بن رشيق القرطبي والشيخ أبو حفص عمر بن محمد التميمي العطار القيرواني وغيره، وأما الكتب للشيخ أبي عمران الجورائي فصنف: التعليق على المدونة الكبرى والفهرسة وكتاب النظائر في الفقه المالكي وكتاب الدلائل والأضداد والكتاب المذكور عقيدة الموحدين المسمى أيضا مقدمة في العقائد، وتوفى الشيخ أبو عمران الجورائي يوم الثلاثاء 13 من رمضان سنة 430 الهجرية [الموافق بسنة 1040 الميلادي]؛ انظر أبو عمران الفاسي ودوره في خدمة المذهب المالكي، للدكتور علال بن عمر وبلقاسم حديد وعبد النور خليفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2020.

[185] الاقتياس الكامل للشيخ أبي عمران الجورائي من كتابه المذكور هو ما يلي: "بالمخلوقات يعرف الخالق كما أن بالمصنوعات يعرف الصانع، كان الله لك ولياً ونصيرًا، في كل لحظةٍ وأعانك على نفسك وكفاك كل مئونة وقرن بك أبدًا الهدى والمعونة آمين"، قال القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "اعلم إن هذه المعرفة النظرية، وهي أقوى الطرائق في إثبات الإله وثبوت وحدانية، وهي المستندة إلى دلائل العقل، وليس القصد فيها بالإفضاء إلى تعيين المعبود، بل إلى إثبات الإله وصفات الألوهية الواجبة له بالإيجاب العقلي وواجب على كل مكلف أن يكتسب من هذه المعرفة ما تصحّ به عقيدته ويخرجه به عن حكم التقليد الخبري، وذلك حاصل بالجزء اليسير منها من النظر في المخلوقات وافتقارها إلى الصانع القدير، وبها يتميز الموحد من المشرك، وحاصل ما يستفاد بها سبعة أمورٍ: [1] اثبات الإله، [2] والوحدانية، [3] وصفات الكمال، [4] والحيوة، [5] والإرادة، [6] والعلم، [7] والقدرة، إذ بها تتمّ الصنيعة له، وهذا القدر اليسير من النظر حاصل بحمد الله لكل عاقل نشأ في بلاد الإسلام، لأنه يستدلّ بجميع ما رءاه من عجائب المخلوقات وبدائع الأشياء على وجود البارئ تعالى

وَأَمَّا الضَّرَّرُ[186] قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.[187]

وألوهيته وانفراده بالخلق والتدبير، وذلك كاف له بلا شك، ومخرج له من ورطة التقليد المختلف في حكم صاحبه، والآيات الأمرة بهذا النظر لا تحصى في القرآن، ويكفي في جميع ذلك ما ذكرناه، وأما النظر بطريق المتكلمين من اثبات المقدمات، ثم انتاج البراهين عنها بالطريق المصطلحية بينهم، فلا خلاف أنها غير مفروضة على كل أحدٍ، إنما وضعتْ ردًّا على الفرق الضالّة الطاعنة في العقائد السنية، وكل من كفر أحد العدم نظره على تلك الطريق فقد باء بها على نفسه، إنما المفروضة النظر القريب اليسير بالخلق على الخالق، وذلك حاصل لكل عاقل، وإن لم يعرفْ طريقَ المتكلمين، ولم يقف على اصطلاحاتهم، فاعلم ذلك وتحقّقه، ولو لا ذلك لبطل اقتداءنا بالسلف الصالح لعدم اطلاعهم على تلك المصطلحات وعدم وقوفهم عليها قبل ظهور البدع والضلالات الموجبة لتصنيفها ووضعها عند المتأخرين"، اه؛ انظر الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية للشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، دار ابن حزم، بيروت.

[186] قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "الضُّرُّ ويُضَمّ لغتان: ضِدّ النَّفْع، أَو الضَّرّ بالفَتْح: مَصْدَر، وبالضَّم اسْمٌ، وقيل: هما لغتان كالشُّهْد والشَّهْدِ، فإذا جَمَعْتَ بين الضَّرّ والنَّفْعِ فتحتَ الضادَ، وإذا أَفردْتَ الضُّرَّ ضَمَمْتَ إذا لم تستعملْه مصدراً، كقولك: ضَرَرْتُ ضَرّاً، وقال أَبو الدُّقَيْش: كُلُّ ما كان من سُوءِ حال وفَقْرٍ أَو شِدّةٍ في بَدَنٍ فهو ضُرٌّ، وما كان ضِدّ النَّفْع فهو ضَرٌّ، يقال: ضَرَّهُ يَضُرُّه ضَرّاً، وضَرَّهُ به، وأَضَرَّهُ إِضْرَاراً، وأَضَرَّ بِهِ، وضَارَّهُ مُضَارَّةً، وضِرَاراً بالكَسْرِ، وبه فُسِّرَ الحديثُ: ((لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ))، أَي لا يَضُرُّ الرَّجلُ أَخاهُ فينْقُصه شَيْئاً من حقّه، ولا يُجَازِيه على إِضْرارِه بإِدخالِ الضَّرَرِ عليه، وقيل: هُما بمعنًى، وتكرارُهما للتَّأْكِيدِ، والمُضارّة في الوَصِيّة : أَن لا تُمْضَى أَو يُنْقَصَ بعضُها ، أَو يُوصَى لغَيْرِ أَهْلِهَا ، ونحو ذلِك ممّا يُخَالِف السُّنّةَ، والضّارُورَاءُ: القَحْطُ والشِّدَّةُ، والضَّرَرُ وسُوءُ الحال، والصواب: والضَّرَرُ: سُوءُ الحالِ، كما في اللِّسَانِ وغيره، والضَّرَرُ: النِّقْصَانُ يَدْخُلُ في الشَّيْءِ، يقال: دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في مالِه، والضَّرّاءُ بالمد: الزَّمَانَةُ، ومنه الضَّرِيرُ بمعنَى الزَّمِنِ، والضَّرّاءُ نقيضُ السَّرّاءِ، وفي الحديث: ((ابْتُلِينَا بالضَّرّاءِ فصَبَرْنَا، وابْتُلِينَا بالسَّرَّاءِ فلَمْ نَصْبِرْ))، قال ابنُ الأَثِيرِ: الضَّرّاءُ: الحالةُ التي تَضُرّ، وهي نَقِيضُ السَّرّاءِ، وهي: الشِّدَّةُ والفقرُ والعذابُ، وقوله تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرّاء﴾، [سورة الأنعام: 42]، قيل: الضَّرّاءُ: النَّقْصُ في الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ كالضَّرَّةِ والضَّرَارَةِ، بفتحهما، ونقلَ الجوهَرِيّ عن الفَرّاءِ قال: لو جُمِعَ الضَّرّاءُ والبَأْساءُ على أَضُرٍّ وأَبْؤُسٍ، كما يُجْمَع النَّعْماءُ بمعنى النِّعْمَة على أَنْعُمٍ لَجازَ، وقال أَبو الهَيْثَم: الضَّرَّةُ: شِدَّةُ الحَال فَعْلَةٌ من الضَّرّ، والضَّرِيرُ كأَمِير: الرجُلُ الذّاهِبُ البَصَرِ، ومصدره الضَّرَارَةُ، أَضِرَّاءُ وهو مَجَاز، ومنه حَديثُ البَرَاءِ: ((فجَاءَ ابنُ أُمِّ مَكْتُوم يَشْكُو ضَرَارَتَهُ))، والضَّرَارَةُ هنا: العَمَى، وهي من الضَّرّ: سُوءِ الحَالِ، فتبرز هذه الحالة عندما ينقطع أمله من المخلوقات ويأس من الأسباب، فيتوجه بكليته إلى الله تعالى، فالضرر من أسْباب معرفة الله تعالى"، انتهى كلام الشيخ محمد مرتضى الزبيدي ملخصًا؛ فالحصول على معرفة الله تعالى من سبب الضرر هو نفس الحصول على معرفته تعالى من خلال تجربة جلالة الله، وقال المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"فَالْعَبْدُ إِن يَمْسَسَهُ وَصْفَ الضُّرَّرِ * عَرَفَ رَبَّهُ بِغَيْرِ نُكَرِ
يَحْصَلُ مِنْ دَلَائِـــلِ الْأَفَـــاقِ * وَأَنْفُسِ مَعْرَفَةِ الْخَلَّاقِ".

فقال القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن مصطفى في معرفات الحق: "أن معرفة الله الحاصلة بالجلال جلال الله وصفاته القاهرية وأثارها في العالم هي الوقائع التي لا طاقة للإنس بدفعها ولا بالفوز منها، وذلك كالأمراض والمصائب والهموم والأحزان من الفقر والذلّ وغيرها، ومنها خذلان الله لمن يشاء من عباده بتيسيره للمعاصي والبدع والكفر للنعم ليترتب عليه بذلك ما لا

Institute of Islamic-African Studies International

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.[188]

يطاق من أنواع العذاب وضروب الانتقامات في دار الغضب والهوان، عاذنا الله من ذلك، وإن الإنسان إذا نظر إلى ما يعتريه من هذه الأحوال والشدائد والنوازل ولا طاقه له بدفعها علم قطعًا، أن له ربًّا فيستفيد بذلك معرفة الله من حيث صفاته الجلالة كما استفاد من تلك معرفة الله من حيث صفاته الجمالية، ويستشعر بذلك عظمة مولاه وفاطره، قال تعالى: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، فمن نظر هذا امتلأ قلبه من رهبة الله وخشيته، فشمر لعبادة ربّه وخاف مقام ربّه ونهي النفس عن الهوى، واعلم إن جميع هذه الطرق مفادها العقل اعني أنه يرد بأمرها الشرع لا اهتدى العقل إلى اقتنائها واكتسابها، فاعلم ذلك"، اه، انظر تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، الجزء 12، ص 384-386، وانظر أيضا معرفات الحق للقطب الغوث العارف الشيخ عبد القادر بن مصطفى بن محمد الترودي، المخطوطة عن المحقق، الورقة 10.

[187] سورة النحل: 53-55، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾، أصابكم الفقر والمرض، والمشوش لنفوسكم، القاسي لقلوبكم، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾، تتضرعون وترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء لا إلى غيره، وتستغيثون ليدفع عنكم أذاكم إذ لا ضار أيضًا، وأصل لإلا هو سبحانه وتعالى، فالجؤار رفع الصوت الشديد، ومنه جؤار البعير، والمعنى أن كلّ نعم حصلتْ لكم ودامتْ لكم، فهي منه، وإذا عرض لكم ضرّ في بعض الأوقات فلا تفزعون إلا إليه إذْ قد علمتم أنه لا قادر على كشفه إلا هو، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾، بعد استغاثتكم ورجوعكم نحوه، إذ لا كاشف سواه، ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾، أي فجاء طائفةٌ ﴿مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ﴾، الذي يدفع أذاهم ويكشف ضرّهم، ﴿يُشْرِكُونَ﴾، له غيره من الأصنام والتماثيل العاطلة التي لا يملكون لأنفسهم نعفًا ولا ضرًّا فكيف لغيرهم؟! فهذا الفريق هم الكفار لأن قوله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ} شاملٌ للمؤمن والكافر، وإنما فعلوا ذلك وأشركوا ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾، من النعم، ولم يقوموا بشكرها عنادًا ومكابرةً، بل أسندوها إلى ما لا شعور لها أصلًا ظلمًا وزورًا، فكان الواجب عليهم شكرها كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وإنكار كونها من الله إذْ ينسبون كشف الضرّ إلى أصنامهم، أو اللام للعاقبة أو الأمر للتهديد كما في قوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾، باجتماعكم على عبادة الأصنام أو باللذات التي جعلها الله لكم أمر تهديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، عاقبة ذلك، وسوف تعلمون ما تكسبون لنفوسكم من العذاب المخلد والعقاب المؤبد؛ فهذه الآيات تدلّ على أن وقوع الضرر هو أحد أسباب الحصول على معرفة الله تعالى؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثاني، ص 228؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الثاني، ص 475.

[188] سورة الاسرى: 67، ﴿وَ﴾، مما ارتكز في نفوسهم ورسخ في قلوبكم، أنكم: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ﴾، الشدّة، ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، من خوف الغرق عند تلاطم الأمواج، أو بأن عرض لمركبكم ما يوجب كسرها وغرقها، وصرتم فيها حيارى سكارى، بحيث: ﴿ضَلَّ﴾، وغاب عنكم، أو ذهب عن خواطركم كل، ﴿مَن تَدْعُونَ﴾، وتستغيثون منه لو كنتم في البر، وما معكم من الأمتعة والبضاعات، فتعبدون من الآلهة، فلا تدعون ﴿إِلاَّ﴾، استعانتكم واستغاثتكم: ﴿إِيَّاهُ﴾، وحده سبحانه وتعالى، فإنه بذاته لا يغيب عنك، ولا يفارقكم، فإنه لا يزال في ذلك الوقت في خاطركم لعلمكم بأنه القادر على الإنجاء، إذ هو أقرب إليكم من حبلٍ وريدكم، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾، وخلّصكم سبحانه من الغرق ومن تلك المضائق الهائلة، وأوصلكم: ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾، عن توحيده سبحانه وتخصيصه بالدعاء، وصرتم متعلقين بما معكم من الأمتعة والأعراض، ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ﴾، في أصل فطرته خُلِقَ ﴿كَفُورًا﴾، جحودًا للنعم كالتعليل للإعراض؛ فهذه الآية أيضًا تدلّ على أن وقوع الضرر هو أحد أسباب الحصول على معرفة الله تعالى؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.[189]

قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ[190] **الشَّعْرَانِيُّ** فِي الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[191] "فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى كَوْنِ مَعْرِفَتِهِ الْحَقّ تَعَالَى وَاجِبَةٌ؟، فَالْجوَابُ: أَنَّ دَلِيلَ ذَلِكَ كَوْنُ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْأُمُورِ اَلَّتِي تَصِلُ الْعُقُولُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَهَاهُ أَمْرٌ وَضَاقَتْ بِهِ الْمَسَالِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَنِدَ إِلَى إِلَهٍ يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ، وَيَتَضَرَّعُ نَحْوَهُ، وَيَلْجَأَ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ بَلْوَاهُ، وَيَسَمُواْ قَلْبَهُ صَعُودًا إِلَى السَّمَاءِ وَيَشْخَصُّ نَاظِرَهُ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ كَوْنَهَا قِبْلَةَ دُعَاءِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، فَيَسْتَغِيثُ بِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ طَبْعًا وَجَبْلَةً لَا تَكَلّفًا وَحِيلَةً، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَدْ يُوجِدُ فِي الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ[192] أَيْضًا، فَإِنَّهَا ظَاهِرَةُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ رَافِعَةٌ رؤوسها إِلَى السَّمَاءِ [عِنْدَ فَقْدَانِ الْكَلَأِ وَالْمَاءِ وَإِحْسَاسِهَا بِالْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ، وَكَذَلِكَ شَهِدْنَا الْأَطْفَالَ

الثاني، ص 258؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الثالث، ص 32.

[189] سورة لقمان: 32، ﴿وَ﴾، من كمال صبر صبار ومن شكر شكور، ﴿إِذَا غَشِيَهُم﴾، وغطاهم، أي علا الكفار، ﴿مَّوْجٌ﴾، عظيم، أي أمواج متراكمة عند هيجان البحر، واستعلى مغلقًا عليهم، ﴿كَالظُّلَلِ﴾، جمع ظلة، وهي كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما، المغطية إياهم من الجبال والسحاب، ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾، الواحد الأحد الصمد، المنجى لهم عن أمثاله، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، منحصرين التوجه والانقياد إليه بلا ميل منهم إلى الأسباب والوسائل العادية، متضرعين نحوه، داعين إليه بلا رؤية الوسائل في البين على ما هو مقتضى التوحيد، أي مخلصين لله لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من شدة الخوف، ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾، سبحانه بفضله من أهوال البحر ومضيقه، وأوصلهم: ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾، وسعة فضائه سالمين غانمين، ﴿فَمِنْهُمْ﴾، حينئذ، ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾، أي معتدلٌ في قصده نحو الحق، غير مائلٍ إلى طرفي الإفراط والتفريط، ومقيمٌ على طريق القصد الذي هو التوحيد، أو متوسطٌ بين الكفر والإيمان، أي مائلٌ عن الاعتدال، منحرفٌ عنه، ومنهم باق على كفره، وفي الكلام شائبة إنكار، ﴿وَ﴾، بالجملة ﴿مَا يَجْحَدُ﴾، منهم، وينكر: ﴿بِآيَاتِنَا﴾، الدالة على وحدة ذات الله وكمال أسمائه وصفاته، ومن آيته الإنجاء من الموج، ﴿إِلَّا خَتَّارٍ﴾، غدار ينقض العهد الفطري والميثاق الجبلي، أو البحري، ﴿كَفُورٍ﴾، لنعم الله المترادفة المتوالية؛ فهذه الآية أيضًا تدلّ على أن وقوع الضرر هو أحد أسباب الحصول على معرفة الله تعالى؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الثالث، ص 225؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الرابع، ص 49-50.

[190] هنا انتهى الورقة 39 في المخطوطة: ب.

[191] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[192] هنا انتهى الورقة 40 في المخطوطة: ب.

عِنْدَ الْبَلْوَى يَرْفَعُونَ مِسْبَحَتَهُمْ نَحْوَ السَّمَاءِ]،[193] هَذَا كُلُّهُ مَرْكُوزٌ فِي جَبْلَةِ الْحَيَوَانَاتِ، فَضْلًا عَنِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ، وَهِيَ الْفِطْرَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ[194] قَدْ ذَهَلُواْ عَنْ ذَلِكَ فِي حَالَةِ السَّرَاءِ، وَإِنَّمَا يَرْدُونَ إِلَيْهِ فِي الضَّرَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾".[195]

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: "فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ قَوْلُهُ ﷺ:[196] ((عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ))، فِيْهِ نَهيٌ عَنِ الْاِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِي أَمْ لَا؟"، فَالْجَوَابُ: لَيْسَ فِي ذَلِكَ نَهْيٌ عَنِ الْاِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِي، وَإِنَّمَا هُوَ تَنْبِيهٌ عَلَى اِسْتَصْحَابِ تِلْكَ الْحَالَةِ اَلَّتِي غَفَلَ عَنْهَا أَصْحَابُ السَّلَامَةِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالشَّبَابِ.[197]

---

[193] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[194] هنا انتهى الورقة 15 في المخطوطة: ا.

[195] انظر الحاشية السابقة رقم # 138 لتفسير هذه الآية، ثم ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني حكاية عن الإمام جعفر الصادق إذ قال: "وحكي أن رجلًا أنكر الصانع عند جعفر الصادق، ففتح له باب الاستدلال، فلم يضع إليه، فقال: ركبتَ السفينة قط؟ قال: نعم، انكسرت بنامرة، فطلعتُ على لوح إلى الساحل، فانفلتْ مني اللوح حين طلعتُ إلى الساحل، فقال له جعفر: لما ذهب عنك اللوح كنت ترجو السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الأسباب؟ فسكت الرجل، فقال له جعفر: الذي رجع السلامة منه هو الله الذي خلقك، فأسلم الرجل"؛ انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 80.

[196] هنا انتهى الورقة 41 في المخطوطة: ب، والورقة 42 في المخطوطة ا مفقودة.

[197] وقال الحافظ محمّد بن طاهر بن أحمد المقدسيّ في كتابه تذكرة الموضوعات في الحديث المذكور: ((عَلَيْكُمْ بِدِيْنِ الْعَجَائِزِ)): "ليس له أصل من رواية صحيحة ولا سقيمة إلاّ لمحمّد بن عبد الرحمن البيلمانيّ بغير هذه العبارة له نسخة، كان يُتَّهم"، ولكن روي الديلميّ مرفوعاً: ((إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَاخْتَلَفَتْ الْأَهْوَاءُ، فَعَلَيْكُمْ بِدِينِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالنِّسَاءِ! قِفُواْ عَلَى ظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ إِلَى المَعَانِي الدَّقِيقَةِ! أي فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَفْهَمَهَا))، وذهب جماعة من العلماء كالشيخ البهائيّ وتلميذه الفاضل الجواد والفاضل المازندرانيّ إلى أنّ أصل تلك الكلمة من كلام سفيان الثوريّ من متصوّفة العامّة، وقال القوشجيّ في شرح التجريد: "إنّ عمرو بن عبيدة لمّا أثبت منزلة بين الكفر والإيمان، فقالت عجوزة: "قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، فلم يجعل الله من عباده إلاّ الكافر والمؤمن!"، فقال سفيان الثوري: "عليكم بدين العجائز!"، فمعنى القول: "عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ"، هو الأمر بالانقياد المحض لا النهي عن النظر، فيشير إلى مقال: "وَعَلَيْكُمْ بِدِينِ العَجَائِزِ"، أي لا تسعي وتجتهد وتكدح في طريق معرفة ‘لم التوحيد، ولا تعتقد بأنّ التفكّر في معرفة الله ممنوعة، وأنّ هدف سفيان الثوري من هذا القول هو كما أن لا قدرة للعجائز على التفكّر والاستدلال، فكونوا أنتم أيضاً كذلك، أي أن لا تسعوا في طلب المعرفة بالعقلية، واكتفوا بمجرّد التقليد، فأنّ المراد الجدال بالباطل، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقّ﴾، لا المراد الجدال بالحقّ، لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فذكر حال العجائز لأنهن بقين على الفطرة و سلمنّ من الشك والارتياب، ولزمنّ الصراط، وثبتنّ على السبيل، فرجى لهنّ أن يكتب الله تعالى في قلوبه الإيمان، و يؤيدهنّ بروح منه، فلهذا يتمنى أن يعود إلى مثل حالهن، وقال الحافظ ابن حجر في لِسَان الْمِيزَان: "من الْتزم دين الْعَجَائِز فَهُوَ الفائز"،

وَنَقَلَ الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْقَزْوِينِيُّ[198] أَنَّهُ رَوَى فِي كِتَابِ دِيَانَاتِ الْعَرَبِ: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ:[199] ((كَمْ لَكَ مِنْ إِلَهٍ؟))، فَقَالَ: عَشَرَةٌ، قَالَ: ((فَمَنْ لِغْمُكَ وَكَرْبُكَ وَدَفْعُ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ إِذَا نُزِلَ بِكَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ؟))، فَقَالَ: اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((فَمَا لَكَ يَا عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ! مَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ؟!))، فَأَسْلَمَ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾"، اِنْتَهَى.[200]

واعلم، أنّ حقيقة مضمون هذا القول من سفيان الثوري، هو أنّه يجب علينا وفي جميع الاحكام الشرعيّة، بدءاً من الاوامر، حتّي النواهي التي تشكّل هيكل الدين، أن نتقيّد بتنفيذها، كما تفعل العجائز، وأن لا نشرك العقل أو هوي النفس فيها، وأن لا نفسّر الأُمور على خلاف ظاهرها، إلاّ إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لانّ تأويل الاحكام الشرعيّة ليس مرجعها العقل وحده، وليس معني ذلك ترك التفكّر في معرفة الله، والكفّ عن الطلب، والقبوع في بيت التقليد المحض مثلما تفعل العجائز، فالمقصود بـ"عَلَيْكُمْ بِدِينِ العَجَائِزِ"، ليس أن تكونوا في الدين تابعي العجائز، بسبب أنّهن ناقصات دين، كما أخبر الرسول صلّي الله عليه سلم عنهنّ، فلهذا يكون المراد منه، الانقياد للأوامر، وترك النواهي، وعدم التأويل على حسب الاهواء النفسانيّة، تماماً كما تفعل العجائز، فالمراد به التفويض إلى الله سبحانه فيما قضاه وأمضاه، والانقياد له فيما أمر به ونهى عنه لا الكف عن النظر والاقتصار على مجرد التقليد؛ انظر تذكرة الموضوعات، للشيخ محمد طاهر بن علي الهندي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1354 هـ، ص 40، ط 2.

[198] انظر الحاشية السابقة رقم # 121 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[199] أما عمران بن حصين فهو الصحابي الجليل أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن خالد الخزاعي الكعبي رضي الله عنه، وأما إسلامه المذكور حين قال له رسول الله ﷺ: ((كَمْ لَكَ مِنْ إِلَهٍ؟)) فكان هذا في عام خيبر سنة سبع للهجرة، فكان سبب إسلام عمران بن حصين يفيد العلم بوجود الخالق بذكر نعمه عليه، ولما أسلم بايع الرسول ﷺ على الإسلام والجهاد، وكان حاله حال الصحابة الكرام الذين زهدوا في الدنيا، فقد كان عمران بن حصين مجاب الدعوة محبوبا من الكل حتى الملائكة، فكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وكان صادقًا مع الله ومع نفسه ورعًا وزهادًا، يتفانى في حب الله وطاعته، كثير البكاء والخوف من الله، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، وبعثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى البصرة ليعلم أهلها أمور دينهم، ولاه أمير البصرة، ومات بها رضي الله عنه سنة 52 الهجرية.

[200] سورة الغافر: 84، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾، أي شدة ضرائنا وعذابنا من الفقر والجوع والبلاء والمرض في النفس والمال في الدنيا، ﴿قَالُوا﴾، متذكرين دعوة رسلهم متحسرين على ما فوّتوا على أنفسهم ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، على الوجه الذي هدانا إليه رسله، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾، من الأصنام والأوثان، وسائر ما عبدنا من دونه سبحانه، هذه الآية دلت على أن الضراء والمصاعب والبلاء والآلام تفتح قلوب العباد على حقيقة توحيد الله وربوبيته؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معنى التنزيل، الناشر الحاج محمد طى أغى، صكتو، الجزء الرابع، ص 62؛ وانظر أيضا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار الكتب العلمية، 2014، الجزء الرابع، ص 335-336.

وَلِأَجْلِ أَنَّ الضُّرَّرَ كَانَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعْرِفَةِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيا فِي مُحْصَلِ الْمَقَاصِدِ:[201]

"فَالْعَبْدُ أَنْ يَمَسَّسَهُ وَصْفَ الضُّرِّ * عَرَفَ رَبَّهُ بِغَيْرِ نُكَرِ".[202]

وَلِذَلِكَ قَالَ اَبْنُ عَطَاءِ اللَّهِ فِي الْحِكَمِ:[203] "إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجِهَةً مِنَ التَّعْرُفِ فَلَا تَبَالُ مَعَهَا إِنْ قِلَّ عَمَلَكَ".[204]

---

201 انظر الحاشية السابقة رقم # 42 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

202 قال الشيخ أحمد بن علي المنجور في شرح محصل المقاصد: "فحيثما كان العجز أشد كان اليقين أوفر واكد، وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه لا سيما أمن يجيب المضطر إذا دعاه، والمعارف التي تحصل من تعريفات أحوال الاضطرار أشد رسوخا في القلب من العارف التي هي نتائج الأفكار في حال الاختيار"، وقال أيضا بعد قليل: "باب التعرف ما يصاب به الإنسان من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من كثير من أعمال البر، فإن مراده أن يستمر بقاؤه طيب العيش ناعم البال، ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة حال المترفهين المتودعين، فلا تسخو نفسه إلا بالأعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة، ومراد الله منه أن يظهره من أخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الدميمة ويخرجه من أسر وجوده إلى متسع شهوده، ولا سبيل له إلى الوصول إلى هذا المقام على غاية الكمال والتمام إلا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده، وتكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الأعمال الظاهرة، فإذا فهم هذا علم أن اختيار الله له ومراده من خير له من اختياره لنفسه، ومراده لها قوله وجه الدليل ذاك عين الافتقار البيت أي واضح الدليل وبينه عين الافتقار والحاجة والعجز عن جلب أكثر المنافع ودفع أكثر المضار، فتتوق نفس الإنسان لأمور، ولا يقدر على تحصيلها وتنزل به أنواع من البلايا والشدائد، ويعجز عن دفعها فوجه الدليل مبتدأ، وذاك مبتدأ ثان خبره عين الافتقار، والجملة خبر المبتدأ الأول، والاشارة بالبعيد للتعظيم قوله طوعًا وكرهاً أسلم الخلائق البيت أي انقادوا لله تعالى وأدعنوا وسلموا له الربوبية والدليل راجع للطوع والاضطرار الصادق راجع للكرة قوله تحصل به معرفة أي تحصل معرفة الله بمس البلايا حال كونها معرفة أي قصد بالبلايا تعريفها واضطرار العبد إليه"، اه؛ فروى مسلم عن صهيب قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ سَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))، فالضرر والبلاء وغيرهما سببا في الرجوع إلى الله ومعرفة ربوبيته، وتكون المصيبة سببا في الوقوف بباب الله والتضرع والاستكانة والدعاء إليه، فإن الله ليبتلي العبد وهو يحبُّه ليسمع تضرُّعَهُ ودعاءه، فكم من عبدٍ لما نزل به بلاء قام لينفض عنه غبار الغفلة، ويرفع يديه بالدعاء والإنابة والتوبة متضرعًا لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، وكان بعض أولياء الله من السلف إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد والبلايا لم يحب تعجيل إجابته خشية أن يقطع عما فتح له من معرفته، فإن الله تعالى يعامل عباده معاملةً من ليس كمثله شيء في أفعاله كما ليس كمثله شيء في صفاته، فإنه ما حرمهم إلا ليُعطيهم، ولا أمرضهم إلا ليشفيهم، ولا أفقرهم إلا ليُغنيهم، ولا أماتهم إلا ليُحييهم، فالله تعالى يبتلي العباد ليفتح لهم بابًا من أبواب العبادة والمعرفة؛ انظر مختصر نظم الفرائد ومبدى الفوائد لمحصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور، ص 91-92، انظر أيضا حكم وفوائد الابتلاء وأسباب الصبر على البلاء للشيخ ندا أبو أحمد، شبكة الألوكة: www.alukah.net، ص 6-7.

[203] هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله ، المعروف بابن عطاء الله السكندري المالكي الشاذلي، ولد في سنة 658 الهجرية [الموافق بسنة 1260 الميلادي]، وهو أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية، وفي أول حاله كان منكراً على أهل التصوف، فكان يقول: "من قال أن هناك علمًا غير الذي بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل"، فعندما صحب شيخه أبا العباس المرسي واستمع إليه تاب وأخذ عنه طريق الصوفية، وأصبح من أوائل مريديه وصار صالحًا عالمًا محقّقًا مجددًا، فيتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب المعارف، وترك الشيخ ابن عطاء الله الكثير من المصنفات والكتب، ومنها هذا الكتاب المذكور الذي هو أهم كتبه الحكم العطائية وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي، فتأملها، وقال له: "لقد أتيت يا بنى في هذه الكراسة بمقاصد الاحياء وزيادة"، ولذلك تعشقها أرباب الذوق لمارق لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيرًا، وتوفى الشيخ ابن عطاء الله كهلًا بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة 709 الهجرية [الموافق بسنة 1309 الميلادي]؛ انظر الحكم العطائية للشيخ ابن عطاء الله السكندري، http://abunashaykh.com؛ ص 3.

[204] أي بأن من خلال سوء الحظ والصعوبات والحوادث المؤسفة يمكن لله أن يفتح أبواب معرفته أفضل من أي وسيلة أخرى، قال العارف عبد المجيد الشرنوبي الأزهري في شرح قول ابن عطاء الله: "يعني إذا فتح لك الفتاح، أيها المريد، وجهة، أي جهة من جهات التعرف، وتلك الجهة كالأمراض والبلايا والفاقات، فإنها سبب لمعرفة الله تعالى بصفاته كاللطف والقهر وغيرهما، والمخاطب بذلك المتيقظ دون المرتبك في حبال الغفلة الذي يسخط عند نزولها، فلا تبال معها أيها المريد أن قلّ عملك أي بقلّة عملك، ...أي لا تغتم مع تلك الجهة ولا تهتم بقلة الأعمال، فإن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: ((إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ فَلَمْ يَشْكَنِي إِلَى عَوَادِهِ أَنْشَطْتُهُ عُقَالِي وَأَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ وَلْيَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ))، يعني أنه يخرج مِن ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولا يحاسب على الأعمال السيئة السالفة"، قال العارف الشيخ أحمد زروق في معنى قول ابن عطاء الله: "وجهة التعريف هي ما يعرفك بجلالة مولاك وحفارة نفسك، وتعرف بها الدنيا وما فيها، والخلق بحقيقة ما هم عليه على وجه ينطبع في سويداءِ قلبك انطباعًا ينصبغ به حتى يكون الإقدام والإحجام على حكمه دون توقف، وليس ذلك إلا لأمور قهرية وغاية أمرها أنها مانعة من إكثار العمل، فإذا قلّ لأجلها وجب أن لا تبالى، لأن الذي أمرك هو الذي قهرك، والكل منه وإليه، فكما وجب امتثال أمره وجب الاستسلام لقهره، وإنما على العبد أن لا يعزم على محظور ولا يفرط في مأمور، فإن قصر به الحال فلا يبالي، وبذلك جرى أمر السنة"، وقال العارف الشيخ أحمد بن عجيبة في شرح قول ابن عطاء الله: "إذا تجلى لك الحق تعالى باسمه الجليل أو باسمه القهار وفتح لك منها بابًا ووجهة لتعرفه منها، فاعلم أن الله تعالى قد اعتنى بك وأراد أن يجتبيك لقربه ويصطفيك لحضرته، فالتزم الأدب معه بالرضا والتسليم، وقابله بالفرح والسرور، ولا تبال بما يفوتك بها معها من الأعمال البدنية، فإنما هي وسيلة للأعمال القلبية، فإنه ما فتح هذا الباب إلا وهو يريد أن يرفع بينك وبينه الحجاب، ألم تعلم أن التعريفات الجلالية هو الذي أوردها عليك لتكون عليه واردًا، والأعمال البدنية أنت مهديها إليه لتكون إليه بها واصلًا، وفرق كبير بين ما تهديه أنت من الأعمال المدخولة والأحوال المعلولة، وبين ما يورده عليك الحق تعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم اللدنية، فطب نفسًا أيها المريد بما ينزل عليك من هذه التعريفات الجلالية والنوازل القهرية، ومثل ذلك كالأمراض والأوجاع والشدائد والأهوال، وكل ما يثقل على النفس ويؤلمها كالفقر والذل وأذية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس، فكل ينزل بك من هذه الأمور فهي نعم كبيرة ومواهب غزيرة تدل على قوة صدقك، إذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف: ((أَشَدُّكُمْ

وَإِذَا فَهِمْتَ ما تَقَدَّمُ ذِكْرَهُ مِنْ أَسْبَابِ مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى اَلَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى النَّاسِ مِنَ الْفِطْرَةِ وَالْمُشَاهِدَةِ[205] وَالتَّوَاتِرِ وَالنَّظَرِ وَالضُّرَّرِ ظَهَرَ لَكَ قَوْلُ الشَّيْخِ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ الْوُسْطَى:[206] "فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَسِئَ الظَّنَ بِإِيْمَانِ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَامِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، إِذْ الْمَعْرِفَةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ، وَلَا أَن نَجْزَمَ فِي حَقِّ أَحَدٍ بِالتَّقْلِيدِ بِمُجَرَّدِ عَجَزَ لِسَانَهُ عَنْ تَقْرِيرِ أَدِلَّةِ الْعَقَائِدِ لِاحْتِمَالِ أَن يَكُونَ عَارِفًا لَكِنَ عَلَى وَجْهِ يُعَسِرُ عَنْهُ التَّعْبِيرُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَعْجِزُونَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ، فَكَيْفَ بِالْعَامَّةِ؟"، اِنتْهَى.[207]

بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، فَالْأَمْثَالُ فَالْأَمْثَالُ))، والصدق متبوع، وإذا أراد الله أن يطوى مسافة البعد بينه وبثين عبده سلط عليه البلاء، حتى إذا تخلص وتشحر صلح للحضرة كما تصفى الفضة والذهب بالنار لتصلح لخزانة الملك، وما زال الشيوخ والعارفون يفرحون بهذه النوازل ويستعدون لها في كسب المواهب"؛ انظر شرح الحكم العطائية للعارف عبد المجيد الشرنوبي الأزهري، www.al-mostafa.com، ص 13؛ انظر أيضًا شرح الحكم العطائية للعارف الشيخ أحمد زروق بن محمد البرنسي، محقق الامام عبد الكريم محمود، دار الشعب، القاهرة، 1405 هـ\ 1985 م، ص 13-14؛ 33؛ انظر أيضا إيقاظ الهمم في شرح الحكم للعرف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، مراجعة محمد أحمد حسب الله، دار المعارف، القاهرة، 1404 هـ\ 1983 م، ص 45-46.

[205] هنا انتهى الورقة 43 في المخطوطة: ب.

[206] انظر الحاشية السابقة رقم # 24 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[207] وذلك بأن لا يجوز يساء الظن بالمسلمين ما لم يظهر الكفر بالقول أو بالفعل، إنه ثابت بالكتاب والسنة والاجماع، أما الكتاب قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنَ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤمِنًا﴾، أما السنة فقد رواه فِي صَحِيحِ البُخَارِي عَنْ ابن عُمَرَ: ((أُمِرْتُ أَنَّ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُواْ أَن لاَّ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤتُواْ الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعلُواْ ذَلِكَ عَصَمُواْ مِّنِي دِماءَهُم وَاَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، وفي الحديث دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم خلافا لمن أوجب تعلم الأدلة، ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره، من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن، ودليلنا أيضا فيه ما قاله كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال ((إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَن قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ شُقَّ بُطُونَهُمْ))، فإن قيل مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد، فكيف ترك قتال مؤدي الجزية والمعاهد؟ فالجواب من ستة أوجه، أحدها: دعوى النسخ بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخراً عن هذه الأحاديث، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى ﴿اَقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾، ثانيها: أن يكون من العام الذي خص منه البعض، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب، فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم، ثالثها: أن يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله: "أقاتل الناس" أي المشركين من غير أهل الكتاب، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ))، فإن قيل: إذا تم هذا في أهل الجزية، لم يتم في المعاهدين، ولا فيمن منع الجزية، أجيب: بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية بدليل الآية، رابعها: أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها، التعبير عن إعلاء كلمة الله

وَظَهَرَ لَكَ أَيْضًا قَوْلُ شَيْخِ[208] الْإِسْلَامِ زَكَرِيَا الْأَنْصَارِيِّ: [209] "عَقَائِدِ الْعَوَامِ صَحِيحَةٌ بِإِجْمَاعِ كُلِّ مُتَشَرِعٍ صَحِيحِ الْعَقْلِ، وَلَوْ لَمْ يَنْظُرُواْ[210] فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِمِينَ"، وَظَهَرَ لَكَ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي بَكْرِ بْنُ فُورُكٍ فِي النِّظَامِ:[211] "إِنَّ الْعَوَامَ كُلَّهُمْ عَارِفُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى"، وَظَهَرَ لَكَ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي مَنْصُورٍ:[212] "أَجْمَعُ أَصْحَابُنَا عَلَى إِنَّ الْعَوَامَ مُؤْمِنُونَ عَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ، وهُمُ حَشْوُ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، وَانْعَقَدُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ"، اِنْتَهَى.[213]

وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل، وفي بعض بالجزية، وفي بعض بالمعاهدة، خامسها: أن يكون المراد بالقتال هو، أو ما يقوم مقامه، من جزية أو غيرها، سادسها: أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام، فسبب السببِ سببٌ، فكأنه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الإسلام، وهذا أحسن، والله أعلم، أما الاجماع فقد انعقد الاجماع على تحريم يساء الظن بإيمان المسلمين ما لم يظهروا كفهرهم قولا أو فعلا، كما يستشهد المؤلف في المقاطع التالية.

[208] هنا انتهى الورقة 16 في المخطوطة: ا.

[209] هو المجدد زين الدين القاضي أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ الخزرجيّ السُّنَيكِيّ القاهريّ الأزهريّ، المعروف بشيخ الإسلام، ولد سنة 824 الهجرية [الموافق بسنة 1421 الميلادي]، كان فقيهًا قضيًّا مقرئًا محدثًا حافظًا متكلمًا لغويًّا منطقًا متصوفًا، واشتهر بكثرة مصنفاته وأهميتها حتى عدّ مجدّد المائة التاسعة، توفى شيخ الإسلام زكريا الأنصاريّ يوم الأربعة ثالث ذي الحجة سنة 926 الهجرية [الموافق بسنة 1520 الميلادي].

[210] هنا انتهى الورقة 44 في المخطوطة: ب.

[211] هو المجدد أبو بكر محمد بن الحسن بن قورك الأنصاريّ الأصبهانيّ الشافعيّ الأشعريّ، ولد في أصفهان سنة 330 الهجرية [الموافق بسنة 941 الميلادي]، هو الإمام المفسر الفقيه الأصولي النحوي الأديب، وصنف الشيخ ابن فورك كتب كثيرة منها الكتاب المذكور النظامي، فهو النظامي في أصول الدين في علم التوحيد وعلم الكلام ألفه للسلطان نظام الملك، وتوفى الشيخ أبو بكر بن فورك شهيدًا، فسُمَّ فمات سنة 406 الهجرية [الموافق بسنة 1015 الميلادي].

[212] هو إمام الهدى أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ السمرقنديّ الأنصاريّ الحنفيّ، ولد في سنة 248 الهجرية [الموافق بسنة 852 الميلادي]، من كبار علماء أهل السنة والجماعة، وهو أحد مجددي الإسلام في عصره، وقد سبق الإمام أبا الحسن الأشعريّ في القيام بهذه المهمة في الدفاع عن العقيدة، وتوفي الإمام الماتريديّ رحمه الله تعالى 333 الهجرية [الموافق بسنة 944 الميلادي].

[213] ونقل الشيخ القزويني في سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسي أجل أصحاب الإمام أبي الحسن لأسعري قال: "لما حضرتْ الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاةُ في داري ببغداد قال لي: أجمع أصحابي، فجمعتهم فقال لنا: أشهدوا عليّ أنّي لا اثول بتكفير أحدٍ من عوام أهل القبلة لأنّي رأيتُهم كلّهم يشيرون إلى معبودٍ واحدٍ والإسلام يشملهم ويعمهم"، وتثبت من أقوال العلماء المذكورين أنه لا يجوز لأحد من المسلمين أن يأخذ سوء الظن بإيمان أحد من المسلمين عامياً كان أو غيره، لأن المعرفة محلها القلب، إلا أن يظهر على لسان امرئ ما يدل على ما كُمِنَ في ضميره من العقائد الفاسدة، فالواجب حينئذ أن يتلطف في تعليمه وارشاده بما أمكن، فقد انعقد الإجماع على أن من أقر بالشهادتين جرت عليه الأحكام الإسلامية، فيناكح ويؤم وتؤكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم ويدفن في مقابرهم، ولم يحكم عليه بالكفر إلا إذا اقترن بقيد في أقواله وأفعاله يدل

اَلْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي بَيَانِ حَدِّ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَبَيَانِ أَخْذِ الْعَقَائِدِ مِنَ أُصُولِ الدِّينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَثْبَتَ تِلْكَ الْأُصُولَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: أَمَّا حَدُّ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ فَهُوَ كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ فِي النُّقَايَةِ:[214] "عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيْهِ عَمَا يَجِبُ اِعْتِقَادُهُ"،[215] وَقَالَ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[216] "هُوَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيْهِ عَمَا يَجِبُ اِعْتِقَادُهُ مِنْ ذَاتِ اللَّهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ وَمَا يَمْتَنِعَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَبَعْثُ الرُّسُلِ وَأَحْوَالِ الْمَعَادِ عَلَى قَانُونِ الْإِسْلَامِ".[217]

على كفره، كالسجود للصنم مثلا أو كإنكار شيء الذي جاء بالدين على ضرورة، وقال المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

" نَقْلُ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورِ * إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ فِي مَسْطُورِ
أَنَّ عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ مُؤْمِنُونَ * وَأَنَّهُمْ بِرَبِّهِمْ هُمْ عَـــارِفُونَ ".

[214] هنا انتهى الورقة 45 في المخطوطة: ب.

[215] قال الإمام السيوطي في بداية النقاية: "الحمد لله مناسبةُ ترتيب العلوم في هذه الكراسة بدأتْ بأصول الدين لأنّه أشرفُ العلومِ وأهم الواجبات، وأوّلُ واجبٍ على المكلف معرفةُ الله تعالى"، وقال في معناه في إتمام الدراية: "أصول الدين : بدأت به لأنه أشرف العلوم مطلقًا لأنّه يبحث عما يتوقف صحة الإيمان عليه وتتماته"، فمعنى قوله: "عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيْهِ عَمَّا يَجِبُ اِعْتِقَدُهُ"، فقال السيوطي في إتمام الدراية: "وهو قسمان: قسم يقدح الجهل به في الإيمان، كمعرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية والرسالة والنبوة وأمور المعاد، وقسمٌ لا يضر، كتفضيل الأنبياء على الملائكة، فقد ذكر السبكي في تأليف له أنه لو مصك الإنسان في مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبي على الملك، ولم يسأله الله تعالى عنه"؛ انظر النقاية في أربعة عشر علما لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الدكتورة فايزة عباس كاظم الادريسي، رابطة الكتاب والأدباء العرب، ص 21–23؛ انظر أيضا إتمام الدراية لقراء النقاية لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ\ 1985 م، ص 4–5.

[216] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[217] قال السيوطي بعده: "ومنهم من يسميه علم الكلام، لأن أول مسألة وقعت فيه مسألة الكلام،"، قال صدر الدين علي بن أبي العزّ الحنفيّ في شرف علم أصول الدين على سائر العلوم: "لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجةٍ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورةٍ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربّها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه، ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ، فَقَدْ قَالَ فِي إِتْمَامِ الدِّرَايَةِ شَرْحِ النُّقَايَةِ[218] عِنْدَ ذِكْرِ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ: "وَلَسْتُ اَعْنِي بِهِ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَهُوَ مَا تُنْصَبُ فِيْهِ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَةُ وَتُنْقَلُ فِيْهِ أَقْوَالُ الْفَلَاسِفَةِ"،[219] وَقَالَ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[220] "وَقَدْ قَسَمَهُ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ إِلَى قِسْمَيْنِ: [1] عَمَلِيٌّ وَهُوَ مَا يَجِبُ اِعْتِقَادَهُ، [2] وَعِلْمِيٌّ لَا عَمَلِيٌّ، وَهُوَ مَا لَا يَجِبُ مَعْرِفَتَهُ فِي الْعَقَائِدِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ رِيَاضَاتِ الْعِلْمِ".[221]

ثُمَّ قَالَ: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْقِسْمَ الثَّانِي لَا يُسَمَى[222] أُصُولَ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُوَ عِلْمُ الْكِلَامِ، وَالْأَوَّلُ إِنْ اَقْتَرَنَ بِهِ نَصَبُ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ مَعَ حِكَايَةِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْفَلْسَفَةِ، فَهُوَ عِلْمُ الْكِلَامِ أَيْضًا، وَإِلَّا فَأُصُولُ الدِّينِ، هَذَا فَرْقُ مَا بَيْنَهِمَا"، ثُمَّ قَالَ: ["حَذَفْتَ الْقِسْمَ الثَّانِي وَأَتَيْتَ بِالْأَوَّلِ،

العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة لكها من أولها إلى آخرها"؛ انظر إتمام الدراية، ص 4، وانظر أيضا شرح الطحاوية في العقيدة السلفية للشيخ صدر الدين عليّ بن علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفيّ، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، 1418 هـ، ص 17.

[218] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى سيرة مؤلف هذا الكتاب، أما الكتاب إتمام الدراية لقراء النقاية فانظر الحاشية السابقة رقم # 215.

[219] قال الشيخ السيوطي قبل ذلك الكلام: "بدأتُ به (أي بأصول الدين) لأنّه أشرف العلوم مطلقاً لأنّه يبحث عما يتوقف صحة الإيمان عليه وتتماته"، قال الشيخ عثمان بن فودي في فتح البصائر: "فأقول وبالله التّوفيق: أعلم أنّ فنّ التّوحيد ينقسم إلى قسمين: أصول الدّين وعلم الكلام، وأصول الدّين من فروض الأعيان، وعلم الكلام من فروض الكفاية،...فأصول الدّين إلهيتها ونبويّتها في القرآن العظيم، وأثبتها النبي ﷺ أيضا في سنّته كما بيّنا ذلك في مرآة الطلاب وعمدة العلماء، ومن أرادها فليرجع إليها والمطلوب الواجب فيها على الأمّة حصول معانيها في قلوب بواسطة القرآن والحديث"؛ انظر فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر للشيخ عثمان بن فودي، https://siiasi.org/digital-archive/shaykh-uthman-ibn-fuduye/fathl-basaair/، ص 10.

[220] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[221] وقال السيوطي بعده: "وقد ميّز بينهما، وضمّ إلى الثاني جملة من علم الحكمة والطبيعي، وافتتح الأول بالخلاف في جواز التقليد في أصول الدين لمناسبة ارتباطه بما قبله، فهو من جنس التخلّص"، وقال الشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسى الاتيومي في شرحه على الكوكب الساطع: "هكذا وعد الناظم أن يشرحه على طريقة أهل السنة من الكتاب والسنة، لكن وقع له مخالفات كثيرة لمذهب السفل متبعًا لمذهب الخلف من التأويل وغيره"؛ انظر شرح الكوكب الساطع لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ص 431؛ وانظر أيضا الجليس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع للشيخ الشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسى الاتيومي الولوي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، 1431 هـ، ص 571.

[222] هنا انتهى الورقة 46 في المخطوطة: ب.

وَهُوَ أُصُولُ الدِّينِ الضَّرُورِيِّ"، ثُمَّ قَالَ:]،[223] "وَإِنَّمَا شَرَحَهُ هُنَا شَرْحًا عَلى طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَلَى وَجْهِ مُفِيدٍ أُسبِقَ إِلَيْهِ"،[224] اِنْتَهَى.[225]

وَأَمَّا بَيَانُ وُجُوبِ أَخْذِ الْعَقَائِدِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ في كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[226] "قَالَ اِبْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْفُتُوحَاتِ: وَلَا يَخْفَى أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ قَاطِعًا بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ عَقِيدَتَهُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا عُدُولٍ إِلَى أَدِلَّةِ الْعُقُولِ مُجَرِدَةً[227] عَنِ الشَّرْعِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ عَقْلِيٌّ".[228]

أَمَّا بَيَانُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَثْبَتَ تِلْكَ الْأُصُولَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَاعْلَمُواْ يَا إِخْوَانِي إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىَ قَدْ أَثْبَتَ جَمِيعَ أُصُولِ الدِّينِ: إِلَاهِيَتَهَا وَنَبَوِيَتَهَا وَسَمْعِيَتَهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ **أَثْبَتَ أُصُولَ الْإِيْمَانِ** بِقَوْلِهِ: ﴿آمَنواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.[229]

---

[223] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[224] هنا انتهى الورقة 17 في المخطوطة: ا.

[225] انظر شرح الكوكب الساطع لجلال الدين السيوطي، ص 571.

[226] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه، هذا المقطع مأخوذ من فصل كتابه المسمى: الفصل الرابع في بيان جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحر في علم الكلام، ص 46.

[227] هنا انتهى الورقة 47 في المخطوطة: ب، والأوراق من 48 إلى 51 في المخطوطة: ب مفقودة.

[228] وقال الشيخ عبد الوهاب الشعرانيّ بعد هذا الكلام من الشيخ الأكبر ابن العربيّ: "وقد بان لك مما ذكرناه أن من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات، فليأخذها من القرآن العظيم كما مرّ، فإنه متواترٌ قطعيٌّ معصومٌ، بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف، وأنظر يا أخي إلى نبينا ﷺ لما قال له اليهود: انسبْ لنا ربّك، كيف تلا عليهم سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلًا واحدًا"؛ وبناءٌ على هذا الحكم يشرع المؤلف الشيخ عثمان بن فودي فيما يلي إثبات البراهين من القرآن المعصوم لكل معتقد من معتقدات الإسلامية، انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 48-49.

[229] فقال الله تعالى ذلك أمرًا شرعًا في أربعة مواضع في القرآن العظيم، فقال الله تعالى في سورة النساء-136: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ، آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾، وقال الله تعالى في سورة الاعراف-158: ﴿فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وقال الله تعالى في سورة التغابن-8: ﴿فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، وقال الله تعالى في سورة الحديد-7: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي نزهه كل شيء، وعدّى باللام ليشعر إيقاع الفعل لله خالصًا لوجهه، وجيءَ بلفظ الماضي في مواضع والمضارع في أخرى دلالةٌ على أن شأن من أسند إليه الفعل الاستمرار به في جميع الأزمان، ولم يُعَدِ الجارّ لكون هذه السورة أطْولُ ما صدّرتْ بالتسبيح وجيء بـ"ما" تغليبًا للأكثر، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾، المتقن في صنعه، فهو حقيق بالتسبيح، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، إيجادًا وَتصرّفًا،﴿يُحْيِ﴾، بالإنشاء،

وَأَثْبَتَ أَرْكَانَهُ[230] بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَ البِرُّ مَنَ أَمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ والنَّبِيئِينَ﴾.[231]

﴿وَيُمِيتُ﴾، بعده، استئناف مقرّر لما تقدم، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾، من الإحياء والإماتة وغيرهما، ﴿قَدِيرٌ﴾، كامل القدرة، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، قبل كل شيء بلا بداية، ﴿وَالْآخِرُ﴾، الباقي بعد فناء كل شيء، أو الأوّل الذي تبتدئ منه الأسباب والآخر الذي تنتهي إليه المسببات، أو الأوّل بالأزلية والآخر بالأبدية، قاله الورّاق، وهو بمعنى الأوّل، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾، وجوده بالأدلة، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾، كنه ذاته لا يحيط به شيء علمًا، وتفسير البطون بعدم إدراك الحواس قصور، بل بطونه عدم إدراك كنهه أزلاً وأبداً حسًا وعقلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قاله في غاية الأماني، والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين من عطف المفرد على المفرد، والوسطى للجمع بين المجموعين من عطف المركب على المركب، ولما أوهم بطونه على الأشياء بطونها عنه كما الشاهد رفعه بقوله:﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، يستوى عنده الظاهر والباطن، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، لتدبير الكائنات: تمثيل، وقد تقدم أمثاله، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾، يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، كالمياه والبذور والأموات، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، كالنبات والمعادن، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، كالأمطار والأقدار والأحكام، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾، يصعد، ﴿فِيْهَا﴾، كالملائكة والأرواح والأعمال، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، بعلمه ﴿أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾، لا ينفك عنكم علمه وقدرته بحال، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، شاهدٌ لا يخفى عليه شيء من الإخلاص والرياء وغيرهما، فيجازيكم عليه، ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه، وإعادة الجلالة دلالة على أن ذلك من لوازم الألوهية ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أعاده ليقر به أمر المعاد كما قرن به المبدأ لأنه كالمقدمة لهما، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فيجازى كلا على حسبه، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، بمكنوناتها من الاسرار والمعتقدات ﴿آمِنُواْ﴾، داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ﴾، واستمروا عليه ﴿وَرَسُولِهِ﴾ أي داوموا واستمروا على الإيمان بمحمدٍ ﷺ، إذ لم يبق لكم شبهة؛ انظر الشيخ عبد الله بن فودي، ضياء التأويل، الجزء الرابع، ص 173-174.

[230] أي اثبت أركان الإيمان، أركان جمع رُكْنٌ من ركن يَرْكَنُ رُكُونًا إذا مال إلى الشيء واطمأنَّ إليه، ومعناه شريعة جوانب الإيمان التي يسند إليها ويقوم بها، فأركان الإيمان ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدرة خيره وشرّه من الله تعالى.

[231] سورة البقرة: 177، فمعناه ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾، في الصلاة، ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، لأنه منسوخ، ﴿وَلَكِنَ البِرُّ﴾، أي ذو البر،﴿مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ﴾، أو برَ من آمن بالله وحده لا شريك له، وأنه لا يستحق بالعبادة والعبودية إلا هو، ﴿وَاليَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي يوما القيامة، ويسمى اليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به والتصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك من أمور المغيبات، ﴿وَالْمَلاَئِكَةِ﴾، يجب على كلّ مكلف الإيمان بالملائكة، أي أن يعتقد أنّ جميع ما في علم الله من الملائكة حقّ ثابت، بأنهم موجودون ومكرمون، وأنهم أجسام لطائف روحانيّة، خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرون، وقادرون على التّشكل بالأشكال الحسنة المختلفة، وهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وهم لا يتزوجون، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، وهم أنواع كثيرة: فمنهم حملة العرش، ، ومنهم رسل الوحي، ومنهم الكتبة، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح، ومنهم الموكلون بالأرزاق والأمطار والبحار، ومنهم الموكلون بالجنة، ومنهم الموكلون بسؤال في القبر، ومنهم الموكلون باللوح المحفوظ والنفخ في الصور، ومنهم الموكلون بالحفظة، ومنهم الموكلون بالصلاة على النبي ﷺ وغيرهم من الملائكة المكرمين، ﴿وَالْكِتَابِ﴾، أي الكتب السماوية، وهي مائة

وَأَثْبَتَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ تَصْدِيقٌ لِجَمِيعِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِجْمَالِ[232] بِقَوْلِهِ: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[233]

وأربعة كتب التي أنزلها الله تعالى، ﴿والنَّبِيِّينَ﴾ والمرسلين، قال الشيخ محمد الوالي الفلاني في المنهج الفريد: "وكل مرسل نبيٌّ وليس كل نبي مرسلًا، وإذا سُئِلْتَ عن الفرق بين النبيّ والرسول، فقل: النبيُّ الذي إذا نبي يقوي دين من قبله، وإذا جاء الرسول يجيء بشرع جديد، وينسخ شريعة وجدها الأنبياء على خلقين، ظواهرهم كظواهر بني آدم، ليمكنهم الأخذ منهم، وبواطنهم كبواطن الملائكة، ليمكنهم الأخذ عن الملائكة، وعدّدهم مائة الف وأربعة وعشرون الفا...وعدد الرسل منهم ثلاث مائة وثلاث عشرة على المشهور"، واختلف من المراد بهذا الخطاب: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، فقال قتادة: ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله ﷺ عن البر، فأنزل الله هذه الآية، قال: وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، فأنزل الله هذه الآية، وقال الربيع وقتادة أيضا: الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي، فاليهود إلى المغرب قبل بيت المقدس، والنصارى إلى المشرق مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليتها، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم فيه، ولكن البر من آمن بالله، وقيل: المعنى ولكن ذا البر، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ﴾، أي ذوو درجات، وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وفرضت الفرائض وصرفت القبلة إلى الكعبة وحدت الحدود أنزل الله هذه الآية فقال: ليس البر كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك، ولكن البر أي ذا البر من آمن بالله، إلى آخرها، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء وسفيان والزجاج أيضا، ويجوز أن يكون "البر" بمعنى البار والبر، والفاعل قد يسمى بمعنى المصدر، كما يقال: رجل عدل، وصوم وفطر؛ انظر ضياء التأويل، الجزء الاول، ص 66.

[232] قال الشيخ عثمان بن فودي في مرآة الطلاب: "وحدّه جمهور علماء السنة رضي الله عنهم الإيمان بأنّه، "تَصْدِيقُ مَا عُلِمَ مَجِيءُ الرَّسُولِ بِهِ ضَرُورة"، قال عبد الرّحمن السيوطيّ في شرح الكوكب: "فالإيمان في اللغة التصديق وفي الشّرعيّ تصديق القلب بكلّ ما علم بالضرورة مجيء الرسول به دون الأمور الاجتهادية".

[233] سورة البقرة: 136، ومعناه ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، أي صدقنا بالله وحده ﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، أي صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ وهو القرآن العظيم، فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به، فكان وإن كان تنزيلا إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت، ﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، من الصحف العشر التي نزل إليه من ربه تعالى، فهو أبو الضيفان إبراهيم الخليل بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليهم السلام، ﴿وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، أي صدقنا أيضا وآمنا بما أنزل إليهم، فهم إسماعيل وإسحاق أبنا إبراهيم الخليل عليهم السلام، وأما يعقوب فهو أبن إسحاق عليهما السلام، ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾، جمع سبط وهو الحافد، وهم الأنبياء من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فهم أثنا عشر رجلا، وهم يوسف، وبنيامين، وروبين، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، ويساكار، وزبولون، ونفتالي، وجاد، وأشار، ولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا أسباطا، وللفرق بينهم وأولاد إسمعيل، فهم يسمّون بالقبائل، والمذكورون بعد إبراهيم لما كانوا متعبدين بصحفه كانت منزلة إليهم أيضاً، كما أن القرآن منزل إلينا، ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَى﴾، أي وآمنا أيضا بالتوراة التي 'تاها الله موسى عليه السلام، وهو موسى بن عمران بن

وَأَثْبَتَ حُدُوثَ الْعَالَمِ[234] بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.[235]

قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ﴿وَعِيسَى﴾، أي وآمنا أيضا وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى بن مريم عليهما السلام، وأمه هي مريم من سلالة داود عليهم السلام، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها بنت فاقوت بن قبيل من العابدات الصالحات، ﴿وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، أي وآمنا أيضا بالكتب السماوية والآيات المذكورون منهم وغير المذكورين، ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾، أي منزلا عليهم، واقرّرنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله لأن جميعها كلامه، وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدق بعضهم بعضا على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته، ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، أي لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعض، ونتولى بعضا، كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرت بغيره من الأنبياء؛ بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه، بعثوا بالحق والهدى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، أي ونحن له خاضعون بالطاعة، مذعنون مخلصون له بالعبودية، وعن الحسن: علّموا أولادكم وأهاليكم وخدامكم أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن ليؤمنوا بهم وبما جاءوا به؛ انظر ضياء التأويل، الجزء الاول، ص 53-54.

[234] معنى حدوث العالم بفتح اللام كما قال الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي: "وهو ما سوى الله تعالى لأن حدوثه يدلّ على وجود مُحْدِثٍ لأنّ كلّ حادث يفتقر إلى مُحْدِثٍ بكسر الدال"، ودليل حُدوثِه في العقلِ مُلازَمتُهُ لِلصفات الحادثةِ مّن حركةٍ وسكونٍ وغيرهما ومُلازمُ الحادثِ حادثٌ؛ انظر مزيد العقائد على دليل القائد للشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجليّ، ترجمة غير منشورة للشيخ محمد شريف بن فريد، معهد سنكرى للدراسات الإسلامية الأفريقية الدولية، باماكو، 1444 هـ\2023 م، ص 72.

[235] أن الله تعالى اثبت أنه خالق كل شيء سواه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى في سورة الانعام- 101-102: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾، فمعناه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، والولد شيء لا محالة، وما كان مخلوقًا له لا يكون ولداً لأنه ملك، وهو ينافي النبوة، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي كما تفرد بخلق الأشياء فكذلك تفرد بالعلم الكامل الشامل، فانسدت أوجه الاحتياج إلى الولد، ﴿ذَلِكُمُ﴾، الموصوف بهذه الصفات للألوهية، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أخبار مترادفة، ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبراً، وأعاد وصف الخالقية لأنه أجلى البراهين، ولذلك يردده كثيراً في القرآن الكريم، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، وحدوه بالعبادة، وهو مسبب عن تلك الصفات وإن كان مستحقاً ذلك لذاته؛ وقوله تعالى في سورة الرعد-16: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ومعناه: ﴿أَمْ﴾، بل أ ﴿جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلقِهِ﴾، صفة شركاء ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾، أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾، فاعتقدوا استحقاق عبادتهم لخلقهم: استفهام إنكار، أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة جعل الخلق موجباً لاستحقاق العبادة، ثم نفاه عن غيره ليكون دليلا على قوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾، في الألوهية، ﴿الْقَهَّارُ﴾، لعباده؛ وقوله تعالى في سورة الزمر-62: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، ومعناه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، من خير وشر وإيمان وكفر رجوع إلى التوحيد بعد توفية مقام الوعد والوعيد حقه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، حافظ رقيب أو متصرف فيه كيف شاء، وقوله تعالى في سورة الغافر-62: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، ومعناه: ﴿ذَلِكُمْ﴾، الموصوف بصفات الألوهية، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقرّرها أو كل بد من سابقه إن جوز البدل من البدل وإلا فالكل من

وَأَثْبَتَ وُجُودَهُ[236] بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.[237]

الأول وقدم "خالق" هنا وأخره في الأنعام لأن خالقية كل شيء دليل توحيده وقد قدم في الأنعام قوله: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فكان نتيجة المقدمتين لا إله إلا هو ثم أردفه بقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، على سبيل التقرير والتوكيد، وهنا لم يتقدم مثله فكان حقه أن يقدم لتكون كلمة التوحيد نتيجة له، والله أعلم بأسرار كتابه، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان إنكار وتوبيخ، قال ولي الله العارف محمد تكر بن محمد الفلاني في كتاب قرى الاحباء: "الخالق هو موجد الكائنات ومبدؤها ومستندها ويقومها، والتخليق إيجاد الممكن وابرازه للوجود، فهو من معاني القدرة"، قال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد القرطبيّ في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته: "فيجب على كل مكلف أن يعلم ويعتقد أن لا خالق ولا فاعل إلا الله وحده لا شريك له، وأن لا واقع إلا بمشيئته، وأن حكم الجواهر والأعراض والخير والشر والأوصاف والصفات وكل واقع بعد إن لم يكن في ذلك سواء، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾".

[236] أي وجود الله تعالى واجب لازم مطلاق في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو تعالى واجب الوجود، فوجوده حقٌّ، وأما سواه وإن كان موجودًا حقًّا فإنه لا حقيقة له من نفسه لأنه مسخرٌ مصرّفٌ، والحق الحقيقي هو الموجود المطلق الغني الغنى المطلق، وأن وجود كلّ ذي وجودٍ يوجد عن وجوب وجوده، وقال المصنف الشيخ رحمه تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ وُجُودِهِ فِي الْعَقْلِ إِخْرَاجُهُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ"، لأن وجود الفعل بلا فاعلٍ مُحالٌ، فالعدمُ مستحيلٌ عليه تعالى، وقال المصنف الشيخ أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ الْوُجُودِ لَهُ تَعَالَى فَوُجُودُ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْدَ أَن لَّمْ تَكُنْ، لِأَنَّ وُجُودَ الْفِعْلِ بِلَا فَاعِلٍ مُحَالٌ"، قال الشيخ الأوجلي في مزيد العقائد: "وبدأ بالوجود لأنه كالأصل إذا الحكم بوجوب الواجبات واستحالة اضدادها وجواز الجائزات فرعٌ عن وجوده تعالى وتقديمه شبيهٌ بتقديم التصويريّ عن التصديق، وكل من ألف في هذا الفن يبدأ به، ولذلك قيل فيه هو الذي لا يمكن الوصف في الموصوف بدونه"، قال الشيخ محمد الوالي الفلاني في المنهج الفريد: "والوجود صفة الأولى من العشرين صفة الواجبة في حقه تعالى، وهي صفة موجودة ليست بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادثِ، غنيةٌ عن المخصص لا الذات"، قال الإمام القرطبيّ في الأسنى: "الحق في صفة الله تعالى معناه واجب الوجود كما ذكرنا، أي بالبقاء الدائم الدوام المتوالي الجامع للخير والمجد، والمحامد كلها والثناء الحسن والأسماء الحسنى والصفات العلى"، فمعنى الحق واجب الوجود الذي اضطر جميع الموجودات إلى معرفة وجوده وألزمها إيجاده إياها، فالحق تعالى هو الموجود الذي ليس بمنتفٍ، فوجوده تعالى المطلق عن كل شيء، المفتقر إليه كل شيء، قال الإمام السنوسي في أم البراهين: "أمّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم، لأنه لو لم يكن له مُحْدِثٌ بل حدث بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين مساويًا لصاحبه راجحًا عليه بلا سبب، وهو محالٌ"، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا حق على الإطلاق إلا الله تعالى، فإنه الموجود الذي لم يزل ولا يزال، وأن يرى نفسه باطلًا ولا يرى غير الله حقًّ؛ هنا انتهى الورقة 51 في المخطوطة: ب.

[237] قاله الله تعالى في ثلاثة مواضعٍ في القرآن، فقال الله تعالى في سورة الحج: 6، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ قَدِيرٌ﴾، وَقال الله تعالى أيضاً في سورة الحج: 62، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، وتتكرر الله تعالى هذه الآية في سورة لقمان: 30، فمعنى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾، الوصفُ بكمالِ وشمولِ القدرةِ وسعةِ العلمِ وعجائب الصنع واختصاص الباري بها مَن بدء خلق الإنسان إلى آخره على النمطِ المذكور وإحياء الأرض كذلك دليلٌ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، الثابتُ الدائمُ الألوهيةُ أي بسببِ أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقّق الأشياء، إذ لا يصلح لها إلا القادر العالم الموجود بذاته، فنبّه سبحانه وتعالى بهذا على أن كلّ ما سواه وإن كان موجوداً حقًّا فإنه لا حقيقةٌ له من نفسه،

وَأَثْبَتَ قِدَمَهُ وَبَقَائَهُ[238] بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.[239]

لأنه مسخر مصرف، والحق الحقيقي: هو الموجود المطلق الغني المطلق، وأن وجود كل ذي وجود سواه عن وجوب وجوده، والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول، وهو الله تعالى، وقيل: ذو الحقّ على عبادِهِ، وقيل: الحقُّ بمعنى في أفعالِهِ، فإن اثبت الوجودَ حقٌّ للهِ تعالى فضدُّهُ مستحيلٌ إليه فهو العدمُ، فمعنى الحقِّ الموجودُ حقيقةُ المتحقّق وجوده وإلاهيته، والحق ضدّ الباطل.

[238] معنى قدمِهِ تعالى أنّه لا أولٌ لوجودِهِ، فوجودُهُ تعالى ليس مسبوقًا بعدمٍ، قال الشيخ أحمد بن العاقل الدمياني في شرح العقيدة الكبرى ملخصاً: "والقدمُ يُطلقُ بإزاءِ معنيَينِ: يطلق على ما توالتْ عليه الأزمنةُ وكرّ عليه الجديدانِ،...ويطلق على ما لم يسبقْ وجوده عدمٌ، وهذا المعنى الثاني هو الذي يجب للبارئ جلّ جلاله لأنّ الزمان عند أهل الحقّ: مقارنةُ متجدّدٍ موهومٍ لمتجدّدٍ معلومٍ إزالةً للإيهام من الأوّل بتقييده بالثاني، فهو بهذا التفسيرِ نسبةٌ بين المتجدّدَيْنِ، والنسبةُ متأخّرةٌ عن المنتسبَيْنِ، والمتأخّر عن المتجدّد متجدّدٌ، ولا متجدّدَ في الأزل، فلا زمانَ في الأزلِ، ووجودُهُ تعالى أزليٌّ"، وقدمُ الله تعالى بهذا المعنى واجبٌ وثابتٌ، وضدُّ القدمِ الحدوثُ، وهو مستحيلٌ على الله تعالى، وقال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ قِدَمِهِ فِي العَقْلِ قُدْرَتُهُ عَلَى إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّ الْحَادِثَ عَاجِزٌ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا"، وقال أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ الْقِدَمِ لَّهُ تَعَالَى فَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا، وَلَوْ كَانَ حَادِثًا لَعَجَزَ عَنْ إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا عَجَزَتْ، كَيْفَ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ؟"، قال الشيخ الأوجلي في معنى قدمه تعالى: "هي عبارةٌ عن سلب العدم السابق على الوجود، ويطلق مجازًا على توالي الازمة على الشيء...فذاته تعالى قديمةٌ بالذات إذ لم يسبقْها شيءٌ، وهي غير محتاجةٍ لشيءٍ"، أمّا صفة البقاء معناه أن الله تعالى لا آخر له، فلا يعتريه فناء، بل البقاءُ ملازمٌ له ابداً، وضدُّ البقاءِ الفناءُ، وهو مستحيلٌ على الله تعالى استحالةً عقليةً وشرعيةً، وقال المصنف الشيخ رحمه تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ بَقَائِهِ فِي الْعَقْلِ ثُبُوتُ قِدَمِهِ لِأَنَّ كُلَّ مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ"، وقال أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ الْبَقَاءِ لَّهُ تَعَالَى فَقَدْ كَفَى فِي ذَلِكَ دَلِيلُ الْقِدَمِ، لِأَنَّ كُلَّ مَن ثَبَتَ قِدَمُهُ اِسْتَحَالَ عَدَمُهُ"، قال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في المنهج الفريد في معرفة علم التوحيد: "أما برهان وجوب القدم له تعالى، فلأنّه لو لم يكنْ قديمًا لكان حادثًا، فيفتقرُ إلى مُحْدِثٍ أو التسلسل، وأمّا برهانُ وجوبِ البقاءِ له تعالى فلأنّه لو أمكن أن يلحقَهُ العدمُ لانتفى عنه القدمُ لكون وجودَهُ حينئذٍ جائزًا لا واجبًا، والجائزُ لا يمكن وجوده إلا حادثًا"، وقال الشيخ الشرقاوي: "لو لم يكن واجب البقاء لأمكن أن يلحقه العدمُ، ولكان جائز الوجود لكن كونه جائزَ الوجود محالٌ، إذ لو كان جائز الوجود لكان حادِثاً لكن كونه حادِثاً محالٌ، إذ لو كان حادِثًا لانْتَفَى عنه القِدم، لكن انتفاء القدم عنه محالٌ لما تقدم من وجوبه له تعالى"، فالقدم ثابت له تعالى وكل ما ثبت قدمه استحال عدمه، فالبقاء هو عدم آخرية الوجود بالله تعالى هو الذي لا لآخر لوجوده، لأنه سبحانه لو كان له آخر لجاز عليه العدم، ولو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم، لأن الجواز إذا ثبت ثبته سابقًا ولاحقًا، لكن القدم أحال سبق العدم، فانتفى جواز العدم مطلقًا، قال الله تعالى: ﴿كُلُ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، قاله الشيخ عبد الكريم الرفاعي في المعرفة في بيان عقيدة المسلم.

[239] سورة الحديد: 3، ومعناه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، قبل كل شيء بلا بدايةٍ، ﴿وَالْآخِرُ﴾، الباقي بعد فناء كلّ شيء، أو الأوّل الذي تبتدئ منه الأسباب والآخر الذي تنتهى إليه المسببات، أو الأوّل بالأزلية والآخر بالأبدية، قاله الورّاق، قال الإمام السنوسي في معناهما: "الموجودُ قبل وجود كل ما سواه والباقي بعد فناء ما عداه، ومِن لازمِهما وجوب وجوده تبارك وتعالى، إذ لو جاز وجوده (تعالى عن ذلك) لكان وجوده حادثًا، فيفتقر إلى مُحْدِثٍ يجب أن يسبق وجوده عليه، ويتأخّر وجوده عن عدمه، فتنتفي

وَأَثْبَتَ مُخَالِفَتَهُ لِلْحَوَادِثِ[240] بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[241]

حينئذ الأولية والأخرية، وهما واجبان له تبارك وتعالى"، فالأول هو الّذي لا ابتداء لوجوده، والّذي هو سابق في وجوده كلّ حادث فيكون وجوده من ذاته ولا علة لوجوده، أو معناه هو قبل كل شيء بغير حدٍّ، فالآية دلت على حدوث مستحيل عليه، فالأول هو الذي لا بداية لأوليته، أما الآخر هو الذي أحاط علمه بكل شيء بدأته قدرته مختتم بإرادته، وكل شيء محدود في علمه، فوصفه الآخر هو بمعنى أنه لا نهاية ولا انقضاء لوجوده، فالآية دلت على فناء مستحيل عليه.

[240] أي مخالفة للمخلوقات، ومعناها أن الله تعالى لا يمكن أن يكون مشابهًا للحوادث في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله، لأنه تعالى لو كان مشابهًا للحوادث الّتي أحدثها وخلقها في أي شيء لكان حادثًا مثلها، ولو كان حادثًا مثلها لما ثبت قدمه، فحدوثه إذاً مستحيلٌ، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ مُخَالِفَتِهِ لِلْمَخْلُوقَاتِ فِي الْعَقْلِ قُدْرَتُهُ عَلَى إِيْجَادِهَا لِأَنَّ مَنْ مِثْلُهَا لَا يَقْدَرُ أَنْ يُوجِدَهَا"، وقال أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ مُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ فَلِأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ شَيْئًا مِنْهَا لَكَانَ حَادِثًا، وَلَوْ كَانَ حَادِثًا لَعَجَزَ عَنْ إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا عَجَزَتْ، كَيْفَ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ؟"، وقال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في المنهج الفريد: "المخالفةُ للحوادثِ صفةٌ سلْبيةٌ تسلب عن الباري سبحانه المماثلةَ للحوادثِ"، وقال الشيخ الأوجلي في مزيد العقائد: "ومنها أي صفاتُ السلوبِ المخالفةُ للحوادثِ، أي لا يماثله تعالى شيءٌ منها مطلقاً، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، وهو سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما، لأن سواه سبحانه وصفاته منحصرٌ فيهما"، وقال الإمام السنوسي في أم البراهين: "وأما برهانُ وجوبِ مخالفتِهِ تعالى للحوادثِ فلأنّه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثاً مثلها، وذلك محالٌ لما عرفتَ قبل من وجوب قدمه تعالى وبقائه"، فأن صانعُ العالَمِ تعالى ليس بعرض لأن العرض صفة العالم، وصانع العالم تعالى ليس بجوهر لأن الجوهر صفة العالم، وصانع العالم تعالى ليس بجسم لأن الجسم صفة العالم، فلا يشبه العالم ولا شيئًا من العالم بوجه من الوجوه لأن المتشابهين هما المتماثلان، فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ من العالم أو من الشيء من أجزائه من جميع الوجوه.

[241] سورة الشورى: 11، ومعناه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أي ليس مثله شيء يناسبه، والمراد من مثله ذاته، وهو نفى لما يماثله على طريق الكناية كقولهم: "مثلك لا يبخل"، أي أنت يريدون نفى البخل عن ذاته على الكناية مبالغة في نفيه عنه، فإنّه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى، ونحوه: "بل يداه مبسوطتان"، فمعناه بل هو جواد من غير تصوير يدٍ ولا بسط لأنّه عبارة عن الجواد، ولذا يستعملونه فيمن لا يد له، فلذلك يستعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له، وقيل ليس كصفته صفةٌ، وقيل الكاف زائدة والأول أولى، ولم يكن أحد مشابهًا لله تعالى في أي شيء، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل بأسمائه وبصفاته على ما بيناه في الكتاب الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وكفى في هذا قوله الحق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقد قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال: ليس كذاته ذاتٌ، ولا كاسمه اسمٌ، ولا كفعله فعلٌ، ولا كصفته صفةٌ إلا من جهة موافقة اللفظ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة، وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة، وقيل معنى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، معنيان: أحدهما أن يكون معناه ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، والثاني أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، قال الشيخ صدر الدين ابن العزّ الحنفيّ: "فإن

وَأَثْبَتَ غِنَائَهُ[242] بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.[243]

الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي، ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، مما أخبرنا به من صفاته، وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه كما قال رسوله الصادق ﷺ في دعاء الكرب: ((اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اِسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اَسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذِهَابَ هُمِّي وَغَمِّي))"، قال الشيخ الأكبر ابن عربي في تفسيره: "﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾، أي ليس مثله سبحانه ﴿شَيْءٌ﴾، يناسبه في الوجود، ويماثله في التحقيق والثبوت، والمراد يقينًا بالمثل المنفي هو ذاته، أي لا يماثله ذاته، فكيف غيره من قولهم: "مثلك لا يبخل" بمعنى: أنت لا تبخل، والمراد: نفي التعدد عنه سبحانه مطلقًا على سبيل المبالغة والتأكيد، فثبت حينئذ ألا موجود سواه، ولا تحقق لغيره، ﴿و﴾، متى ثبت هذا ظهر أنه ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي هو بذاته المنحصر على صفة السمع والبصر، وجميع الأوصاف"؛ انظر ضياء التأويل، الجزء الرابع، ص 74، وانظر أيضا الشيخ عبد القادر الجيلاني، الفواتح الإلهية الجزء الرابع، ص 45-46.

[242] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "غَنِيٌّ عَنِ الْمَحَلِ وَالْمُخَصَّصِ"، أي أن الله تعالى غنيّ عن ذات أخرى لزم لوجوده، وأنه تعالى غنيّ عن فاعلٍ يُخصّصه بالوجودِ، فأنه تعالى استغناء عن سواه وعدم احتياجه إلى غيره في ذاته أو صفاته أو أفعاله، لأنه لو احتاج إلى غيره لكان ناقصًا ولكان حادثًا ولكان غيره مؤثرًا فيه، وكل ذلك مستحيلٌ في حقّه تعالى، فدليل غنائه تعالى عن الذّات في العقل وجود اتّصافه بالقدرة والإرادة والعلم والحيوة لأنّ صّفة الحادث لا تتّصفُ بها، وقال المصنف الشيخ رحمه الله في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ غِنَائِهِ تَعَالَى عَنِ الذَّاتِ فِي الْعَقْلِ وُجُوبُ اِتِّصَافِهِ بِالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ لِأَنَّ الصِّفَةَ لاَ تَتَّصِفُ بِهَا، وَدَلِيلُ غِنَائِهِ تَعَالَى عَنِ الْفَاعِلِ فِي الْعَقْلِ ثُبُوتُ قِدَمِهِ لِأَنَّ الْقَدِيمَ لاَ يَفْتَقِرُ إِلَى فَاعِلٍ"، قال الشيخ الأوجليّ في مزيد العقائد على دليل القائد: "هو الغني عن كلّ ما سواه المفتقر إليه كلّ ما عداه، لأنّه لا يستحق أن يفرد بالعبادة والعبودية إلا مَن كان غنيًّا عن كلّ شيءٍ وافتقر إليه كلّ شيءٍ"، فمعنى غنائه تعالى أنّه قيام بنفسه أي لا يفتقر إلى محلّ ولا مخصّص، وقال المصنف الشيخ رحمه الله في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ فَلِأَنَّهُ لَوْ اِفْتَقَارَ إِلَى مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً، وَلَوْ كَانَ صِفَةً لَمَا اَتَّصَفَ بِالْمَعَانِي وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِمَا لَعَجَزَ عَنْ إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا عَجَزَتْ، كَيْفَ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ؟"، قال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ: "والقيام بالنفس يعني إنّ استغنائه تعالى يوجب له القيام بالنفس، إذ لو لم يكن مستغنيًا بذاته لأحتاج إلى ذات أخرى، أو إلى مخصّص، كيف وقد قام البرهان على وجود استغنائه بذاته والتنزه عن النقائص، يعني أنّ استغنائه تعالى يوجب له التنزه عن النقائص"، قال العارف الإمام محمد بن يوسف السنوسي في عقيدة الكبرى: "وأما برهان وجوب قيامه تعالى بنفسه: فلأنه لو احتاج إلى محلٍ لكان صفةً، والصفة لا تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية، ومولانا جلّ وعزّ يجب اتصافه بهما، فليس بصفةٍ"، وقال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في شرح كلام السنوسي: "يعني أنه لو لم يكن قائمًا بنفسِهِ لاحتاجُ إلى ذاتٍ أخرى يقوم بها، ولو احتاجُ إلى ذاتٍ أخرى لكان صفةً لتلك الذّاتِ، ولو كان صفةً لما اتّصف بصفات المعاني ولا المعنوية، واتّصافه بالمعاني والمعنوية واجب البرهان، فليس بصفةٍ، واتّصافه بالمعاني والمعنويّة دليلٌ على عدم كونِهِ صفةً، وعدم كونه صفةٌ دليلٌ على عدم احتياجِهِ إلى ذاتٍ أخرى، وعدمُ احتياجِهِ إلى ذاتٍ أخرى دليلٌ على وجوبِ قيامِهِ تعالى بنفسِهِ، ووجوبُ قيامِهِ تعالى بنفسِهِ هو المطْلوبُ، فالحمد لِلّه الذي هدانا لما نطلب"، قال الشيخ الأوجليّ في مزيد العقائد: "وقيامُهُ تعالى بنفْسِهِ منْ صفاتِ السُّلوبِ، وهي سَلْبُ اِفْتِقَارِهِ تَعَالى إِلى الْمَحِلِ

وَالْمُخصّصِ، والمحلُ الذاتُ والمخصّصُ الفاعِلُ، ولو كانتْ الجوهرُ أيضًا غِنِيًا عنِ المحلِ، فهو مُفْتَقِرُ اعْظَم افْتِقارٍ إلى المخصّصِ لِذاتِهِ بالوُجُودِ وبالمقْدارِ، وبالصفة بَدَلًا مِن "مقابلها"، ثم هُوَ بعدَ ذلك مُحْتَاجٌ إلى بقاءِ ذاتِهِ وصِفاتِهِ، إذْ لوْ لا بَقَاؤه تعالى لَبَقَائَهُ إلى اجَلٍ شاءَ لِاَنْعَدَمِ في الْحالِ، واعلمْ أن المَوجُوداتَ بالنسبةِ المَحَلِ والمُخصّص على أَرْبعةِ أقسامٍ: [1] قِسْمٌ غنيٌ عن المحل والمخصّصِ، وهو ذاتُهُ تعالى، [2] وقِسْمٌ مفْتقرٌ إليهمَا، وهُوَ العَرَضُ، [3] وقِسْمٌ غنيٌ عن المحل مُفْتقرٌ إلى المخصّصِ، وهو الجرْمُ، [4] وقِسْمٌ موجُودٌ في المحلِ غنيٌ عن الفاعلِ، وهو صفاتُهُ تعالى، واستعمالُ النفسِ بمعنى الذّاتِ وَرَدَهُ لُغَةً في القرآن، قال تعالى: ﴿تَعلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا اَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾، ويذكر الضّميرُ العابدُ لِلذّاتِ، ويُؤَنِثُ"، وذهب الشيخ أبو إسحاق الإسفراينيُ إلى أنّ القائم بالنفس هو ما لا يفتقرُ وجوده إلى أمرٍ آخر غير وجوده، أي أنه تعالى يستغني عن المحلّ والمخصّص.

[243] سورة الفاطر: 15، فقال تعالى في تكملت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فمعناه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ﴾، وغيركم من المخلوقات سوى الله تعالى ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، أي أنتم محتاج إليه ومفتقر إليه بكل حال في ذواتكم وأعراضكم، وتعريف الفقراء البالغة في فقرهم كأنهم لشدّة افتقارهم بضعفهم هم الفقراء، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ﴾، عن كل خلقه على الإطلاق ﴿الْحَمِيدُ﴾، المحمود المنعم على سائر الموجودات، فاستحق عليهم الحمد، ومقصود الكلام التنبيه على أن دعاءهم إلى التوحيد والعبادة لنفعهم لا لاحتياجه، فثبت الله تعالى غنائه في الآيات الكثيرة، منها قوله تعالى في سورة الأنعام–133: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، وقوله تعالى في سورة يونس–68: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى في سورة الحج–64: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقوله تعالى في سورة لقمان–26: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقوله تعالى في سورة محمد–38: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، وقوله تعالى في سورة الحديد–24: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقوله تعالى أيضا في سورة الممتحنّة–6: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فمعنى أنه تعالى الغني احتياج المخلوقات إليه واستغنائه تعالى عن جميع مخلوقاته، وقيل هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم، فهذه الآية دلت على أن الافتقار مستحيل إليه، فالغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل شيء يحتاج إليه وهذا هو الغني المطلق ولا يشارك الله فيه غيره، فأنه تعالى الغني بذاته وصفاته وأفعاله وسلطانه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل المخلوقات محتاج إليه في الإيجاد والإعداد والإمداد، فأنه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضرّه معصية العاصين لاستغنائه عن كل شيء، فمن كمال غناه تنزهه عن النقائص والعيوب وعن جميع ما ينافي استغنائه، قال ولي الله محمّد تكر الفلانيّ رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحباء: فهو الذّي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا يلحقه نقص، فمن عرف إنه الغني استغنى به عن كل شيء، ورجع إليه بكلّ شيء، وكان له بالافتقار في كلّ شيء، والتقرب بهذا الاسم تعلّقا بإظهار الفاقة والفقر إليه ابدا، وخاصيته وجود العافية في كلّ شيء، فمن ذكره على مرض أو بلاء من جسده أو من غيره أذهب الله عنه وفيه سرًّا الغنى ومضى أنه اسم الله الأعظم لمن أهل به.

وَأَثْبَتَ وَحْدَانِيَّتَهُ[244] فِي أُلُوهِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.[245]

---

[244] ومعناه أن الله تعالى واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله، الواحد في كلام العرب له معنيان: أحدهما اسم لمتفتح العدد، فيقال: "واحدٌ اثنانٌ الخ" ويمكن جعله وصفًا لأي شيء يريد، كقولك: "رجلٌ واحدٌ"، "وثوبٌ واحدٌ"، وثانهما الذي لا نظيرٌ له ولا مثيلٌ، كقولك: "زَيدٌ وَاحِدُ العالمِ"، أي لا نظير له في العالم، فمعنى أنه تعالى واحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمالٍ، وبايّن بأحديته جميعُ الموجودات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، بأنه توحّد في ذاته في كمالها وعظمتها وعلوّها على جميع الخلائق، وقال المصنف الشيخ رحمه تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ وَحْدَانِيتِهِ فِي الْعَقْلِ إِيْجَادُهُ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ ثَانٍ لَوَقَعَ التّمانُعُ بَيْنَهُمَا"، وقال أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَّهُ تَعَالَى فَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا لَعَجَزَ عَنْ إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ لِوُجُودِ التَّمَانُعِ، كَيْفَ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ؟"، فالتوحيد والنظام والوحدة التي نشهدها في الوجود دليلٌ على أن صانعها واحدٌ، كما قال الشاعر:

وفي كلّ شيءٍ له آية * تدلّ على أنه واحدٌ

قال الشيخ السنوسي في معنى وحدانيته تعالى: "أي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"، وقال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في معنى قول السنوسي: "الوحدانية صفة سلبية تسلب عن البارئ سبحانه الثاني في الذات والصفات والأفعال، (أي لا ثاني له في ذاته)، وهو التشبيه في حقّنا، فأحرى أن يكون له ثالث، (ولا في صفاته)، أي لا ثاني له في صفاته، هو النظير في حقّنا، فأحرى أن يكون له ثالث، (ولا في أفعاله)، أي لا ثاني له في أفعاله، هو الشريك في حقّنا، فأحرى أن يكون له ثالث، وهو المنفرد بإيجاد الخلق وإعدامه، والتدبير له بلا معالجة، ولا عجز الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرا، فالله تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته وواحد في أفعاله"، وقال الشيخ السنوسي: "وأما برهان وجوب الوحدانية له تعالى فلأنّه لو لم يكن واحدًا لزم أن لا يوجد شيء من العالم للزوم عجزه حينئذ"، قال الشيخ الأوجليّ في مزيد العقائد: "أن الوحدانية تشتمل على ثلاثة وجه: نفي الكثرة في ذاته تعالى وفي صفاته وهو الكم المتصل، ونفي النظير له في ذاته أو صفة من صفاته وهي الكم المنفصل، ونفي المشارك كله في الإيجاد والتدبير، فهو المنفرد بذلك بلا واسطة معالجة، فلا مؤثرٌ سواه في شيء من الأشياء"، فأنه تعالى واحد في وجوده، واحد في قدمه، واحد في بقائه، واحد في قدرته، واحد في إرادته، واحد في علمه واحد في حياته، واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيّته.

[245] سورة الصافات: 4، ومعناه: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾، فهذه الآية جواب القسم، والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف من كلامهم، فمعناه أن إلهكم هو المستغني بذاته وحده، والمفتقر غيره إليه وحده، قاله الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، وهو دليل يقيني على التوحيد، كأنه قيل: انتظام هذا العالم يدل على كون الله واحدًا، فتأملوا فيه ليحصل لكم العلم بالتوحيد لأنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فالواحد هو الذي لا قسم له ولا استثناء منه، وأنه تعالى غير متبعض ولا متجزئ، ولا شبيه له ولا شريك له في أفعاله ولا يعاونه على أمره أحد، وأثبت الله تعالى وحدانيته أيضا في سورة الإخلاص: 1، إذ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، أي الواحد الوتر، وأصل "أحد" وحد، قلبت الواو همزة، فقد ثبت أن التعدد مستحيل له، فالأحد هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد كما قال ابن منظور، وقال الشيخ السنوسي في معنى اسمه الواحد الأحد: "معناهما متقارب، والواحد هو الذي لا يصُحُّ عليه التركيب ولا يقبل الانقسام، ويتعالى على النظير وصفات الأجرام، وحظُّ العبد منهما إفرادُ ظاهره وباطنه لمولاه، فلا يذكر ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتصرف عمومًا بقصد سواه".

[وَأَثْبَتَ قُدْرَتَهُ[246] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[247]

---

[246] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ" أي أن الله تعالى قادر بقدرة بالاختيار على كل الممكنات والمقدورات، إن شاء فعل وإن شاء ترك، فإن القدرة صفة قديمةٌ قائمةٌ بذات الله تعالى، فلا يقع في ملك الله أمرٌ إلا بقدرته وإلا كان عاجزاً، والعجز على الله محالٌ، وقال المصنف الشيخ رحمه الله في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ قُدْرَتِهِ فِي الْعَقْلِ إِيجَادُهُ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يُوْجِدُهَا"، قال شيخ شيوخنا العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني في المنهج الفريد: "والقدرة صفةُ الأولى من سبع صفات واجبة في حقه تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيةٍ مخالفةٌ لصفات الحوادث، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ يتأتى بها إيجاد كلّ ممكن واعدامه"، فيجب على كل مكلّف أن يعتقد أن الله تعالى قادرٌ، له قدرةٌ بها فعل ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره، لأن من لم يكن بالقدرة موصوفاً كان موصوفًا بالعجزِ، فهذا محالٌ، ويجب أيضًا أن يعتقد أنّ للعبد قدرةٌ يكتسب بها ما أقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة، فهذه القدرة الحادثة تنشأ من القادر المقتدر الذي قال الإمام الهروي: "فالله جلّ عزّ قادرٌ مقتدرٌ قديرٌ على كل ممكن يقبل الوجودَ والعدمَ"، قال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني: "والقدرةُ صفة الأولى من سبع صفات واجبةٍ في حقّه تعالى، وهي صفات المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيةٍ مخالفةٌ لصفات الحوادثِ غنيةٌ عن المخصّصِ لا الذاتِ، واحدةٌ يأتي بها إيجاد كلّ ممكن واعدامه"، قال ولي الله محمّد تكر رحمه الله في كتابه قراء الأحباء: "والتقرّب بهذا الاسم القدير تعلّقاً أن يكون به وله في كلّ شيء، فتشكره على أولاك وترفع له فيما به تولاك باللجأ وبالافتقار وتارةً بالاستسلام وترك الاختيار، وتخلّقًا أن تعجز عن شيء من مرادته جهد استطاعتك وتبذل في طاعته غاية قدرتك وقد قالوا: كُنْ في البداية كأنك قدري من شدّة الجدّ وفي النهاية جبري من قوّة الاستسلام والرّضى، وخاصيته إيثار القوّة بإن يذكر مائة بعد صلاة الضحى ركعتين عند ضعفة الظّاهر والباطن يوجد قدرة في أموره، وإن ذكره بعد الوضوء قهر الأعداء وظفر بهم، ووقوع التّدبير من مولاه، فمن قرأه عند انتباهه من نومه عشرا دبر الله فيما يريد حتّى لا يحتاج إلى تدبير فيه".

[247] سورة البقرة: 20، يذكر الله هذه الآية ثلاث عشرة مرة في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومعناه وصفه تعالى بالقدرة عليه، وأجمعت الأمة على تسمية الله تعالى بالقدير، فهو سبحانه قدير قادر مقتدر، والقدير أبلغ في الوصف من القادر، قاله الزجاجي، وقال الهروي: "والقدير والقادر بمعنى واحد، فالله جل وعز قادر مقتدر قدير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم"، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى قادر، له قدرة بها فعل ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره. ويجب عليه أيضا أن يعلم أن للعبد قدرة يكتسب بها ما أقدره الله تعالى عليه على مجرى العادة، فهذه الآية أثبت أن العجز مستحيل إليه، فالقادر هو القدير المقتدر معناهما ذو القدرة إلا أن المقتدر أبلغ في البناء من معنى التكلف والاكتساب فإن ذلك لمقتدر به، وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة، قال الإمام الرازي رحمه الله: "احتج أصحابنا بهذه الآية على أن مقدور لله تعالى خلافاً لأبي علي وأبي هاشم، وجه الاستدلال أن مقدور العبد شيء، وكل شيء مقدور لله تعالى بهذه الآية، فيلزم أن يكون مقدور العبد مقدوراً لله تعالى،...احتج أصحابنا بهذه الآية على أن المحدَث حال حدوثه مقدور لله خلافاً للمعتزلة، فإنهم يقولون: الاستطاعة قبل الفعل محال، فالشيء إنما يكون مقدوراً قبل حدوثه، وبيان استدلال الأصحاب أن المحدث حال وجوده شيء، وكل شيء مقدور، وهذا الدليل يقتضي كون الباقي مقدراً ترك العمل به فبقي معمولاً به في محل النزاع، لأنه حال البقاء مقدوره، على معنى أنه تعالى قادر على إعدامه، أما حال الحدوث فيستحيل أن يقدر الله على إعدامه لاستحالة أن يصير معدوماً في أول زمان وجوده، فلم يبق إلا أن يكون قادرًا على إيجاده"، قال الإمام النسفي قي معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَأَثْبَتَ إِرَادَتَهُ[248] بِقَوْلِهِ: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾.[249]

قَدِيرٌ﴾، "أي إن الله قادر على كل شيءٍ"، وقال الإمام محمد بن شاه الهندي في معنى قول النسفي: "قوله: أي إن الله قادر: فرّق بين القادر والقدير بناء على أن صيغة الفعيل للمبالغة كالرحيم والعليم، فيكون قدير كما نقل الزجاج، وعن الهروي: إنهما بمعنى قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، من تفسير الجلالين على كل شيء شاءه، اه؛ وفي الحشية المسمّاة بـالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخَفِيَّة للعلامة الشيخ سليمان الجمل رحمة الله عليه: قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قيّد بذلك الإخراج الواجب وهو ذاته وصفاته فإنهما من جملة الشيء إذ هو للعلّامة علي القارئ رحمه الله قوله: شاء احتراز عن المستحيل والممتنع، فإن ما لم تتعلّق به المشيئة لم تتعلّق به القدرة"؛ انظر مفاتيح الغيب للإمام الرازي، الجزء الأول، ص 400؛ انظر أيضا مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام أبي البركات النسفي، الجزء الأول، ص 61، انظر أيضا الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي، تحقيق الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433 هـ/2012 م، الجزء الأول، ص 184.

[248] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ وأما قول المصنف الشيخ رحمه الله: "مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ"، أي أن الله تعالى مريدٌ بإرادةٍ شاملةٍ لجميع الممكنات والكائنات، وهو مريدٌ للخير والشرّ، فلا يخرج شيءٌ في الوجود إلا من إرادته، فالإرادةُ معناه القصدُ، وإنها صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذات الله تعالى تشمل جميعَ الممكنات، فلا يُخْلِقُ في مُلْكِ الله أمراً لم يريدْه، فثبت لله تعالى صفةَ الإرادةِ واستحالَ عليه أن يكون مكرهًا، قال المصنف الشيخ رحمه الله في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ إِرَادَتِهِ فِي الْعَقْلِ اِخْتِلَافُ أَنْوَاعِ المخلوقات، وَتَخْصِيصُ بَعْضِ الْمَقْدُورَاتِ بِالتَّخْصِيلِ دُوْنَ بَعْضٍ، وَتَخْصِيصُ بَعْضِهَا بِالْتَقَدَّمِ وَبَعْضِهَا بِالتَّأْخِيرِ فَهَا التَّخْصِيصُ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ يُقْتَضَى الْإِرَادَةَ"، قال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني: "الإرادةُ صفةٌ ثانيةٌ من سبع صفات واجبةٍ في حقّه تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليستْ بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادث، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ يأتي بها تخصيص كلّ ممكن ببعض، ما يجوز عليه من وجودٍ وعدمٍ وصفةٍ ومقدارٍ وزمانٍ ومكانٍ وجهةٍ"،.

[249] سورة هود: 107، معنى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾، أي لا اعتراض عليه، ولا يمتنع عليه شيء يريده، فقد وصف نفسه جل جلاله وتقدست أسماؤه بأنه مريد، هذا العالم على غاية من الحكمة والإتقان والانتظام والإحكام، وهو مع ذلك جائز وجوده وجائز عدمه، فالذي خصصه بالوجود يجب أن يكون مريدا له، ومن لم يكن مريدا لم يكن تخصيص بعض الجائزات بأحوال وأوقات دون البعض بأولى من العكس، فهذه الآية أثبت المُكْره مستحيل إليه، وعن أبي السفر قال: دخل ناس من أصحاب النبي ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: قد رآني! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد"، فالإرادة واجبة له تعالى لأنه المقدّم والمؤخّر، فهو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدمه وأثبت إرادته، وهو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها وهو ضد المقدم وهو أيضا أثبت إرادته، فله تعالى الاختيار التام في جميع مراداته ومقدوراته، قال الإمام في روح المعاني في معنى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾: "فلا يخفى عليه شيءٌ مما تأتون وما تذرون، فَلْيُحذرْ من جزائه وعقابه، أو أنه عليم بكل شيءٍ، فلا يأمر إلا بما فيه الحكمة والمصلحة فلا تُخالفوه".

وَأَثْبَتَ عِلْمَهُ[250] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[251]

---

[250] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "عَالِمٌ بِعِلْمٍ"، أي أن الله تعالى عالمٌ بعلمٍ مطلقٍ كاملٍ شاملٍ لجميع المعلومات، وعلمُهُ باقٌ لا يتغيّر بأنّها صفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاته تعالى تتكشفُ بها المعلومات انْكشافًا تامًّا لم يسبقْه خفاءٌ، سواءٌ أكانتْ هذه المعلوماتُ واجبةٌ أم مستحيلةٌ أم ممكنةٌ، فإن الله تعالى عالمٌ بذاتِهِ وصفاتِهِ وخلْقِهِ، ومكوّنٌ بعلمه جميعَ الكائناتِ، ويعلم كلَّ شيءٍ على ما هو عليه في الواقعِ، ويعلم الكلّياتَ على الوجهِ الكلّي ويعلم الجزئياتَ على الوجه الجزئي، فيستحيلُ في حقّهِ تعالى الجهلُ بأي شيءٍ لأن الجهلَ نقْصٌ، والنقْصُ مستحيلٌ على الله تعالى، وقال المصنف الشيخ رحمه الله في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ عِلْمِهِ فِي الْعَقْلِ إِتْقَانُ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّ الْجَاهِلَ بِالشَّيْءِ لَا يُتْقِنُهُ"، قال العارف محمد بن يوسف السنوسي في أم البراهين: "العلمُ المتعلّقُ بجميعِ الواجبات والجائزات والمستحيلات"، قال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني شرحا على هذا قول السنوسي: "(العلمُ) صفةٌ ثالثةٌ من سبع صفاتٍ واجبةٍ في حقّه تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليستْ بحادثةٍ ولا فانيّةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادثِ، غنيّةٌ عن المخصّصِ لا الذاتِ، واحدةٌ يأتي بها اِتْقانَ كُلِّ ممكنٍ الإتْقانِ، ليس بشرطٍ إذْ قد يخلق الشيءَ بغير اتقانٍ لإرادة تفليحه، (المتعلّق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات)، والواجبات ثلاثةٌ: ذاتُ الله تعالى وصفاتُه وأسماءُ ذاتِه، فالله تعالى يعلم ذاتَه ويعلم كونَها موجودةً، ليس بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لذواتِ الحوادثِ، غنيةٌ عن المخصّصِ والذات، واحدةٌ متصفةٌ بصفات غير معطلةٍ من الصفاتِ، ويعلم صفاتَه، ويعلم كونَها موجودةً، ليس بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادث، غنيةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ ليستْ هي هو ولا هي هو ولا هي غير منفصلٍ، ويعلم اسمائه، ويعلم كونها موجودةٌ، ليس بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لأسماء الحوادث، غنيةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ، ويعلم الجائزات، ويعلمها في حال عدمها وفي حال وجودها بعد عدمها وفي حال عدمها بعد وجودها وفي حال إعادتها بعد عدمها، ويعلم المستحيلات، ويعلم عدمها وإنّها لا توجد"، قال الإمام الأوجلي في دليل القائد:

"والعلمُ ذو تعلّق بالواجب * ومستحيلٍ جائزٍ يا صاحب"،

وقال أيضاً في شرحه مزيد العقائد على دليل القائد: "يعني ومن صفاتِ المعاني العِلْمُ، وهو صفةٌ ينكشفُ بها المعلومَ على ما هُوَ به اِنْكِشافًا، فلا يحتملُ النَّقِيْضَ، فَمَعْنى ينكشفُ يتضَحُ، فخرج الظنُّ والوهْمُ لأن احتمالَ النَّقِيْضِ المظْنُون مثلًا يمْنَعُ انْكِشَافا فيه، وعلى ما هُوَ به تأكيدٌ وتصريحٌ بِإِخْرَاجِ الجَهْلِ المركّبِ لأنّه لا ينْكشفُ به المعلومَ على ما هو به، وخرج بقوله لا يحتمل النّقيض الاعتقادُ الجازمُ لأنه يحتمل النقيض بتشكيك المشكك، ومعنى: "ذُو تَعَلَّقِ" الخ، أي العلمُ صاحبُ التعلق، أي يتعلقُ بِالواجِب والمسْتحيلِ والْجَائزِ، لأنه لَيْسَ هو من صفات التأثير، يعنى أن جميعَ هذه الأمور مُنْكشفةٌ لعلمه تعالى ومُتَضِحَةٌ له ازلًا وابدًا بلا تأمُّل ولا استدلال اتضحاً، لا يمكن أن يكونَ في نفسِ الأمرِ على خلافِ علمه جلَّ وعزَّ، ويعلم ما كان وما يكون وما لا يكون من حيث أنّه يكون، وكيفية وجوده ان لو كان مما يقدر أن يكون كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾، ولله اعلم"، قال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني في المنهج الفريد: "كون الله تعالى عالمًا صفةٌ ثالثةٌ من سبع صفات واجبةٍ في حقّ الله تعالى، وهي صفاتُ المعنويةِ، وهي صفةٌ موجودةٌ، ليست بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادث، غنيةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ ملازمةٌ للصفة الثالثة من صفات المعاني، وهي العلم، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنها ملازمةً للذات، ولو كانت ملازمةً للذات كما يقولون في زعمهم لكان معنى، وكون الشيئين شيئاً واحداً ممتنعٌ، وكون تعالى عالماً دليلٌ على قيام العلم بذاته، وقيامُ العلم بذات دليلٌ على وجود ذاته، ووجودُ ذاته هو المطلوب، فالحمد لله الذي هدانا لما نطلب، وإذا سُئِلْتُ عن دليلِ كونِ اللهِ تعالى عالماً في العقلِ ليلا تكونُ مقلداً تقول: كوني على ما كنتُ ذلك النفعُ عليه وغير ذلك من النعم

التي لا تحصيها عقول الناس، وكوني على ما كنتُ عليه من دقائق الصنعِ واختصاص كلّ جزءٍ مني ينفع يختص به دليلٌ على كون الله تعالى عالمًا من دقائق الصنع واختصاص كلّ جزءٍ مني ينفع يختص به دليلٌ على كون الله تعالى عالمًا هو المطلوب، الحمدُ لله الذي هدانا لما نطلب"، قال ولي الله محمّد تكر رحمه الله في كتابه قراء الأحباء: "فهو عليم بما يرجع إلى ذاته عالم بما يخلق من علم خلقه، من عرف أنه العليم بكلّ شيء راقبه في كلّ شيء، وأكتفى بعلمه في كلّ شيء، فكان واثقاً به عند كلّ شيءٍ ومتوجهًا له بكلّ شيءٍ، ويتقرّب بهذا الاسم من جهة التعلّق في الاكتفاء بعلمه دينًا، ومن جهة التّخلّق تحصيل العلم، وإفادته للمحتاجين إليه إذ كذا شانه سبحانه في عباده، وخاصيته تحصيل العلم والمعرفة، فمن لازمه عرف الله حقّ معرفته على الوجه الّذي يليق به"، فالله سبحانه وتعالى عالمٌ وعليمٌ وعلامُ الغيوب.

[251] سورة البقرة: 231؛ فيذكر الله تعالى هذه الآية عشرون مرة في القرآن العظيم بأنواع ألفاظ مختلفة، ويذكر فيه اسمه العليم مائة وواحد وستين مرة، منها قوله تعالى في سورة البقرة–29: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فيدلّ على أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالقاً للأرض وما فيها وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان عالمًا بها محيطاً بجزئياتها ويثبت به صحة قول المتكلمين، وذلك لأن المتكلمين استدلوا على علم الله تعالى بالجزئيات بأن قالوا: إن الله تعالى فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإتقان، وكل فاعل على هذا الوجه فإن لا بدّ وأن يكون عالماً بما فعله، وهذه الدلالة بعينها ذكرها الله تعالى في هذا الموضع، لأنه ذكر خلق السموات والأرض ثم فرع على ذلك كونه عالماً، فثبت بهذا أن قول المتكلمين في هذا المذهب وفي هذا الاستدلال مطابق للقرآن، قاله الإمام الرازي، وقوله تعالى في سورة البقرة–231: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ﴾، أي اتقوا الله في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيه، ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ﴾، المحيط بكم وبحالاتكم ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾، صدر عنكم من الخير والشر والنفع والضر العائد لنفوسكم ﴿عَلِيمٌ﴾، بالعلم الحضوري لا يعزب عن علمه شيءٌ مما ظهر وكان ويظهر ويكون، وقوله تعالى في سورة البقرة–282: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه فإنه يعلّمكم بعلمه واسمائه وصفاته وما يكون إرشادًا واحتياطاً في أمر الدنيا كما يعلّمكم ما يكون إرشادًا في أمر الدين، بأنه سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، فهذه إشارةٌ إلى كونه سبحانه وتعالى عالمًا بجميع جزئيات السموات والأرض وبجميع مصالح الدنيا والآخرة، وقوله تعالى في سورة النساء–32: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، أي إنه تعالى هو العالم بنفسه وبجميع جزئيات السموات والأرض وبما يكون صالحًا للسائلين، وقوله تعالى في سورة المائدة–97: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي كان الله تعالى في الأزل عالمًا بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات حتى يعلم أن الشرّ غالب على طباعهم، وأن ذلك يفضي بهم إلى الفناء وانقطاع النسل، وهذا بعينه الدليل الذي تمسك به أهل التوحيد والمتكلمون على كونه تعالى عالمًا، فإنهم يقولون: إن أفعاله تعالى محكمةٌ متقنةٌ مطابقةٌ للمصالح، وكل مَن كان كذلك كان عالمًا عليمًا، بأن أفعاله تعالى في غاية الإتقان والإحكام، فيكون ذلك دليلاً قاهرًا وبرهانًا باهرًا على أن صانع العالَم سبحانه وتعالى عالمٌ بجميع المعلومات، فعلم صفةٌ قديمةٌ أزليةٌ واجبةُ الوجودِ، قاله الإمام الرازي والإمام النسفي ملخصاً، وقوله تعالى في سورة الشورى–12: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي يعلم كلّ شيءٍ قبل وجوده وبعد وجوده وحال وجوده بدرجةٍ واحدةٍ، أو هو عليمٌ بما خلق وهو خالق كل شيء، فوجب أن يكون عالمًا بكل شيء، فهو العالم والعليم بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي واحد قائم بذاته، وقد وصف نفسه سبحانه بالعلم في هذه الآيات المتقدمة وفي قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾، وقال: ﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ﴾، وقال: ﴿فَلَنَقُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى

وَأَثْبَتَ حَيَّاتَهُ[252] بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾.[253]

وَلَا تَضِعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وغيرها من الآيات التي تثبت بها أن الله عليم بكل شيء، فكل هذه الآيات أدلة على أن الجهل مستحيل عليه، فهو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان، وأن الجهل الذي هو ضد علمه مستحيل له.

[252] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "حَيٌّ بِحَيَاةٍ"، أي أن الله تعالى حيٌّ بحياةٍ أزليّةٍ بلا بدايّةٍ باقٌ بلا نهايةٍ، وهي صفةٌ قديمةٌ تليق به سبحانه وتعالى، ولا تشبّه حياةَ مخلوقٍ، وضدّ الحياةِ الموتُ، وهو مستحيلٌ على اللهِ تعالى لأنه تعالى لو كان ميّتاً ما صحّ اتّصافه بصفاتِ الكمالِ، وقال أيضًا في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَالْحَيَاةُ وَاجِبَةٌ لَّهُ تَعَالَى، وَضِدُّهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ"، وقال أيضًا في كفاية المهتدين: "وَدَليلُ حَيَّاتِهِ فِي الْعَقْلِ وُجُوبِ اِتِّصَافِهِ بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْبَصَرِ وَالسَّمْعِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَتَّصِفُ بِهَا"، قال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني: "الحياةُ صفةٌ رابعةٌ من سبع صفاتٍ واجبةٍ في حقّ الله تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيّةٍ، مخالفةٌ لصفاتِ الحوادثِ، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذات"، قال شيخ شيوخنا العارف الشيخ محمد الطاهر بن إبراهيم الفلاني في العقيدة الكبرى:

"حيًّا وإلّا لم يكنْ متصّفًا * بما يصونها من الإفساد
كـــــقدرةٍ إرادةٍ وعــلْمٍ * لأنها مشروطةٌ بـــحكمٍ".

قال الإمام محمد بن سليم الأوجليّ في دليل القائد:

حَيَاتُهُ شَرْطٌ لَّهَا يَا مُعْتَلِي * أَوْجِبْ لَهَا السَّتَ صِفَاتِ الْأَوَّلِي
وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّهَا لَيْسَ لَهَا * تَعَلُّقٌ سِوَى قِيَـــامِهَا بِـــــهَا

وقال أيضاً مزيد العقائد على دليل القائد: "يعني أنّ الحياةَ مِن صِفَاتِ الْمَعَانِي، وهي صفةٌ تصحُّ لِمَن قامتْ به أن يتصف بالإدراك، قوله: (شَرْطٌ لَّهَا)، أي لِوُجُودِ الْقُدْرَةِ والإرَادةِ والعِلْمِ وجَمِيعِ الصفات يَلْزَمُ مِن عَدَمِهَا عِدمُ الإدراكِ، ولا يَلْزَمُ مِن وُجُودِهَا وُجُودُ الإدْرَاكِ ولا عَدَمه لِوُجُودِهَا مع غَيبةِ بِنَومٍ أو اغْمَاءٍ أو جُنُونٍ، فوله: (يَا مُعْتَلِي)، أي يا ذَا اعْتِلَاءٍ، أي عُلُوّ، قوله: (أَوْجِبْ لَهَا) الخ، أي صفاتٌ في حقِّها سِتًّا مِنَ الصِّفاتِ، وهي صفاتُ الصِّفاتِ الأول، فتقول: حياتُهُ تعالى [1] مَوجُودَةٌ [2] قَدِيمَةٌ [3] بَاقِيةٌ [4] مُخَالِفَةٌ لِلْحَوَادِثِ [5] غَنِيَةٌ عَنِ الْمُخَصِّصِ [6] وَاحِدةٌ، ويستحيل في حقِّها ضِدُّهَا، قوله: (لَيْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ) الخ، أي لا تَتَعَلَّقُ لها بِشَيْءٍ، أي لا تطْلُبُ أَمْرًا زَائِدًا عَلى قِيَامِها بِمَحَلِهَا كالْقُدْرَةِ، فَأنّها تقْتَضِ مَقْدُورًا يَتَأَتَى بِهَا إيجادُهُ وإعْدَامُهُ، والإرادةُ فإنّها تقتض مُرادًا يتخصّص بها، والعلمُ فإنه يقتض معلومًا يَنكَشِفُ بِهِ، والكلامُ فأنه يَقْتَض لِذاتِهِ مَعنًى يَدِلّ عليه، والسَّمْعُ فإنه يَقْتَضِ لِذاتِهِ مسْمُوعًا يَسمَعُ بِهِ، والبصَرُ فإنّه يَقْتَضِ لِذاتِهِ مُبْصِرًا يُبْصِرُ بِهِ، وأَما الحياةُ فلا تُقْتَضِ شيْئًا إلّا القيامُ بمحلها"، وقال الشيخ محمد الوالي الفلاني في المنهج الفريد: "كون اللَّهِ تعالى حَيًّا صفةٌ رَابِعَةٌ من سبع صفاتٍ وَاجِبَةٍ في حقّ اللَّهِ تعالى، وهي صفاتُ الْمَعْنَوِيَّةِ، وهي صِفَةٌ مَوْجُودَةٌ ليستْ بِحَادَثَةٍ ولا فَانِيَّةٍ، مُخَالِفَةٌ لصفاتِ الحوادثِ، غَنِيَّةٌ عن المُخصّصِ لا الذّاتِ، واحدةٌ مُلازمةٌ للصّفات الرّابعة من صفاتِ الْمعاني، وهي الْحَيَاةُ، خِلَافًا للمُعتزلةِ القائلين بِأنّها ملازمةً للذّاتِ، ولو كانت مُلازمةً للذّاتِ كما يقولون في زعمهم لكان ذَاتًا معنى، وكونُ الشّيئين شَيْئًا وَاحدًا مُمْتَنِعٌ، وكونُ اللَّهِ تعالى حَيًّا دَلِيلٌ على قيامِ الحياةِ بذاتِهِ، وقيامُ الحياةِ بذاتِهِ دَلِيلٌ على وجودِ ذاتِهِ، ووجودُ ذاتهِ هو الْمَطلوبُ، فالحمد لِلَّهِ الّذي هدانا لما نطلب، وإذا سُئِلْتَ عن دَلِيلِ كون اللَّهِ تعالى حَيًّا في الْعقل ليلا تكون مقلدًا تقول: اِتِّصَافُهُ بالقدرةِ والإرادةِ والْعلمِ لأنّها شرطٌ، وهي مشروطٌ، والمشروطُ لا يوجد إلّا مع وجودِ الشَّرطِ، واتِّصَافُهُ تعالى بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ دَلِيلٌ على كون اللَّه تعالى حَيًّا، وكون اللَّهِ تعالى حيًّا هو المطلوب،

فالحمد لِلَّه الّذي هدانا لما نطلب"، قال ولي الله محمّد تكر رحمه الله في كتابه قراء الأحباء: "مَن عرف أنه الحيُّ الّذي لا يموت توكّل عليه من غير اغتناءِ بمن يموت، والتقرّب بهذا الاسم تعلّقا أن يكون بين يديه كالميتِ بيد الغاسل، لا يتحرك إلّا به أمرًا وقهرًا إذا ترى كلّ شيءٍ ميت لحياته تعالى، وخاصيته ثبوت الحيوة في كلّ شيء، وقال السهروردي: مَن قرأه ثلاث مائة الف مرّة لم يمرض أبدا".

[253] ذكر الله تعالى اسمه الحيَّ أربع مرات في القرآن المجيد، فقال تعالى في سورة البقرة – 255: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، معناه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾، لا معبودٌ بحقٍّ في الوجودِ ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾، الدائمُ البقاءُ الذي يصحّ له أن يتصف بجميع صفات الألوهية والربوبية ﴿الْقَيُّومُ﴾، البالغ في القيام بتدبير خلقه، "قَيعُولٌ" من قام بالأمر إذا حفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾، نعاس وهو فتور يتقدم النوم، وجملة نفى للتشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيومًا، فإن من أخذه نعاس أو نوم كان معوق الحياة قاصر الحفظ والتدبير، ولذا ترك العاطف فيها وفي الجمل التي بعدها ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، حال يعرض للحيوان من استرخاه أعصاب الدماغ من رطبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الزاهرة عن الإحساس رأسًا، وتقديم السنة عليه وإن كان قياس المبالغة عكسه لرعى ترتيب الوجود، وقال تعالى في سورة آل عمران – 3: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، معناه: ﴿الم﴾، الله أعلم بمراده بذلك ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّ هُوَ﴾، ردٌّ لقولهم: إن الله هو المسيح، أو قولهم: إن الله ثالثُ ثلاثةٍ ﴿الْحَيُّ﴾، الذي لا يموت، ردٌّ لقولهم: ذلك بأنه ابنه، إذ يجوزون موته والابن يشبه الأب، ﴿الْقَيُّومُ﴾، الذي لا يزول سلطانه وقد زال سلطان عيسى عليه السلام، قال الإمام الرازي: "فأما الحيّ فهو الفعال الدراك، وأما القيوم فهو القائم بذاته، والقائم بتدبير الخلق والمصالح لما يحتاجون إليه في معاشهم من الليل والنهار والحَر والبرد والرياح والأمطار، والنعم التي لا يقدر عليها سواه، ولا يحصيها غيره، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، قال قتادة: الحي الذي لا يموت، والقيوم القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم، وعن سعيد بن جبير: الحي قبل كل حي والقيوم الذي لا ند له"، وقال تعالى في سورة الفرقان – 58: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، معناه: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم ﴿عَلَى الْحَيِّ﴾، أي الدائم الحياة بحياة أزليّةٍ بلا بدايّةٍ، وقيوم بلا نهايةٍ ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، أي لا يعرضه الموت والفناء، فإنه الحقيقة بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليم:

ليكن بربك عزّك * فيستقر ويثبت

ومتى اعتززتَ بمن يموت فإن عزّك ميتْ

قال الإمام النسفي: "اتخذ مَن لا يموت وكيلًا لا يكِلكَ إلى مَن يموت ذليلًا، يعني ثِق به واسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حيٍّ يموت"، وقال تعالى في سورة الغافر 65: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، معناه: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾، المنفرد بالحياة الذاتية ومن عداه ميت، أو صدد الموت، الحيّ هو الباقي الذي لا يموت، فمعناه الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، إذ لا موجود يساويه، أو يدانيه في ذاته وصفاته ولأن كل من يعتريه الموت لا يصلح للألوهية، قال الإمام الرازي: "وأن لا حي إلا هو، فوجب أن يُحمل ذلك على الحي الذي يمتنع أن يموت امتناعًا ذاتيًّا، وحينئذٍ لا حي إلا هو، فكأنه أجرى الشيء الذي يجوز زواله مجرى المعدوم، واعلم أن الحي عبارةٌ عن الدرّاك الفعّال، والدراك إشارةٌ إلى العلم التام، والفعال إشارةٌ إلى القدرة الكاملة، ولما نبه على هاتين الصفتين من الصفات الجلال نبه على الصفة الثالثة وهي الوحدانية بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾"، فهذه الآيات كلها أثبت بأن الموت والفناء مستحيلان عليه سبحانه وتعالى، وبأنه الحيّ الدائم البقاء.

وَأَثْبَتَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ[254] بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.][255]

---

[254] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "سَمِيْعٌ بِسَمْعٍ، بَصِيْرٌ بِبَصَرٍ"، أي أن الله تعالى سميعٌ بسمعٍ بأنّه يسمعُ كلامَهُ القديمَ وجميعَ المسموعاتِ من الحوادث، وأنه تعالى بصيرٌ ببصرٍ بأنه يبصرُ ذاته وجميع المبصرات من الحوادث، فيسمع ويبصر كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فإن سميعًا وبصيرًا صفتان من صفات الله تعالى، القديمتان القائمتان بذاته، تنكشف بهما جميع المسموعات والمبصرات من الحوادث، فسمعه تعالى ليس بأذنٍ وصمّاخٍ ولا غيرهما مما تتركّب منه أداةَ السمع والبصر عند المخلوقات، ويستحيل عليه تعالى ضدّه وهو الصمّم، فبصره تعالى أيضًا لا يشبه في شيءٍ ببصره مخلوقاته، ويستحيل عليه تعالى ضدّه وهو العمى، قال شيخ شيوخنا محمد الوالي بن سليمان الفلاني في المنهج الفريد: "والسمعُ صفةٌ خامسةٌ من سبع صفاتٍ واجبةٍ في حقّ الله تعالى، وهي صفةُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيّةٍ مخالفةٌ لصفات الحوادثِ، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذات، واحدةٌ يأتي بها سمع كلّ موجودٍ، والبصرَ صفةٌ سادسةٌ من سبع صفات واجبةٍ في حقّ الله تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيّةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادث، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذات واحدةٌ يأتي بها رؤيةَ كلّ موجودٍ"، قال الشيخ الأوجلي في دليل القائد:

والسمع والبصر قد تعلقا * بكلّ موجودٍ كفيت بالوفا

وقال ايضاً في شرح هذا البيت: "(والسَّمعُ والبصرُ) من صفاتِ المعاني، فالسمعُ صفةٌ شأنُها ادراك كلّ مسْمُوعٍ، وان كان خفيًّا، والبصرُ صفةٌ شأنُها ادْراكُ كلّ مبْصرٍ، وان لّطف، هذا مذهبُ المتقدمين، فبينهما العمومُ والخصوص، أي بالنسبةِ له تعالى لاختصاص السمع بالكلامِ، والبصرُ يَعمُّ جميعَ الموجوداتِ وكلامُهُ تعالى موجودٌ، وقال السنوسي: السمعُ صفةٌ ينْكَشِفُ بها الموجودُ على ما هو به انْكِشافًا يباين سواه ضرورة، والبصرُ مثلُهُ، والادراكُ على القولِ به مثلُهُما، يُسمعُ ويَرى في ازله ذاتَه وصفاتَه الوجودية، وفيما لا يُزَالُ ذواتُ الكائناتِ كلّها، وجميعَ صفاتِها الوجوديةَ وغيرَها كانتْ من قبْل الأصْوات، ومن غيرِها اجسامًا كانت الوانًا او اكوانًا او غيرها"، وقال بعد كلام: "وهو الذي سلك النّاظمُ حيثُ قال: (بِكُلِّ مَوْجُودٍ) فَقَولُهُ: (يُبَايِنُ سِوَاهُ ضرورةً)، أي العلمُ بمعنى يزيدانِ على العلمِ في حقّهِ تعالى بِحَقِيقَتِهِمَا وتَعلّقِهِمَا الخاصّ بهما، ولا يزيدانِ في حقيقةِ علْمِهِ تعالى شَيْئًا، وما ثَبَتَهُ في حقّ الحادثِ من أي المشاهدة أقوى من العلم، فهو مستحيلٌ في حقّهِ تعالى، ومن خصائصِهِ تعالى أنه لا يشغله ما ببصره عما يسمعه، ولا ما يسمعه عما يبصرهِ، بل يحيط علمه بالمسموعاتِ والمبصراتِ من غير سابقية ادراك بإحدى الصفتينِ على الأخرى، فلا يشغله شأنٌ عن شأنٍ، قوله: (كَيْفِيتَ بِالْوَفَا)، أي كفاك اللهُ بوقايته من كلّ مكروهٍ"، فالسمع والبصر واجبان لله تعالى وضدهما اللذين هما الصمم والبكم مستحيلان عليه تعالى.

[255] فيثبت الله تعالى أنه سميع بصير بتعبيرات مختلفة في عشرة آية في القرآن المجيد، منها قوله تعالى في سورة النساء–134: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وقال تعالى في سورة الحج–61: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، ومعناه: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي ذلك النصر بسبب أنه قادرٌ، ومن آيات قدرته ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾، قادرٌ على ما يشاء بدليل أنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أي يحصل ظلمة الليل في مكان ضياء النهار بغيبوبة الشمس، وضياء النهار في مكان ظلمة الليل بطلوعها، كما يضيء البيت بالسراج ويظلم بفقده، فأنه سبحانه وتعالى يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات، وكونه تعالى خالقًا الليل والنهار ومتصرفًا فيهما، فوجب أن يكون قادرًا عالمًا بما يجري فيهما، وإذا كان كذلك كان قادرًا على النصر مصيبًا فيه، فأنه سبحانه مع ذلك النصر ينعم في الدنيا بما يفعله من تعاقب الليل والنهار وولوج أحدهما في الآخر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾، أي يدرك المسموع، فأنه يسمع قول المعاقِب والمعاقّب ﴿بَصِيرٌ﴾، أي يدرك المبصر،

فأنه تعالى يرى أفعالهما فلا يهملهما، ويعلم من يستحق النصر ومن يستحق الخذلان، وهو م تتمةِ الدليل لأن القادر لا بد له من الوصفين: السميع البصير، فذلك الوصف بكمال القدرة والعلم والسمع والبصر بأن الله سبحانه وتعالى هو واجب الوجود الثابت الألوهية، إذ لا يصلح لها إلا القادر العالم الموجود بذاته، وقال تعالى في سورة الشورى-11، وهي صيغة الآية ذكرها المصنف الشيخ رحمه الله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ومعناه: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كما قدمناه قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنتُ أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيّانِ يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُهَا، أي أنا ابتدأْتُ حفرها"، ففاطر السماوات الأرض هو خالقه وصانعه وبديعه موجده ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، أي خلق الله لكم من جنسكم من الناس ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾، أي خلق الله من الأنعام أزواجًا، ومعناه: وخلق أيضًا للأنعام من أنفسها أزواجًا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾، أي يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق أي كثرهم، ﴿فِيهِ﴾، أي في هذا التدبير، وهو التزويج وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أي ليس مثله شيء يناسبه، والمراد من مثله ذاته، وهو نفى لما يماثله على طريق الكناية كقولهم: "مثلك لا يبخل"، أي أنت يريدون نفى البخل عن ذاته على الكناية مبالغة في نفيه عنه، فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ونحوه: "﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فمعناه: بل هو جواد من غير تصوير يدٍ ولا بسط لأنه عبارةٌ عن الجود، ولذا يستعملونه فيمن لا يد له، فلذلك يستعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له، وقيل ليس كصفته صفةٌ، وقيل حرف الكاف زائدةٌ، والأول أولى، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾، لكل ما يسمع من الأقوال ﴿البَصِيرُ﴾، لكل ما يبصر من الأفعال وغيرهما، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، يدلّ على كونه تعالى سامعًا للمسموعات مبصرًا للمرئيات، فالسميع والبصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال، والكمال في كل الصفات ليس إلا لله عز وجلّ، قاله الإمام الرازي ملخصًا، وقال تعالى في سورة طه-46 مخاطباً النبيين موسى وهارون عليهما السلام: ﴿اَسْمَعُ وَاَرَى﴾ فمعنى قوله تعالى: ﴿اَسْمَعُ﴾ أي أسمع ما يجري بينكما وبين فرعون، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وَاَرَى﴾ أي أرى ما تفعلان ويفعل، لا يخفى علي من ذلك شيء، فهذا عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية، تبارك الله رب العالمين، فهذه الآية أثبت أن الصمم والعمى مستحيلان إليه، فمعنى أنه السميع البصير المدرك لكل مسموع والمدرك لكل مبصر، قال محمّد تكر رحمه الله في كتابه قراء الأحباء: من عرف أنه السميع البصير راقبه في الحركات والسكنات حتّى لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، قيل لبعضهم: بما يستعين العبد على حفظ بصره؟ قال: بعلمه إن نظر الله إليه، والتّقرب بهذين الاسمين من جهة التّعلّق بالمراقبة من كلّ قول وفعل ومن جهة التّخلّق أن يكون سميعًا لما يؤمر به بصيرا لما يطلب منه وما يقع من أمر الله فيه حتّى يكون مولاه أن يكون له سمعا وبصرا ويدا من جهة صحبته إياه وإظهار أسراره عليه ومتوله به وله بين يديه من غير حلول ولا اتحاد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وخاصيته الأول إجابة الدعاء، فمن قرأه يوم الخميس بعد صلاة الضحى خمسمائة مرّة كان مجاب الدعوة، وخاصية الثاني وجود التّوفيق، فمن قرأه قبل صلاة الجمعة مائة مرّة فتح الله بصيرته ووفّق لصالح القول والعمل؛ ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

وَأَثْبَتَ كَلَامَهُ[256] بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾.[257]

---

[256] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين أنه تعالى: "مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ"، أي أن الله تعالى متكلم بكلام أزليّ يتعلّق بجميع معلقاته في خلقه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وكلامُهُ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته تعالى ليست بحرفٍ ولا صوتٍ ولا تشبّه كلام الناس في شيءٍ، مثله في ذلك مثل جميع صفات الله تعالى، فكلامُهُ أمره ونهياه ووعده وإيعاده وأخبره، ويستحيل على الله تعالى ضدّه وهو البكم، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ كَلَامِهِ فِي الْعَقْلِ وُجُوبُ اِتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالْكَمَالِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ لَزِمَ أَنْ يَتَّصَفَ بِأَضْدَادِهِ أَي الْبُكْمِ، وَهُوَ مِنَ النَّقَائِصِ وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ"، قال شيخ شيوخنا محمد الوالي بن سليمان الفلاني في المنهج الفريد: "والكلامُ صفةٌ سابعةٌ من سبع صفاتٍ واجبةٌ في حقّ الله تعالى، وهي صفاتُ المعاني، وهي صفةٌ موجودةٌ ليست بحادثةٍ ولا فانيّةٍ، مخالفةٌ لصفات الحوادثِ، غنيّةٌ عن المخصّص لا الذاتِ، واحدةٌ، اذلي ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، ليس بحادثةٍ ولا فانٍ، ولا له كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يتقدّم ولا يتأخر ولا يدخله اعرابٌ ولا يقطعه نفسٌ، يسمع بكل جارحةٍ وكلِّ جهةٍ، يفهمُ به الأمرُ والنهيُ ولوعد والوعيد"، وقال بعد الكلام: "كونُ الله تعالى متكلّماً صفةٌ سابعةٌ من سبع صفات واجبةٍ في حقّ الله تعالى، وهي صفاتُ المعنويةِ، وهي صفةٌ موجودةٌ ليستْ بحادثةٍ ولا فانيةٍ، مخالفةٌ لصفاتِ الحوادثِ، غنيةٌ عن المخصّصِ لا الذات، واحدةٌ ملازمةٌ للصفةِ السابعةِ من صفات المعاني، وهي الكلامُ خِلافًا للمعْتزلة القائلين بأنّها ملازمةٌ للذات، ولو كانتْ ملازمةً للذات كما يقولون في زعمهم لكان ذاتًا معَنِيٌ، وكونُ الشّيْئَيْن شيئًا واحدًا ممتنعٌ، وكونُ الله تعالى متكلّمًا دليلٌ على قيام الكلامِ بذاتِهِ، وقيامُ الكلامِ بذاتِهِ دليلٌ على وجودِ ذاته ووجودُ ذاتهِ هُوَ المطلوب"، قال الشيخ أبي إسحاق الأندلسي في الهبة والعطا: "الكلام الأزليّ وهو صفته القائم بذاته تعالى، المنافي للسكوت والآفة، هو به آمرٌ ناهٍ مخبرٌ إلى غير ذلك، يدلّ عليه بالعبارةِ والكتابةِ والإشارةِ، فإذا عبّر عنه بالعربية فالقرآن، وبالسريانيّة فالإنجيلُ، وبالعبرانيّة فالتوراة، فالمسمّى واحدٌ، وإن اختلفتِ العباراتُ، هذا معنى كلامه سبحانه".

[257] سورة النساء:164، ومعناه ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾، بلا واسطة، ﴿تَكْلِيمًا﴾، هذا منتهى مراتب الوحى خصّ به موسى من بين المرسلين، وأكده بالمصدر دفعاً للتجوز "تكليما" مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلاما في شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما، ودليلُ سَمْعِهِ وبَصَرِهِ وَكلامِهِ فِي العقْلِ وُجوبُ اِتصافِهِ تعالى بالكمالِ لأنّه لو لمْ يتّصفْ بها لَزِمَ أن يتّصفَ بِأَضْدَادِها وهي نقَائِصٌ والنّقصُ عليه تعالى محالٌ، فهذه الآية أثبت أن البكم مستحيل إليه، وقال علامة السودان عبد الله بن فودي رحمة الله عليه في ضياء التأويل في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾: "فقال له موسى عرفت أنه كلام الله بسماعه من جميع الجهات وجميع الأعضاء، قال البيضاوي إشارة إلى أنه تلقى من ربه كلماته تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك، فانتقش به من غير اختصاص بعضة وجهة"، ولذلك كان مرئي بالتغيير في لون شعره وبدنه، وفي قوله دليل أن كلام الله لا يشبه بكلام خلقه في شيء، قال الإمام الثعالبيّ في تفسيره الجواهر الجسان: "وكلّم الله سبحانه موسى بكلام دون تكْييفٍ، ولا تحديدٍ، ولا حرفٍ، ولا صوتٍ، والذي عليه الراسخون في العلمِ أنّ الكلام هو المعنى القائمُ في النفس، ويخلق الله لموسى إدراكًا من جهة السمْع يتحصّل به الكلامُ، وكما أنّ الله تعالى موجودٌ لا كالموجوداتِ معلومٌ لا كالمعلوماتِ، فكذلك كلامُهُ لا كالكلامِ"، وقال الشيخ أبو الليث السمرقنديّ في بحر العلوم في قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: "معناه أنه قد أوحى إليه وإنما سماه كلامًا على وجه المجاز كما قال في آية أُخرى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾، أي يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائطُ كذا، وقال عامة المفسرين وأهل العلم أن هذا كلام حقيقةٌ، لا كلام مجاز، لأنه قد أكده بالمصدر حيث قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، والمحاز لا يؤكد لأنه لا

وَأَثْبَتَ إِنَّ جَمِيعَ الْكَمَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَاجِبَةٌ لَهُ[258] بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾،[259] وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾،[260] وَقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾.[261]

يقال: قال الحائط قولُا، فلما أكده بالمصدر نفى عنه المجاز، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقد أكده بالتكرار، ونفى عنه المجاز، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، يعني الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين، فأراهم في المنام، أو من وراء حجاب بكلام مثل ما كلم الله موسى"، فإن كلام الله صفة له أزليّة وثابت قائم بنفسه غير مخلوق ولا مُحدث ولا حادث، ليس بحرف ولا صوت، وهي أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده.

[258] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب أصول الدين: "وَالْكَمَالُ الْإِلَهِيُّ كُلُّهُ وَاجِبٌ لَهُ، وَالنَّقْصُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْكَمَالِ الْإِلَهِيِّ كُلِّهِ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ"، أي أنه واجب في حق الله تعالى كلّ صفات الكمال الإلهيّ لأنه واجب الوجود، فواجب الوجود لا يوصف إلا بصفات الكمال، كالوحدة والقدم والبقاء والحياة والغناء والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وغيرها من صفات الكمال متعلقٌ بوجود ذاته وصفاته وأفعاله الإلهيّ ويليق بجلاله وتنزيه القدوس، ومستحيلٌ في حقّ الله تعالى كلّ صفات ضدّ الكمال الإلهيّ لأنه واجب الوجود ولا يوصف بصفات النقص التي هي التعدّد والحدوث والفناء والافتقار والجهل والعجز والإكراه والصمم والعمى والبكم والمماثلة وغيرها من صفات النقص متعلق بالحوادث والمخلوقات، فأنه لا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا نظير له ولا وزير له، وليس بجوهر، وليس بجسم، وليس بعرض، وليس في جهة، فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾، كما قُلْتُ في كتابي قوت العارفين ملخصًا، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَأَمَّا دَلِيلُ وُجُوبِ اِتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ، فَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَعَجَزَ عَنْ إِيْجَادِ الْمَخْلُوقَاتِ، كَيْفَ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَاتٌ؟، وَأَمَّا دَلِيلُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ فَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِهَا، وَأَضْدَادُهَا نَقَائِصُ، وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ"، فإن الكمال المطلق الخاصّ بالربّ عزّ وجلّ، وهو منتهى جميع الكمالات وغايتها الذي لا كمال فوقه، وهو الذي لا نقص بوجه من الوجوه، فإفراده سبحانه وتعالى بالكمال المطلق ونفي عنه جميع النقائص.

[259] سورة الروم – 27: معناه ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾، الوصف العجيب ﴿الْأَعْلَى﴾، الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه، وهو أنه لا إله إلا هو، أو كلّ وصف له كالقدرة العامّة والحكمة التامّة، قاله الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، قال الإمام فخر الرازي: "فمعناه أن له المثل الأعلى أي فعله، وإن شبهه بفعلكم ومثله به، لكن ذاته ليس كمثله شيء، فله المثل الأعلى، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل: المثل الأعلى أي الصفة العليا وهي لا إله إلا الله"، وقال الإمام أبو حيان الأندلسي: "وقيل المثل الوصف الأرفع الأعلى الذي ليس لغيره مثله، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما"، قال الإمام النسفي في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، "أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره، وقد عرف به ووصف في السموات والأرض على ألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيءٍ من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات"، فهذه الآية دلت على الإثبات له جميع الصفات الكمال الإلهية.

[260] فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، مذكور أربعة مرات في سور القرآن، أولها في سورة الأعراف –180، وثانيها في آخر سورة الإسراء–110: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وثالثها في أول سورة طـه–8: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، ورابعها قوله تعالى آخر سورة الحشر–24: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وقال الأستاذ عبد الله بن فودي في معنى هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، التسعة والتسعون الوارد بها

الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن لأنها تدلّ على أحسن المعاني، وفيه أن الاسم غير المسمى لأن الأسماء جمع والله واحدٌ، والاسم عبارةٌ عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره، والمراد بالأسماء هنا حينئذ الألفاظ، وقيل الصفات القائمة فإنها يطلق عليها الاسم، يقال طار أسمه في الآفاق، والمراد وصفه الحسن، ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، سموه بتلك الأسماء التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله، ففيه دليلٌ على أن أسماء الله توقيفيةٌ لا اصطلاحيةٌ تسميته جوادًا لا سخيًا وعالمًا لا عاقلًا، ومن أسمائه ما ورد في القرآن ومنها ما ورد في الحديث وتواتر، وهذا هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه، أو المراد فاسألوه بها، وقولواْ: يا رحيمُ أرحمنا، يا رزاقُ أرزقنا، يا هادي أهدنا، وللدعاء شرائط: منها أن يغرف الداعي معاني الأسماء التي يدعو بها، ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه، ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم، ويعزم المسألة مع اعتقاد الإجابة، ويعترف لله بالربوبية وعلى نفسه العبودية"، فهذه الآية أيضًا اثبت أن جميع الكمالات الإلهية واجبةٌ له تعالى، قال الإمام الرازي: "الأسماء ألفاظ دالةٌ على المعاني فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنى للحسن في حقّ الله تعالى إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال، وهي محصورةٌ في نوعينِ: عدم افتقاره إلى غيره وثبوت افتقار غيره إليه"، فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أثبت إنّ جميعَ الكمالاتِ الإلهيّةِ واجبةٌ له عز وجل.

[261] سورة الصافات – 180: معناه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، أي "الغلبة وإضافته إليها لاختصاصها به إذ العزة له جميعاً يندرج تحتها جميع الصفات الثبوتية والسلبية مع الإشعار بالتوحيد، وهي من الصفات الجامعة، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ـه به مما حكى في السورة لأن الكلام من أوّلها إلى هنا مسوق لإثبات التوحيد، وإزاحة شبه المشركين وإبطال ما نسبوه إلى الله مما تقدّس عنه، فنزه عن ذلك ذاته المقدّسة بهذه الآية التي هي من الجوامع الكامل فذلكة لذلك"، قاله الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، قال الإمام فخر الرازي في مفاتيح الغيب: "ثم إنه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية، وذلك لأن أهم المهمات للعاقل معرفة أحوال ثلاثة، فأولها: معرفة إله العالم بقدر الطاقة البشرية، وأقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى ثلاثةُ أنواع، أحدهما: تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق بصفات الإلهية، وهو لفظة: ﴿سُبْحَانَ﴾، وثانيها: وصفه بكل ما يليق بصفات الإلهية، وهو قوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، فإن الربوبية إشارةٌ إلى التربية، وهي دالة على كمال الحكمة، والرحمة والعزة إشارةٌ إلى كمال القدرة، وثالثها: كزنه منزهًا في الإلهية عن الشريك والنظير، وقوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، يدلّ على أنه القادر على جميع الحوادث لأن الألف واللام في قوله: ﴿الْعِزَّةِ﴾، تفيد الاستغراق، وإذا كان الكل مُلكًا له ومِلكًا له لم يبق لغيره شيء، فثبت أن معرفة إله العالم، والمهم الثاني: من مهمات العاقل أن يعرف أنه كيف ينبغي أن يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية"، فبهذه الآية أيضًا اثبت لله جميع الكمالات الإلهية، واثبت بها أن جميع النقائص مستحيلٌ عليه، قال الإمام النسفي في معنى قوله تعالى–﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: "أُضيف الرب إلى العزّة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزّة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق، ويجوز أن يُراد أنه ما من عزّة لأحدٍ إلا وهو ربها ومالكها كقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾"، فقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أثبت إنّ جميعَ الكمالاتِ الإلهيّةِ واجبةٌ له سبحانه وتعالى.

وَأَثْبَتَ أَنَّهُ مُخْتَارٌ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ[262] بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.[263]

---

[262] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب أصول الدين: "مُخْتَارٌ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ"، أي أن الله تعالى لا يجب عليه شيءٌ في فعله أو تركه لأنه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد على ما يريد، ودليل جواز فعله وتركه في العقل لزوم قَلَبَ الحقائق في فرض وجوبهما أو استحالتهما لأنه لو وجب عليه شيءٌ من الممكنات عقلاً أو استحال عقلاً لِانْقَلَبِ الْمُمْكِنُ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيلاً فِي حَقِّهِ، وقال المصنف الشيخ أيضا في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ جَوَازِ فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ فِي الْعَقْلِ لُزُومُ قَلِبَ الْحَقَائِقُ فِي فَرْضِ وُجُوبِهِمَا أَوْ اِسْتِحَالَتِهِمَا لِأَنَّهُ لَوْ وَجِبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَقْلاً أَوْ اِسْتَحَالَ عَقْلاً تَغَلَبُ الْمُمْكِنُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحِيلاً فِي حَقِّهِ، وَذَلِكَ لَا يَعْقِلُ"، وقال أيضاً في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وأَمَّا دَلِيلُ كَوْنِ فِعْلِ الْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا جَائِزًا لَّهُ تَعَالَى فَلِأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِّنْهَا أَوْ اِسْتَحَالَ لَانْقَلَبَ الْمُمْكِنُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحِيلًا، وَذَلِكَ مُحَالٌ لِأَنَّهُ قُلِبَ الْحَقَائِقُ"، قال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في المنهج الفريد: "إن الممكنات ولو كانتْ واجبةً في حقّه تعالى لما عدمت، ولو كانتْ مستحيلةً لما وجدتْ، فمشاهدةُ وجودها وعدمها دليلٌ على جواز فعلها لأن الجائز هو الذي يوجد ويعدم، هذا دليلها في العقل"، فقال الشاعر:

"لو وجب الفعلُ أو استحالاً * لثبت المحالُ، قل تعالا"

قال العارف الشيخ الأوجلي في دليل القائد:

لَا تُوجِبُ الْفِعْلُ وَلَا التَّرْكُ وَلَا * حُكْمًا وَلَا تَمْنَعُ مِمَّا قَدْ خَلَا

أَبْطِلْ بِذَا أَقْوَالِ مُوجِبُ الصَّلَاح * وَأَسْلَكَ سَبِيْلَ الْحَقِّ تُدْرِكُ الْفَلَاحَ

وقال ايضاً في شرح هاتين البيتين في مزيد العقائد: "أي لمّا تقدم أنه يجوز في حقّه تعالى فعلُ جميعِ الممكناتِ والجائزِ ما يصحّ فعلُهُ وتركُهُ وما هو كذلك، فليس بواجبٍ ولا يمتنعُ عقب ذلك بزيادة بيان، فقال: (لَا تُوجِبُ)، أيها المكلفُ عليه تعالى فعلاً ولا تركاً، (وَلَا حُكْمًا)، أي لا تَقُلْ بوجوبِها ولا امتناعِها، فلا يجب عليه تعالى فعلُ سيءٍ منها، ولا تركُه ولا حكماً ولا يمتنع في حقّه فعل شيء منها ولا تركه ولا حكم، وهو المراد بقوله: (وَلَا تَمْنَعُ مِمَّا قَدْ خَلَا)، أي بل يجوز افعل ويجوز الترك، ويجوز الحكم، فيدخل في ذلك الثواب والعقاب وبعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصلاح والإصلاح للخلق، والبعث لِعَيْنِ هذا البدان إن لا لمثله والحوض والشفاعة واللوح والقلم والكرسي والعرش والجنّة والنار وأحوال الآخرة جملةً وتفصيلاً، والرؤيةُ في الدار الآخرة في حقّ المؤمنين، فهي واجبةٌ سمعًا يجب الإيمانُ بها، وكذا ما أخبر به الشارع من ثوابٍ وعقابٍ من بعد صحّته، فهو واجبٌ سمعًا ايضاً، وأمّا قبل صحّته فهو جائزٌ في العقل يصحّ وجودُهُ وعدمُهُ، قوله: (أَبْطِلْ) إلى أخره بهذا الكلام أقول المعتزلة الذين أوجبوا في العقل على الله تعالى الصلاح والإصلاح للخلق، وقال السنوسي: ولو وجب على الله تعالى ذلك لما وقعت محنةٌ دنيًا ولا أخرًا، ولمّا وقع تكليفٌ بأمرٍ ولا نهيٍّ، وذلك باطلٌ بالمشاهدة، وما يقدر المصالح مع تلك المحن والتكليف، فالله تعالى قادرٌ على إيصالها دون مشقةٍ محنةٍ أو تكليفٍ، وايضاً فليست تلك المصالح غامةً في جميع الممتحنين والمكلفين للقطع بأن المحنة والتكليف في حقّ من ختم عليه بالكفرِ والعياذ بالله نقمةٌ وتعريضٌ للهلاك لأجلٍ، ونسأل الله السلامة في ديننا ودنيانا وحسن الخاتمة بلا محنةٍ"، فذهب الجمهور إلى أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، لأنه المالك على الإطلاق، وله التصرف في ملكه كيف يشاء، فلا يتوجه إليه الذم أصلا على ترك فعل من الأفعال، بل هو المحمود في كل أفعاله، أن جميع أفعاله تتضمن الحكم والمصالح، ولا يحيط علمنا بحكمته ومصلحته، على أن التزام رعاية الحكمة والمصلحة مما لا يجب عليه تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، نرى أن أهل السنة يمنعون وجوب شيء في حقه تعالى عقلا، لأنه تعالى المالك

المتصرف في ملكه كيف يشاء على الإطلاق، وهو عز وجل مختارٌ في قعله وتركه؛ انظر شرح العقائد العضدية للشيخ إسماعيل الكلنبوي، عثمانية مطبقة، الجزء الثاني، بيروت، 1316 هـ، ص 181-182.

[263] سورة القصص: 68، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه، فـ"ما" في هذا الموضع جحدا يكون معنى الكلام: وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء أن يختاره، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ معناه يختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، ومعناه أن الخيرةَ للهِ تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب في معنى قوله تعالى-﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: "والمراد أنه المالك المطلق، وهو منزهٌ عن النفع والضرّ، فله أن يخص من شاء بما شاء لا اعتراض عليه ألبتة، وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت أنه حكيم مطلق على أنه كل ما فعله كان حكمةً وصواباً، فليس لأحدٍ أن يعترض عليه، وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، والخيرةُ اسمٌ مِن الإختيارِ قام مقامَ المصدرِ، والخيرةُ أيضًا اسمٌ للمختار، يقال: محمدٌ خيرةُ اللهِ في خلقِهِ، إذا عرفتَ هذا فنقول في الآية وجهان: الأول وهو الأحسن أن يكون تمام الوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ويكون ما نفيًا، والمعنى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ليس لهم الخيرةُ إذ لسي لهم أن يختاروا على اللهِ أن يفعلَ، والثاني أن يكون ما بمعنى الذي، فيكون الوقف عند قول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ثم يقول: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، قال أبو القاسم الأنصاري: وهذا متعلّق المعتزلةِ في إيجاب الصلاح والأصلح عليه، وأي صلاح في تكليفٍ مَن عَلِمَ أنه لا يؤمم ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله؟ فإن قيل لِمَا كلفه: استوجب على الله ما هو الأفضل لأن المستحق أفضل من المتفضل به، قلنا: إذا عَلِمَ قطعًا أنه لا يحصل ذلك الأفضل فتوريطه في العقاب الأبدي لا يكون رعاية للمصلحةِ، ثم قولهم: المستحق خيرٌ من المتفضل به جلّ، لأن ذلك التفاوتُ، إنما يحصلُ في حقّ مَن يستنكف من فضله، أما الذي ما حصل الذات والصفات إلا بخلقه وبفضله وإحسانه، فكيف يستنكف من فضله"، قال الإمام النسفي في معنى هذه الآية: "﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وفيه دلالةُ خلقِ الْأفعالِ، ويوقف على ﴿وَيَخْتَارُ﴾ أي وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء"، فهذه الآية أثبت أن الاكراه مستحيل إليه، فإن الله مريد إذ لم يكن مُلجأ إلى ما أراده ولا مُكرها ولا مضطرّا إليه، والإرادة هي الاختيار، وفال الله لنبيه محمد ﷺ: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه، أو يختار للوجود والكون مما كان في العدم، وما في سابق علمه أنه خيرتهم، فالله أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله، فليس لأحدٍ من خلق الله تعالى أن يختار عليه، فهذه الآية تدل على أن الخلق والاختيار والإعزاز والإذلال مفوضٌ إلى الله وحده، فليس لأحد فيه شركة ومنازعة، وفيه تنبيهٌ على كون الله تعالى قادرًا على جميع الممكنات وعالمًا بكل المعلومات، منزنًا عن النقائص والآفات ويجازي المحسنين على طاعتهم إن شاء ويعاقب العصاة على عصيانهم إن شاء، فأنّهُ مختارٌ في فعله وتركه.

وَأَثْبَتَ أَنَّهُ اَرْسَلَ الرُّسُلَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ[264] ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ﴾.[265]

---

[264] قال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريقي في المغربية في شرح العقيدة القيروانية: "بعث الله في كلّ أمّة رسولًا، لتبليغ عبادته وحقّه عليهم، لأنّ العبادة هي الحكمة من الخلق"، أي إن الله تعالى بعث الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لقطع الحجة على الناس والجن لئلا يعتذروا يوم القيامة بعدم بلوغ دعوة الله تعالى إليهم، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُسُلِ﴾ بأن الله خلقهم ليعرفوه وليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فأرسل الله الرسل للإنس والجن برسالة الله ومعرفته لكي أن يعلّموهم إنه خالقهم ورازقهم وربّهم وليعلّموهم كيف يشكرونه ويعبدونه ويقيموا عليهم الحجة حتى لا يستطيع الإنس والجن يوم القيامة إنكار الله وألوهيته، فأرسل الله رسله إليهم لتحسين أفكارهم وأبطال عقائدهم المنحرفة ولإدارة وسياسة أمم الإنس والجن ولتزكية نفوسهم وإصلاحها وليخرجهم من ظلمات الجهل إلى أنوار معرفته وصفاته، ولتعرفوهم بجميع أمور الدين والدنيا، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُواْ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾، قال الإمام البيضاوي: "لما لم يكن الإنسان بحيث يشقل بأمر نفسه، وكان أمر معاشه لا يتمُّ إلا بمشاركة آخر من أبناء جنسه، ومعاوضة ومعاونة تجريان بينهما فيما يعن لهما، بما يتوقف عليه إصلاح الشخص أو النوع، احتاج إلى عدلٍ يحفظه شرع، يفرضه شارع، يختص بآيات ظاهرة، ومعجزات باهرة تدعوا إلى طاعته، وتحثّ على إجابته، وتصدقه في مقالته، بوعد المسيء بالعقاب، ويعد المطيع بالثواب، وهو النبي عليه السلام"، فالحكمة في إرسال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليهذبوا العباد ويخرجوهم من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، وليحرّروهم من رقّ عبودية المصنوع إلى حرية عبادة الصانع سبحانه وتعالى الذي خلقهم من العدم، ولو تُرك الإنس والجن هملاً دون إخبار وإنذار وتخويف لعاشوا عيشةً جاهليةً وضلالةً عمياءً عن سبب خلقهم الله تعالى، فمن رحمة الله تعالى بهم أن منّ عليهم ببعث فيهم أنبياءً ورسلًا مبشرين ومنذرين عليهم آيات الله ويعلّمونهم ما يصلحهم ويرشدونهم إلى سبل السلام ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن الله.

[265] يذكر الله تعالى هذه الآية مرتين في القرآن العظيم ردٌّ على العرب وغيرهم من الكفار الذين استبعدوا أن يبعث الله بشرًا رسولاً، فقال في سورة الرعد – 38: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولاً﴾، ذوي خطرٍ وكثيرةً كائنةً ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾، بشراً مثلك من قبل إرسالك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، أي نساءً وأولادًا كما هي لك، فأنت يا محمد مثلهم، واستبعاد ذلك من الرسول جهل لأنه إنما أرسل للتبليغ، وليس من لوازمه مخالفة نوعه بل كونه مثلهم أدعى إلى المتابعة، وقال تعالى في سورة الغافر – 78: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، أي أوردنا أخبارهم وآثارهم، وهم خمسة وعشرون رسولا الذين قصص في القرآن، كنوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وهم أكثر الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ أخرج الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل عن عدتهم فقال: ((بَعَثَ اللَّهُ مَائَةَ أَلْفَ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفِ نَبِيٍّ، الرُّسُلُ مِنْهُمْ ثُلَاثَمَائَةُ وَثَلَاثَةُ عَشَرٍ))، وروى غير ذلك، كما قال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في المنهج الفريد: "وقيل لا يحصى عددهم ليلا يخرج فيهم مَن كان منهم، أو يدخل فيهم مَن ليس منهم، قال الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وعدد الرسل منهم ثلاث مائة وثلاث عشرة على المشهور، وعلى قول ثلاث مائة وأربع عشرة، وعلى قول ثلاث مائة وخمس عشرة"، وأخرج الطبرانيُّ في الأوسط وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، فقال: "بعث الله تعالى عبداً حبشيًّا نبيًّا فهو ممن لم يقصُصْ على محمدٍ ﷺ"، وروى في هذا أيضا عن ابن عباس بلفظه: "إنّ الله تعالى بعث نبيًّا أسود في الحبش، فهو ممن لم يقصص عليه، عليه الصلاة والسلام"، فكل هذا دليلٌ على أن الله تعالى أرسل الأنبياء والرسل قبل سيدنا محمد ﷺ.

وَأَثْبَتَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ[266] رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ[267] النَّبِيئِينَ[268] بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.[269]

---

[266] هنا انتهى الورقة 18 في المخطوطة: ا.

[267] هنا انتهى الورقة 52 في المخطوطة: ب.

[268] قال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريقي في المغربية في شرح العقيدة القيروانية: "قال ابن أبي زيد: ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوّة بمحمد نبيّه ﷺ، فجعله آخر المرسلين، بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا" فهو سيدنا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن الناصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي تتبع نسبه إلى إسماعيل بن خليل الله إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالق بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليهم الصلاة والسلام، وأنّه رسول الله ﷺ لأنّه كما قال الإمام ناصر الدين البيضاوي في كتاب مصباح الأرواح في أصول الدين: "ادّعى النبوة وأظهر المعجزة، لأنّه أتى بالقرآن وتحدّى به فلم يعارض، فأخبر عن الغيب، ونقل عنه معجزات أخر، إن لم يتواتر كلّ واحد منها، فالمشترك متواتر، فيكون نبياً، لأنّ الرجل إذا قام في محفل عظيم، وقال: إني رسول هذا الملِك إليكم، ثمّ سأل الملِك أن يُخالف عادته لتصديقه، فقعل، اضطررنا إلى صدقه، ولم يندفع باحتمال غيره، وكذلك هاهنا"، فأنّ سيدنا محمد ﷺ خاتمُ النبيئين والمرسلين، وأنه أفضل الخلق أجمعين مرسلٌ إلى الجنّ والإنس والملائكة، وأنّه عليه الصلاة والسلام سبب بأن الله خلق المخلوقات أجمعين، قال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريقي في المغربية في شرح العقيدة القيروانية: "وكلّ نبيّ يبعثه الله لأمّته وقومه، ويجعل رسالته مقيّدةً بزمانه تنتهي به إلا رسالة النبي ﷺ، فقد جعلها الله عامّةً للعالمين جنًّا وإنسًا، وجعلها دائمةً وخاتمةً للرسالات السابقة، فلا يجوز التديّن بأيّ رسالة سماويّة سابقة بعد بعثة محمد ﷺ".

[269] سورة الأحزاب – 40: معناه لمّا عيّر الناس رسول الله ﷺ بأنه تزوج زوجة ابنه ودعيه، وهو زيد، ردّ الله عليهم تعييرهم هذا وتشنيعهم فقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾، حقيقةً، فليس أبا زيد فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب، ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، وأما أولاده الذكور الذين هم القاسم وعبد الله وإبراهيم، فلم يبلغوا مبلغ الرجال، بل ماتوا صغارًا، وما قيل إنهم لو عاشواْ لكانوا أنبياء لا يساعده النقل والعقل، نبه عليه في غاية الأماني ﴿وَلَكِن﴾، كان ﷺ ﴿رَّسُولَ اللَّهِ﴾، الهادي لعباده أرسله إليهم ليهديهم إلى طريق الرشاد على مقتضى سنته المستمرة في الأمم السابقة، وكل رسول أبو أمته من حيث أنه شفيق ناصح واجب التوقير والطاعة عليهم، وزيدٌ منهم ليس بينه وبينه ولادة، بل أقوى من الأب فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك، ثم بيّن ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله: ﴿وَ﴾، لكن سنّ شأنه أنه صار، ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، بكسرة التاء للجمهور أي آخرهم الذي ختمهم، وبفتحها للإمام عاصم كآلة الختم أي به ختموا، وهو عليه السلام ختم المرسلين أيضا إذ ببعثته ﷺ كملت دائرة النبوة وتمت جريدة الرسالة، وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان يستدركه مَن يأتي بعده، وأما مَن لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد، وعيسى عليه السلام إن نزل بعده كان على دينه مع المراد أنه آخر من نبيّ، أو معناه هو الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعد محمد ﷺ إلى قيام الساعة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، منه أن لا نبي بعده، حكيمًا في بعثة الرسل في تنبيه من وفقه وجبله في سابق قضائه على فطرة التوحيد والإيمان، مختارًا في ختم البعثة وتكميل الدين بعد ما وصل

وَأَثْبَتَ صِدْقَ الرُّسُلِ[270] بِقَوْلِهِ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.[271]

غاية كماله وظهوره، فهذه الآية دلت على أنه لا يكون النبيّ ولا الرسول بعد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ، فإذا قال الله تعالى في محمد: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِئِينَ﴾، معناه هو خاتم المرسلين أيضاً، فهذا ردّ على الزنادقة الذين يزعموا بجهلهم وضلالهم قد كان أو سيكون الرسول أو النبيّ بعد النبي محمد ﷺ، قال الشيخ محمد الطاهر بن إبراهيم الفلانيّ في العقيدة الكبرى:

"فمن أتى مدّعيًا رسالة * من بعده فالسيف له غساله
ولو إلى خوارق تسوّرا * نجعله طلـــــــيةً لأعْورا"

أي طلية لأعور المسيح الدجال لعن الله عليه مدعي رسالة ونبوة ثم إلهية كما روى القرطبي في التذكرة عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: ((فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَالُونَ سَبْعَةُ وَعِشْرِينَ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَة وَإِنِّي خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي))، فإنه آخر النبيئين والمرسلين الذي بعث لجميع الإنس والجن في العالمين، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الفتح البصائر: "فروى في الصحيح قال رسول الله ﷺ إلى حذيفة رضي الله عنه: ((قَدْ انْقَطَعَ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ، فَلَا يَكُونُ نَبِيٌّ بَعْدِي وَلَا رَسُولٌ بَعْدِي))"، فأنه الدليل القطيع بأن محمدًا ﷺ رسول الله وخاتم النبيئين.

[270] أي يجب الاعتقاد بصدق الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، وبأنّهم يستحيل عليهم الكذب استحالةً عقليةً وشرعيةً، قال المصنف الشيخ رحمه الله في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ صِدْقِهِمْ فِي الْعَقْلِ تَصْدِيقُهُمْ تَعَالَى بِالْمُعْجِزَاتِ"، أي فيمدّهم الله تعالى بمعجزات تدلّ على صدقهم فيما أخبروا به عن ربّه، قال الشيخ محمد الطاهر بن إبراهيم الفلانيّ في العقيدة الكبرى:

"بفضله سبحانه أيّدهم * مِن مّعجزاته بما صدّقهم
وهي فعلٌ خارقٌ للعادة * لربّنـــــا يعجز ذا الادة
لمثله معارضًا مقارنُ * دَعون الرسل لا يقول مائن".

قال الإمام السنوسي في أم البراهين: "وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق"، قال الشيخ محمد الوالي الفلاني في المنهج الفريد: "الصدقُ عبارةٌ عن مطابقة الخبر لما في نفس الأمرِ خالفُ الاعتقاد أم لا"، قال الإمام السنوسي: "وأما برهان وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام فلأنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه تعالى لهم بالمعجزات النازلة منزلة قوله جلّ وعزّ: ﴿صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي﴾،" فمعناه كما شرحه الشيخ محمد الوالي الفلانيّ: "يعني إنّ دليل وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام في العقل أنه لو لم يجب لهم الصدق للزم الكذب في خبرهم، ولزوم الكذب في خبرهم يستلزم لزوم الكذب في خبره من صدقهم بالمعجزات، والمعجزاتُ أمرٌ خارقٌ للعادة مصدّقٌ لصدق النبوة متحريّ به ممتنع أن يعارض، ولزوم الكذب في خبره تعالى يستلزم اتصافه تعالى بنقيصة الكذب، واتصافه بنقيصة الكذب يستلزم عجزه عن دفع النقص عن نفسه، وعجزه عن دفع النقص عن نفسه يستلزم عجزه عن إيجاد المخلوقات، وعجزه عن إيجاد المخلوقات دليل يستلزم عدمها، وتقدير عدمها مع رؤية وجود ما ممتنع ورؤية المخلوقات دليل على استحالة العجز، واستحالة العجز دليل على عدم اتصافه تعالى بنقيصة الكذب، وعدم اتصافه تعالى بنقيصة الكذب دليل على اتصافه بالصدق، واتصاف بالصدق دليل على عدم اتصافه مَن صدّقه بالكذب، وعدم اتصاف مَن صدّقه بالكذب دليل على وجوب صدقه، ووجوب صدقه هو المطلوب"، وقال الإمام الأوجليّ في مزيد العقائد على دليل القائد لكشف أسرار صفات الواحد: "والصدق واجبٌ لحقّ الرسل، أي في حقّهم عليهم الصلاةُ والسلامُ بِمعنى يَجِبُ في حقّ الْأَنْبِياءِ الصِّدْقُ، وهو مُطَابِقَةُ الخَبَرِ بما في نفْسِ الْأَمْرِ خَلَافُ الْإِعْتِقادِ

أم لا، الأولُ كنِسبةِ المعتَزلي الفِعْلَ مِنَ الْحيوانِ المُختار إلى الله بمَحْضَرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ"، قال العارف عبد الواحد بن عاشر في المرشد المعين:

"لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ * أَنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ فِي تَصْدِيقِهِم

إِذْ مُعْجِزَاتُهُمُ كَـــقَوْلِهِ وَبَرْ * صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ خَبَرْ"،

قال الشيخ محمد ميارة بن أحمد المالكي في الدر الثمين والمورد المعين: "أنهم عليهم الصلاة والسلام لو لم يصدقوا للزم كذب الإله تعالى عن ذلك حيث صدقهم بإظهار المعجزات على أيديهم لتنزل المعجزة منزلة قوله تعالى: ﴿صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي﴾ إذ تصديق الكاذب كذب، والكذب عليه تعالى محالٌ، إذ خبره تعالى على وفق وعلمه، والخبر على وفق العلم لا يكون إلا صدقاً، فخبره تعالى لا يكون إلا صدقاً"، فواجب على الله تعالى عن يكذب من يدعي أنه نبي أو رسول بعد سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ كما فعل الله في أمريكا مع إيلايجا محمد الذي أدعى أنه رسول الله، وكذّبه الله ونفى ادعاءه بجعله يرتكب الزنا مع أكثر من ثماني شابات، فإن لو كان إيلايجا محمد رسولاً حقيقياً لله لكان واجب على الله تعالى أكده بجعله معصوماً وحماه من ارتكاب المحظورات، كما سيتم ذكره فيما يلي في أمانة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

[271] سورة يس: 52، معناها ﴿هَذَا﴾، البعث، أو يومهم هذا هو اليوم الموعود ﴿مَا﴾، الذي ﴿وَعَدَ﴾، به ﴿الرَّحْمَنُ﴾، أي ما وعد الرحمن حقٌّ، وهو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيهًا من النوم أو من الجهل أو من الموت العقلي، أقروا بحقيقة البعث حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل يقال لهم ذلك من المؤمنين والملائكة جوابًا عن سؤالهم معدولًا عن سننه تنبيهًا لهم بأن الأهم السؤال عن البعث دون الباعث، فكأنهم قالوا الباعث معلوم، وليس ذلك بالبعث الذي تظنونه بل هو بعث آخر ذو الأهوال والأفزاع الذي جاءت به الرسل والكتب لينقذكم من عذابه بمقتضى سعة رحمته، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، في جميع ما جاءوا من قبل ربهم من الأمور المتعلقة بالنشأة الأخرى، أي ثبت صدقهم فيما يبلغونه عنه تعالى، ودلت الآية على استحالة كذبهم في ذلك، أو معناه صدق المرسلون في كل ما جاء بهم من ربهم كموت بالأجل وسؤال القبر وعذاب القبر ونعيمه وبعث الأموات يوم القيامة وحشر الناس في مكان واحد في ذلك اليوم وايتاء الكتب ووزن الأعمال والحساب وحوض النبي ﷺ وشفاعته وصراط الجهنم والنار وخلود النار مع أهله إلّا من شاء الله تعالى والجنة وخلود الجنة مع أهلها ورؤية المؤمنين له تعالى في الأخرة وغير ذلك من أمور الغيبيات وأشراط الساعة.

وَأَثْبَتَ أَمَانَتَهُمْ[272] بِقَوْلِهِ فِي حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.[273]

---

[272] أي أثبت أمانة للرسل والنبيئين عليهم الصلاة والسلام في أخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم وسكوتهم، فيجب للرسل عليهم الصّلاة والسّلام الأمانة، وهي العصمة بنسب حقهم، ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية، ويستحيل عليهم ضدها وهي الخيانة والمعصية، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "دَلِيلُ اَمَانَتِهِمْ فِي الْعَقْلِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ"، قال الشيخ الأوجليّ في مزيد العقائد على دليل القائد: "أمانةٌ أي والصفة الثانية الأمانةُ، أي هي واجبة في حقّ الأنبياء، وهي حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة ولو في حال الصغر من التلبس بمنهيّ عنه، ولو نهيّ كراهةٍ"، قال الإمام السنوسي في أم البراهين فيما يؤخذ من قولنا محمد رسول الله ﷺ: "استحالةُ فعلِ المنهياتِ كلّها لأنّهم أرسلوا ليعلّموا الناس بأقوالهم وأفعالهم وسكوتهم، فيلزم أن لا يكون في جميعها مخالفةٌ لأمر مولانا جلّ وعزّ الذي أختارهم على جميع خلقه وأمّنهم على سرّ وحيه"، قال الشيخ محمد الوالي الفلاني في شرح هذا كلام السنوسي: "(واستحالةُ فعلِ المنهياتِ كلّها) أي يؤخذ من قولنا محمد رسول الله ﷺ استحالة فعل المنهيات عليهم الصلاة والسلام، أي سواءٌ كان النهيّ نهيٌّ تحريمٌ أو كراهةٌ، (لأنّهم أرسلوا ليعلّموا الناس بأقوالهم وأفعالهم وسكوتهم)، وأما أقوالهم فكالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام، وأما أفعالهم كالصلاة والصيام والحج والأكل والشرب وغير ذلك، وأما السكوت عنه فيدلّ سكوتهم على جواز هذا الفعل،(فيلزم أن لا يكون في جميعها) أي في أقوالهم وأفعالهم وسكوتهم، (مخالفةٌ لأمر مولانا جلّ وعزّ الذي أختارهم على جميع خلقه وأمّنهم) بتشديد الميم، (على سرّ وحيه)، يحتمل أن يكون المراد بالسرّ هو الوحي نفسه، فتكون الإضافة بيانيةٌ، والسرّ هو الأمر الخفيّ، أي جعلهم أمناءُ على هذا الأمر الخفيّ، فيحتمل أن المراد بوحيه حامله جبريل عليه السلام، والسرّ ما يلقيه إليهم من كتاب وسنة، والله اعلم"، ويضف للصدق والأمانة بعض أهل العقيدة الفطانة كما قال في جوهر التوحيد:

"وواجبٌ في حقهم الأمانة * وصدقهم وضف له الفطانة"

فالفطانة هي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، فمستحيل لهم إذاً أن يكون مغفلاً، قال الإمام العارف محمد بن يوسف السنوسي في شرح صغرى الصغرى: "وتجب لهم الأمانة، أي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع في محرم أو مكروه، لأن أتباعهم أمروا بالاقتداء بهم في جميع أقوالهم وأفعالهم، وذلك يستلزم عصمتهم فيها من كل منهي عنه؛ هذا كمال ثان واجب للرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو كونهم أمناءُ لا خيانةٌ لهم في شيءٍ من الأشياء، والأمينُ هو الذي يترك كل أمر على الوجه الذي أوصى مالكه أن يترك عليه، ولا يجوز أن ينقله بسبب الشهوة من الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه بوصية مالكه الذي تجب طاعته، فالأمانةُ في الواجب والمندوب أن يدخلا في شريف صندوق الوجود كما أوصى بذلك فيهما مولانا جل وعلا، ولا يخان بنقلهما إلى آفة العدم، والأمانة في المحرم والمكروه أن يدخلا في صندوق العدم ولا ينقلا عنه إلى شريف الوجود كما أوصى أيضاً بذلك فيهما تبارك وتعالى فيهما بوصايا، وهي أحكامه الشريعة، فالأمانة المحافظة على وصاياه جل وعلا وعدم التبديل فيها والتغيير، ولمّا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام أكرم الخلق على الله وأتقاهم لله وأعرفهم بالله واشهدهم خوفاً منه كانواْ أعظم الناس أمانةً وأشدهم محافظةً على وصاياه تبارك وتعالى، ولما أكرمهم سبحانه وتعالى بأعظم أمانةٍ وعصمهم من كل خيانةٍ جعلهم قُدوةً لأممهم، وأطلق في متابعتهم ولم يجعلْ فيها تقييداً، فلو جوّزنا أن يقع في أفعالهم ما هو محرم أو مكروه لزم أن يجتمع في ذلك المحرم والمكروه الإذن في فعلهما أخذاً من قاعدة الترغيب في متابعة الرسل والحض على الاقتداء بهم وعدم الإذن لما فرض فيهما من التحريم والكراهة، وذلك جمع بين نقيضين"، اه؛ انظر شرح

وَأَثْبَتَ تَبْلِيغَهُمْ[274] بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾.[275]

صغرى الصغرى للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق الأستاذ سعيد فوده، دار الرازي، عمان، 1427 هـ/2006 م، ص 91-91.

[273] يكرر الله تعالى هذه الآية ست مرات على لسان ستة أنبياء مختلفين ليثبت بها أن الرسل والأنبياء أمناء على وحيه ومعصومون عن المعصية، فقال الله تعالى في سورة الشعراء: 107 على لسان نوح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وقال تعالى فيها في آية 125 على لسان هود عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وقال تعالى فيها في آية 143 على لسان صالح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وقال تعالى فيها في آية 162 على لسان لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، وقال تعالى فيها في آية 178 على شعيب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، فقال الله تعالى في سورة الدخان: 18 على لسان موسى عليه السلام: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، فمعنى قولهم ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، أنهم أمناء على تبليغ ما أُرسلتْ بهم لدلالة المعجزات على ذلك، وهو علة الأمر، وأنهم أمناء على وحيه إليهم برسالته إياهم إلي الناس بطاعته والانتهاء إلى ما يأمرهم وينهاهم، ففي هذه الآية دليل أن الخيانة مستحيل إليهم، أو معناه صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى، وقيل: "أمين" فيما بينكم، فإنهم كانوا عرفوا أمانتَهم وصِدقَهم من قبل بعثوا بالنبوة ك محمد ﷺ كان عرف بأمانة في قريش.

[274] أي يجب للرسل التبليغ ما يوحى إليهم من ربهم، ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان شيء مما أُمِروا بتبليغه، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ تَبْلِيغِهِمْ مَا أَمَرَهُمْ اللهُ تَعَالَى لِلْخَلْقِ فِي الْعَقْلِ أَمَانَتُهُمْ"، أي أمنّهم الله أمانةً وجوبًا لتبليغ الرسالة، لأن كتمان الرسالة المأمور بتبليغها محرمٌ ملعونُ فاعلِهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، قال الإمام السنوسي في أم البراهين فيما يجب في حقّ الرسل عليهم الصلاة والسلام منها: "تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق"، وقال الشيخ محمد الوالي الفلانيّ في شرحه لهذا كلام السنوسي: "قلتُ: وإنما قيد وجوب التبليغ مما أمروا بتبليغه للاحتراز مما لم يؤمر بتبليغه، بل سواء أمروا بكتمه أو خيّروا فيه، فإنه لا يجب في حقّهم بتبليغه، بل المأمور بكتمانه واجبٌ في حقّهم كتمانه، والذي خيّروا فيه منه ما بلغوه، ومنه ما لم يبلغوه، وتخلص من كلامه إن الأشياء التي أوحى الله إليهم بها ثلاثة أقسام: [1] قسمٌ أمرهم الله بإبلاغه، فبلغوه على الوجه المطلوب، ولم يكتموا منه شيئًا، لا عمدًا ولا سهوًا، [2] وقسمٌ أمرهم بكتمانِهِ، فكتموه كوقت الساعة، فإن الله أطلع نبينا عليه الصلاة والسلام إلا أنه أخذ عليه أن لا يزهر ذلك، [3] وقسمٌ خيّرهم الله فيه، فمنه ما بلغوه، ومنه ما لم يبلغوه"، فتبليغ كل ما أرسالهم الله تعالى به واجب للرسل عليهم الصلاة والسلام فلا خافون الناسَ شيئاً من ذلك لا عمداً ولا نسياناً.

[275] سورة الأحزاب: 39، معناه ﴿الَّذِينَ﴾، نعت للذين قبله أو بدل مدح لهم منصوب أو مرفوع، ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾، أي الذين يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليهم، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون أن قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليهم، وقال تعالى في سورة المائدة – 67: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾، هو فعل الأمر فواجب على الرسول في تبليغ جميع ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ولا تكتم شيئًا منه، خوفاً أن تنال بمكروه، ولا تراقب أحدًا، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾، بأن كتمتَ أدنى شيء من الوحى، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، بالجمع للإمام نافع والإمام ابن عامر والإمام أبي بكر باعتبار الأحكام، والإفراد للباقين من الأئمة القراءة، أي لبطل كونك رسولًا، كالمصلى إذا ترك ركنًا لم يكن مصليًا،

وَأَثْبَتَ أَنَّهُمْ يَتَزَوَجُونَ[276] بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.[277]

روى الشيخان عن عائشة: "من قال إن رسول الله ﷺ لم يبلغ شيئًا مما أنزل إليه فقد كذّب والله يقول: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾"، وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد، فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إنشاؤه: قول بل دليل، مناقض للحديث وعموم ما دل عليه كلمة "ما"، قاله في غاية الأماني، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، عدة وضمان من الله بعصمته من الأعادي، وإزاحة لمعاذيره في عدم التبليغ، نزلت في غزوة الرقاع، أو حدة الوداع، فلا إشكال في كسر رباعيته وشج رأسه يوم أحد قبل العصمة، وقيل عصمته من القتل، وكان يحرس حتى نزلت، فقال: ((انْصَرِفُواْ عَنِّي فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ)) رواه الحاكم، قال ابن العربي: "لعلمائنا في الآية تأويلات، أصحّها أن العصمة عامّةٌ في كلّ مكروهٍ، وأن الآية نزلتْ بعد أن شجّ وجهه وكسرتْ رباعيته، وقيل أريد من القتل خاصّةً، والأول أصحّ، وقد أوتى بعض العصمة بمكّة، بقوله: ((إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)) ثم كملتْ بالمدينة"، قال الثعالبيّ في الجواهر الحسان: "كما وجب على النبيّ التبليغَ وجب على علماءِ أمّتِه، بقوله: ((بَلِّغُواْ عَنِّي))، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، أي لا يرشدهم ولا يمكنهم مما يريدون بك، تأكيد للعصمة"، انتهى ما قال الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل، وقال تعالى في سورة الرعد – 40: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أي وجب عليك وعلى جميع الرسل عليم السلام تبليغ الرسالة البينة لا غير، ويحتمل أن يكون هذا جوابًا لإنَّ مع ما عطف عليه أي إن أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قلبه فإنما عليك البلاغ فقط، وقال تعالى في سورة النور – 54: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أي التبليغ البين وقد بلغ، هذه الآيات كلها دالت على إن الكتمان مستحيل إلي الرسل عليهم الصلاة والسلام.

[276] أي يجوز في حقّ الرسل عليهم السلام يتزوجون النساء، فأن جميع الأعْراض البشريّة الذي لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية يجوز في حقّ الرسل عليهم السلام، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ وَالْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ وَالْمَرَضُ الَّذِي لَا يُؤَدِّي إلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمْ"، ومن هذه الأعراض البشرية التي تجوز لهم يتزوجون النساء وجميع ما يتعلق بالنكاح كالأولاد والذرية، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في كفاية المهتدين: "وَدَلِيلُ جَوَازِ فِي حَقِّ الرُّسُلِ الْأَعْرَاضُ الْبَشَرِيَّةُ كَالزَّوَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي الْعَقْلِ وُقُوعُهَا"، فمعناه أن جواز للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كل الوصف البشرية الذي لا يعود إلى نقصٍ في مراتبهم العالية، كالأكل والشرب والسياحة والمرض والزواج والشراء والبيع، وهذا ردٌّ على اليهود والنصارى في نسبتهم الذنوب والعيوب إلى الأنبياء والمرسلين، فيزعمون في ضلالتهم أن بعضهم زنى وبعضهم سكر وبعضهم زنى ببناتهم وبعضهم قتل النفس بغير الحق وبعضهم خان وبعضهم عملوا المعصية عمدا، فكل ذلك مستحيل في حق الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم.

[277] سورة الرّعد: 38، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أي أولاداً، وأنت يا محمد مثلهم، واستبعاد ذلك من الرّسل جهل لأنه إنما أرسل للتّبليغ فلازم يكونون مثلهم أدعى إلى المتابعة، قيل: إن اليهود عابوا على النبي ﷺ الأزواج، وعيرته بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيًّا لشغله أم النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه والآية، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾، مثل أزواجك وأولادك يا محمد، فلا يقدح في نبوتهم أزواجهم وأولادهم، فكيف يقدح في نبوتك مع أنك يا محمد أفضل منهم، فجعلناهم بشراً يقصدون ما أحل الله من شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي، فالمعلوم عند اليهود والنصارى أن أتى الله داود عليه السلام مائة امرأة، وكانت لسليمان بن داود ألف امرأة، سبعمائة منهن مهرية وثلاثمائة منهن سرية كما ذكر الكلبي، فهذا أكثر مما لمحمد ﷺ ولا ينقص هذا عن نبوتهما ومكانهما عند الله في شيء، فردّ الله عليهم بهذه الآية واثبت بها أن يجوز للرسل الأَعْرَاضُ البَشَرِيَّةُ كالزواج

وَأَثْبَتَ أَنَّهُمْ يَأْكِلُونَ الطَّعَامَ وَيُبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ[278] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.[279]

والذرية وغير ذلك كما يأتي، ولنبينا عليه الصلاة والسلام اثْنَتَي عَشْرَةَ النساء كما قال الزهري وهن أمهات المؤمنين، منهن أزواجه: السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد الأسديّة أم جميع أولاده إلا إبراهيم، والسيدة سودة بنت زمعة بن قيس العامريّة والسيدة عائشة بنت الصديق أبي بكر التيميّة، والسيدة أم سلمة هند بنت أبي أميّة المخزوميّة، والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب العدويّة، والسيدة زينب بنت جحش بن رباب، والسيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقيّة، والسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأمويّة، والسيدة صفيّة بنت حيي بن أخطب بن سعية، والسيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلاليّة والسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلاليّة، وله جارية هي أم إبراهيم مرية القبطية رضي الله تعالى عنهن أجمعين، وله عليه الصلاة والسلام سبع أولاد وهم: فاطمة الزهراء وزينب ورقيّة وأمّ كلثوم والقاسم وعبد الله وإبراهيم، فلا يبقى ذريته إلا من السيدة فاطمة سيّدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النّبويّة، والجهة المصطفويّة زوجة ليث بني الهاشم ونمر الله الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وأولادهما: الأمام الحسن والإمام الحسين ومحسن، وأمّ كلثوم، وزينب رضي الله تعالى عنهم وعن ذريتهم إلى يوم الدين.

[278] أي يجوز في حقّ الرسل عليهم السلام الأكل والشرب والبيع والشراء وغيرها من الأعْراض البشريّة الذي لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية، بأن الأنبياء أرسلوا ليعلّموا الناس ماذا يأكلون وما يشربون وكيف يأكلون ويشربون، فمن الضروري أن يكون الأكل والشرب جائزًا في حقّهم، وكذلك كما أرسل الأنبياء لتعليم الناس ما هو حلالًا وحرامًا في البيع والشراء فمن الضروري إذن أن ينخرطوا في الأسواق ليبيّنوا حلالهما وحرامهما وفسادهما ومباحهما كما قال الله تعالى في شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالمِيزَانَ وَإِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، فمعنى قوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالمِيزَانَ﴾، أي بالكيل والوزن للغير ناقصًا في الأسواق أو لأنفسهم زائدًا على حقهم فهو نقص أيضًا في مال الغير، وكلا الوجهين مذمومٌ، وهذه عادة الأنبياء في تبليغ الدين يبدئون بالأهم فالأهم، ولما كان التطفيف شائعًا فيهم وهو خيانة للعباد نهاهم عن ذلك بعد أمرهم بالتوحيد، هذا سبب يمشون الرسل في الأسواق، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، أي أتموهما بالعدل عن تعمد التطفيف، بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها، وقيده بالقسط بتعديل المكيال وتقويم لسان الميزان في الأسواق، فهذا دليل أن الرسل عليهم الصلاة والسلام يمشون في الأسواق من أجل الشراء والبيع ورعاية احتياجات عيالهم، ولكن أيضًا لأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

[279] أن الله تعالى يذكر هذه الآية مرتين في سورة الفرقان حيث قال في الآية 7: ﴿وَقَالُواْ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، وقال تعالى أيضا في الآية 20: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، فمعناهما: ﴿وَقَالُواْ﴾، أي قالوها استهزاءً وإهانةً ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ﴾، أي هذا الذي يزعم أنه رسول، ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، لطلب المعاش كسائر الناس، أي ما له لم يخالف حاله حال الناس، وهذا لقصور نظرهم على المحسوسات، ولم يعلموا أن تمييز الرسل ليس بأمور جسمانية، بل تمييز بأحوال روحانية، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، أحدًا ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، فأنت يا محمد مثلهم في ذلك، وقد قيل كما قيل لك، والجملة بعد "إلا" صفةٌ محذوفٌ، أي إلا رسلًا يأكلون لدلالة المرسلين عليه، وأقيمت الصفة مقامه كقوله في سورة الصافات: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ

وَأَثْبَتَ الْمَلَائِكَةَ وَالْكُتُبَ السَّمَاوِيَةِ [280] بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾. [281]

مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، أي ما منا أحد، دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش، وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل يدعاهم إلى الحق ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرات لأن الأسواق محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله، فروى مسلم عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال: ((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا))، ورواه أيضا عن سلمان الفرسي قال النبي ﷺ: ((لَا تَكُونَنَّ إِنْ اِسْتَطَعْتَ أَوَّل مَنْ يَدْخَلَ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَن يَخْرَجَ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصَبُ رَايَتَهُ))؛ قال ابن العربي في الأحكام: ولما كثر الباطل في الأسواق وظهرت فيها المناكير كره علماؤنا دخولها لأرباب الفضل المقتدى بهم في الدين تنزيهاً لهم عن البقاع التي يعصى الله تعالى فيها، اه، وفي هذه الآية وما في الآية قبلها دليل أن المشي في الأسواق من عادات الصالحين، وفيهما يدلّ على إنّ الجائز في حقّ الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام كلّ الأعراض البشرية الّتي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم ومكانتهم، فيجوز عليهم الأكل والشّرب والاتصال الجنسي كما يجوز أن يرضوا ويفرحوا ويغضبوا ويستحيوا ويخافوا، ويجوز عليهم أيضاً أن يمرضوا بالأمراض الّتي لا تعجزهم عن تبليغ رسالتهم، فقد يشهد بكل هذه الأعراض البشرية الذين يحضرونهم، والذين لا يحضرونهم يبالغون هذه الخبر بالمتواتر؛ انظر ضياء التأويل في معنى التنزيل للشيخ عبد الله بن فودي، الجزء الثاني، ص 146.

[280] يجب على كلّ مكلف الإيمان بالملائكة، أي أن يعتقد أنّ جميع ما في علم الله من الملائكة حقٌّ ثابتٌ، بأنهم موجودون ومكرمون، وأنهم أجسامٌ لطائفٌ روحانيّةٌ، خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرون، وقادرون على التّشكل بالأشكال الحسنة المختلفة، وهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وهم لا يتزوجون، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، وهم أنواعٌ كثيرةٌ: فمنهم حملات العرش (كَدَرْوَيَائِيلُ وَدَرْفَيَائِيلُ وصَطْفَيَائِيلُ وعَطْمَيَائِيلُ وكَمْكَيَائِيلُ وسَمْكَيَائِيلُ وسَمْمَيَائِيلُ وزَنْجَيَائِيلُ)، ومنهم رسل الوحي (كجبريل وحزبه)، ومنهم الكتبة (كرقيب وعتيد)، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح (كعزرائيل ملك الموت وحزبه)، ومنهم الموكلون بالأرزاق والأمطار والبحار (كميكائيل وحزبه)، ومنهم الموكلون بالجنة (كرضوان وحزبه)، ومنهم الموكلون بالنّار (كمالك وحزبه من الزبانية)، ومنهم الموكلون بسؤال في القبر (كمنكر ونكير)، ومنهم الموكلون باللوح المحفوظ والنفخ في الصور (كإسرافيل وحزبه)، ومنهم الموكلون بالحفظة (كملائكة النهار والليل)، ومنهم الموكلون بحفظ الكتب والأوراق والقرطاس (كمَيْطاطروس وحزبه ككيكتج)، ومنهم الموكلون بالصلاة على النبي ﷺ وغيرهم من الملائكة المكرمين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وأما الكتب السماوية قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ كُلُّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ"، أي أن كتب الله السماوية المنزلة إلى رسله فإنها كلام الله وأن ما تضمنتها حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، للاطلاع على الفحص الكامل للملائكة انظر الحاشية رقم # 170.

[281] سورة البقرة – 286، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾، أي الإيمان بوجودها وأنها أجسام لطيفة روحانية نورانية، وبأنهم معصومون مطهرون، وبأن لذتهم بذكر الله وأُنسهم بعبادة الله ومعرفته وطاعته، وأنهم وسائط بين الله وبين البشر، وأن كل قسم منهم متوكل على قسم من أقسام العالم، وبأن كتب الله المنزلة إنما وصلت إلى الأنبياء بواسطة الملائكة، فقال الله تعالى في

وَأَثْبَتَ أَنَّ الْمَوْتَ بِالْأَجَلِ[282] بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾.[283]

سورة فاطر – 1: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلآئِكَةَ رُسُلاً اَوْلِيَ أَجْنِحَةٍ﴾، فمعنى قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلآئِكَةَ رُسُلاً﴾، أي الرسل منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، صلى الله عليهم أجمعين، ومعنى فوله تعالى: ﴿اَوْلِيَ أَجْنِحَةٍ﴾، أي أصحاب أجنحة، قال قتادة: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة، ينزلون بهما من السماء إلى الأرض، ويعرجون من الأرض إلى السماء، وهي مسيرة كذا في وقت واحد، أي جعلهم رسلا، قال يحيى بن سلام: إلى الأنبياء، وقال السدي: إلى العباد برحمة أو نقمة، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِ﴾، بالجمع للجمهور والإفراد للإمام حمزة والإمام الكسائي، أي الإيمان بأن هذه الكتب وحي من الله تعالى إلى رسوله، وأنها ليست من باب الكهانة ولا باب السحر ولا من باب إلقاء الشياطين والأرواح الخبيثة، وبأنها من قبل الملائكة المطهرين كما قال الإمام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ملخصًا؛ لفهم كامل المعتقدات المتعلقة بالملائكة والكتب السماوية انظر الحاشية السابقة رقم # 170.

[282] أي يجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات، والجن والملائكة لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الّذي قدره الله له، سواء مات حتف أنفه، أم مات مقتولاً بأي سبب من الأسباب، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالْمَوْتُ بِالْأَجَلِ حَقٌّ"، أي أن الموت بالأجل لجميع شيء سوى الله تعالى حقٌّ وصدقٌ واقعٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فكل شيء سوى الله تعالى يجب له الفناء والموت، سواءٌ كان من الأرواح الإنسانية والعقول الملكية والنفوس الفلكية والأجرام والهيولي وغيرها من المكوّنات، فيجب الإيمان بأن الإنسان وسائر الحيوانات والجن والملائكة وغيرها لا يموت أحدٌ منهم حتى يتمّ أجله الذي قدّره الله له، سواءٌ مات حتف أنفه، أم مات مقتولاً بأي سبب من الأسباب.

[283] سورة آل عمران – 145، معناها: ﴿وَمَا كَانَ﴾، لا ينبغي ﴿لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، بقضائه وقدره، وقال الإمام فخر الرازي في مفاتيح الغيب: "اختلفوا في تفسير الإذن على أقوال: الأول أن يكون الإذن هو الأمر وهو قول أبي مسلم، والمعنى أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح فلا يموت أحد إلا بهذا الأمر، الثاني أن المراد من هذا الإذن ما هو المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، والمراد من هذا الأمر هو التكوين والتخليق والإيجاد، لأنه لا يقدر على الموت والحياة أحد إلا الله تعالى، فإذن المراد أن نفسًا لن تموت إلا بما أماتها الله تعالى، الثالث أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق وترك المنع بالقهر والإجبار، ...ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بتخلي الله بين القاتل والمقتول،...ولا يخلي بين أحد وبين قتله حتى ينتهي إلى الأجل الذي كتبه الله له،...الرابع أن يكون الإذن بمعنى العلم ومعناه أن نفسًا لن تموت إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه، وإذا جاء ذلك الوقت لزم الموت، ...الخامس قال ابن عباس: الإذن هو قضاء الله وقدره، فإنه لا يحدث شيء إلا بمشيته وإرادته، فيجعل ذلك على سبيل التمثيل، كأنه فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الله" انتهى ملخصاً، ولما كان الموت قائمًا بالنفس أخرجه مخرج فعل لها ﴿كِتَابًا﴾، مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك كتابًا ﴿مُؤَجَّلاً﴾، مؤقتًا لا يتقدّم بالإقدام ولا يتأخر بالإحجام، فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة، فيه رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين، وأثبت الموت بالأجل بقوله تعالى في سورة الأعراف – 34، ﴿فَإِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾، فمعنى فوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ﴾ أي الوقت المعلوم عند الله عز وجل، ومعنى فوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ أي عنه ساعة ولا أقل من ساعة؛ إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وهي ظرف زمان، ومعنى فوله تعالى: ﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾، فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله، وأجل الموت هو وقت الموت؛ كما أن

وَأَثْبَتَ تَثْبِيتَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ سُؤَالِ[284] **الْقَبْرِ وَإِضْلَالَ الْكَفَرِينَ عَنِ الْجَوَابِ**[285] بِقَوْلِهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءَ﴾.[286]

أجل الدين هو وقت حلوله، وكل شيء وقت به شيء فهو أجل له، وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة، وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، لا من حيث إنه ليس مقدورا تأخيره، وقال تعالى في سورة الرحمن\ 26-27: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ومعناه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾، أي الأرض من الثقلين من الإنس والجان، أو الموجودات، و"مَن" لتغليب العقلاء، ﴿فَانٍ﴾، هالكٍ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾، العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾، للمؤمنين أو ذو الاستغناء المطلق والفضل العام، وقدّم صفة الفناء لأنه في مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، مما أخبر من إبقاء ما لا يحصى مما هو صدد الفناء رحمةً وفصلًا، وما يترتب على إفناء الكلّ من الإعادة والحياة الدائمة والنعم المقيم، فدلت الآية على إن الموت بالأجل حق وصدق وثابت.

[284] هنا انتهى الورقة 53 في المخطوطة: ب.

[285] أي يجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال الملكين في القبر، بأن يردّ الله عليه روحه وسمعه وبصره ثم يسأله الملكان عن ربّه ودينه ونبيّه، فإمّا أن ينعم بإثبات المؤمنين بحسن الجواب أو يعذب الكافرين والمعصين من المسلمين بسوء الإجابة، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَقْبُورِ وَغَيْرِهِ حَقٌّ"، أي أن سؤال الأموات المدفون في القبور وغير المدفون فيها بالملكين مسّما منكرًا ونكيرًا حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، وإن كان قبره الأرض أو لم يقبر، ولو غُرق أو صُلب أو حُرق ثمّ ذرّتْه الرياح وتقتّت الأعضاء، فيرد الله عليه روحه وسمعه وبصره ثمّ يسأله الملكان عن ربّه ودينه ونبيّه، فإمّا أن يُنعمَ أو يُعذب حسب حسن إجابته أو سوئها.

[286] سورة إبراهيم: 27، فمعنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ أي كلمة التوحيد أو بالجواب لسؤال القبر، فالقول الثابت الصادرُ عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم، وثبات ثوابه عليهم، والمقصود بيان أن الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى كما قال الشيخ الفخر الرازي في مفاتيح الغيب، وقال أيضا في معنى ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: "هو أن الله تعالى إنما يثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول، ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو أنه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا إله إلا الله وعلى التأمل في حقائقِها ودقائقِها أكملُ وأتمُّ كان رسوخَ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوىَ وأكملُ، قال ابن عبّاس: من دوّام على الشهادة في الحياة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه إيّاها"، ﴿فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يتزلزلون إذا فتنوا في دينهم كأصحاب الأخدود، أو معنى في الحيوة الدنيا في القبر، لأن ذهبوا بعض المفسرين أن الموتى في الدنيا إلى أن يبعثوا، لما يسألهم الملكان عن ربّهم ودينهم ونبيّهم، فيجيبون بالصواب كما في حديث البخاري ومسلم كما سيذكر في الفصل التالي، وذهبوا بعضهم: ﴿والآخِرَةِ﴾، أي في القبر لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدينا ودخل في أحكام الآخرة، أو معناه كما ذهبوا بعض المفسرين أن معنى الآخرة هي عند الحساب، وحكّاه الماوردي عن البراء قال: "المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر، وبالآخرة المساءلة في القيامة"، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾، بالكفر والمعصية في الحياة الدنيا، ولا يهتدون للجواب بالصواب في سؤال القبر، بل يقولون: "لا ندري" كما في الحديث التالي، قال الفخر الرازي: "أن هذه الآية وردت

وَأَثْبَتَ نَعِيمَ الْبَرْزَخِ[287] بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾،[288] **وَأَثْبَتَ عَذَابَ الْبَرْزَخِ**[289] بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.[290]

في سؤال الملكين في القبر، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثبيته إيّاه على الحقّ"، أي بحسب إيمانه وطاعته في الحياة الدنيا، وأما المسلم المعاصي فينسى الإجابات بحسب معصيته وذنوبه، وأما المنافق والكافر فيقولان في السؤال: لا أدري، أو يقول للملكين: "أنتما ربي!"، كما سيأتي في الفصل التالي، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءَ﴾، من تثبيت بعضٍ وإضلال آخرين من غير اعتراض عليه، وفيه تنبيه للمؤمن أن لا يتكل على ما هو عليه ولا يأمن مكر الله، قوله الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل في معنى التنزيل.

[287] معنى البَرْزَخَ بفتح الأول والثالث على وزن جَعْفَرٍ، في اللغة الفارسية هو عبارةٌ عن شيءٍ حائلٍ بين شيئين، قال الله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، ومعناه في الشريعة حياةٌ حاليةٌ ما بين الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فالمراد به هنا القبر لأنّه واقعٌ بين الدنيا والآخرة، قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "البَرْزَخُ ما بين كلِّ شَيْئَيْنِ، وفِي الصِّحَاحِ: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر، من وقت الموت إلى القيامة، وقال الفراءُ: البرزخ من يوم يموت إلى يوم يُبعثُ، مَن مات فقد دخله، أي البرزخ"، فمعنى بنعيم البرزخ نعيم القبر ومن نعيمه توسيع القبر وفتح طاقة فيه من الجنة، وامتلاؤه بالريحان وجعله روضة من رياض الجنة وتنويره حتى يغدو كالقمر ليلة البدر، فجعله من ذلك محل البركة فلذلك أنه المستحب لزيارة قبور الصالحين والأولياء والعلماء العاملين ليتبرك من بركاتهم.

[288] سورة الواقعة 88–91، فمعنى فوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾ الميت، ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون، ومعنى فوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ﴾ ومعناه عند ابن عباس وغيره: فراحة من الدنيا، قال الحسن: الروح الرحمة، وقال الضحاك: الروح الاستراحة، قال القتبيُّ: المعنى له في طيب نسيم، وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، ومعنى فوله تعالى: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ والريحان الاستماع لكلامه ووحيه، ورزق حسن أو طيب، ومعنى فوله تعالى: ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ أي مقام كريم، هذا عند الموت والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث، ومعنى فوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ﴾ أي وإن كان الميت، ومعنى قوله تعالى: ﴿مِنَ أَصۡحَابِ ٱلۡيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ﴾، أي لأجلك يا محمد، أو سلام لك يا صاحب اليمين، ﴿مِنَ أَصۡحَابِ ٱلۡيَمِينِ﴾، أي من إخوانك يسلمون عليك، و"من" ابتدائية، وقيل مسلم لأنك منهم، فلست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم، فليس في أمرهم إلا السلام والنجاة من العذاب، فإنهم يسلمون من عذاب الله، وقيل: معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين، فحذف إنك، وقيل: إنه يحيا بالسلام إكراما، فعلى هذا في محل السلام ثلاثةُ أقاويلٍ: أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلّم عليه ملك الموت، قاله الضحاك، وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: "ربّك يقرئك السلام"، الثاني عند مساءلته في القبر يسلّم عليه منكر ونكير، الثالث عند بعثه في القيامة تسلّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها، وقال الإمام ابن عطية: الكاف في "لك" للنبي ﷺ على الإظهار، أو لمن يخاطب من أصحاب اليمين.

[289] فمعنى عذاب البرزخ عذاب القبر، ومن عذابه انقباض القبر وفتح طاقة فيه من الجهنم، وامتلاؤه بالظلام والروائح الكريهة، وجعله حُفْرَةً من حُفَرِ الجهنم، والدخول فيه الثعابين الخطيرة والعقارب والجرذان وغيرها من أجل زيادة عذابه، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ"، أي أن عذاب العاصيين والفجار والمنافقين والكفار

وَأَثْبَتَ إِتْيَانَ السَّاعَةِ[291] بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيْهَا﴾.[292]

في قبورهم بحسب أحوالهم، ونعيم المطيعين من المؤمنين والصالحين في قبورهم بحسب أحوالهم حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه للمقبورين وإن كان قبورهم الأرض أو لم يقبر ولو غرق أو صلب أو حرق ثم ذرته الرياح، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب أو النعيم، كما قال الشيخ إبراهيم الباجوري في شرحه لجوهرة التوحيد، وأتفّق علماء السنّة أن المنعم والمعذّب جسدًا وروحًا جميعًا، وأن عذاب القبر للكافر والمنافق دائم ديمومة البرزخ، وينقطع عن المؤمن العاصي إن خفّت جرائمه كما يرفع بالدعاء لهم أو الصدقة أو غير ذلك، وكما أن العذاب لا يختصّ بالقبر فكذلك النعيم فهو يشمل كل ميت قدر له، قُبِرَ أو لم يُقْبَرْ، ولا يختصّ بالمؤمنين من هذه الأمّة، ولا بالمكلفين.

[290] سورة الواقعة 92-94، ومعناه: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ أي من أصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف دلالة على أن ذلك الوصف أورثهم الشقاء زخرًا عنه، ﴿فَنُزُلٌ﴾ له ﴿مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾، ومن ذلك ما يجده في القبر من سموم النار، وفي ذكر النزل تهكم، وأثبت عذاب القبر أيضا في سورة الأنعام 93 بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلآئِكَةُ بِاسِطُواْ أَيْدِيهُمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ اَلْهُونَ﴾، فمعنى فوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾، يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، المذكورون أو جنسهم حذف مفعول " ترى" لدلالة الظرف عليه، أي ولو ترى الظالمين، ﴿فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾ وغمرات الموت شدائده وسكراته، ومعنى فوله تعالى: ﴿وَالمَلآئِكَةُ بِاسِطُواْ أَيْدِيهُمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون تعنيفًا وتشديدًا في الإزهاق، قيل عن الإمام الحسن والإمام الضحاك: باسطوا أيديهم بالعذاب ومطارق الحديد، وقيل: لقبض أرواحهم، ومعنى البسط الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم، ومعنى فوله تعالى: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾ أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم، وهو توبيخٌ، وقيل: أخرجوها كرهاً، لأن روح المؤمن تَنْشَطُ للخروج للقاء ربّه، وروح الكافر تَنْتَزِعُ اِنتزاعًا شديداً، قيل فأخرجوا أنفسكم إلينا لنقبضها، أي أخرجوها كرهًا من أجسادكم، لأن المؤمن يحبّ لقاء الله بخلاف الكافر، وقيل معناه خلصوا أنفسكم من هذا العذاب إن قدرْتُم على ذلك، فيكون هذا القول توبيخًا لهم، ومعنى فوله تعالى: ﴿اَلْيَوْمَ﴾، أي وقت الإماتة ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ اَلْهُونَ﴾، إلى ما لا يتناهى، أي العذاب المتضمن للشدة والإهانة وإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه، فالهون والهوان سواءٌ فمعناهما القبر.

[291] قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "والساعةُ القيامةُ كما في الصحاح، وهو مجازٌ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه، أو الساعةُ الوقت الذي تقومُ فيه القيامةُ، سمّيتْ بذلك لأنّها تفجأُ الناسَ في ساعةٍ، فيموتُ الخلقُ كلُّهم بصيحةٍ واحدةٍ، قاله الزجّاجُ، ونقله الأزهريُّ، وقال الراغبُ في المفردات وتبعه المصنف في البصائر ما نصّه: وقيل الساعاتُ التي هي القيامُ ثلاثٌ: [1] الساعةُ الكُبرى، وهي بعث الناسِ للمحاسبةِ، وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفَحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَحَتَّى يُعْبَدَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ))، وذكر أمورًا لم تحدثْ في زمانه ولا بعده، [2] والساعةُ الوسطى، وهي موتُ أهلِ القرنِ الواحدِ، وذلك نحو ما رُوِي أنّه رأى عبد الله بن أُنيس فقال: ((إِنْ يَطُلْ عُمْرُ هَذَا الْغُلَامِ لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةِ))، فقيل إنّه آخرُ من مات من الصحابةِ، [3] والساعةُ الصغرى، وهي موتُ الإنسانِ، فساعةُ كلِّ إنسانٍ موتُهُ، وهي المشارُ إليها بقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ خَسِرَ اَلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، ومعلومٌ أنّ هذا الخسرَ ينالُ الإنسانَ عند موتِهِ، وعلى هذا رُوِي أنّه كان إذا هبّتْ ريحٌ شديدةٌ تغيّر لونه ﷺ فقال: ((تَخَوَّفْتُ السَّاعَةَ))، وقال: ((مَا أَمُدُّ طَرْفِي وَلَا أَغُضُّهَا إِلَّا وَأَظُنُّ السَّاعَةَ قَدْ قَامَتْ))، بمعنى موته ﷺ، وقال ابن الأعرابيّ: السّاعةُ الْهَلْكُ كالجاعةِ للجياعِ والطاعةِ للمُطيعين"، انتهى.

وَأَثْبَتَ بَعْثَ الْأَمْوَاتِ[293] بِقَوْلِهِ: [﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.[294]

---

[292] سورة الحاج – 7، ومعناه: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾، الموعودة المعهودة من عنده، القيامة من سوع بمعنى حضر، سميت بها لسرعة مجيئها كأنها حاضرة ﴿آتِيَةٌ﴾، إذ هي من جملة مقدورات الله التي قدر وجودها في لوح قضائه وحضرة عمله، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، في إمكانها ووقوعها من عطف الخاص على العام توكيدًا لوقوعها لأن حال الفنية في النوم والبعث دليل على جواز الموت والبعث، فلا ريب في آتية الساعة لأن الصادق قد أخبر بوقوعها، فمعنى الآية أن الله تعالى يخلق في هذا الوجود الحادث ساعةً، تتزلزل فيها الأكوانُ، وتُطوى فيها السماواتُ.

[293] أصل البعث لغةً التّحْريكُ والإثارةُ والإرسالُ والنّشرُ، ومعناه اصطلاحًا إخراجُ الناس أحياءً من قبورهم وإرسالهم إلى موقف الحشر والقضاء بينهم وجزائهم، قال العلامة ابن منظور الافريقي في لسان العرب: "والبعثُ الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، أي أحييناكم، وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، فمعنى بعث الله الخلقَ يبعثهم بعثًا نشرهم من ذلك، وفتح العين في البعَث كله لغةٌ، ومن أسمائه عزّ وجلّ الباعِثُ، هو الذي يبعثُ الخلقَ أي يُحييهم بعد الموت يوم القيامة"، وهو إحياء الله تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم وغيرها بعد جمع الأجزاء الأصلية ليلقي كلّ منهم جزاءه الّذي قدّر له من نعيمٍ أو عذابٍ، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، وَبَعْثُ اَلْأَمْوَاتِ فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ حَقٌّ"، أي أن بعث أجسادَ الأموات من قبورهم ومن غيرها وأحيائهم في يوم القيامة حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، ويسمّى البعث الإعادة على معنى أن الله تعالى يُعيدُ الأبدان والأجساد والاجزاء المتفرّقة إلى نظمها الأول يوم القيامة، فيسمّاه يوم البعث لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اَلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالْإِيْمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي أن قبل موتهم في الدنيا أنهم لا يعلمون أو لا يؤمنون أنهم مبعوثون من بعد الموت، فيبعثهم الله تعالى جميعًا من قبورهم ومن غيرها بعد موتهم ومكثهم فيها دليلًا على جهلهم وكفرهم، قال الفخر الرازي في الإشارة في أصول الدين: "فاعلمْ أنّ جميع الأنبياء قد أخبروا عن وقوعه، واتفقتْ كلمتهم صلوات الله عليهم على ذلك، ولم يُنْكِرْ ذلك أحدٌ من أصحاب الشرائع وأرباب الأديان، وثبت صدق لهجتهم وجوبُ اتّباع قولهم، فوجب الاعتراف به والتصديق بوقوعه".

[294] سورة الحاج – 7، ومعناه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾، المتصرّف بالاسْتقْلالِ والاخْتيارِ ﴿يَبْعَثُ﴾، يوم الحشر بمقتضى وعده لتمييز الطائع والعاصي والمحقّ والمبطل، ﴿مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ من النفوسِ الخيرةِ والسريرةِ، ثم يحاسبهم ويجازيهم على مقتضى حسابه، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، فمعنى الآية أن الله تعالى يبعث أجساد الموتى، من قبورهم، ومن أجوافِ السباع، وحواصل الطيور، ثم يَحشرهم إليه، في يوم، كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، مما تعدّون، لأنّه قدرته إلى كلّ الأشياء على السّواء، فلما دلّت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلّها لتمييز الطّائع والعاصي والمحقّ والمبطل، قال الإمام النسفي في الإكليل: "أنّه حكيمٌ لا يخلف الميعاد، وقد وعد الساعةَ والبعثَ فلا بدّ أن يفي بما وعد"، قال الإمام فخر الرازي في مفاتح الغيب: "أنّه لما أقام الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنةٌ، وأنّه سبحانه وتعالى قادرٌ على كلّ الممكناتِ وجب القطع بكونه قادرًا على الإعادة في نفسها، وإذا ثبت الإمكانَ والصادق أخبر عن وقوعه فلا بدّ من القطع بوقوعه، واعلم أن تحرير هذه الدلالة على الوجه النظري أن يقال: الإعادةُ في نفسها ممكنةٌ، والصادقُ أخبر عن وقوعِها، فلا بدّ من القطع بوقوعِها، أمّا بيّانُ الإمكانِ فالدّليلُ عليه أن هذه الأجسامَ بعد تفرّقها قابلةٌ لتلك الصفات التي كانتْ قائمةً بها حالَ كونها حيةً عاقلةً، والبارئ سبحانه عالمٌ بكل المعلومات فيكون عالمًا بأجزاء كل واحدٍ من المكلّفين على التعيين وقادرًا على كلّ الممكنات، فيكون قادرًا

وَأَثْبَتَ الْحَشْرَ[295] بِقَوْلِهِ:][296] ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[297]

على إيجاد تلك الصفات في تلك الذّوات، فثبت أن الإعادةَ في نفسها ممكنةٌ، وأنّه سبحانه بمكنه تحصيل ذلك الممكن، فثبت أن الإعادةَ ممكنةٌ في نفسها، فإذا أخبر الصادقُ عن وقوعِها فلا بدّ من القطع بوقوعِها، فهذا هو الكلام في تقرير هذا الأَصْلِ".

[295] قال العلامة ابن منظور الافريقي في لسان العرب: "حَشْرٌ: حَشَرَهُم يَحْشُرُهُم ويَحْشِرُهُمْ حَشْرًا: جمعهم، ومنه يوم المحشر، والحشْر: جمع الناس يوم القيامة"، وقال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "والحشْر: الجمع والسوق، يقال: حَشَرَ يَحْشُرُ بالضّمّ ويَحْشِرُ بالكسر حَشْرًا، إذا جمع وساق"، والحشر هو سوق النّاس إلى المحشر أي مكان الحساب الّذي يجتمع فيه الخلائق، وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم، ويعرف كلٌّ مصيره، ويسمى هذا اليوم يوم الحشر ويوم الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿اَللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي أن الله تعالى يجمعكم جميعًا أوّلَكُم وآخرَكم وكبيرَكم وصغيرَكم وجنّكم وإنسَكم إحياءً ليوم القيامة، وقال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَجَمْعُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ حَقٌّ"، أي وأن حشر الناس في مكان واحد يوم القيامة حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فيبعث الله تعالى أجساد الموتى من قبورهم، ثم يحشرهم إليه في ميدانٍ واحدٍ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ اَلْفَ سَنَةٍ﴾، أي قدر طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، قال سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس الله سرّه في معنى قوله تعالى: "﴿وَ﴾، اذكرْ لهم يا أكمل الرسل ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾، أي أهواله المتطاولة وشدائده المترادفة المتتالية إلى حيث يصرف عندهم مدة حياتهم في الدنيا ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ﴾، في الدنيا ﴿إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾، لطول ذلك اليوم وشدة أهواله ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، أي وهم يعرف بعضهم بعضاً، هذا في أوّل النشر ثم يشتد عليهم الأمر ويرتفع التعارف والالتفات، ويصير كلّ منهم رهينة ما كسبت، وبالجملة: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾، وخاب خيبة عظيمة ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ﴾، في الآخرة، وأصروا على ما هم عليه من اقتراف المعاصي، ولم يلتفتوا إلى الأنبياء والذي جاءوا به من عند الله لإصلاح أحوالهم في مبدئهم ومعادهم ﴿وَمَا كَانُواْ﴾، أيضاً ﴿مُهْتَدِينَ﴾، بطريق الصلاح والصواب من تلقاء نفوسهم بلا إرشاد مرشد".

[296] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[297] سورة الكهف: 47–48، فمعنى فوله تعالى: ﴿وَ﴾، أذكرْ ﴿يَوْمَ نَسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾، بالنون وكسر الياء ونصب الجبال لنافع والكوفيين، وبالتاء مبنياً للمفعول للباقين، نذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منثوراً، ويجوز عطف "يوم" على "عند ربك" أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة، والمقصود منه الرد على المشركين الذي افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأعوان، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾، ظاهرةً ليس عليها شيء من جبل ولا غيره، فلم يبق على وجه الأرض شيء من العمارات، ولا شيء من الجبال، ولا شيء من الأشجار، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها، فالمراد من كونها بارزة أنها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموت المقبورين فيها، فهي بارزة الجوف والبطن، فإن وجوه الأرض كانت مستورة بالجبال والبحار، فلما أفنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة، ﴿وَ﴾ قد ﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾، أي الموتى من المؤمنين والكافرين جمعناهم إلى الموقف، وآثر الماضي بعد "نسير" و"ترى" لتحقيق الحشر، ومعنى فوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾، لم نترك، يقال: غادره وأغدره إذا تركه، ومنه سمى نقض العهد غدرًا لكونه تركًا للوفاء، ومنه الغدير لما غادره السيل، وقرئ بالياء، ﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾، والمعنى جمعناهم للحساب فلم تغادر منه أحدًا، أي لم نترك من الأولين والآخرين أحدًا إلا وجمعناهم لذلك اليوم، ونظيره قوله تعالى في سورة الواقعة\49–50: ﴿قُلْ إِنَّ اَلْأَوَّلِينَ وَالْأَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، ولما

وَأَثْبَتَ الْحِسَابَ[298] بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.[299]

ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم فقال: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾، فشبّهت حالهم كما تعرض الجنود على الملوك صفًّا صفًّا، حال أي مصطفين كل أمة صف لا يحجب أحدٌ أحدًا، فأنه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن أعمالهم ويحاسبهم عليها عرضًا عليه، وفي الصحيح: ((يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ صُفُوفًا يَسْمَعُهُمْ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمْ الْبَصَرُ)) الحديث، وفي حديث آخر: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مائَةٌ وَعِشْرُونَ صَفًّا أَنْتُمْ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا))، يقال لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، أي قلنا لهم لقد جئتمونا، ﴿فُرَادِىَ﴾، أي فرادي حفاةً عراةً غرلًا لا مال ولا ولد، أو أحياءً، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي لقد بعثناكم وحشرناكم كما أنشأناكم أول مرة؛ انظر ضياء التأويل للشيخ عبد الله بن فودي، الجزء الثالث، ص 14؛ ومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، المجلد 11، ص 137–139؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات النسفي، الجزء الثاني، ص 307–308.

[298] قال العلامة ابن منظور الافريقي في لسان العرب: "حسب الشيءَ يحسُبُه بالضم، حسْبًا وحِسابًا وحِسابةً: عدّه"، وقال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "وحسابًا ذكره الجوهريّ وغيره، قال الأزهريُّ: إنّما سُمّي الحسابُ في المُعاملات حسابًا لأنّه يعلم به ما فيه كفايةً ليس فيها زيادةٌ على المقدار ولا نقصانٌ، وقد يكون الحساب مصدر المُحاسبة عن مكّيّ، ويفهم من عبارة ثعلب أنّه اسم مصدر، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، أي حسابُهُ واقعٌ لا محالةَ، وكلّ واقع فهو سريعٌ، وسرعةُ حساب الله أنّه لا يشغله حساب واحد عن مُحاسبة الآخر، لأنّه سبحانه لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ولا شأنٌ عن شأنٍ، وقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي بغير تقتيرٍ ولا تضييقٍ، كقولك: فلانٌ يُنفِقُ بِغير حسابٍ، أي يُوسّعُ النّفقةَ ولا يحسُبُها"، ومعنى الحساب في اللغة العدّ، يقال: حَسَب يحسُب حِسابًا وحِسْبة وحسْبًا إذا عدّ، ذكره الليث وابن السكيت، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالْحِسَابُ حَقٌّ" أي أنّ حساب جميع أعمال وأقوال واعتقادات لبعض العباد حقّ وصدق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ويشمل الحساب الكافرين والمؤمنين والإنس والجن إلا من استثنى الله تعالى منهم، فإنهم يحاسب حتى من لا حسنة له ليزداد خزيًا على رؤوس الأشهاد، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: "اختلف الناس في معنى كون الله تعالى محاسبًا لخلقه على وجوه: أحدها أن معنى الحساب أنه تعالى يعلمهم ما لهم وعليهم، بمعنى أنه تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها، ومقادير ما لهم من الثواب والعقاب، قالوا: ووجه هذا المجاز أن الحساب سبب لحصول علم الإنسان بما له وعليه، فاطلاق اسم الحساب على هذا الإعلام يكون إطلاقًا لاسم السبب على المسبب، وهذا مجاز مشهور، ونقل عن ابن عباس أنه قال: إنه لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله تعالى ويعطون كتبهم بأيمانهم فيها سيئاتهم، فيقال لهم: هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها، ثما يعطون حسناتهم ويقال: هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم، والقول الثاني: أن المحاسبة عبارة عن المجازاة، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾، ووجه المجاز فيه أن الحساب سبب للأخذ والإعطاء وإطلاق اسم السبب على المسبب جائز، فحسن إطلاق لفظ الحساب عن المجازاة، والقول الثالث: أنه تعالى يكلم العباد في أحوال أعمالهم وكيفية مالها من الثواب والعقاب، فمن قال: إن كلامه ليس بحرف ولا بصوت قال: إنه تعالى يخلق في أذن المكلف سمعًا يسمع به كلامه القديم، كما أنه يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة، ومن قال إنه صوت قال: إنه تعالى يخلق كلامًا يسمعه كل مكلف إما بأن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم أو في جسم يقرب من أذنه بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت أن تمنع الغير من فهم ما كلف به، فهذا هو المراد من كونه تعالى محاسبًا لخلقه"، فإن حساب الأعمال يوم القيامة حق وصدق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

وَأَثْبَتَ إِيتَاءَ الْكُتُبِ[300] بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ،[301] وَبِقَوْلِهِ:[302] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾، فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ.[303]

---

[299] سورة إبراهيم – 41، ومعناه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾، يثبت ﴿الْحِسَابُ﴾، شبه ثبوته بقيام الشخص على رجليه كما في قولهم قامت الحرب على ساق أو المعنى يوم يقوم الناس إليه، فأسند الفعل إليه مجازًا، أي يسند إلى الحساب قيام أهله، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ مَا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، أي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، ولما كانت قدرة الله تعالى متعلقة بجميع الممكنات، ولا يتوقف تخليقه وإحداثه على سبق مادة ولا مدة ولا آلة ولا يشغله شأن عن شأن لا جرم كان قادرًا على أن يخلق جميع الخلق في أقل من لمحة البصر، وهذا كلام ظاهر، ولذلك ورد في الخبر أن الله تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب ناقة، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كما قال الفخر الرازي: "أنه تعالى في الوقت الواحد يسأله السائلون كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة، فيعطي كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك، ولو كان الأمر مع واحد من المخلوقين لطال العد واتصل الحساب، فأعلم الله تعالى أنه ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، أي هو عالم بجملة سؤلات السائلين لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد بد، ولا إلى فكرة وروية، وهذا معنى الدعاء المأثور: ((يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ))، وحاصل الكلام في هذا القول أن معنى كونه تعالى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، كونه تعالى عالمًا بجميع أحوال الخلق وأعمالهم، ووجه المجاز فيه أن المحاسب إنما يحاسب ليحصل له العلم بذلك الشيء، فالحساب سبب لحصول العلم، فأطلق اسم السبب على المسبب، وثالثها: أن محاسبة الله سريعة بمعنى آتية لا محالة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾، وكل ما هو آت آت، فكأنخ قيل: إن الساعة التي فيها الجزاء والحساب قريبة".

[300] وهي الكتب الّتي كتبتْ فيها الملائكة ما فعله العباد في الدّنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال، لا يأخذها الأنبياءُ والملائكةُ ومن يدخلون الجنّة بغير حساب لأنهم لا يحاسبون، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَإِيتَاءُ الْكُتُبِ حَقٌّ"، أي أن إيتاء صحف أعمال الخيرات والسيئات في يوم القيامة حق وصدق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

[301] سورة الانشقاق – 7؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾، أي من أعطي كتاب أعماله ﴿بِيَمِينِهِ﴾، أي وهو المؤمن، إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة، وقال ابن عباس: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة، ذكره الإمام الثعلبي، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، أي حسابًا سهلاً من غير مناقشةٍ، بل يعرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه: ((مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هُلِكَ))، وبعد العرض يتجاوز عنه، ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾، عشيرته أو المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور والولدان، ﴿مَسْرُورًا﴾، بذلك، فدلت هذه الآية على أنه سبحانه أعد له ولأهله في الجنة ما يليق به من الثواب، أي في حق المؤمنين لأن تُعرض عليه أعماله، ويعرف أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية، فلا شدة على المؤمنين الذين أوتي كتابه بيمينه ولا مناقشة، ولا يقال له: لِمَ فعلتَ هذا؟ ولا يطالب بالعذر فيه ولا بالحجة عليه، ثم إنه عند هذا الحساب اليسير يرجع إلى أهله مسرورًا فائزًا بالثواب آمنًا من العذاب، والمراد من "أهله" أهل الجنة من الحو العين أو من زوجاته وذرياته إذا كانوا مؤمنين.

[302] هنا انتهى الورقة 54 في المخطوطة: ب.

[303] سورة الحاقة –25؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾، أي في حق الكافرين والمسلمين المذنبين الذين ماتوا غير تائبين، فمن أعطي يومئذ كتاب أعماله بشماله، ﴿فَيَقُولُ﴾، لما يرى فيه من الفضائح وسوء العاقبة، ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ

وَأَثْبَتَ وَزْنَ الْأَعْمَالِ[304] بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.[305]

أُوْتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا﴾، الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾، القاطعة لحياتي بأن لا أبعث أو يا ليت هذه الحالة كانت الموتة القاضية عليّ بأن تدوم لما رأى من الشدة التي تعدُّ مرارة الموت حلاوة عندها.

[304] معنى وزن الأعمال أنه تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرّها، وكيفية وزن الأعمال له وجهان: أحدهما أن أعمال المؤمن تتصوّر بصورة حسنة، وأعمال الكافر بصورة قبيحة، فتوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عباس: "أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُؤْتِىَ بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ، فَتَوَضَعُ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَمَثَّلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ"، وثانيهما أن الوزن يعود إلى الصحف التي تكون فيها أعمال العباد مكتوبةً، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ حَقٌّ"، أي أنّه وزن أعمالًا لمن يشاء من عباده يوم القيامة، فهو حق وصدق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع، أي أنه يوزن عمل كلّ مّن يحاسب حتى مّن لا حسنة له ليزداد خزيًا على رؤوس الأشهاد وبالوزن يظهر العدل في العذاب والعفو عن الآثام، وقيل إن حقيقته لا يعلمها إلّا الله تعالى، وبوزن الأعمال يظهر العدل في العذاب والعفو عن الآثام، وقيل إن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى، والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان، قال عبد الله بن عمر: "تَوَزَنُ صَحَائِفَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ"، وقيل: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وقال مجاهد: "الميزان الحسنات والسيئات بأعيانها"، وعنه أيضاً والضحاك والأعمش: "الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء"، ورُوِيَ عن عبد الله بن سلام: "أن ميزان ربّ العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتي الميزان على الجنة والأخرى على جهنم، ولو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه".

[305] سورة الأعراف: 8، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ﴾، للأعمال أي مقابلتها بالجزاء، والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان كالسماء والأرض عظمًا، كما ورد كل ذلك في الأحاديث الصحاح كائن، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي يوم السؤال المذكور، و"الوزن" مبتدأ و"يومئذ" خبره، ﴿ٱلْحَقُّ﴾، العدل السوى صفة الوزن، أو هو الخبر لأنّه بمعنى كائن، أو خبر محذوف، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، حسناته، جمع موزون، أو ما يوزن به جمع ميزان، والأول أوجه وعلى الثاني، فجمعه للتفخيم أو لكثرة الموزون فيه، وهو الأصح، أو متعدد تعدد الأمم، أو الأشخاص كما هو معلوم في كتبنا الأصولية، وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر، ولشيخ شيوخنا طاهر بن إبراهيم في نظم الكبرى في السمعيات كلام بليغ رصين جزل فصيح ينبغي النظر فيه لمن أراد ذلك، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، الفائزون بالنجاة والثواب، بأن يزيد حسناتهم على سيئاتهم، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، الكافر والمعاصي من المسلمين، ﴿فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم﴾، بتصييرها إلى النار، بأن يزيد سيئاتهم على حسناتهم، ﴿بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب وغيره وضع موضع يكذبون للدلالة على أن تكذيب الآيات ظلم، وروى الطبري عن حذيفة، قال: "صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام، قال: يا جبريل زن بينهم، فرد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حمل عليه من سيئات صاحبه! فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾" واثبت وزن الأعمال أيضًا بقوله تعالى في سورة الأنبياء-47: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾، فمعنى فوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ﴾ أي العدل، فمعنى الكلام: والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين، الحق، ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ أي ذوات العدل يوزن بها صحف الأعمال كما في الأحاديث الصحاح، وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر، أو معناه القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنات والسيئات، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه،

وَأَثْبَتَ الصِّرَاطَ[306] بِقَوْلِهِ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.[307]

يقول: أذهبت حسناته سيئاته، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية، يقول: أذهبت سيئاته حسناته، وقيل تمثيل للحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل، وإفراد "القسط" لأنه مصدر وصف به للمبالغة، ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي فيه، أو لجزائه، أو لأجل أهله، أو اللام للتوقيت كقوله: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، قال القرطبي في تذكرته: قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، اه؛ قال القابسي والصحيح أن الحوض قبل الميزان، اه؛ وهل الحوض قبل الصراط أو بعده أو هما حوضان؟ أقوال، والله أعلم، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، من أعمالها أو من الظلم، ﴿وَإِن كَانَ﴾، وجد ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، برفع المثقال لنافع على أن "كان" تامةً وبنصبه للباقين على ناقصة، أي إن كان العمل زنة حبة، ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾، أحضرنا موزونها، ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾، محصين في كل شيء لكمال علمنا وشموله، وإنما وضع الميزان إظهار للعدل، وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة، وروى الديلمي عن سمرة بن فاتك الأسدي عن النبي ﷺ أنه قال: ((الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما، وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أزاغه وإن شاء أقامه، وقال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾))، وقد روى عن حذيفة، قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال: يا جبريل زن بينهم، فرد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حمل عليه من سيئات صاحبه ! فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾.

[306] أصل الصراط الطريق، أي الطريق إلى الجنة، قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "وأما صراط الآخرة فهو عند أهل السنّة: جِسْرٌ ممدود على مَتْن جهنّم منعوت في الحديث الصحيح: ((وَهُوَ أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ))، الحديث"، قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالصِّرَاطُ حَقٌّ"، أي أنّ صراط الجهنم وجوازه مع وقوف عليه حقّ وصدق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمرّ عليه الأولون والآخرون كلّ بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم كالجواد، ومنهم كهرولة، ومنهم كحبوّ، ومنهم كزحف، ومنهم يتساقطون في النّار، وعلى جوانب الصراط كلاليب لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق، وعلى الصراط سبع مواقف أو قناطير كما سيأتي، فإن الصراط جسر جهنم بين الموقف والجنة، وأنّ المؤمنين يمرّون عليه لدخول الجنة، وفي هذا إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته، وهو جسر على متن جهنم يمرّ عليه الناس كلهم، فالمؤمنون يناجون على حسب حالهم، أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها، أعذنا الله الكريم منها.

[307] سورة الصافات: 23، معنى قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾، أي دلّوهم وسوقوهم كما قال ابن عباس، أي احشرهم من مقامهم إلى الموقف أو من الموقف إلى الجهنم، ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾، أي إلى طريق النار ليسلكوها، وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار، ﴿وَقِفُوهُمْ﴾، في الموقف أو عند الصراط، أي احبسوهم، ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، عن جميع أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم أعمالهم في الدنيا، والواو لا توجب الترتيب، وتقديم الحشر إلى النار في الذكر لأنه أشق وأوحش على السمع من الوقوف للسؤال مع جواز أنها مواقف متعددة، والله أعلم، المراد بقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، أي على الصراط السبع المواقف أو القناطير: أما القنطرة الأولى فوقفهم ويسأل عن الإيمان بالله، والقنطرة الثاني فوقفهم ويسأل عن الصلاة، والقنطرة الثالثة فوقفهم ويسأل عن الصوم شهر رمضان، والقنطرة الرابعة فوقفهم ويسأل عن الزكاة، والقنطرة الخامسة فوقفهم ويسأل عن الحجّ

وَأَثْبَتَ الْكَوْثَرَ[308] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.[309]

والعمرة، والقنطرة السادسة فوقفهم ويسأل عن الأمر بالمعروف، والقنطرة السابعة فوقفهم ويسأل عن النهي عن المنكر، أجازنا اللهُ تعالى على الصراط إجازته مَن اصطفاه من أوليائه، ورزقنا شفاعة رسوله وأنبيائه آمين.

[308] قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين: "وَالْكَوْثَرُ حَقٌّ" أي أنّ حوض الأنبياء وشربًا منها واطرح عنها حقّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب الإيمان بأن لكلّ رسول حوضاً يرده الطّائعون من أمته، وأن حوض النبي ﷺ أكبرها وأعظمها، واسمه الكوثر، واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر الوجوه، الوجه الأوّل: أنّه نهرٌ في الجنّة كما رواه الترمذيّ عن عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ: ((الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِن ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلَجِ))، والوجه الثاني: أنّه حوض النبي ﷺ في الموقف كما رواه مسلم عن عطاء بن أبي رباح قال عليه الصلاة والسلام: ((أَتَدرُونَ مَا الْكَوْثَرَ؟))، قلنا: "الله ورسوله أعلم"، قال: ((فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيَهُ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ))، والوجه الثالث أن الكوثر هو النبوّة والكتاب قاله عكرمة بن عمرو أبي جهل، والوجه الرابع أنه القرآن كما قال الحسن البصري، والوجه الخامس أنه الإسلام كما حكّاه المغيرة، والوجه السادس أنه تيسير القرآن وتخفيف الشرائع كما قاله الحسين بن الفضل، والوجه السابع أنه كثرة الأصحاب والأمّة والأشياع كما قاله أبو بكر بن عياش ويمان ابن رئاب، والوجه الثامن أنه الإيثار والتفضيل على جميع الخلائق كما قاله ابن كيسان، والوجه التاسع أنه رفعة الذكر كما حكّاه الماورديّ، والوجه العاشر أنّه نورٌ في قلبه عليه السلام دلّ العبد على الله وقطعه عما سواه وعنه، والوجه الحادي عشر أنه الشفاعة، والوجه الثاني عشر أنه معجزات الرّبّ هدي به أهل الإجابة لدعوته كما حكّاه الثعلبيُّ، والوجه الثالث عشر أنه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما قاله هلال بن يساف، والوجه الرابع عشر الفقه في الدين، والوجه الخامس عشر أنه الصلوات الخمس، والوجه السادس عشر أنه العظيم من الأمر كما قاله ابن إسحاق، فشمل معنى الكوثر كل هذه الوجوه ولكن أصحّها وجه الأوّل والثاني لأنّه ثابتٌ عن النبي ﷺ نصًّا في الكوثر، وأما وصف مسيرة الكوثر ستتمّ ذكرها في الفصل التالي، وأما من قال إنّ حوض النبي ﷺ شفاعته ستتمّ مناقشتها في الحواشي القادمة.

[309] سورة الكوثر: 1، معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، يا محمد، ولم يقل: "سنعطيك" لأن قوله: "أعطيناك" يدل على أن هذا الإعطاء كان حاصلًا في الأزل في الزمان الماضي في الحين قال عليه السلام: ((كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ))، ولم يقل: "أعطينا الرسول" أو "أعطينا النبي" وغير ذلك لأنه لو قال ذلك لأشعر أن تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف، فلما قال: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ" عُلم أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلًا، بل هي مخصّ الاختيار والمشيئة خاصةً لسيدنا محمد ﷺ، ومعنى قوله تعالى:﴿الْكَوْثَرَ﴾ الخير الكثير في الدارين، فوعل من الكثرة، ومنه النهر أو هو المراد هنا لحديث البخاريّ ومسلم عنه عليه السلام: ((أَتَيْتُ لَيْلَةَ أَسْرَى بِي عَلَى نَهْرٍ خَافَتَاهُ قُبَابَ اللُّؤْلُؤِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ))، وفي ابن ماجه: ((أَوَّلُ مَنْ يَرِدُّ عَلَى الْحَوْضِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الدَّنَسُ ثِيَابًا الشَّعْثُ رَؤُوسًا اَلَّذِينَ لَا يُنْكِحُونَ الْمُنْعِمَاتَ))، فالكوثر الخير الكثير في الدنيا والدين، فهو وعدٌ من الله بالنصرة والحفظ، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، أي دم على الصلاة لرضا ربّك، لا كالمرائين المنافقين، ﴿وَانْحَرْ﴾ له القرابين البدن التي هي خير أموال العرب شكرًا لإنعامه عليك وصدقة على المحتاجين خلافًا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون، وأراد بـ"وانحر" التصدق بلحم الأضاحي، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، مبغضك، ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾، المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: "أن السالكين إلى الله تعالى لهم ثلاث درجات: أعلاها أن يكونوا مستغرقين بقلوبهم وأرواحهم في نور جلال الله، وثانيها أن يكونوا مشتغلين بالطاعات والعبادات البدنية، وثالثها أن يكونوا في مقام منع النفس عن

وَأَثْبَت النَّارَ[310] بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾،[311]

الانصباب إلى اللذات المحسوسة والشهوات العاجلة، فقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ إشارة إلى المقام الأول، وهو كون روحه القدسية متميزة عن سائر الأرواح البشرية بالكم والكيف، أما بالكم فلأنها أكثر مقدمات، وأما بالكيف فلأنها أسرع انتقالًا من تلك المقدمات إلى النتائج من سائر الأرواح، وأما قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، فهو إشارة إلى المرتبة الثانية، وقوله: ﴿وَانْحَرْ﴾، إشارة إلى المرتبة الثالثة، فإن منع النفس عن اللذات العاجلة جارٍ مجرى النحر والذبح، ثم قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ومعناه أن النفس التي تدعوك إلى طلب هذه المحسوسات والشهوات العاجلة، أنها دائرة فانية، وإنما الباقيات الصالحات خير عند ربك، وهي السعادات الروحانية والمعارف الربانية التي هي باقية أبدية"، نزلت سورة الكوثر في العاص بن وائل سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم لأن الأبتر عندهم من ينقطع ذكره بموته لعدم النسل، فردّ الله عليه بأن النبي ﷺ مرفوع الذكر على المنابر وغيرها إلى آخر الدهر، والشانئ يدخل النار فيقطع ذكره.

[310] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالنَّارُ حقٌّ وَدَوَامُ النَّارِ مَعَ أَهْلِهَ حَقٌّ"، أي أنّ نار الجهنم ودوام عذابها مع أهلها حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فالنار هي دار العذاب والعقاب أعدها الله للكافرين والعصاة من الموحدين، لها سبعةُ أبوابٍ لكلّ باب جزءٌ مقسومٌ، وهي: جَهَنَّمَ وهي الأخف للعصاة الموحدين ممن يدخلون النار، ولَظَى وهي لليهود، والْحُطَمَةُ وهي للنصارى، والسَّعِيرُ وهي للصائبين، وسَقَرٌ وهي للمجوس، والْجَحِيمُ وهي للمشركين والشياطين، والهَاوِيَةُ وهي الأشد للمنافقين؛ والعذاب فيها مختلفُ الأنواعِ والأقسامِ، وهي موجودةٌ الآن باقيةٌ لا تُفْنَى، والكفار والمنافقون فيها مخلدون، فلا يخلد في النّار من مات على التّوحيد ولو ارتكب الكبائرَ، وعذاب النار حِسيًّا لا مُجازًا كما زعم بعض الزناديق والمنافقين، ولذا وُرِدَ في الحديث: ((حُفَّتْ الجَنَةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ))، أي يلتذون أهل الجنّة نعيمها حِسيًّا كما صبروا على المكاره حِسيًّا في الدنيا، ويعذبون أهل النار بعذابها حِسيًّا كما ارتكبوا الشهوات حِسيًّا في الدنيا، وقد روى الترمذي وابن ماجة في صفة النار عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ((أَوْقَدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سِنَّةٍ حَتَّى اَحْمَرَتْ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سِنَّةٍ حَتَّى اَبْيَضَتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سِنَّةٍ حَتَّى اَسْوَدَتْ، فَهِيَ سَوْدَاءٌ مُظْلَمَةٌ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ))؛ قال ولد المصنف السلطان محمد بلو انفاق الميسور في كيفية تعليم والده الشيخ عثمان بن فودي عن آيات الترهيب في صفات النار: "واعلم أن الشيخ يرتب الآيات، وهو أن يقول: فمن امتثل أوامر الله واجتنب نواهيه، فقد سلك طريق الجنة، ومن لم يمتثل أوامر الله ولم يجتنب نواهيه، فقد هوى في النار، والتحق بأهلها: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾، ويقال للملائكة: ﴿خُذُوهُ﴾، يعني كل واحد من أهل النار: ﴿فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، وقال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾، وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ

وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، ثم بعد ذلك يذكر محاورة أهل النار، كما في حديث السهقي: ((أنه كان لأهل النار خمس دعوات: فيجيبهم الله تعالى في أربعة، فإذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ؟﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، فلا يتكلمون بعدها أبداً، وكثيراً ما ذكر محاورتهم التي في حديث ابن المبارك، قال: بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾، فرد عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، فلما يئسوا من الخزنة نادوا مالكاً، وهو عليهم غضبان، وله مجلس في وسطها، وجسور يمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فسألوا الموت، قال: فسكت عنهم، ثم لا يجيبهم ثمانين سنة، قال: والسنة الثلاثمائة وستون يوماً والشهر ثلاثون يوما، واليوم كألف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين، فقال: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، فلما سمعوا منه ما سمعوا، ويئسوا من قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنه قد نزل من العذاب والبلاء بنا ما قد ترون، فهلم فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا، وأجمعوا رأيهم على الصبر، فصبروا فطال صبرهم، ثم جزعوا، فنادوا: ﴿سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾، أي من منجى، قال إبليس عند ذلك: ﴿إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال، فتودوا: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾، قال: فرد عليهم ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾، فهذه واحدة، فنادوا الثانية: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، قال: فرد الله تعالى عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فرد الله تعالى عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، هذه هي الثالثة، ثم نادوا الرابعة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، قال الله لهم رداً عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، قال: فلما سمعوا كلامه قالوا: الآن يرحمنا ربنا، فقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾، فقال عند ذلك: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء، وأقبل بعضهم على بعض، ينفخ بعضهم في وجه بعض، وأطبقت عليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾"، اه.

[311] سورة الكهف: 29، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾، فمعنى فوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي أعدّدنا أو جعلنا، ومعنى فوله تعالى: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي الكاملين في الظلم من الكافرين الجاحدين والمنافقين الخادعين والمسلمين العاصين غير تائبين، ومعنى فوله تعالى: ﴿نَاراً﴾ أي جعلنا لهم عذاباً في النار، يقول: اعتدنا لمن ظلم نفسه ووضع العبادة في غير موضعها، والأنفة في غير محلها، فعندما استحسن بهواه وأنِف عن قبول الحق لأجل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين، فهذا كله ظلم ووضع للشيء في غير موضعه، فأخبر تعالى أنه أعد لهؤلاء الأقوام نارًا وهي الجحيم، ثم وصف تعالى تلك النار بصفتين: الصفة الأولى قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، فسطاطها، وهو ما يحيط بالخيم والبيوت شبه به ما يحيط بهم من النار، وفي الزرقاني شرح الموطأ: "السرادق هو الذي يحيط بالخيمة وله باب يُدخَل منه إليها، وإنما يعمله الملوك والأكابر"، اه؛ وقيل سرادقها دخانها، وقيل حائطٌ من النار يطيف بهم لا يمكنهم من الخروج، والصفة الثانية لهذه النار قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾، من العطش، ﴿يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾، قيل في حديث مرفوع: ((إِنَّهُ دِرْدِيُّ الزَّيْتِ))، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل بيت المال وأخرج نفاثة كانت فيه، وأوقد عليها النار حتّى تلألأت، ثم قال: هذا هو المهل؛ قال أبو عبيدة والأخفش: "كل شيء أذبته من ذهب أو نحاس أو فضة فهو المهل"، وقيل: إنه الصديد والقيح، وقيل: إنه ضرب من القطران، ثم يحتمل أن يكون هذه الاستغاثة لأنهم إذا طلبوا ماء للشرب، فيعطون هذا المهل، ويحتمل أن يستغيثوا من حر جهنم فيطلبوا ماء يسبونه على أنفسهم للتبريد، فيعطون هذا الماء، فإذا استغاثوا من حر جهنم صُب عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم كالقميص، ثم قال تعالى: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾، إذا قرب إليها للشرب، وهو صفة ثانية لماء أو حال من المهل، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾، أي أن الماء الذي هو كالمهل بئس الشراب، لأن المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة، وهذا يبلغ في احتراق الأجسام مبلغًا عظيمًا، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَسَاءتْ﴾، النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾، ما يتكأ عليه كالوسادة، وهو تمييز محول من الفاعل، أي قبح مرتفقها وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد، ذكر لمشاكلة قوله الآتي في الجنة، وحسنت مرتفقا، وإلا فأي ارتفاق في النار، قال قائلون: ساءت النار منزلًا ومجتمعًا للرفقة لأن أهل النار يجتمعون رفقاء كأهل الجنة، وأما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين، فالمعنى "بئس الرفقاء" هؤلاء وبئس موضع الترافق النار، كما أنه نعم الرفقاء أهل الجنة ونعم موضع الرفقاء الجنة، وقال آخرون مرتفقاً أي متكأ، وسمي المرفق مرفقًا لأنه يتكأ عليه، فالاتكاء إنما يكون للاستراحة، والمرتفق موضع الاستراحة، والله أعلم.

وَأَثْبَتَ الْجَنَّةَ[312] بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾،[313]

---

[312] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَالجَنَّةُ حقٌّ وَدَوَامُ الْجَنَّةِ مَعَ أَهْلِهَ حَقٌّ"، أي أن الجنّة ودوام نعيمها مع أهلها حقّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فالجنّة هي دار الثّواب والنّعيم المقيم الّتي أعدها الله للمؤمنين، فيها الحور العين، والولدان المخلدون، ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى، واللبن الّذي لم يتغير طعمه، والخمر الّتي فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أهلها إخوانٌ على سرر متقابلين، نزع الله ما في قلوبهم من غلٍّ فصاروا أحبّة متمتعين، تحيتهم فيها سلامٌ، ونعيمهم دائمٌ في دار السّلام، ولها ثمانية أبوابٍ، وهي أنواعٌ وأقسامٌ ودرجاتٌ، أعلاها جنة الفردوس، لا يلقى أهلها موتاً ولا يقرّبهم فناءٌ، وهي موجودةٌ الآن في مكان يعلمه الله تعالى.

[313] سورة الإنسان: 12، فقال الله تعالى في الجنة وصفات أهلها في سورة الإنسان: 12–22، فمعنى فوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الفقر وعلى أداء الواجبات وترك المحرمات والإيثار بالأموال، وقال القرطبي: على الصوم، وقال عطاء: على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر، وقيل: بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم على معصية الله ومحارمه، ومعنى فوله تعالى: ﴿جَنَّةً﴾، أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾، ألبسوه، أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير، أي يسمى بحرير الدنيا وكذلك الذي في الآخرة وفيه ما شاء الله عز وجل من الفضل، وأن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة عوضا عن حبسهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها، ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، حال "مِن"، هم في وجزاهم، ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، السرر في الحجال، ﴿لَا يَرَوْنَ﴾، لا يجدون حال ثانية، ﴿فِيهَا شَمْسًا﴾، حرًّا ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، بردًا لاعتدال الهواء أو الزمهرير القمر والمعنى لا احتياج إلى الشمس والقمر لضياء الأضواء، وفي الحديث: ((هَوَاءُ الْجَنَّةِ سَجْسَجٌ لَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ))، ﴿وَدَانِيَةً﴾، قريبةً عطف على محل: "لا يرون"، أي غير رائين لأن الجملة الحالية في تأويل المفرد، والواو للدلالة على اجتماع الأمرين لهم، كأنه قيل جامعين في الجنة بين البعد عن الحر والقرّ ودنوّ الظلال، أو عطف على جنة على أنهم وعدوا جنتين كقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، أي وجزاهم جنة أخرى دانية، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، منها ﴿ظِلَالُهَا﴾، ظلال أشجارها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾، أدنيت ثمارها، ﴿تَذْلِيلًا﴾، ينالها القائم والقاعد والمضطجع والجملة عطف ما قبلها، أو حال من ضميره، وإيثار الفعلية لقصد التجدد لأن القطاف بحسب الحاجة، ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، فيها ﴿بِآنِيَةٍ﴾، كؤوس الشراب ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾، أقداح بلا عرى، ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾، في الصفاء والشفيف، ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾، والمعنى أنها من فضة صافية شفافة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج، قال ابن عباس: "قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضةٌ، ﴿قَدَّرُوهَا﴾، الطائفون، ﴿تَقْدِيرًا﴾، على قدر رأيّ الشاربين من غير زيادةٍ ولا نقصٍ، وذلك ألذ الشراب، أو قدرها الشاربون، فجاءت على ما تمنوه، أو قدروها بأعمالهم الصالحة، فجاءت على حسبها، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾، خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾، ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا﴾، والعرب يحبون الشراب الممزوج به، وهو عروق تسرى في الأرض ونباته كالقصب له قوة مسخنة يسيرًا، وإن خلط برطوبة كبد المعز، وجفف وسحق واكتحل به أزال الغشاوة وظلمة البصر، قاله في القاموس، ﴿عَيْنًا﴾، بدلٌ من زنجبيلا، ﴿فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾، يعنى أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب لكنه سهل المساغ في الحلق، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الانحدار، ولذا حكم بزيادة الباء، والمراد به أن ينفى عنها لذع الزنجبيل، وعن قتادة: "تمزج لهم تارة بالكافور البارد وأخرى بالزنجبيل الحارّ ليعتدل الأمر"، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، بصفة الولدان لا يشبهون ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله خدما لأهل الجنة، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾، لحسنهم وانتشارهم في الخدمة، ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾، من سلكه أو صدفه، وهو أحسن منه في غيره، ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَ ثَمَّ﴾، أي وجدت الرؤية منك في الجنة لا يقدر له مفعول لعمومه أي أينما وقع بصرك منها، ﴿رَأَيْتَ﴾، جواب إذا ﴿نَعِيمًا﴾، لا يوصف، ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، واسعاً لا غايةً له، وفي الحديث: ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لِمَنْ يَنْظُرَ فِي مُلْكِهِ أَلْفَى سِنَّةٍ يَنْظُرُ إِلَى أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى أَدْنَاهُ))، وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا لَهُ مِثْلُ الدُّنْيَا عَشَرَ مَرَاتٍ))، ﴿عَالِيَهُمْ﴾، بسكون الياء لنافع وحمزة مبتدأ خبره ما بعده، وبالنصب للباقين على الحال من الضمير في عاليهم أو حسبتهم، أو جزاهم، أو على الظرف أي عاليًا عليهم، أو فوقهم، ﴿ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾، رقيق الحرير، ﴿خُضْرٌ﴾، بالرفع لنافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص صفة ثياب، وبالجر للباقين صفة سندس، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، غليظ الحرير بالرفع لنافع وابن كثير وعاصم عطفًا على ثياب، وبالجر للباقين على سندس، ﴿وَحُلُّوا﴾، عطف على ويطوف، ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، وفي موضع آخر من ذهب ولؤلؤ للإيذان أنهم يحلون بالجميع معا ومفرقًا، وعن ابن المسيب: ((لَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَفِي يَدَيْهِ ثَلَاثَةُ أَسْوِرَةٍ: وَاحِدٌ مِنْ فِضَةٍ وَآخِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَآخِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ))، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، مبالغة في طهارته ونظافته طهر به باطنهم عن الغلّ والحسد كما زين ظاهرهم بالثياب والحلى، وقيل هذا الشراب نوع آخر يفوق على النوعين المتقدمين، ولذلك أسند سقيه إلى الله تعالى ووصفه بالطهورية، فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق، فيتجرد لمطالعة جماله متلذذًا بلقائه باقيًا ببقائه، وهي منتهى درجات الصديقين، ولذلك ختم به ثواب الأبرار، ﴿إِنَّ هَذَا﴾، النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾، لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾، محمودًا مرضيًا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا يزيد منكم جزاء ولا شكورًا؛ قال ولد المصنف السلطان محمد بلو انفاق الميسور في كيفية تعليم والده الشيخ عثمان بن فودي عن آيات الترغيب في صفات الجنة: "واعلم أن الشيخ يرتب الآيات ويفسرها بلغة الحاضرين، وهو أن يقول: فمن امتثل أوامر الله واجتنب نواهيه، فذلك يدخل الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، وعال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ *

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، ثم يدعو الشيخ، وينصرف"، اه؛ انظر ضياء التأويل في معنى التأويل، الجزء الرابع، ص 248-250.

وَأَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ[314] بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾،[315] وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾،[316] وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.[317]

---

[314] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في معراج العوام إلى سماع علم الكلام: "وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ" أي الشفاعة حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنّة والإجماع، فالشفاعة لغةً الوسيلة والطلب، واصطلاحًا هي شفاعة الرسل والأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والمؤذنين والصالحين من المؤمنين، فمذهب أهل الحق أنّ الشفاعة حقٌ لمن كان من العصّاة المذنبين الموحّدين من أمم النبيئين، فهم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيئين والشهداء والصالحين، قال الإمام أبي المعين النسفي في التمهيد القواعد التوحيد: "وإذا ثُبِتَ جوازُ المغفرة لصاحب الكبيرة جاز أن يغفر بشفاعة الأنبياء والرسل عليهم السلام وبشفاعة الأخيار"، قال الإمام إبراهيم اللقاني في عمدة المريد أن الشفاعة تنقسم إلى خمسة أقسام: أحدها الشفاعة العظمى مختصة لسيدنا محمد ﷺ في الآخرة، والثاني في إدخال قوم الجنة لا بغير حساب، وهذه أيضاً وردت لسيدنا محمد ﷺ، الثالثة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم سيدنا محمد ﷺ ومن يشاء الله تعالى، الرابعة فيما دخل النار من المذنبين المؤمنين، وإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين، الخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وقد قدمنا أن بعض الأصوليين يحتوي الشفاعة في مسألة حوض النبي ﷺ، فمذهب أهل الحقّ أن الشفاعة حقّ لمن كان من العصّاة المذنبين الموحّدين من أمّم النبيئين، فهم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيئين والعلماء والشهداء والصالحين بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، والفاسق غير مرتضى، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ إذ سُئِلَ عن معنى هذه الآية: ((هِيَ الشَّفَاعَةُ))، قال الإمام ابن إسحاق: "الفلح في الدنيا والثواب في الآخرة"، وقيل: الحوض والشفاعة، وقال الإمام السدي: "هي الشفاعة في جميع المؤمنين"، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: ((يَشْفَعَنِي اللهُ فِي أُمَّتِي حَتَّى يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيَّ: رَضَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَأَقُوْلُ: يَا رَبِّ رَضَيْتُ)).

[315] سورة الإسراء: 79؛ ومعنى قوله تعالى: ﴿عَسَى﴾، قال الإمام الرازي: "اتفق المفسرون على أن كلمة "عسى" من الله واجبٌ، قال أهل المعاني لأن لفظ "عسى" تفيد الأطماع ومن أطمع إنساناً في شيء، ثم حرّمه كان عاراً، والله تعالى أكرم من أن يُطمع أحداً في شيءٍ، ثم لا يعطيه ذلك"، ﴿أَن يَبْعَثَكَ﴾، يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾، في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء، وتمييز الفريقين برغب إليه الأولون والآخرون، ويحمدونه على ذلك، نطقت به الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما، نصب "مقامًا" على الظرفية بمقدّر، أي فيقيمك أو على تضمين يبعث معنى أقام، ، قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: "يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس، فأول مدعو محمد فيقول: ((لَبَيْكَ وَسَعَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مُلْجأَ وَلَا مُنْجأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَرَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ))، فهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾"، قال الإمام النسفي في معنى قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: "أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيُقيمك مقاماً محموداً، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك، وهو مقام الشفاعة عد الجمهور، ويدلّ عليه الأخبار، أو هو مقام يُعطَى فيه لواء الحمد"، قال الإمام الرازي: "التنكير في قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يدلّ على أنه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل، ومن المعلم أن حمد الإنسان على سعيه في التلخيص عن العقاب أعظم من حمده في السعي في زيادة من الثواب لا حاجة به إليه، لأن احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة به إلى تحصيلها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ هو الشفاعة في إسقاط العقاب، على هو مذهب أهل السنة، ولما

ثبت أن لفظ الآية مُشعر بهذا المعنى إشعاراً قويّاً، ثم وردتْ الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حمل اللفظ عليه، ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور: ((وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ اَلَّذِي وَعَدْتَهُ يُغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ))، واتفق الناس على أن المراد منه الشفاعة"، قال الإمام الواحدي: "أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال النبي ﷺ: ((هُوَ الْمَقَامُ اَلَّذِي أَشْفَعُ فِيْهِ لِأُمَّتِي))"، فالمقام المحمود يدلّ على أنه يحصل للنبي ﷺ في ذلك المقام بالغ عظيم كامل، فهو الشفاعة في إسقاط العقاب والعذاب أهل لا إله الله على ما هو مذهب أهل السنة.

[316] سورة والضحى: 5؛ ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾، في الدارين غاية المني، ﴿فَتَرْضَى﴾، بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية حذف المفعول لإرادة العموم، فيدخل فيه مقام الشفاعة وسائر المزايا الخاصّة به، واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير، ولأنت سوف يعطيك لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون، وجمع مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة، وإن تأخر لحكمة، فهذه الآية بيّن أنه عليه السلام ينتهى إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه، أن هذا هو الشفاعة في الأمة في حق المذنبين، قال عليه السلام لما نزلت: ((إِذَا لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ)) الحديث، وعن الإمام جعفر الصادق قال: "رضاء جدي أن لا يدخل النار موحدٌ"، وعن أبيه الإمام محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما: "أرجى آية قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، واللهِ! إنها الشفاعة ليعطاها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: ((رَضِيتُ))"، قال الإمام الرازي: "واعلم أنه إن حملنا هذا الوعد على الآخرة فقد يمكن حمله على المنافع، وقد يمكن حمله على التعظيم، أما المنافع فقال ابن عباس: ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك وفيها ما يليق بها، وأما التعظيم فالمروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة في الأمة، يروى أنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية قال: ((إِذَا لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ))"، قال الإمام النسفي في معنى قوله عليه السلام: ((مِنْ أُمَّتِي)): "أي أمة الإجابة وجمع اللام مع سوف في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ﴾، للدلالة على أن العطاء كائنٌ لا محالة وإن تأخر لحكمه، ولعل المراد بالرضى كماله الذي لا مزيد عليه، فإنه راضٍ عن الله تعالى دائمًا".

[317] سورة الأنبياء: 28؛ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، مع قرب مكانتهم ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، أي لمن هو عند الله مرضي، أن يشفع له وأذن لهم في ذلك مهابةً منه، قال الإمام النسفي في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾: "أي لمن رضي الله عنه وقال: لا إله إلا الله"، قال الأستاذ عبد الله بن فودي في ضياء التأويل: "واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر لأنه لا يقال في أهل الكبائر: إن الله يرتضيهم، والجواب: قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، أي إلا لمن قال لا إله إلا الله، قال الإمام أبو الحسن الأشعري في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، "فهم يشفعون به، وقد روي أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر"، فهذه الآية هي من أقوى الدلائل لنا في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، قال الإمام الرازي: "واعلم أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، وتقريره هو أن من قال: لا إله إلا الله، فقد ارتضاه تعالى في ذلك، ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله تعالى في ذلك فقد صدق عليه أنه ارتضاه الله، لأن المركب متى صدق فقد صدق لا محالة كل واحد من أجزائه، وإذا ثبت أن الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الآية، فثبت بالتقرير الذي ذكرناه أن هذه الآية من أقوى الدلائل لنا على ما قرر ابن عباس رضي الله عنهما".

وَأَثْبَتَ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى[318] بِقَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى[319] رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[320]

---

[318] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في أصول الدين: "وَرُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى في الآخَرَةِ حَقٌّ"، أي أنّ رؤية المؤمنين لله تعالى بغير جهةٍ، بلا كيف ولا انحصار حقٌ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب والسنة والإجماع، فأجمعوا أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنةٌ عقلاً وواجبةٌ نقلاً وواقعةٌ فعلاً في الآخرة للمؤمنين بلا كيف ولا انحصار دون الكافرين بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، أي إنّ الكافرين محجبون عن رؤية ربّهم، قال الإمام الشافعيّ: "لما أنّ حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليلٌ على أوليائه يرونه في الرضى"، وقال والد شيخنا العارف الشيخ أبو محمد إبراهيم بن إسماعيل بن محمد الصديق اليعقوبي الحسني قدس الله سرّه في الفرائد الحسان في عقائد الإيمان: "ورؤيةُ الله تعالى في عرضاتِ القيامة وفي الجنةِ حقٌّ بلا كيفٍ ولا جهةٍ ولا مقابلةٍ ولا إحاطةٍ حقٌّ، يجب الإيمانُ بها"، فإنّ المؤمنين يرى الله تعالى لا في مكانٍ ولا في جهةٍ ولا كيفيةٍ من مقابلةٍ أو اتصالِ شعاعٍ، أو ثبوتِ مسافةٍ بين الرائي وبين الله، فليس نعيمٌ في الجنة أفْضلُ من رؤيةِ الله تعالى بالأبصارِ، قال الإمام ابن الحاجب في عقيدته: "وأن رؤيتَه صحيحةٌ واقعةٌ"، وقال الشيخ أحمد بن محمد التلمساني في بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب: "أقول هذه المسألةُ هي من القسم الثالث المشتمل على ما يجوز على الله تعالى، والواو في قوله: وأن رؤيته عاطفةٌ، والجملة معطوفةٌ على قوله: بأنّ لا إله إلا الله، أي فيؤمن بأن لا إله إلا الله وبأن رؤيته صحيحةٌ واقعةٌ، يعني في الدار الآخرة، خلافاً للمعتزلة"، قال الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: "قال عكرمة: انظر ماذا أعطى اللهُ عبدَهُ من النورِ في عينَيهِ، إذ لو جعل جميعَ ما خلق الله من الإنسِ والجنِ والدوابِ والطيرِ وكلِ شيءٍ خلق الله فجعل نورَ أعيُنِهم في عَينَي عَبدٍ من عبادِهِ، ثم كشف عن الشمس ستراً واحداً، ودونُها سبعون ستراً، ما قدر عليه أن ينظر إلى الشمس، والشمس جزءٌ من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزءاً من نور العرشِ، والعرشُ جزءٌ من سبعين جزءاً من نور الستر، فانظروا ماذا أُعطِيَ عبدُهُ من النور في عَيْنِه النظرَ إلى وجه ربّه الكريم عِيَاناً"، قال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي في كتاب أصول الدين: "ومما يدلّ على رؤية الله عز وجل في العقل أنّه يصحّ جوازَ رؤيةِ الشيءِ لوجودِه، فصحّ بذلك الجوازِ رؤيةُ كلِّ موجودٍ، والله سبحانه وتعالى موجودٌ، فصحّ جواز رؤيته"، فإن قيل: "كيف يُرى؟" قيل: "إذ الكيفية تكون للذي صورة، بل يُرى بلا وصف قيامٍ وقعودٍ واتكاءٍ وتعلقٍ واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير وطويل ونور وظُلمة وساكن ومتحرّك وممس ومباين وخارج وداخل، ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك"، وقال الشيخ أحمد بن محمد التلمساني في بغية الطالب: "اختلف المتكلمين في متعلّق الرؤية، فالذي عليه أكثر أهل السنة أن الرؤية يجوز أن تتعلّق بكلّ موجودٍ،...قال سيف الدين: اتّفق العلماء على استحالة رؤية المعدوم...واتّفق أهل السنة على أن رؤية الله تعالى جائزةٌ في الآخرة، وأما في الدنيا فذهب بعض المثبتين إلى امتناعها وجوّزها آخرون وهل يجوز أن يُرى في المنام أم لا؟ قال سيف الدين: جوّزه بعض المثبتين وأنكره آخرون، والحقّ أنه لا مانع من هذه الرؤية، وإن لم تكنْ رؤيةً حقيقيّةً، ولا خلاف بين أصحابنا أن الله يرى نفسه وجوباً"، قال الإمام سعيد بن محمد العقباني في كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته: "فمذهب أهل الحقّ أن أصحاب الجنة يرون ربّهم سبحانه يوم القيامة، خلافاً للفلاسفة والمعتزلة، وأمّا المُجَسِّمةُ والكراميةُ فوافقونا على أنه سبحانه يُرَى لكن زعموا أنه جِسمٌ وأنه في جِهَةٍ، وقد أبطلنا ذلك كله، ولو وافقونا على استحالة الجسمية والجهة لخالفوا في إمكان رؤيته"، فرؤية ربّنا في الآخرة حقٌّ وصدقٌ وثابتٌ بالكتاب المجيد والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة.

[319] هنا انتهى الورقة 19 في المخطوطة: ا.

[320] سورة القيامة: 22–23؛ معنى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، بهية مضيئة عليها أثر السرور، قال الإمام الليث: "نضُر اللون والشجر والورق يَنضُرُ نَضْرَةً، والنَّضْرةُ النعمةُ، والناضر الناعمُ، والنَّضِر الحسنُ من كلّ شيءٍ، ومنه يقال للون إذا كان مشرقًا: ناضرٌ، فيقال: أخضرُ ناضرٍ، وكذلك في جميع الألوان، ومعناه الذي يكون له برقٌ، وكذلك يقال: شجرٌ ناضرٌ وروضٌ ناضرٌ، ومنه قوله عليه السلام: ((نَضَّرَ اللَّهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا)) الحديث، أكثر الرواة رواه بالتخفيف، وروى عكرمة عن الأصمعي فيه التشديد، وألفاظُ المفسرين مختلفةٌ في تفسير الناضر، ومعناها واحدٌ، قالوا: [1] مسرورةٌ [2] ناعمةٌ [3] مضيئةٌ [4] مسفرةٌ [5] مشرقةُ بجهةٍ"، وقال الزجاج: "نضرة بنعيم الجنة كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيْمِ﴾"، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقط لا إلى غيره كالطالب رؤية الهلال بلا كيفية ولا جهة يرونه سبحانه في الآخرة، فرُوِيَ عن ابن عباس ان معنى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: "أنه النظر إلى الله عز وجل"، وكذلك ذهب به جميع التابعين، فقال الإمام الحسن البصري: "الضرة الحسن نظرت إلى ربّها عز وجل، فنضرت بنوره عز وجل"، وقال الإمام ومجاهد: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة و﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربّها تبارك وتعالى"، وقال الإمام عكرمة في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: "مسرورة فرحة إلى ربّها ناظرة"، وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: "تنظر إلى ربّها نظرًا"، وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: "وجوه المؤمنين يوم القيامة ناضرة مشرقة حسنة ناعمة ﴿إِلَى رَبِّهَا﴾ وخالقها ومالكها ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أي تنظر إلى ربها"، وكذلك قال غيره من علماء التابعين، كمحمد الباقر بن علي بن الحسين وزيد بن علي بن حسن وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم، قال الإمام النسفي في معنى هاتين الآيتين: "﴿وُجُوهٌ﴾، هي وجوه المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، حسنةٌ ناعمةٌ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، بلا كيفيةٍ ولا ثبوتٍ مسافةٍ، وحمل النظر على الانتظارِ لأمر ربّها أو لثوابه لا يصحّ لأنه يقال: نظرت فيه أي تفكرت، ونظرته انتظرته، ولا يعدّى بـ(إلى) إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار"، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: "اعلم أن جمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة، أما المعتزلة فلهم هاهنا مقامانٌ: أحدهما بيان أن ظاهره لا يدلّ على رؤية الله تعالى، والثاني بيان التأويل"، واثبت رؤية الله تعالى في الآخرة أيضاً بقوله تعالى في سورة يونس–27: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، فمعنى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، أي للذين ذكروا كلمة لا إله إلا الله قاله ابن عباس، وقال الأصم: معناه للذين أحسنوا في كل ما تعبدوا به، أي أنهم أتوا بالمأمور به كما ينبغي واجتنبوا المنهيات من الوجه الذي صارت منهيًّا عنها، وهو أصح لأن الدرجات العالية لا تحصل إلا لأهل الطاعات، فمعنى قوله تعالى: ﴿الْحُسْنَى﴾، أي المثوبة الحُسنى في الجنة، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، هو كما قال الإمام الرازي: "فنقول هذه الكلمة مُبْهِمَةٌ ولأجل هذا اختلف الناس في تفسيرها، وحاصل كلامهم يرجع إلى قولين: القول الأول أن المراد منها رؤية الله سبحانه وتعالى، قالوا والدليل عليه النقل والعقل، أما النقل فالحديث الصحيح الوارد فيه، وهو أن الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى الله سبحانه وتعالى، وأما العقل فهو أن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف، فانصرف إلى العهود السابق، وهو دار السلام، والمعروف من المسلمين والمقرر بين أهل الإسلام من هذه اللفظة هو الجنة، ما فيها من المنافع والتعظيم، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمراً مغايراً لكل ما في الجنة من المنافع والتعظيم، وإلا لزم التكرار، وكل من قال بذلك قال: إنما هي رؤية الله تعالى، فدلّ على ذلك أن المراد من هذه الزيادةِ الرؤيةُ، ومما يؤكد هذا وجهان: الأول أنه تعالى قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فأثبت لأهل الجنة أمرين: أحدهما نضرة الوجوه والثاني النظر إلى الله تعالى، وآيات القرآن يفسر

فَهَذَا أُصُولُ الدِّينِ، إِلَاهِيَّتُهَا وَنَبَوِيَّتُهَا وَسَمْعِيَتُهَا، قَدْ أَثْبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى[321] كُلَّهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا كَمَا جَاءَتْ، إِذْ كُلَّهَا مَنْصُوصَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ، إِذْ اَلْقُرْآنَ كُلَّهُ مُتَوَاتِرٌ قَطْعِيٌّ.[322]

بعضها بعضاً، فوجب حمل الحسنى ههنا على نضرة الوجوه، وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى، الثاني أنه تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكاً كَبِيراً﴾، أثبت له النعيم، ورؤية الملك الكبير، فوجب ههنا حمل الحسنى والزيادة على هذين الأمرين"، قال الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: "قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وروي عن النبي ﷺ فيما صحّ عنه من تفسيره أنه النظر إلى الله عز وجلّ، وروي ذلك من الصحابة عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري وابن مسعود بن عباس، ومن التابعين: عبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة وعامر بن سعد البجلي وأبي إسحاق السبيعي ومجاهد وعبد الرحمن بن سابط وقتادة والضحاك وأبو سنان".

[321] هنا انتهى الورقة 55 في المخطوطة: ب.

[322] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في عمدة المتعبدين والمحترفين: "إنّ الله تعالى أثبت جميع أصول الدين في القرآن العظيم: إلاهيتها ونبويتها وسمعيتها"، أي أنه ينبغي أخذ دلائل لجميع أصول الدين من القرآن المعصوم لأنه يكفي للعوام ولمن نوّر الله بصيرته أن يعرف الله وما يتعلق بحقه من التوحيد مما قال الله تعالى عن نفسه في كتابه المبين، ففي القرآن جرعة السالكين وشربة المريدين ورحيق العارفين، فـ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾، فهذا الدليل الواضح أن في بداية أمر الشّيخ رحمه الله أنه كان ينسب عقيدته إلى الأشعرية ودلائل العقلية، ولكن بعد وصل إلى مقامات القطبانية العظمى الكمالية والمجددية والإجتهادية أخذ عقيدته من كتاب الله المعصوم وسنة نبيّه المعصوم، فهذا كان منهجه الذي نقل في آواخر كتبه في العقيدة كسوق الإمة وإحياء الستة ومرات الكلاب وعمدة المتعبدين وعمدة العلماء وخاصّة في هذا الكتاب بين يديك الذي هو آخر الكتاب الذي صنفه الشيخ في فن التوحيد والعقيدة وعلم الكلام، فيجب على كل مكلف أن يعتقدها كما جاءت في القرآن المعصوم بأنه منصوصةٌ متواترةٌ، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فلا ينطرق إلى القرآن التبديل والتناقض من جهة من الجهات فواجب تأخذ عقائد الإيمانية منه، أو مما في القرآن من الأخبار الماضية والأمور الآتية مَثَّل حاله بحال الشيء المحمي من جميع الجوانب، فلا يمكن العدو الوصول إليه، وفيه إشارةٌ إلى أنّه محفوظٌ من حين النزول إلى آخر الدهر، وأن إلحاد الملحدين في كالرقم على الماء، فالقرآن تنزيل من أفعال الله وأقواله على وجه الإتقان والكمال، فكيف يتطرق الباطل إلى وحيه، فمعنى كون القرآن قطعي الثبوت تنزيل من عند الله إلى قلب النبي ﷺ ثم أن آياته رويت عن النبي بالتواتر، ورواها التابعون عن الصحابة بالتواتر، وعنهم رواها تابع التابعين بالتواتر إلى أن وصلتنا هذا القرآن متواترةً، فمعنى التواتر أن يرويها في كل طبقة عدد من الناس يستحيل تواطؤه على الكذب، وهذا مفيد لليقين، فالقرآن مقطوعٌ بصحة سنده إلى النبي ﷺ، ولذلك واجب على كل مكلف يأخذ عقيدته من القرآن العظيم، قال الشيخ محيي الدين ابن عربي الحاتمي: "ولا يخفي أن الشخص إذا كان مؤمنًا بالقرآن قاطعًا بأنه كلام الله تعالى، فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويلٍ ولا عدولٍ إلى أدلّة العقولِ مجردةً عن الشرع، فإن القرآن دليلٌ قطعيٌّ سمعيٌّ عقليٌّ، فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزهٌ عن أن يشبهه شيء من المخلوقات أو يشبه هو شيئاً منها بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وبقوله تعالى:

قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[323] "قَالَ اِبْنُ الْعَرَبِيُّ فِي صَدْرِ الْفُتُوحَاتِ: مِنْ شَرْطِ وُجُوبِ الْاِعْتِقَادِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وُجُودُ نَصٍّ مُتَوَاتِرٍ فِيهِ، [أَوْ كَشْفٍ مُحَقِّقٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْخَبَرُ الْوَاحِدُ الصَّحِيحُ يَكْفِيَ، فَلَيَحْكُمْ بِهِ وَلَكِنَ فِيمَا يَكُونَ مُتَعَلَّقًا بِأَحْكَامِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ تَعَلَّقَ حُكْمُهُ بِالْآخِرَةِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَهُ فِي عَقِيدَتِهِ عَلَى التَّعْيِينِ، وَلْيَقُلْ إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا عَلِمْتُ وَمِمَّا لُمْ أَعْلَمْ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَقَائِدِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْ طَرِيقِ الْقَطْعِ، إِمَّا بِالتَّوَاتِرِ وَإِمَّا بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِي"].[324]

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ: "قَالَ اِبْنُ الْعَرَبِيِّ فِي مُقَدِّمَةِ الْفُتُوحَاتِ: [مِدَارُ صِحَّةِ الْعَقَائِدِ عَلَى حُصُولِ][325] الْجَزْمِ بِهَا حَتَّى أَنَّ مَنْ يَأْخَذَ إِيْمَانَهُ تَقْلِيدًا جَازِمًا لِلشَّارِعِ كَانَ أَعْصِمُ وَأَوْثِقُ مِمَنْ يَأْخَذَ إِيْمَانَهُ عَنِ الْأَدِلَّةِ، وَذَلِكَ لِمَا يَتَطَرَقُ إِلَيْهَا [إِذَا كَانَ حَذِقًا فَطِنًا][326] مِنَ الْحِيْرَةِ [وَالدَخِيلِ فِي أَدِلَتِهِ][327] وَإِيْرَادُ الشُّبْهَ عَلَيْهَا".[328]

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ: "إِنَّ التَّقْلِيدَ المَعْصُومَ فِيمَا أُخْبِرَ بِهِ مُلْحِقٌ بِالْعِلْمِ وَأَقْوَى مِنْ عُلُومِ النَّظَرِ كَمَا يَدِلُّ عَلَيْهِ قُبُولُ شَهَادَتِنَا عَلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ[329] أَنَّ أَنْبِيَائَهُمْ بَلِغُوهَا دَعْوَةَ الْحَقِّ تَعَالَى، وَنَحْنُ مَا كُنَا فِي زَمَانِ تَبْلِيغِهِمْ، وَإِنَّمَا صَدَّقَنَا اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ فِيمَا أَخْبَرَنَا بِهِ فِي كِتَابِهِ عَنْ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمْ، وَلَا يَقْبَلُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ"، اِنْتَهَى.[330]

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾"، قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانيّ في اليواقيت والجواهر: "إلى أمثال ذلك مما هو مذكورٌ من الأدلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الإيمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾".

[323] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[324] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا و: ب؛ انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 57.

[325] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[326] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا و: ب.

[327] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[328] انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 56.

[329] هنا انتهى الورقة 56 في المخطوطة: ب.

[330] انظر المرجع السابق، ص 57.

Institute of Islamic-African Studies International

وَقَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى[331] حَاكِيًا كَلَامَ اِبْنِ عَرَفَةَ فِي شَامِلِهِ:[332] "التَّقْلِيدُ اِعْتِقَادٌ جَازِمٌ لِقَوْلِ غَيْرِ مَعْصُومٍ، فَيَخْرُجُ اِعْتِقَادُ قَوْلِ الرَّسُولِ وَالْإِجْمَاعِ، وَمَعْرِفَةُ مَدْلُولِ الشَّهَادَتَيْنِ".[333]

وَقَالَ اَلْمَنْجُور:[334] "اِعْتِقَادُهُ مِنْ قَوْلِ الْمَعْصُومِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَعْصُومٌ لَيْسَ بِتَقْلِيدٍ، بَلْ مَعْرِفَةٌ لِأَنَّهُ لَمَا أَخَذَهُ مِنْهُ وَجَزَمَ بِصِدْقِهِ وَصِحَّتِهِ مِنْ تِلْكَ اَلْحَيْثِيَّةِ،[335] فَبِالْحَقِيقَةِ إِنَّمَا أَتْبَعَ فِيْهِ دَلِيلُ الصِّدْقِ اَلَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمُعْجِزَةِ، وَمِنْهُ أَخَذَهُ لَا مِنْ قَوْلِهِ"، اِنْتَهَى.[336]

---

[331] أي العمدة أهل التوفيق والتسديد؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 19 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[332] هو المجدد عصره الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي المقرئ الفروعي الأصولي المنطقي، ولد في تونس سنة 816 الهجرية [الموافق بسنة 1306 الميلادي]، وكان والده من العلماء المشهورين في عصره، فنشأ الإمام ابن عرفة في بيت علم ودين، واصبح اشهر عالم بالبلاد، وتولى إمامة جامع الزيتونة في سنة 772 الهجرية [الموافق بسنة 1370 الميلادي]، وأم بها خمسين عاماً، وفي سنة 780 الهجرية رحل إلى المشرق لأداء الحج والعمرة، فأقام بمكة مدة يدرس الناس، فقد قضى معظم سنوات حياته في الاملاء والتدريس وصنف في علوم القرآن والتفسير والفقه والنحو والأصول والمنطق وعلم الكلام وغيرها، للإمام ابن عرفة مؤلفات كثيرة، ومنها هذا الكتاب المذكور: المختصر الشامل في التوحيد، ومسمى أيضًا المحتصر الكلامي، توفى ابن عرفة سنة 803 الهجرية [الموافق بسنة 1400 الميلادي].

[333] فمعنى قول ابن عرفة: "التقليد: جازمٌ"، تأكيد الاعتقاد بمعنى مجزوم به، "لقول غير معصوم"، من أحد العالم من العلماء العاملين، هو أخذ قول الغير بغير دليل، أو اتباع الغير، واعتقاد صحة ما يقول من غير دليل ولا حجة، أو العمل بقول غيرك من غير حجة "فيخرجُ"، أي ليس التقليد في: "اعتقادُ قول الرسول"، أي أن اعتقاد قول الرسول ﷺ فيما لا يتوقف المعجزة عليه كصفة السمع والبصر والكلام ليس بتقليد، "والإجماعُ"، أي أن اعتقاد قول أهل الإجماع ليس بتقليد لأنهم معصومون فيما أجمعوا عليه كما قال عليه السلام: ((لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ))، "ومعرفةُ مدلولِ الشهادتين"، أي المراد بمدلول الشهادتين: العقليات من العقائد، فلا تقليد فيها، "والمعادِ"، أي يوم القيامة وحسابه وإعطاء الكتب ووزن الأعمال والحشر والنشر والصراط وغيرها من أحوال الآخرة، فاعتقادها خارج عن التقليد لاستنادها إلى قول المعصوم عليه السلام، "والفتنة"، أي فتنة القبر وسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، فاعتقادها خارج عن التقليد أيضًا لاستنادها إلى قول المعصوم عليه السلام؛ انظر عمدة أهل التوفيق والتسديد للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 الميلادي، ص 30؛ انظر أيضًا المختصر الكلامي، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة، تحقيق وتعليق نزار حمّادي، دار الضياء، الكويت، 1434 الهجرية، ص 110؛ انظر أيضًا الكبرى على شرح كبرى السنوسي للإمام أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور، تحقيق د. ادريس المنجور، 2005، ص 30-31.

[334] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى سيرة الإمام المنجور.

[335] هنا انتهى الورقة 57 في المخطوطة: ب.

[336] انظر المرجع السابق، ص 31.

قُلْتُ: هَذَا كُلُّهُ فِيمَنْ قَلِدَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي أَدِلَّتِهِ، وَأَمَّا مَنْ نَظَرَ فِي أَدِلَّتِهِ، فَلَا يَخْتَلِفُ اِثْنَانِ أَنَّهُ عَارِفٌ بَعِيْدٌ عَنْ كُلِّ شُبْهَةٍ لِظُهُورِهَا.[337]

قَالَ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ الْعَقِيْدَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ:[338] "وَنَظِيرُ مَنْ بَحِثَ الْعَارِفُ عَنْ مَوْضُعِ الْهِلَالِ حَتَّى رَآهُ بِبَصَرِهِ فِي مَوْضُعِهِ [مَنْ بَحِثَ الْقُرْآنَ[339] أَوْ أَحِدًا مِنْ عُلَمَاءِ اَلْحَقِّ حَتَّى أَرَاهُ مَوْضِعَ][340] كُلِّ عَقِيدَةٍ مِن بُرْهَانِهَا، فَرآهَا فِيْهِ مَجْلُوَةً وَاضِحَةً فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ".[341]

ثُمَّ قَالَ: "وَلَا خِفَاءٌ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ هَذَا اَلَّذِي أَبْصَرَ بِبَصِيرَتِهِ الْعَقَائِدَ بِالْقُرْآنِ مِنْ بَرَاهِينِهَا عَارِفٌ مُتَيَّقِنٌ، وَلَيْسَ بِمُقَلِّدٍ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا اِهْتَدَى إِلَى الْبَرَاهِينِ اَلَّتِي[342] اَبْصَرَ مِنْهَا أَهِلَةَ عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ بِالْقُرْآنِ"، اِنْتَهَى.[343]

---

[337] هذا بأن من قلد القرآن من غير نظر في أدلته فهو قلد القطيعة، صح إيمانه لاتّباعه القطعي، وأما من نظر في أدلة القرآن أنه عارف وعالم بعين عن كل شبهة وريبة وشكوك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ آمِراً وَزَاجِراً، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلاً مَضْرُوباً، فِيْهِ نَبَؤُكُمْ، وَخَبْرُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحَكَمُ مَا بَيْنَكُمْ، لَا يَخْلَقُهُ طُولُ الرَّدِ، وَانْتَقَضِيَ عَجَائِبَهُ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزَلِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ، وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَحَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اِتَّبَعَهُ، لَا يَعْوِجُ فَيَقُومُ، وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ، وَلَا تَنْقَضِيَ عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِ))، فمن نظر في أدلة القرآن وبراهينه صار عالمًا عارفًا فقيهًا بصيرًا في دينه.

[338] انظر الحاشية السابقة رقم # 156 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[339] هنا انتهى الورقة 20 في المخطوطة: ا.

[340] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[341] انظر المنهج السديد في شرح كفاية المريد للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق الأستاذ مصطفى مرزوق، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 53-53.

[342] هنا انتهى الورقة 58 في المخطوطة: ب.

[343] وقال بعد هذا الكلام: "أو بعارف من أهل الحق، بخلاف الذي قبله، وهو من اكتفى في عقائد التوحيد، بما سمع منها في القرآن، ولم يبصرها ببصيرته في مواضعها، من براهينها التي يهتدي إليها بالقرآن أيضًا، كأن يكتفي في توحيده تعالى بقوله جل وعز: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾" وأبى أن يستعمل بصيرته حتى يرى هذه العقيدة العظمى تتهلل في موضعها من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وقس على هذا جميع العقائد، فلا شك أن هذا مقلد وليس بعارف، فقد استبان لك من هذا أن المؤلف، غفر الله تعالى له: "ولا دليل على التوحيد لم يقل"، كما فيه الجواب عن سؤال مقدر على قررناه أولًا، فيه أيضاً تسهيل الطريق والإرشاد إلى ما يخرج به المكلف عن التقليد بسهولة، وهو الانتماء إلى فهم الأدلة المقولة المفروغ منها في القرآن العزيز، ونحوه، وبالله تعالى التوفيق"؛ انظر المرجع السابق، ص 54.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي اَلْإِحْيَاءِ:[344] "فَأَمَّا مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الظَّاهِرَةِ اَلَّتِي تَسْبِقُ الْأَذْهَانُ إِلَى قُبُولِهَا فِي أَوَّلِ السَّمَاعِ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَعْلُومًا لِلْكُلِّ، وَكَانَ الْعِلْمَ بِالْقُرْآنِ هُوَ الْعِلْمُ كُلُّهُ".[345]

---

[344] انظر الحاشية السابقة رقم # 45 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[345] قال شيخ شيوخنا العارف بالله محمد مرتضى الزبيدي في معنى قول الغزاليّ: "فَأَمَّا مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ"، ظاهره، "مِنَ الْأَدِلَّةِ الظَّاهِرَةِ"، والبراهين القاطعة الدالة على توحيده عز وجل، "اَلَّتِي تَسْبِقُ الْأَذْهَانُ"، السليمة عن الشكوك، "إِلَى قُبُولِهَا فِي أَوَّلِ السَّمَاعِ"، والتلقي، "فَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَعْلُومًا لِلْكُلِّ"، لا يختلف فيه اثنان، "وَكَانَ الْعِلْمَ بِالْقُرْآنِ"، أي بما تضمنه من الأحكام، "هُوَ الْعِلْمُ كُلُّهُ"، لا يخرجه عنه شيءٌ"؛ فذهب الشيخ الأكبر ابن عربي أن القرآن جامعٌ لأنواع العلوم بالمنطوق والمفهوم، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾، فيثبت بالقرآن جميع علوم الدين من أصوله الذي هو أصول الدين أو علم التوحيد أو علم العقيدة، ومن فروعه كفروع الدين الظاهرة التي هي علم أحكام الشريعة أو علم الفقه وكفروع الباطنة التي هي علم الحقيقة أو علم التصوف، فقد أثبت القرآن أن الله تعالى خالق كل شيءٍ وأنه تعالى وحده المنشئ، وأنه بديع السموات والأرض وكل ما فيهما، وأنه تعالى منفرد وواحد بذاته وصفاته وأفعاله، وأنه تعالى لا يماثله أحد من خلقه وليس شيء في خلقه يشابه به، وأن ليس معبود إلا هو سبحانه وتعالى، فجميع العقائد ثابت بآيات القرآن المجيد، فالقرآن المجيد قد اثبت عند المسلمين بالتواتر بأنه جاء به شخص ادّعى أنه رسول من عند الله تعالى، وأنه جاء بما يدل على صدقه وهو هذا القرآن، وأخبر أنه كلام الله والنبأ الحقّ والقول الفصل والأدلة سميعة وعقلية، فواجب اتخاذ العقيدة من القرآن المجيد، وهو بمنزلة الدليل العقلي في الدلائل لأنه الصدق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، فلا يحتاج المسلم مع ثبوت هذا الأصل إلى أدلة العقول إذ قد حصل الدليل القاطع الذي عليه السيف معلق، فإذا كان المكلف مؤمناً بالقرآن أنه كلام الله قاطعًا به فليأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا تشبيه، فنزّه الله تعالى نفسه أن يشبهه شيءٌ من الحوادث أو يشبه شيئًا بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ففي القرآن للعالم والعامي غنيةٌ كبيرةٌ ودواءٌ وشفاءٌ ومقنعٌ شافٌ لمن عزم على طريق النجاة ورغب في سموّ الدرجات، قاله الشيخ الأكبر ابن عربي ملخصاً؛ فأن هذا القرآن المعصوم معجزة رسول الله ﷺ بطلب معارضته والعجز عن ذلك بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم قطع أن المعارضة لا تكون أبدًا بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، أي فيستحيل أن يأتي بمثل هذا القرآن لأنه كلام الله وفعله وما ممكن للحوادث يفعلوا أفعال الله، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي لقد ذكّرنا في القرآن من كلّ براهين التوحيد ونفي جميع العقائد الباطلة، وذكر شبهات منكري النبوة والمعاد مراراً وأطواراً وأجاب عنها ثم أردفها ذكر الدلائل القاطعة على صحة النبوة والمعاد، كما قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب مختصرا؛ انظر إحياء علوم الدين للإمام المجدد حجّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المنهاج، 1432 هـ\2011 م، المجلد الأول، ص 125، انظر أيضاً إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لخاتم المحققين السيد الشيخ محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414 هـ\1994 م، ص 236.

قُلْتُ: وَمِثَالُ أَدِلَّتِهِ الظَّاهِرَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾،[346] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾،[347] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[348]

---

[346] سورة الأنبياء: 22؛ أنها أدلة الظاهرة في نفي آلهة غير الله تعالى بمعانيها، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، أي لو كان يتولاهما ويدبر أمورهما شيء غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا، هذا بأن كان إلهين يفضي إلى المحال، لأن لو فرض وجود إلهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرًا على المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرًا على تحريك شيئًا وتسكينه، فلو فرض أن أحمدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان، وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين، أو يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر، فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس، فلو امتنعًا معًا لوجدا معاً، وذلك محال، أ يقع مراد أحدهما دون الثاني، وذلك محال أيضًا لوجهين: أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادرًا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بأنهما يستويا في القدرة، وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني، وثانيهما أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرًا والذي لم يقع مراده يكون عاجزًا، والعجز نقص وهو على الله محال، فهذه الآية أدلة الظاهرة في وحدانية الله تعالى.

[347] سورة الإسراء: 42-43؛ هاتان الآيتان دليلان الظاهرة أيضًا في نفي آلهة غير الله تعالى على معانيهما: ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ﴾، مع الله عز وجل، ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾، لطلبوا إلى من له الملك والربوبيّة، ﴿إِذًا﴾، دالّة على أنّ ما بعدها وهو ﴿لَّابْتَغَوْاْ﴾، جواب عن مقالة المشركين، ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، أي لو فرض وجود آلهة مع الله تعالى لغلب بعضهم بعضًا، لما أقام الدليل القاطع على كونه منزهًا عن الشركاء، وعلى أن القول بإثبات الآلهة قول باطل، أردفه بما يدل على تنزيهه عن هذا القول الباطل، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾، أن التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، ﴿وَتَعَالَى﴾، والمراد من هذا التعالي الارتفاع وهو العلو، وظاهر أن المراد من هذا التعالي ليس هو التعالي في المكان والجهة، لأن التعالي عن الشريك والنظير والنقائص والآفات لا يمكن تفسيره بالتعالي بالمكان والجهة، فإن لفظ التعالي في حق الله تعالى غير مفسر بالعلو بحسب المكان والجهة، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾، المشركون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، جعل العلو مصدر التعالي، وكان يجب أن يقال تعالى تعاليًا كبيرًا، أما الفائدة في وصف ذلك العلو بالكبير بأن المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصحابة والولد والشركاء والأضداد والأنداد منافاة بلغت في القوة والكمال إلى حيث لا تعقل الزيادة عليها، لأن المنافة بين الواجب لذاته والممكن لذاته، وبين القديم والمحدث، وبين الغني والمحتاج منافاة لا تعقل الزيادة عليها، فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير، فهاتان الآيتان دليلان الظاهرة في وحدانية الله تعالى.

[348] سورة المؤمنين:91؛ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾، لأنّه منزّهٌ عن النوع والجنس، وهو كالتنبيه على أن ذلك من قول هؤلاء الكفار، فإن جمعًا منهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، والثاني قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وليس معه شريك في الألوهية، وهو قولهم باتخاذ الأصنام آلهة، ويحتمل أن يريد به إبطال قول النصارى والثنوية، ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر الدليل المعتمد بقوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، لانفرد كلّ واحد من الآلهة بالذي خلقه، فاستبدّ به، ولتميّز ملك كلّ واحد منهم عن

اَلْفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانٍ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَثْبَتَ أُصُولَ[349] الدِّينِ أَيْضًا فِي سُنَّتِهِ[350]

الآخر، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون، وحيث لم تروا أثرًا لتمايز في الممالك والتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء، فإن قيل: ﴿إِذًا﴾ لا يدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابًا، ولم يتقدّمه شرط، ولا سؤال سائل؟ لأن الشرط محذوف، وتقديره: ولو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، عليه، ثم إنه سبحانه نزّه نفسه عن قولهم بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، من إثبات الولد والشريك والأنداد.

[349] هنا انتهى الورقة 59 في المخطوطة: ب.

[350] قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في إحياء السنة وإخماد البدعة: "أما حد السنّة فقال أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور في شرح نتهج المنتخب: والسنّة لغةً الطريقة والعادة، وهي في الاصطلاح مشتركةٌ بين نوعٍ من العبادات ونوعٍ من الأدلة، فالسنّة في العبادات النافلةُ التي واظب عليها النبي ﷺ، أو فُهِمَ منه الدوامَ عليها ولو تكرر سببها كالصلاة الكسوف، وزاد بعضُهم: وأظهرها في جماعةٍ، والسنّة من الأدلةِ وهي المراد هنا: ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن، من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، بهذا عرّفها بعض المحققين، اه؛ وفي المنهج المنتخب:

سكوت سيد الورى محمد * وقوله وفعله للأبد

أو ما عليه قد أقر سنّةٌ"، وقال الشيخ عثمان بن فودي أيضا بعد كلام في أدلة وجوب اتباع السنّة: "وكذلك اتباع السنة يجب بالكتاب قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، وبالسنّة قال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي عَضُواْ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))، وبالإجماع لانعقاده على ذلك"، فإن المعرفة الحاصلة بطريق أدلة السنّة مصدرها من والوحي قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فإن المعرفة المستفادة بأدلة السنّة أنفس المعارف، وهي أفضل مما صدر من العقل والنظر لأنها عين ما أخبر النبي المعصوم به عن الله تعالى، قال حفيد المصنف الشيخ العارف عبد القادر ين مصطفى: "ومستفادها ثلاثة أشياء: الأول ثبات الصانع وصفاته نحو ما أفادته المعرفة العقلية، الثاني: زيادة صفات يحيل العقل ظاهرها وقد جاء بها الوحي، وحقنا أن نثبتها ونؤمن بها مفوضًا حقيقتها إلى قائلها، وذلك كاليد واليدين والأيد والوجه والرضى والغضب والنجوى والضحك والبشاشة والنزول وأمثالها، فالواجب علينا الإيمان بها واثباتها لأن الوحي قد جاء بها وإن أحالها العقل، فافهم، الثالث: كيفية عبادة الله وبيان الطريق المقضية إلى رضاه على العبد وأحوال المعاد الإنساني بصنعه"، هذا نوع من المعرفة الذي صدر من أدلة السنّة يجب اعتقاد ظاهره على ما جاء به النبي ﷺ، ولا يجوز تأويله بشيء من التأويل العقلية لأنه يؤدي إلى تكذيب الحقّ فيما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فمن مال إلى التأويل في هذا النوع كفّرناه إجماعًا في الجنّة والنار وبدعنا في سائرها كالسؤال والميزان والحساب والحوض والشفاعة والصراط ونحوها، فهذا جملة مستفاد المعرفة الحاصلة بأدلة السنّة، فمن اعتقدها على نحو ما جاءت فاز فوز الأبد وسعد سعادةً، قال القطب الشيخ أحمد زروق رحمه الله في عمدة المريد الصادق: "إنّ السنّة حجّةٌ على جميع الأمّة، وليس عمل أحد من الأمّة حجّةٌ على السنّة لأنّ السّنّة معصومةٌ من الخطأ، وصاحبها معصومٌ، وسائر الأمّة لم تثبتْ لهم العصمة إلا مع إجماعهم خاصّةٌ، فإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلاً شرعياً".

فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: فَاعْلَمُواْ يَا إِخْوَانِي إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَثْبَتَ أُصُولَ الدِّينِ أَيْضًا فِي سُنَّتِهِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَثْبَتَ أَصْلَ الْإِيْمَانِ بِقَوْلِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[351] عن مُعَاذٍ:[352] ((مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صِدْقاً إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ))، يَعْنِي نَارَ الْخُلُودِ.[353]

---

[351] هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المعروف بالبخاري، ولد في شوال سنة 194 الهجرية، قال مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الفَضْلِ البَلْخِيُّ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: ذهبَتْ عينَا مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ فِي صِغَرِهِ فرأَتْ وَالِدتُهُ فِي المَنَامِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَم فَقَالَ لَهَا: "يَا هَذِهِ، قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَى ابْنِكِ بصرَهُ لكَثْرَةِ بُكَائِكِ، أَوْ كَثْرَةِ دُعَائِكِ" فَأَصْبحْنَا وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بصرَهُ، وصار بعد ذلك من أفضل الناس في الحديث يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وصنف كتاب التاريخ وألف الصحيح فهو أعلى وأصح الكتاب وقع للمسلمين بعد القرآن العظيم، وقال فيه: "ما وضعتُ في كتابي حديثا إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليتُ ركعتين"، وقال أيضا: "ما أدخلتُ في هذا الكتاب إلا ما صحّ وتركتُ من الصحاح كي لا يطول الكتاب"، وقال فيه أيضا: "صنفتُ الصحيح في ست عشرة سنة وجعلته حجّة فيما بيني وبين الله تعالى"، وقال النجم بن الفضيل: "رأيتُ النبي ﷺ في النوم كأنه يمشي ومحمد بن إسماعيل يمشي خلفه، فكلما رفع النبي ﷺ قدمه وضع محمد إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ"، وقال الحسن بن محمد: "ما رأيتُ مثل محمد بن إسماعيل، ولم يكن مسلم بن الحجاج يبلغ محمد بن إسماعيل"، قال أبو زيد المروزي: "كنتُ نائمًا بين الركن والمقام، فرأيتُ النبي ﷺ فقال لي: ((يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟)) فقلتُ: يا رسول الله وما كتابك؟" قال: ((جامع محمد بن إسماعيل))"، وقال له الإمام مسلم بن الحجاج: "أشهد أنّه ليس في الدنيا مثلك" وسلم قدمه"، وتوفي ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست 256 الهجرية، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما.

[352] وهو السيد الإمام أبو عبد الرحمان معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أُديّ بن سعد بن علي بن أسد الأنصاري الخزرجي المدني البدري، أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة، وكان طويلا حسنا جميلا، شهد العقبة، شهد بدرًا وهو عشرون سنة، وهو ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام فيه: ((معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله))، وروى الشيباني عن محمد الثقفي قال رسول الله ﷺ: ((يجيءُ معاذ يوم القيامة أمام العلماء بين يدي العلماء))، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبو أمامة وأبو مسلم الخولانيّ ومسروق العبسي وآخرون، روى الروياني في مسنده عن الحارث بن عمرو الثقفيّ قال: أخبرنا أصحابنا عن معاذ قال: "لما يعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال لي: ((كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ؟))، قال: "أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن، فبما قضى به رسول الله ﷺ"، قال: ((فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْمَا قَضَى بِهِ الرَّسُوْلُ؟))، قال: "أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُوْ"، فضرب صدري وقال: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُوْلَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُوْلَ اللهِ))، مات سنة ثمان عشرة وهو ثلاث وثلاثين سنة.

[353] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري في كتاب العلم في باب خص بالعلم قوماً دون قوم، رقم الحديث # 128، عن أنس بن مالك: أن النبي ومعاذ رديفه على الرحل، قال: ((يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ)) الحديث؛ فمعنى قول معاذ: "قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ" اللَّبُّ بفتح اللام معناه هنا الإجابة، فأصله من لبّ بالمكان لبّا أي أقام به ولزمه، فمعنى قول معاذ:

"لبيك" أنا لزوما لطاعتك أو أنا مقيم على طاعتك إقامة بعد إقامة، أو إجابة لك بعد إجابة، ومعنى السعد المساعدة، كأنه قال لبا لك وإسعادا لك، ولكنهما ثنيا على معنى التأكيد والتكثير، أي إجابة بعد وقيل في أصل لبيك واشتقاقها غير ذلك، وسنوضحه في كتاب الحج إن شاء الله تعالى، وقاله معاذ ثلاثا، أي النداء والإجابة قيلا ثلاثا، وصرح بذلك في رواية مسلم، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَا مِن أَحَدٍ يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا))، فيه احتراز عن شهادة المنافق التي صدر من لسانه بلا إخلاص ولا إيمان في صدره، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مِن قَلْبِهِ))، أي من تصديق قلبه فيمكن أن يتعلق بعبارة "صادقا" أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بعبارة "يشهد" أي يشهد بقلبه، والأول أولى، وقال الإمام الطيبيّ: "قوله صدقا أُقيم هنا مقام الإستقامة لأن الصدق يُعبّر به قولاً عن مُطابقة القول المخبر عنه ويعبّر به فِعلًا عن تحري الأخلاق المرضية، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾، أي حقّق ما أورده قولاً بما تحرّاه فعلاً"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ))، دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فلذلك فسره بقوله: "أي نار الخلود" كما صرح بذلك الشيخ في تنبيح الأمة على قرب هجوم اشراط الساعة، فورد فيه الحديث ما روى الحاكم والترمذي في نوادر الأمور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فمنهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يصرخون في الأدراك، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة، ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم: كنا نحن وأنتم جميعا في الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى ذلك عنكم! نحن وأنتم اليوم فيها جميعا سواء تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد، فيغضب الله عند ذلك غضبا لم يغضبه من شيء فيما مضى ولا يغضب من شيء فيما بقى فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها "نهر الحياة"، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ... يدخلون الجنة يكتب في جباههم: "عتقاء الله من النار"، إلا رجلا واحدا فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادي: "يا حنان يا منان!" فيبعث الله إليه ملكا ليخرجه فيخوض في النار في طلبه سبعين عاما لا يقدر عليه ثم يرجع فيقول: "إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار وإني طلبته منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه!" فيقول الله تعالى: "انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة"، فأخرجه، فيخرجه منها فيدخله الجنة)).

وَأَثْبَتَ أَرْكَانَهُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ[354] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ:[355] ((أَن تُؤمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَتُؤمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)).[356]

---

[354] وهو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوريّ صاحب الصحيح، إنه ولد سنة 204 الهجرية، كان من علماء الناس ومن أوعية العلم، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: "كان مسلم ثقة من الحفاظ"، وقال الأمام مسلم: "صنفتُ هذا المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة"، قال أحمد بن سلمة: "كنتُ مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث"، وقال الأمام مسلم: "ما وضعتُ في هذا ما وضعتُ في هذا المسند شيئاً إلا بحجة ولا أسقطتُ شيئًا منه إلا بحجة"، قال أبو عبد الرحمن السلمي فيه: "رأيتُ شيخًا حسن الوجه والثياب عليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه"، فتوفي مسلم في شهر رجب سنة 261 الهجرية بنيسابوري وهو بضع وخمسين سنة.

[355] هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر الفاروق بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بم مضر بن نزار بن معد بن عدنان العدوي القرشي، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ومن علماء الصحابة وزهادهم، توفى عمر ين الخطاب رضي الله تعالى عنه سنة 644 الهجرية.

[356] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الزاج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري في المسند الصحيح في كتاب الإيمان في باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث # 8، عن عمر بن الخطاب، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْ تُؤمِنَ بِاللَّهِ))، والإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَمَلَائِكَتِهِ))، الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿عباد مكرمون﴾، وهم نورانيون روحانيون ليس بذكر ولا أنثى لا يأكلون ولا يشربون ولا يناكحون، وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظرا للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول، وليس فيه متمسك لمن فضل الملك على الرسول، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَكُتُبِهِ))، والإيمان بكتب الله التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَرُسُلِهِ))، الإيمان بالرسل: التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، ودل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَالْيَوْمِ الآخِرِ))، فأنه قيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد بالإيمان به والتصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار وغير ذلك من أمور المغيبات والسمعيات، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَتُؤمِنُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين.

وَأَثْبَتَ أَنَّهُ تَصْدِيقٌ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الْإِجْمَالِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا فِي الشِّفَا:[357] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:[358] ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ[359] حَتَّى يَشْهَدُواْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَتَّى يُؤْمِنُواْ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ)).[360]

---

[357] هنا انتهى الورقة 21 في المخطوطة: ا؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 12 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه، ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ الصالح محمد الكنويّ، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى الذي قال: "حدثنا أبو محمد الخشني بقراءتي عليه، حدثنا الإمام أبو على الطبري، حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا ابن عمرويه، حدثنا ابن سفيان، حدثنا أبو الحسين، حدثنا أمية أبو بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة".

[358] وهو أبو هريرة أبو الأسود عبد الرحمان بن صخر الدّوسي اليمانيّ، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ سيد الحفاظ الأثبات، ولد سنة 21 قبل الهجرة [الموافق بسنة 602 الميلادي]، أسلم سنة 7 الهجرية، ولزم النبي ﷺ وخدمه، فشهد خيبر مع النبي ﷺ، فصحب رسول الله ﷺ أربع سنين، وكان أحفظ الصحابة كما قال الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره"، كما صرح بذلك في هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: ((لِمَا رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ))، وتولى أبو هريرة ولاية البحرين في عهد الخليفة عمر بن الحطاب، ثم تولى إمارة المدينة من سنة 40 الهجرية حتى 41 الهجرية، ولزم المدينة المنورة يُعلّم الناس الحديث النبوي ويُفتيهم في أمر دينهم، فمات أبو هريرة سنة 59 الهجرية، وله ثمان وسبعون سنة.

[359] هنا انتهى الورقة 60 في المخطوطة: ب.

[360] قال الشيخ شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض في معنى هذا الحديث: ((أُمِرْتُ)) ببناء المجهول، أي أمرني الله إذ لا آمر له ﷺ سواه، ((أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ))، أي بأن أقاتلهم، ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر، وهو عام الناس كلهم خصّ منه مَن ضربت عليه الجزية، ((حَتَّى يَشْهَدُواْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))، غاية لقتالهم ينتهى ويتخصّص بالغاية، ((وَيُؤْمِنُواْ بِي))، أي بكوني نبيًّا رسولًا، ((وَ))، يؤمنوا ((بِمَا جِئْتُ)) من الله وأوحاه إليه من شريعته التي أمر بتبليغه وتكليفهم بها"؛ وتستمر رواية نصوص الحديث: ((فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ عَصِمُواْ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، معناه كما قال في نسيم الرياض: "((فَإِذَا فَعَلُواْ ذَلِكَ))، المذكور من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته، ((عَصِمُواْ))، أي صانوا وحفظوا ((مِنِّي دِمَاءَهُمْ))، بعد المقاتلة لهم، ((وَأَمْوَالَهُمْ))، فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الأسباب، ((إِلَّا بِحَقِّهَا))، أي أن تستحق إباحة دمائهم بقتل نفس ظلمًا ونحوه، أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حقّ عليهم، ((وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))، أي أمرهم بعد ما ذكر موكل إلى الله تعالى إذا حاسبهم على ما أسروه في أنفسهم، وما لم نقف عليهم من الكفر والمعاصي، فيثبت مَن يشاء ويعاقب مَن يشاء، والمنافق لا يقتل إلا إذا ظهر منه ما يقتضى كفره، ومثله الزنديق، واختلفوا في قبول توبته، فقيل: يقبل مطلقًا، وقيل: قبل الأخذ، وقيل: لا يقبل مطلقًا وتوبته إن خلصت نفعته في الآخرة، وقيل: إن تاب مرة قبلت، وإن تكررت لا، وقيل: لا تقبل إن دعي لزندقته، وقوله ﷺ: ((وَتُؤْمِنُواْ بِي)) إشارةٌ إلى أن أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بأن لا إله إلا الله، ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله: ((إِلَّا بِحَقِّهَا))، وفي الحديث دليلٌ على أن الإيمان يكفي فيه الإقرار بما ذكر فيه، وأنه لا يشترط فيه معرفة الأطلة الأصولية كما قال النووي، وحمه الله تعالى، وليس مبنيًا على قبول إيمان المقلد كما

وَأَثْبَتَ حُدُوثَ الْعَالَمِ[361] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عِمْرَانِ بْنِ حُصَيْنٍ[362] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُن شَيْءٌ غَيْرُهُ)).[363]

توهم"؛ انظر نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، ضبطه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ\2001 م، ص 364-365.

[361] انظر الحاشية السابقة رقم # 173 للحصول على شرح وبيان حدوث العالم.

[362] وهو الصاحبي الجليل أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بم سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي، القدوة الإمام، أسلم عمران وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد في سنة 7 الهجرية عام خيبر، وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولي قضاء البصرة ليفقّه أهلها ويعلمهم، قال الحسن البصري وابن سيرين: "ما قدم البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ يفضل عمران بن حصين"، فكان يرفض أن يشغله عن الله وعبادته شاغل، واستغرق في العبادة، واستوعبته العبادة حتى صار كأنه لا ينتمى إلى عالم الدنيا التي يعيش فوق أرضها وبين ناسها، فصار كأنه ملك يحيا بين الملائكة يحادثهم ويحادثونه ويصافحهم ويصافحونه، ولما وقع الفتنة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفريق معاوية لم يقف موقف أي واحد منهما، وقال في ذلك: "لأن أرعى أعنزًا حضنيات في رأس جبل حتى يدركني الموت، أحب إليّ من أن أرمي في أحد الفريقين بسهم أخطأ أم أصاب"، وتوفي سنة 52 الهجرية.

[363] ومعنى قوله عليه السلام: ((كَانَ اللَّهُ))، أي أنه تعالى كان قبل كل شيء، وأنه تعالى الأوّل قبل كل شيء، ولا شيء قبله، فهو تعالى الأول بلا بداية كما أنه تعالى الآخر بلا نهاية، ((وَلَمْ يَكُن شَيْءٌ غَيْرُهُ))، أي لم يكن شيء موجودًا سواه، وفي الرواية: ((وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ))، وفي رواية غير البخاري: ((وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ))، وفيه دلالةٌ على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى، ومعنى: ((وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)) أنه خلق الماء سابقا ثم خلق العرش على الماء، وقد وقع في قصّة نافع بن زيد الحميري بلفظ: ((كَانَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ: أَكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ))، ومعنى هذا الحديث أن القديم مَن لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الأولية، وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادثٌ، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن، لا عن عجزٍ عن ذلك بل مع القدرةِ، واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصّة أن الكلام في أصول الدين وحدوث العالم مستمران في ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم في أبي الحسن الأشعري، أشار إلى ذلك ابن عساكر.

وَأَثْبَتَ وُجُودَهُ تَعَالَى كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[364] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[365] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: [((اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ)).][366]

---

[364] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري في كتاب التهجد في باب التهجد بالليل في معنى قوله عز وجل: ﴿مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ رقم الحديث # 1120؛ انظر صحيح البخاري للإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، البشرى، كراشي، 1437 هـ\2016 م، ص 632.

[365] وهو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن قهر بن مالك بن قريش النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي الهاشمي الأمير، مولده في مكة ثلاثة سنين قبل عام الهجرة سنة 3 الهجرية\ 618 الميلادي، وهاجر مع أبيه العباس قبيل فتح مكة، ولازم النبي ﷺ وروي عنه علما كثيرة، وقرأ القرآن على زيد بن ثابت وأبي بن كعب، وكان لابن عباس مجلس كبير في المدينة يأتيه الناس لطلب العلم، وتوفي ابن عباس سنة 68 الهجرية\687 الميلادي، وهو إحدى وسبعين سنة.

[366] ان تمام الحديث قال ابن عباس: "كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: ((اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ))، أي القائم بنفسه وواجب الوجود، فقيام وقيوم معناها واحد، وهو الدائم القيام بتدبير الخلق المعطي له به قوامه، أو القائم بنفسه المقيم لغيره، وقال الزمخشري: "وقرئ القيام والقيم وقيل قرأ بهما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه"، وقال ابن عباس: "القيوم هو الذي لا يزول"، وقيل هو القائم على كل نفس، ومعناه مدبر أمرها، وقيل: قيام على المبالغة من قام بالشيء إذا هيأ له جميع ما يحتاج إليه، وقيل: قيم السموات والأرض خالقهما وممسكهما أن تزولا، ومعنى: ((وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ))، أي بمعنى منوّر أي خالق النور، وهو تعالى منوّرهما، وبه يهتدي من فيهما، وقيل المعنى: أنت المنزه عن كلّ عيبٍ، ومعنى: ((وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ))، وفي رواية الكشميهني: ((لَكَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ومعنى: ((وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ))، أي أنت المتحقق الوجود، الثابت بلا شك فيه، وكل شيء صحّ وجوده، وتحقّق فهو حقٌّ، قال القرطبي: "وهذا الوصف خاصّ به تعالى بالحقيقة، لا ينبغي لغيره، إذ وجوده لذاته، فلم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم بخلاف غيره"، قال لبيد بن ربيعة العامري في أيام الجاهلية: "ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلٌ"، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ أي الكائنةُ حقًّا بغير شكٍّ، وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة والخصوصية، ولا ينبغي لغيره، قال الوالي العارف الشيخ محمد بن يوسف السنوسي: "الحقّ هو الثابت الوجود الذي لا يقبل العدم ولا التغيّر لا أولاً ولا أبدًا، وقيل: هو المُحقّ للكائنات، أي المُثبتُ لذواتها وصفاتها، ولو لا هو لبطلت وبقيت على العدم أبد الأبد"، فهذا أثبت أنه تعالى واجب الوجود"، قال ولي الله محمّد تكر رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحباء: "من عرف إنه الحقّ نسي بذكر الخلق"، قال الشيخ أبي القاسم القشيري في شرح أسماء الله الحسنى في معنى أسمائه تعالى الحق: "هو بمعنى الموجود الكائن الذي ليس بمعدومٍ ولا منتفٍ، والحق المطلق في اللغة بمعنى الموجود"، قال الامام السنوسي في شرح الأسماء الحسنى في معنى أسمائه تعالى الحق: "هو

وَأَثْبَتَ قِدَمَهُ وَبَقَائَهُ[367] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:[368] ((اَللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ وَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ)).[369]

الثابت الوجود الذي لا يقبل العدم ولا التغيّر لا أولاً ولا أبداً، وقيل: هو المُحقّ للكائنات، أي المُثبتُ لذواتها وصفاتها، ولو لا هو لبطلت وبقيت على العدم أبد الآباد"؛ وما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[367] قال الشيخ العارف محمد بن يوسف السنوسي في شرح المقدمات: "القدم: وهو عبارةٌ عن سلب العدم في الأزل، والبقاء: وهو عبارةٌ عن سلب العدم فيما لا يزالُ، ويجمعُهما معًا: وجوب الوجود لأنّه عبارةٌ عن عدم قبول العدم أولًا وأبدًا"، وقال أيضًا في شرح الوسطى: "فاعلم أنّ القدم يُطلقُ على معنيين: أحدهما توالي الأزمنة على الشيء وإن كان مُحدَثًا لوجودِهِ أولٌ، ومنه أساسٌ قديمٌ وبناءٌ قديمٌ...الثاني من معنى القدم: أنّه يُطلقُ على ما لا أوّل لوجوده، أي وجوده أزليٌ لم يسبقْهُ عدمٌ...وأما البقاء فيُطلقُ ويُرادُ به مقارنةُ الوجود لزمانين فصاعدًا، وهو مستحيلٌ في حقّه تعالى لما عرفتَ من استحالةِ تقييد وجوده تعالى بالزمان، وإنما يتّصف بإبقاء بهذا المعنى الحوادثُ، ويُطلقُ ويُرادُ به سلبُ الآخريّة للوجوده، أي يمتنع أن يلحقَ وجدَه العدمُ" انتهى ملخصًا، قال الشيخ العارف الأوجلي في دليل القائد لكشف أسرار صفات الواحد:

"لو انتفى قدمه لكـــــــانا * له الحدوث واستوى من كان

لو لم يجب له البقاء المستمر * لوجب الحدوث من هذا ففِرْ"؛

وقال أيضاً في شرحه المسمى مزيد العقائد على دليل القائد: "أي الدليلُ على قدمه أنه لو انتفى عنه القدم لكان الحدوث ثابتاً له، فيستوي حينئذ كل موجود في الحدوث، هذا باطلٌ، وتقريره أن تقول لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا، ولو كان حادثاً لكان عاجزًا عن إيجاد الحوادث كسائرها، ولو كان عاجزًا عن إيجادها لما وُجد شيءٌ منها، كيف والحوادثُ موجودةٌ بالمشاهدة"، وقال أيضاً: "والدليلُ على بقائه أنّه لو لم يجب له البقاء المستمر الذي لا ينقطع لوجب في الفرض أن يكون وجوده حادثاً، وتعالى وتقدّس عن ذلك، ففرْ من اعتقاد الحدوث في حقّه تعالى، فنقول في تركيب دليله: لو لم يكن باقيًا لكان فانيًا، ولو كان فانيًا لأحتاج إلى مُفْنٍ، ولو افتقر إلى مفنٍ لكان عاجزًا عن دفع المخلوقات بالأولى، ولو كان عاجزًا عن إيجادها لما وُجِدَ شيءٌ منها، كيف والمخلوقاتُ موجودةٌ مشاهدةٌ".

[368] أورد هذا الحديث أبو بكر بن محمّد بن أبي بكر في كتاب حجّة المسائل عن علم التّوحيد كما سيذكر المصنف الشيخ رحمه الله تعالى قريبًا.

[369] ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَللَّهُمَّ)) أي يا الله، ولذا لا يستعمل إلا في الطلب، ولأجل هذا تجعل في أول الأدعية غالبًا، أن حرف الميم في "اللهمّ" زيدتْ عوضًا من حرف النداء المحذوف، وهو مذهب البصريين، ولا يجوز الجمع بينه وبين الميم اختيارًا إلا في الضرورة الشعرية، وضمّة حرف الهاء أصلية، وإنما فُتِحَتْ حرف الميم لكونها بمثابة علامة جمع المذكر السالم، وشدّدتْ لتعادل الحرف المحذوف لكونها عوضًا عنه، وعند أهل الطريقة أن هاته الميم جمعت سر الأسماء الحسنى، ولذا قال النضر بن شميل: "من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه، فلفظ "اَللَّهُمَّ" حقيق أن يتوجه به في الدعاء لما تضمنه من عظيم الثناء، وأصل معناه اثن عليه يا الله عند ملائكتك وشرفه وكرمه زيادة على شرفته به وكرمته، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ))، ومعنى الأول هنا الأزلي الذي لا بداية له، فلم يسبقْه شيء سبحانه، قال ولي الله محمّد تكر الفلانيّ رحمه الله تعالى في كتابه قراء الأحباء: "من عرف إنه الأول غاب عن كلّ شيء به، ومن عرف أنه الآخر رجع بكل شيء إليه، والتّقرب بهذين الاسمين تعلّقا أن ترجع إليه بأول كلّ شيء وأخره، وتخلقا أن تكون أول النّاس سبقا للخير

وَأَثْبَتَ مُخَالَفَتَهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ[370] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:[371] ((اَللَّهُمَّ أَنْتَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْقُدُوسُ)).[372]

وأخرهم تعلقا به، وخاصيته الأول جمع الشّمل، فإذا واظب عليه المسافر في كلّ يوم جمعة الفا تجمع شمله، وخاصيته الثاني صفاء الباطن عما سواه تعالى، فإذا واظب عليه الإنسان في كل يوم مائة مرة خرج من قلبه ما سوى الحق تعالى"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَأَنْتَ الْآخِرُ وَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ))، ومعنى الآخر الأبدي الذي يفنى كل شيء وهو باق، قال العارف محمد بن يوسف السنوسي في معنى الأول والآخر: "ومعناهما الموجود قبل وجود كل ما سواه، والباقي بعد فناء ما عدّاه، ومن لازمهما وجوب وجوده تبارك وتعالى، إذ لو جاز وجوده تعالى عن ذلك لكان وجوده حادثًا، فيفتقر إلى مُحْدِثٍ يجب أن يسبق وجوده عليه ويتأخّر وجوده عن عدمه، فتنتفي حينئذ الأولية والآخرية، وهما واجبان له تبارك وتعالى"، قال الوالي العارف الشيخ محمد تكر بن محمد الفلاني في معنى الأول والأخر: "قيل هما اسما احاطة للتقدم الأول عن كلّ أوّلٍ واحاطة الأخر بكلّ أخرٍ به البداء وإليه الانتهاء، فليس قبله شيءٌ ولا بعده شيءٌ، وانما عطفًا بالواو لتباعد ما بين موقع معناهما، وأن ما يرجعان به إلى حكم الاسم الواحد من ابطن الغيب من عرف أنه الأول غاب عن كل شيءٍ به، ومن عرف أنه الآخر رجع بكل شيءٍ إليه"، فبهذا اثبت له تعالى القدم والبقاء.

[370] قال الإمام السيوطي والسبكي وإمام الحرمين وأثبته أيضاً فيما رواه الحاكم والبيهقي عن حذيفة مرفوعاً إنّ الله صانعُ كلّ صانعٍ وصنعتِهِ وذاتُهُ مُخالفةٌ لسائرِ الذواتِ جلّ وعلا؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 179 للحصول على شرح وبيان مخالفته تعالى للحوادث.

[371] انظر الحاشية السابقة رقم # 286 لمصدر هذا الحديث.

[372] ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَللَّهُمَّ))، أي يا الله، قال الحسن البصري: "اللهم تجمع الدعاء"، قال الفراء: "إن أصل اللهم إنما كان: الله أمّنَا بخيرٍ"، قال أبو رجاء العطاردي: "الميم في قوله اللهم فيها تسع وتسعون اسماً في أسماء الله تعالى"، فكلمة اللهم قد اجتمعتْ فيه أسماء الله تعالى كلّها، فإذا قال "اللهمّ" فكأنه قال: "يا الله الذي له الأسماء الحسنى"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْتَ الْعَلِيُّ))، أي المُتعالي بأنه مخالفة عن كل ما سواه بعلوّه، فالعلي هو الذي لا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته، فهو الذي يعلو أن يحيط به وصف الواصفين وعلم العارفين، فتعالي الله علواً كبيراً في ذاته وصفاته وأفعاله، إذ لم يجعل للخلق سبيلاً لإدراك أوصافه العلية، قال الإمام العارف محمد بن يوسف السنوسي في معنى العليّ: "هو الذي علا كمالُه حتى فات جميع مدارك العقول"، وقال أيضا بعد كلام: "المتعالي هو الذي تفضّل بإظهار عُلوِّهِ للعقول حتى استبان لها عجزُها عن الإحاطة بذلك العُلُوّ"، قال الإمام الرازي: "لا يجوز أن يكون المراد منه العلوّ بالجهة بأنه لو كان علوّه بسبب المكان لكان لا يخلو إما أن يكون متناهيًا في جهة فوق، أو غير متناهٍ في تلك الجهة، والأول باطلٌ، لأنه إذا كان متناهيًا في جهة فوق كان الجزء المفروض فوقه أعلى منه، فلا يكون هو أعلى من كل ما عداه، بل يكون غيره أعلى منه، وإن كان غير متناهٍ فهذا محالٌ لأن القول بإثبات بُعد لا نهاية له باطلٌ بالبراهين اليقينية"، وقال أيضًا بعد كلام: "أن العالم كرة، ومتى كان الأمر كذلك فكل جانب يفرض علوًّا بالنسبة إلى أحد وجهي الأرض يكون سفلًا بالنسبة إلى الوجه الثاني، فيتقلب غاية العلو غاية السفل"، وقال أيضاً بعد كلام: "فلو كان علو الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان الذي بسببه حصل هذا العلوّ لله تعالى صفة ذاتية، ولكان حصول هذا العلو لله تعالى حصولًا بتبعية حصوله في المكان، فكان علو المكان أتم وأكمل من علو ذات الله تعالى، فيكون علو الله ناقصًا وعلو غيره كاملاً، وذلك محالٌ"، فتعالى وتقدس عن أن يكون علوه بسبب المكان، فالله متعالي

وَأَثْبَتَ قِيَامَهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ[373] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: [374] ((اَللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)).[375]

عن الأنداد والأضداد والأمثال، فعلوه مخالفة ما سواه من الحوادث، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْكَبِيرُ))، على وزن "فعيل" هو الذي لا عز إلا عزّه، فالكبير هو الحي الدائم أزلاً وابداً لأنه تعالى كامل في ذاته ووجوده والمخلوق ناقص في ذاته ووجوده، فلذلك أنه تعالى مخالفة للمخلوقات، قال الإمام السنوسي: "الكبير هو الذي له الكمالُ والشرف المُرتفعُ ارتفاعاً تقصرُ جميع العقول عن إدراك كُنْهِ معناه، وتعجزُ الأفهام كلها عن التطاول إلى الإشراف على عُلُوّ"، ولا هو كبير بعظم جثه وكثرة بنيه، فالكبير الذي لا يسعه مكان ولا يحويه زمان، فيرجع كبريائه إلى كمال الصفات وعظمة الذات والتقدم في المرتبة وبالمنزل والرتبة والسبق في الفضل وإلى الرفعة، فبكبريائه أنه تعالى مخالفة عما سواه، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْقُدُوسُ))، على وزن فعول أي هو البليغ في النزاهة في الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء، معنى القدوس يعود إلى استحالة النقائص في وصفه، وتنوهه من الآفات، فالتنزيه والتقديس كلاهما من واجبات الذات العلية، القدوس اسم جمع كل صفات الجلال والكمال والجمال أيضاً، والقدوس تنزه عن الشريك والمثيل، فلا ند له ولا منازع له في ملكه، فأنه مخالفة في تنزيهه عن جميع الحوادث، قال العارف الشيخ محمد تكر بن محمد الفلاني: "فإن القدوس منزه عن التنزيه، فكيف يشار إليه بالتشبيه ليس كمثله شيء، تنبيه كل تنزيه توجه الخلق به إلى الحق، فهو عائد إليهم لأن الحق سبحانه لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه لاتصافه تعالى الصفات، وكريم الأسماء وجميل الأفعال على الإطلاق، فليس لنا من علم نقدسه إلا معرفة أنه القدوس"، فبتنزيهه تعالى فإنه مخالفة عن جميع الحوادث.

[373] أن كونه تعالى قيام بنفسه وكونه غني عن المحل والمخصص بمعنى واحد، فانظر الحاشية السابقة رقم # 181 لبيان معنى كونه تعالى غني عن المحل والمخصص، قال الشيخ العارف الأوجلي في مزيد العقائد على دليل القائد: "وقيامه تعالى بنفسه من صفات السلوب، وهي سلب افتقاره تعالى إلى المحل والمخصّص، والمحل الذات والمخصّص الفاعل"، أي أن الله تعالى غني عن ذات أخرى سواه وعن فاعل أخرى غيره، قال العارف الإمام محمد بن يوسف السنوسي في العقيدة الصغرى: "وقيامه تعالى بنفسه، أي لا يفتقر إلى محل ولا مخصّص"، وقال الشيخ محمد الوالي بن سليمان الفلاني في شرح قول السنوسي: "((وقيامه تعالى بنفسه))، القيام صفة سلبية تسلب عن الباري سبحانه الافتقار إلى المحل والمخصّص"، قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الفاسيّ المالكيّ في معنى أنه تعالى قائم بنفسه: "أي مستقلّ بذاته لا يحتاج إلى غيره، فهو الغنيّ على الإطلاق، قائمٌ على كلّ نفس بما كسبت، فهو الحيّ القيوم"، قال الإمام السنوسي: "وأما برهان وجوب قيامه تعالى بنفسه فلأنه لو احتاج إلى محل لكان صفة، والصفة لا تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية، ومولانا جل وعز يجب اتّصافه بهما، فليس بصفةٍ، ولو احتاج إلى مخصّص لكان حادثاً، كيف وقد قام البرهان على وجوب قدمه تعالى وبقائه"، قال الشيخ العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني: "أنه لو لم يكن قائمًا بنفسه لاحتاج إلى ذات أخرى يقوم بها، ولو احتاج إلى ذات أخرى بكان صفة لتلك الذات، ولو كان صفة لما اتّصف بصفات المعاني ولا المعنوية، واتّصافه بالمعاني والمعنوية واجب البرهان فليس بصفة، واتّصافه بالمعاني والمعنوية دليلٌ على عدم كونه صفة، وعدم كونه صفة دليل على عدم احتياجه إلى ذات أخرى، وعدم احتياجه إلى ذات أخرى دليلٌ على وجوب قيامه تعالى بنفسه، ووجوب قيامه تعالى بنفسه هو المطلوب، فالحمد لله الذي هدانا لما نطلب"، قال الإمام الأوجلي في دليل القائد:

"لو لم يقم بالنفس لاحتاج للذات * أو لمخصّص وفيت للممات"؛

وقال أيضا في شرحه في مزيد العقائد على دليل القائد: "أي والدليل على وجوب قيامه تعالى بنفسه أنه ((لو لم يقم بالنفس)) أي بنفسه، أي بذاته لكان محتاجًا إلى ذات يقوم بها، فيلزم أن يكون صفة لتلك الذات إذ لا يقوم بالذات إلا صفاتها، وكونه صفة يقتضي أن لا تتصف بصفات المعاني والمعنوية، وقد قام البرهان على وجوب اتّصافه تعالى بصفات المعاني والمعنوية، فيلزم أن يكون ذاتًا علية، وقوله: ((أو مخصّص))، أي فاعلٍ، أي ولا يحتاج إلى مخصّص لأن الاحتياج إليه يستلزم الحدوث لأن أثر المخصّص لا يكون إلا حادثاً لأن القديم حاصل الوجود وواجبة، وتحصيل الحاصل محالٌ، وقوله: ((وفيت للممات))، أي وقّاك الله من فساد الاعتقاد إلى الممات، فنقول في تركيب دليله: لو لم يكن قائمًا بنفسه لكان محتاجًا إلى المحل والمخصّص، ولو كان محتاجًا إلى أحدهما لكان عاجزًا عن دفع الاحتياج عنه، ولو عجز عن دفع الاحتياج عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد الحوادث بالأولى، ولو عجز عن إيجادها لما وُجِدَ عن شيء منها، كيف والحوادث موجودةٌ مشاهدةٌ، فيلزم من وجودها أن يكون مُوجِدها قادرًا على إيجادها، ولذلك وُجِدَتْ، وَيَلْزمُ من كونه قادرا على إيجادها أن لا يكون عاجزًا عنها، ويلْزم مِن كونه غيرُ عاجزٍ عنها أن لا يكون عاجزا عن شيءٍ، ويلزم من كونه غيرُ عاجزٍ عن شيءٍ أن لا يكون عاجزا عن دفع الاحتياجِ عن نفسه، ويلزم من كونه غير عاجزا عن دفع الاحتياج عن نفسه أن لا يكون محتاجا إلى شيء، ويلزم من كونه غير محتاجٍ إلى شيءٍ أن لا يكونَ محتاجا إلى محلٍ وَلا إلى مخصّصٍ، ويلْزم من كونه غير محتاجٍ لهما أن يكون غنيًا منهما، وهو قيامة تعالى بنفسه، وهو المطلوب".

374 انظر الحاشية السابقة رقم # 286 لمصدر هذا الحديث.

375 ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَللَّهُمَّ))، أي يا الله، أو "يا الله الذي له الأسماء الحسنى"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْتَ الْحَيُّ))، قال الإمام السنوسي في معنى الحي: "هو ذو الحياة التي لا يجوز عليها موتٌ ولا عدمٌ ولا نومٌ ولا سِنةٌ ولا تكدّرٌ ولا سقمٌ، ولا يجوز انتسابها إلى روحٍ ولا مِزاجٍ ولا مأكولٍ ولا مشروبٍ ولا شيءٍ من أنواع العلاج"، قال الإمام أبو منصور الماتريدي في تأويلات أهل السنة: "هو الحي بذاته لا بحياة هي غيره كالخلق، هم أحياء بحياة هي غيرهم حلت فيهم لا بد من الموت، والله عز وجل يتعالى عن يحل فيه الموت لأنه حي بذاته وجميع الخلائق أحياء لا بذاتهم، تعالى الله عز وجل عما يقول فيه الملحدون علوًا كبيرًا، والأصل أن كل من وصف في الشاهد بالحياة وصف ذلك للعظمة له والجلال والرفعة، يقال: فلانٌ حيٌّ، وكذلك الأرض سمّاها الله تعالى حيةً، إذا اهتزتْ وربّتْ وأنبتتْ لرفعتِها على أَعيُن الخلق، فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى حي للعظمة، المواطن كلها كما سمى الشهداء أحياء لأنهم مذكورون في الملأ من الخلق، ويحتمل أنه يسمى حيًّا لما لا يغفل عن شيءٍ، ولا يسهو ولا يذهب عنه شيءٌ ولا يعزب عنه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْقَيُومُ))؛ بوزن "فيعول" مِن "قام" أي القائم على مصالح أعمال الخلق وأزراقهم، وهو القائم على كل شيءٍ يحفظه ويعاهده، والقائم على كل شيءٍ، فأنه تعالى القائم بنفسه المستغني عن غيره، قال الإمام السنوسي في معنى القيوم: "هو القائمُ بنفسه وكل شيء ما عداه لا يقوم إلا به، وقيل معناه الدائمُ الذي لا يجوز عليه الفناء"، قال الإمام الرازي في معنى قائم بنفسه: "فالواجب لذاته موجودٌ لذاته وبذاته، ومستغنٍ في وجوده عن كل ما سواه، وسبب لتقوّم كل ما سواه في ماهيته وفي وجوده، فهو القيوم الحي بالنسبة إلى كل الموجودات، فالقيوم هو المتقدم بذاته، المقوم لكل ما عاداه في ماهيته ووجوده، ولما كان واجبَ الوجود لذاته كان هو القيوم الحق بالنسبة إلى الكل"، قال الشيخ صدر الدين علي بن علي الحنفي في شرح الطحاوية في العقيدة السلفية في معنى الحي القيوم: "هما من أعظم أسماء الله الحسنى، حتى قيل أنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن وأصدقه، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ما لا يدل لفظ القديم، ويدل أيضاً

وَأَثْبَتَ وَحْدَانِيَّتَهُ تَعَالَى[376] بِقَوْلِهِ[377] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: [378] ((اَللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ)).[379]

على كونه موجوداً بنفسه، وهو معنى كونه واجب الوجود، والقيوم أبلغ من القيام لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه"، وقال أيضاً بعد كلام: "فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأمل القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القيوم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره، فلا قيام لقيره إلا بإقامته"، وبهذين الاسمين: الحي القيوم أثبت أنه قائم بنفسه وغني عن المحل والمخصّص.

[376] انظر الحاشية السابقة رقم # 183 للحصول على شرح وبيان وحدانيته تعالى في ألوهيته وربوبيته، وقال ولي الله محمّد تكر الفلاني رحمه الله في كتابه قراء الأحباء: "الواحد قيل من الوحدة،...من عرف أنه الواحد فرد قلبه له فكان واحد، وقد فسر الحديث: ((إِنَّ اللَّهَ وَتْرٌ يَحِبُّ الوِتْرَ))، يعنى القلب المنفرد، والتقرب بهذا الاسم تعلقًا أن لا ترى في الدارين إلا هو، وتعرج على غيره، وبذلك يصحّ له التخلق، فيكون واحد في عمرك بين بناء جنسك في معنى ذلك، وخاصيته إخراج الخلق من القلب، فمن قرأه الف مرة خرج من قلبه الخلائق، فكفى خوف الخلائق، وهو أصل كل البلاء في الدنيا والآخرة، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سمع رجلا يقول في دعائه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ اَلَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فقال: ((لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ اَلَّذِي إِذَا دَعَي بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ عَطَى))"، وقال أيضا بعد الكلام: "من عرف أنه الأحد لم يبق للأكوان عنده نسبة في الوجود ولا في العدم، وفي الحكم الأكوان ثانية بإثباته ممحوة بأحد ذاته، والتقرّب بهذا الاسم تعلّقا أن تنسى ذكر كلّ شيء بذكره وأمورهم بأمره، ولا تعرج في كلّ حال على غيره، وتخلقا أن تنفرد في عبادته وعهديته على إشكالك وامثالك على ما يليق بك، وخاصيته ظهور العلم وإثاره حتّى لو ذكره الفا في خلوة وطهارة ظهرت له من ذلك عجائب وغرائب بحسب قوّته وضعفه.

[377] هنا انتهى الورقة 61 في المخطوطة: ب.

[378] انظر الحاشية السابقة رقم # 286 لمصدر هذا الحديث.

[379] ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَللَّهُمَّ))، أي يا الله، أو "يا الله الذي له الأسماء الحسنى"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْتَ الْوَاحِدُ))، أي أنه تعالى الذي توحّد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشاركٌ، فالواحد واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، فأنه تعالى ليس كالذوات من أي جهة، فالذوات مركبةٌ من أجزاء ومحدودةٌ بزمانٍ ومكانٍ وأحوالٍ تلابسها، ولا تنفك عن حالةٍ منها، والذوات تقبل التعدد والتزاوج والتناقض والتشابه والائتلاف والافتراق والحدوث والعدم وغير ذلك من صفات المخلوقات، أما ذات الله الواحد فهي ذات منزهةٌ عن كل ذلك تنزيهاً تامًا، فأنه تعالى الواحد الذي تمّت له أوصاف الكمال كلها، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْأَحَدُ)) أي هو الذي ليس بمنقسمٍ ولا متحيزٍ، فهو على هذا اسم لِعَيْنِ الذات، فيه سلب الكثرة عن ذاته، فلم يتفرع عنه شيءٌ ولا تفرع هو عن شيءٍ فلذلك قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، قال الإمام الحليميُّ: "الأحد هو الذي لا شبيه له ولا نظير له كما أن الواحد هو الذي لا شريك له ولا عديل له"، فأنه تعالى له الأحدية المطلقة، فالأحدية صفةٌ مخصّصةٌ لهذا الاسم المقدس موضحةٌ لمعناه مزيلةٌ للتوهم والإجمال، رافعةٌ للبس والإشكال، باينٌ بأحديته سبحانه جميعَ الموجودات، قال الأزهري: "لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال: رجل أحدٌ ولا درهم أحدٌ، كما يقال: رجل واحد أي فرد به، بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيءٌ"، فاسم الله تعالى الأحد يدل على مجامع

وَأَثْبَتَ قُدْرَتَهُ تَعَالَى وَإِرَادَتَهُ وَعِلْمَهُ وَحَيَاتَهُ[380] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:[381] ((اَللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَدِيرُ الْمُقْتَدِرُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ الْعَالِمُ الْحَقُّ)).[382]

الصفات السلبية، لأن المراد من الأحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردةٌ منزهةٌ عن أنحاء التركيب، فالأحد يستحيل أن يكون مركّباً ومتحيّزاً، فوجوده تعالى عينُ ذاتِهِ وليست صفاته مغايرةٌ لذاته إذ الوحدة تنافي المغايرة، فإنها كثرة فحقّت له حقيقة الأحدية وانتفت عنه ذات الإثنينية، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْفَرْدُ))، أي هو الذي تفرّد بكل كمالٍ ومجدٍ وجلالٍ وجمالٍ وحمدٍ وحكمةٍ ورحمةٍ وغيرِها من صفات الكمال، فأنه تعالى الفرد الذي كان ولا شيءٌ معه، ولم يزلْ واحدًا واجبَ الوجود إبدًا بلا انقطاع ولا زوال، وأنه تعالى متفردٌ بالعلم المحيط والإرادة النافذة والقدرة المنجزة، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الصَّمَدُ))، أي كامل الصفات الذي قد كَمُلَ في علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر أوصافه، قال العارف الشيخ السنوسي: "الصمد هو الذي يُصْمَدُ إليه، أي يُلْجَأُ إليه في جميع الحاجات، وإليه ينتهى السؤدد ويتوجّه إليه في جميع الأعراض لأنه المولى وحده بقضائها ولا يحتاج إلى ما سواه أصلاً"، قال الإمام الرازي في تفسير اسمه تعالى الصمد: "وهو كونه تعالى واجب الوجود في ذاته وفي صفاته ممتنع التغير فيهما، وهو إشارةٌ إلى الصفات السلبية"، قال شقيق المصنف الأستاذ عبد الله بن فودي في تفسيره لاسم الله تعالى الصمد: "هو المقصود في الحوائج على الدوام يستغنى عن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاجٌ إليه في جميع جهاته، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته، وتكرير لفظ الله للإشعار بأن مَن لم يُسمَّ به لم يستحقْ الألوهية، ولم تعطف الجملة لأنها نتيجة الأولى إذ مَن كان أحديّ الذات والصفات لا يكون إلا غنيًّا مطلقاً"، فالصمد هو العالم بجميع المعلومات والحليم بأن كونه سيدًا يقتضي الحلم والكرم، وهو المقصود في الرغائب والمستغاث به المصائب والفرد الماجد لا يقضى في أمره دونه، وهو الذي لا ينام ولا يسهو، وهو الباقي بعد فناء خلقه، وهو الذي لم يزل ولا يزال، والصمد هو كان ولا مكان ولا أين ولا أوان ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا إنسي، وهو الآن الصمد كما كان في أزلي؛ انظر مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، المجلد 16، ص 408-409.

[380] انظر الحاشية السابقة رقم # 246 ورقم # 248 ورقم # 250 ورقم # 252 على التعاقب للحصول على شرح وبيان قدرة الله تعالى وإرادته وعلمه وحياته، قال العارف الإمام محمد بن يوسف السنوسي في أم البراهين: "وأما برهان وجوب اتّصافه تعالى بالقدرة والإرادةِ والعلمِ والحياةِ، فلأنه لو انتفى شيءٌ منها لما وُجد شيءٌ من الحوادث"، وقال شيخ شيوخنا الشيخ العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني في معنى قول السنوسي في المنهج الفريد: "يعني إن وجود شيءٌ من الحوادث دليلٌ على وجوب اتّصافه تعالى بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ، إذ لو انتفت القدرةُ لكان عاجزاً، والعاجزُ لا يأتي منه الفعل، فلا يوجد شيءٌ من العالَمِ، ولو انتفت الإرادةُ انتفى ترجيح أحد طرفيّ الممكن على الأخر، فلا يوجد شيءٍ من الحوادثِ، ولو انتفى العلم استحالُ القصد إلى المجهولِ انتفى الإيجاد، وأما دليلُ اتّصافه تعالى بالحياة فهو اتّصافه تعالى بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ إذْ هي شرطٌ وهي مشروطةٌ، والمشروطُ لا يوجد بدون شرطِهِ، فاتّصافه تعالى بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ دليلٌ على وجوب اتّصافه بالحياةِ، ووجب اتّصافه بالحياةِ هو المطلوب، فالحمد لله الذي هدانا لما نطلب"، قال أيضًا بعد كلام: "القدرةُ والإرادةُ المتعلّقان بجميع الممكنات، والعلم المتعلّق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات والحياة وهي لا تتعلّق بشيء"، وقال أيضاً بعد كلامٍ: "وأما برهان وجوب اتصافه تعالى بالقدرة والإرادة والعلم والحياة فلأنه لو انتفى شيءٌ منها لما وُجد شيءٌ من الحوادث"، قال الإمام محمد بن سليم الأوجليّ في مزيد العقائد على دليل القائد: والمتعلّقُ إمّا أن يَتعلَّقَ بِجَميعِ أقْسامِ الحكمِ العقلي كالعلمِ والكلامِ، أو بَعْضِها كالقُدْرةِ والإرَادةِ بِالْمُمْكِنِ فَقَطْ، والسّمْعُ والْبَصَرُ والإدْراكُ على القَولِ بِهِ بِالوَاجبِ والجَائِزِ المَوْجُودِ، فَقَال السَّنُوسِيُّ: وهذا

التعلّق نَفْسِيٌّ لِتِلْكَ الصِّفاتِ كمَا أن قِيَامَها بِالذاتِ نفْسِيٌ لها أيضا، وقال: فجميعُ صفاتِ المعاني متعلقةٌ يعني سوى الحيوةِ، وأما غيرُها كالوُجُودِ وصفاتِ السّلُوبِ، فلا تعلّق لها، قال بَعْضُهُم: يَنبَغِي أن يّعلمَ إنّ الصِّفاتَ ثَلَاثَةُ أقْسَامٍ: [1] حَقِيقَةٌ مَّحْضَةٌ كالْوُجُودِ والحَياةِ، [2] وحَقِيقةُ ذاتِ إضافةٌ، أي لها تعلّق بالغير وإضافةٌ إليه كالعِلْمِ والقُدْرةِ والإرادةِ، [3] واضافةٌ مَحْضَّةٌ كالْمَعِيَّةِ وَالْقَبْلِيَّةِ، وفي اِعْدَامِها صِفَاتُ السُّلُوبِ، ولا يجوزُ بالنِّسْبَةِ إلى ذاتِهِ تعالى التغييرُ في القسمِ الأوّلِ مطلقًا، ولا في الثاني نفسية ويجوز في تعلقه، وأما الثالثُ فيجوزُ التغير فيه مطلقًا، اه؛ وما ذكرهُ السّنُوسِيُّ مِن أن تعلّق الصفاتِ المذكورةِ نفْسِيٌّ لها، هو مذْهبُ الاشْعَرِيّ والجَمْهُورِ، فهو قديمٌ لا يتغيرُ ولا يتبدلُ، وهو نَفْسُ الصفةِ المتعلّقةِ على مذهبِ مَن ينْفِي الْحَالِ، ويَرَدُّ عَلَيْهِ أن ربَّنا تعالى إذا تعلّق علمُهُ بِوُجُودِ زَيْدٍ مثلًا، ثُمَّ انْعدمَ زيدٌ، فقد انعدمُ تعلّق العلم بالوُجودِ، وتعلّق بالعدم، وكذا تعقلّه بأنه سيدخلُ البلدَ غدًا، فإذا دخل فقد انعدم تعلّق علمه بأنه سيدخلُ، ووُجِدَ تعلّق علمه بأنه قد دخل، فهذا تغير بالتعلّقِ بالْفَناءِ والحُدُوثِ، فلا يكون نفسيًا قديمًا، وجوابُه أن التعلّق لا ينعدمُ ولا يتغيرُ، وإنما يتغير المتعلّق بِفَتْحِ اللامِ، وبيانُهُ أن تعلّق علم البارِي تعالى بعدمِ دخولِ زيدٌ يومَ الجمعةِ، وبدخولِهِ يوم السبْتِ أزليٌ لا يتغير فيه أصلًا، وإنما التغيرُ فيما تعلّق به، وهو عدم الدخولِ والدخولُ، وكذا تعلُّقُ علمه بعدمِ العالمِ في الأزل لا يتغير بوجودِهِ الْعالمِ فيما لا يزالُ إذ تعلّق علمه تعالى في الازل بعدم العالمِ في الازلِ بوجودِهِ فيما لا يزالُ، ولفنائِهِ بعد ذلك، وبوجودِهِ يوم القيامة تعلّقًا واحدًا، لا يتغير فيه أصلًا، وإنما التغيرُ فيما تعلّق به، والقولُ بِأَنَّ التّعلّق اضافةٌ، وهو قول الفخرِ ومن تبعه من الاعاجم كالسعدِ والعضدِ والبيضاوي، وهو مُقْتضَى قولِ عبدِ الله بن سعيد انه يَتَجَرّدُ على الكلامِ القديم كونه أمرًا ونهيًا وخبرًا، لا يتصفُ بذلك في الازل، وانما يتصفُ به فيما لا يزالُ عند وجود المأمورِ والمنهيّ والمُخْبِرُ، قاله المقترح، وهذا في التعلّق التنجيزيّ وسيأتي قول عبد الله بن سعيد في الكلام على صفةِ الكلامِ بزيادة مما هو هنا فراقبه".

[381] انظر الحاشية السابقة رقم # 286.

[382] ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((اَللَّهُمَّ))، أي يا الله، أو "يا الله الذي له الأسماء الحسنى"، قال الشيخ حسن السيد الجزائري: "اللهم هو توجّه للمطلوب، وطلب لحصول المرغوب، فتوسل بالاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى"، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَنْتَ الْقَدِيرُ))، أي القدير من صفات الله عزّ وجلّ يكون من القدرة والتقدير، ووزن القدير من فعيل وهو للمبالغة، قال شيخ شيوخنا محمد مرتضى الزبيدي: "القدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقضى الحكمة، لا زائدًا عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصحّ أن يُوصف به إلا الله تعالى"، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير أسماء الله الحسنى: "القدير كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته الذي إذا أراد شيئًا قال له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد"، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْمُقْتَدِرُ))، أي هو التام الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه شيء بمنعة وقوة، ووزن المقتدر من مفتعل من القدرة، فالمقتدر يظهر بقدرته على المقدورات ويعلو عليها، فيغلبها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، فوصف الله تعالى نفسه بأنه المقتدر عند البلوغ من مراده من عباده، وأشعر ذلك بدوام اقتدار إلى ما لا نهاية، وقال اله تعالى أيضًا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْفِعَالُ لِمَا يُرِيدُ))، بكسر الفاء جمع فِعِلٍ بكسر الفاء، أي لا يمتنع عليه شيءٌ يريده، فقد وصف نفسه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه بأنه فِعَالٌ وفَاعِلٌ، فهذا العالم على غاية من الحكمة والاتقان والانتظام والأحكام، وهو مع ذلك جائزٌ لوجوده وجائزٌ لعدمه، فالذي خصّصه بالوجود

وَأَثْبَتَ سَمْعَهُ تَعَالَى وَبَصَرَهُ وَكَلَامَهُ[383] لَمَا مَرَّ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ جَهْرًا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ارْفَقُواْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا أَعْمَى وَلَا أَبْكَمَ وَلَا غَائِبًا، وَإِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا حَاضِرًا)).[384]

يجب أن يكون مريدًا له، فيجب عل كل مكلف أن يعتقد أن لا فعّال ولا فاعل في الوجود على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له، وأن كل مُحدَثٍ من العرش الأعلى إلى الفرش الأسفل وما فيهما وما بينهما مفعولٌ لله تعالى كائنٌ بعد أن لم يكنْ، وفاعله ومريده الله سبحانه وتعالى وحده، وإنما أراد أنه فعال لما يريد أنه تعالى مختار في الفعل والترك، وإذا أراد أن يعفو عن المسيء ما أوعد على إساءته فعل، قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْعَالِمُ))، أي يعلم كلّ شيءٍ قبل وجوده وبعد وجوده وحال وجوده بدرجةٍ واحدةٍ، أو هو عالمٌ بما خلق وهو خالق كلّ شيءٍ، فوجب أن يكون عالمًا بكلّ شيءٍ، فهو العالِمُ بجميع المعلومات بعلمٍ قديمٍ أزليٍّ واحدٍ قائمٍ بذاتهِ، قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي: "وأنه تعالى العالِم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولّما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزلْ عالمًا ولا يزالُ عالِمًا بما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمُه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتمّ الإمكان"، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْحَقُّ))، أي الموجود المطلق، فهو في اللغة مصدر حقّ الشيء يحقّ حقًا، إذا كان ثابتًا موجودًا غير معدومٍ ولا منفي، والحقّ في صفة الله تعالى معناه واجب الوجود، أي أنه تعالى اضطر جميع الموجودات إلى معرفة وجوده وألزمها إيجاده إياها، أي الحق هو البقاء الدائم الدوام المتوالي الجامع للخير والمجد والمحامد كلها والثناء الحسن والأسماء الحسنى والصفات العلى، والحق هو الموجود الذي ليس بمنتفٍ، وهو ذو عدلٍ، قال الإمام ابن الحصار: "إن المفهوم من وصف الخالق بالحق جلّ جلاله لا يخلو أن يُراد به وجوده المطلق الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ المفتقرُ إليه كلُّ شيءٍ"، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي ذو الحقّ على عباده، وذو حقيقة الموجود المطلق، وأن وجود كل ذي وجودٍ سواه كائنٌ عن وجوب وجوده، والحق الموجود الثابت هو الذي لا يتغيّر ولا يزول، فمعنى الحق الموجودِ حقيقةُ المتحقّق وجوده وألوهيته.

[383] انظر الحاشية السابقة رقم # 254 ورقم # 256 على التعاقب للحصول على شرح وبيان سمع الله تعالى وبصره وكلامه، قال العارف الشيخ محمد بن يوسف السنوسي: "وأما برهان وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام فالكتاب والسنة والإجماع، وأيضاً لو لم يتصف بها لزم أن يتّصف بأضدادها، وهي نقائص، والنقص عليه تعالى محالٌ"، قال شيخ شيوخنا العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني في شرح هذا كلام السنوسي: "ما مرّ من الوجود إلى الحياة، فقد وصفه علماء العقل بها، فلما وصفه بها بالدليل العقل فقالوا: هذه الذات تستحقّ أن تتصف بالسمع والبصر والكلام، ولكنهم لم يثبتوها حتى اثبتها القرآن، فأين أتى بها القرآن حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وفي ذلك أربعة: السمع والبصر، ومعنويتهما وهما كونه تعالى سميعاً وبصيراً، وحيث قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، جاءت هنا اثنتان: الكلام ومعنويتها وهي كونه متكلماً، والسنة أي حديث رسول الله ﷺ"، في احاديث كثيرة كما بينه المصنف الشيخ رحمه الله في الحديث التالي، وأما الإجماع قال الشيخ محمد الوالي الفلاني: "وهو اتفاق علماء المشرق والمغرب على قولٍ واحدٍ إلى مائة سنة ولم يختلفوا فيه (وأيضاً لو لم يتصف بها لزم أن يتّصف بأضدادها، وهي نقائص، والنقص عليه تعالى محالٌ)، وإيضاح ذلك أن تقول لو لم يتصف بالبصر لاتصف بضدّه، وهو الصمّم، والصمّم نقصٌ، والنقصُ عليه تعالى محالٌ، ولو لم يتصف بالبصر لاتصف بضدّه وهو العمى، والعمى نقصٌ،

SANKORE'

والنقصُ عليه تعالى محالٌ، ولو لم يتصف بالكلام لاتصف بضدّه، وهو البكم، والبكمُ نقصٌ، والنقصُ عليه تعالى محالٌ، فاستحالة النقص عليه تعالى دليلٌ على عدم اتصافه تعالى بالصمّم والعمى والبكم، وعدم اتصافه تعالى بالصمّم والعمى والبكم دليلٌ على وجوب اتصافه تعالى بالسمع والبصر والكلام، ووجوب اتصافه تعالى بالسمع والبصر والكلام هو المطلوب، والحمد لله الذي هدانا لما نطلب، ولهذا قال الراجز:

لَوْ عَرِيَ عَنْ صِفَّةِ الْكُمَالِ * لَوَجَبَ النَّقْصُ بِكُلِّ حَالٍ".

384 في حقيقة أن المصنف الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله ورد هذا الحديث بهذه الصيغة إشارةٌ إلى أنه كان يقتبسه مباشرةً من الشرح على العقيدة الصغرى للسنوسي بلغة الفلانية الذي استخدمه وعربّه شيخ شيوخنا محمد بن سليمان الفلاني، فأن الشيخ محمد الوالي قال في المنهج الفريد: "إنّي لم أقف عليه في كتب الحديث بهذه الألْفاظ والّذي في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فكنا إذا علوّنا كبّرَنا، وقال: ((أُرْفُقُواْ عَلَى اَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا اَعْمَى وَلَا أَبْكَمَ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا))، الحديث، وفيه أيضًا عن ابْن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَكَلِمَهُ رَبَّهُ، فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانِ))" اه، وفي روايةٍ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِرْبَعُواْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اِسْمَهُ وَتَعَالَى جَدَّهُ))، وفي رواية مسلم عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ اِرْبَعُواْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ))، وفي روايةٍ: ((أُرْفُقُواْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَإِنَّهُ لَمَعَكُمْ))، فمعنى قول رسول الله ﷺ: ((اِرْبَعُواْ)) بفتح الموحّدةِ أي أُرْفُقُواْ ((عَلَى أَنْفُسِكُمْ))، أي بأنفسكم، ولا تكلفوا أنفسكم، أي واخفضوا أصواتكم، إن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، فهونوا أنفسكم ولا تشقوا عليها في رفع الصوت بالتهليل والتكبير وغيرهما من ذكر الله، ((فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ)) أي من لا يسمع ((وَلَا أَعْمَى)) أي من لا يبصر ((وَلَا أَبْكَمَ)) أي من يتكلم ((وَلَا غَائِبًا)) أي من لا حاضر وقريب، ((وَإِنَّمَا تَدْعُونَ))، وأنتم تدعون بالتسبيح والتحميد والتكبير من كان ((سَمِيعًا)) أي من تدعونه هو السميع الذي يسمع سرّكم ونجواكم ولا يخفى عليه شيءٌ من قولكم، فيسمع دبيب النملة على الصفاة الصماء في ظلمة الليل، ويسمع نغماتكم وأصوات أنفاسكم وجميع ما تتلفظون به من كلمات، ((بَصِيرًا)) أي من تدعونه هو البصير، ويبصر حركاتكم وسكناتكم، فأنه تعالى يراكم ولا يخفى عن نظره وبصره شيء لا في ظواهركم ولا في بواطنكم لأن نظر الله تعالى لا يحجبه حائلٌ، ((مُتَكَلِّمًا)) أي تكلم بكلام أزليّ يتعلّق بجميع معلقاته في خلقه ((حَاضِرًا))، أي قريبٌ منكم، بل هو أَقْرَبُ إليكم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وهو معكم بعلمه وإحاطته، فلا يخفى عليه خافية في جميع مخلوقاته مهما كانت، وفي هذا إشارةٌ يأمرهم فيها بخفض أصواتهم، وفيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، ويثبت به ان الله تعالى سميعٌ وبصير ومتكلمٌ على الوجه اللائق به عز وجلّ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل.

وَأَثْبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى مُخْتَارٌ فِي فِعْلِهِ وَتَرْكِهِ[385] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:[386] ((مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَاءْ لَمْ يَكُنْ))،[387] وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ اَوْرِدَهَا أَبُو بِكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي كِتَابِ حُجَّةِ الْمَسَائِلِ عَنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَأَثْبَتَ قِدَمَهُ[388] تَعَالَى وَبِقَائَهُ إِلَى هُنَا.[389]

---

[385] انظر الحاشية السابقة رقم # 262 للحصول على شرح وبيان أنه تعالى مختار في فعله وتركه.

[386] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية السنن أبي داوود سليمان بن الأشعب السجستاني، هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود، هو إمام أهل الحديث في زمانه، محدث البصرة، وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود، ولد سنة 202 الهجرية، (الموافق بسنة 817 الميلادي)، في عهد المأمون في إقليم صغير مجاور لمكران أرض البلوش الأزد يُدعي سجستان طلب الحديث فزار خراسان، والري، وهراة، وزار الكوفة في 221 الهجرية، وقدم بغداد عدة مرات، وآخر مرة زارها كانت سنة 271 الهجرية، وأقام بطرطوس عشرين سنة، كما سمع الحديث بدمشق ومصر، ثم سكن البصرة بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق الذي جاء إلى منزله في بغداد واستأذن عليه ورجاه أن يسكن البصرة ليرحل إليها طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه بعد أن خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لما جرى عليها من فتنة الزنج، توفى أبو داود يوم الجمعة 16شوال سنة 275هـ بالبصرة، فرواه هذا الحديث عن ابنة النبي قالت ان النبي ﷺ كان يعلّمها فيقول: ((قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَأَنَّهُ مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمْسِي وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ)).

[387] قال أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود على شرح سنن أبي داود في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)): "((مَا شَاءَ اللَّه))، أَيْ وُجُوده، ((كَانَ))، أَيْ وَجَدَ، ((وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ))، أَيْ لَمْ يُوجَد؛ ((أَعْلَم))، أَيْ أَعْتَقِد، ((أَنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير وَأَنَّ اللَّه قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْء عِلْمًا))، قَالَ الطِّيبِيُّ: هَذَانِ الْوَصْفَانِ أَعْنِي الْقُدْرَة الشَّامِلَة وَالْعِلْم الْكَامِل هُمَا عُمْدَة أُصُول الدِّين وَبِهِمَا يَتِمّ إِثْبَات الْحَشْر وَالنَّشْر وَرَدّ الْمَلَاحِدَة فِي إِنْكَارهمْ الْبَعْث وَحَشْر الْأَجْسَاد، ((فَإِنَّهُ))، أَيْ الشَّأْن، ((حُفِظَ))، بِصِيغَةِ الْمَجْهُول أَيْ مِنْ الْبَلَايَا وَالْخَطَايَا"، اه، قال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)): "وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا هو الإيمان بالقدر ومعنى هذا: أن كل ما حصل لك لا سبيل إلى تخلصك منه، لأن الله تعالى قد قدره فلابد من أن يوجد، والشيء الذي أخطأك ولم يصبك لا يمكن أن يصيبك، وهذا هو معنى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فقولهم: ما شاء الله كان، مأخوذ من قوله: وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك أي أن الشيء الذي قدر الله أن يكون لابد من أن يوجد، والشيء الذي قدر أن لا يكون لا سبيل إلى وجوده، فالشيء الذي يحصل لك ويقع لك لا يمكن أن يتخلف، والشيء الذي قدر ألا يحصل لك لا يمكن أن يكون، كما جاء في الحديث الآخر في وصية النبي ﷺ لابن عباس: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اَجْتَمَعُواْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اَجْتَمَعُواْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ، رواه الترمذي وقال حسن صحيح"؛ فهذان الحديثان يثبتان انه تعالى فاعلٌ لما يريد ومختارٌ في فعل وترك، فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام: ((مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)): ما

وَأَثْبَتَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صِدْقَهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ[390] بِقَوْلِهِ: ((نَعَمُ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا حَقًّا))،[391] جَوَابًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[392] لَمَّا قَالَ لَهُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ أَكْتُبُ مَا أَسْمَعَهُ مِنْكَ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى؟"، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.[393]

شاء وجوده وجد وما لم يشأ وجوده لم يوجد، فكل مشيء كائنٌ وكل ما ليس بمشيءٍ ليس بكائنٍ، فأنه تعالى مريدٌ ومختارٌ للكائنات سواءٌ كانت من أفعاله تعالى أو أفعال العباد والخلائق، قال شيخ شيوخنا العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني في منهل ماء عذب لعلم أسرار صفات الرب:

أَمَّا ٱلَّذِي يَجُوزُ لِلْمُهَيْمِنِ * فَالْفِعْلُ والتَّرْكُ لِكُلِّ مُمْكِنِ
فَلَيْسَ فِعْلٌ وَاجِباً أَوْ تَرْكٌ أَوْ * حُكْمٌ لَهُ وَهَكَذَا الْمَنْعُ نَفَوا.

[388] هنا انتهى الورقة 62 في المخطوطة: ب.

[389] أي الأحاديث ذكرها المصنف الشيخ رحمه الله التي تثبت بها قدم الله تعالى وبقائه ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه ووحدانيته وقدرته وإرادته وعلمه وحياته وسمعه وبصره وكلامه ومختاره في فعله وتركه، فلم أجد مصدراً لسيرة هذا الباحث أو مصدر النص، لكنني أفترض أنه الشيخ أبو بكر بن محمد الهواري والنص المذكور هو شرحه على رسالة الجلال الدواني، والله اعلم.

[390] انظر الحاشية السابقة رقم # 270 للحصول على شرح وبيان صدق الرسول عليه السلام في كل ما أخبره به.

[391] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بإسناده السابق مما رواه أبو داود في سننه.

[392] وهو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العاص السهمي القرشي، ولد عبد الله بن عمرو بن العاص سنة 27 الهجرية، (الموافق بسنة 595 الميلادي)، فهو صحابي، وهو أكبر أبناء عمرو بن العاص، كان يكتب في الجاهلية، ويجيد السريانية، أسلم الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، وهاجر إلى المدينة المنورة بعد سنة 7 هـ، قبل إسلام أبيه الصحابي عمرو بن العاص الذي كان أحد سادات قريش، وصحب الرسول ﷺ، واستأذنه في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له، وهو أحد حفّاظ الصّحابة، من أصحاب الألوف، وبينه وبين أبيه عشرون سنة، شهد فتوح الشام، وكان يحمل راية أبيه يوم اليرموك، شارك في فتح مصر، وكان يدير شؤون مصر في غياب أبيه، وكان من قادات الفتوح العربية لشمال إفريقيا من ليبيا وتونس حتى طنجة مع عبد الله بن أبي السرح، وفاة عبد الله بن عمرو 15 جمادي الأولى سنة 65 الهجرية، (الموافق بـ28 ديسمبر 684 الميلادي).

[393] ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((نَعَمُ))، أي نعم اكتبْ كلما تسمع منّي، ((فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِيهِمَا))، أي في الغضب والرضا، ((إِلَّا حَقًّا))، أي صدقا بأن يستحيل له الكذب، فإن قول الحق والصدق واجبٌ في حقّ الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي رواية أبي داود أيضا عن عبد الله بن عمرو أيضا قال: كنتُ أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلّم في الغضب والرضا؟! فأمسكتُ عن الكتاب فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فَيْهِ فقال: ((اَكْتُبْ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ))، وفي رواية أحمد عن عبد الله بن عمرو أيضا قال: قلت يا رسول الله إنّي أسمه منك أشياء أفأكتبها؟ قال: ((نَعَمُ))، قلت: في الغضب والرضا؟، قال: ((نَعَمْ فَإِنِّى لاَ

وَأَثْبَتَ أَمَانَتَهُ[394] عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْلِهِ لِذِي الْخُوَيْصِرَةِ:[395] ((وَيْلَكَ! مَن يَعْدِلُ إِن لَمْ[396] أَعْدِلْ؟))،[397] لَمَّا قَالَ لَهُ: "أَعْدِلْ!"،[398] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.[399]

أَقُولُ فِيْهِمَا إِلاَّ حَقًّا))، فكل ذلك يدلّ على انه عليه الصلاة والسلام صدقٌ في كل ما أخبر به عن ربه وان الكذب مستحيلٌ عليه، فلا يقع منه ولا من سائر المرسلين الكذب والزور وما يشبه ذلك لا عمداً ولا سهواً، فقد قدّمنا قول العارف عبد الواحد بن عاشر في المرشد المعين:

"لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ * أَنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ فِي تَصْدِيقِهِم

إِذْ مُعْجِزَاتَهُمْ كَقَوْلِهِ وَبِرْ * صَدِّقْ هَذَا اَلْعَبْدَ فِي كُلِّ خَبِرْ"،

قال الشيخ محمد الكافي بن يوسف في النور المين على المرشد المعين: (لَوْ لَمْ يَكُونُوا)، عليهم الصلاة والسلام، (صَادِقِينَ)، فيما بلغوه عنه الله تعالى وفي دعواهم الرسالة، (لَلَزِمْ أَنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ) جلّ وعلا، (فِي تَصْدِيقِهِم)، دعوى الرسالة وما يخبرون به عنه تعالى ومن المقرر أن تصديق الكاذب كذبٌ، والكذب على الله محالٌ، وحيث لم يعلمْ جبر صريح من عند الله بتصديق الرسل في دعواهم الرسالة وفيما أخبروا به عنه تعالى أفاد الشيخ رحمه الله تعالى ان تصديق الله تعالى لهم، وان لم يكن بالخبر الصريح لكن وجد منه تعالى ما هو في قوّة الخبر الصريح وهو تأييده لهم بالمعجزات المطابقة لدعواهم، (إِذْ مُعْجِزَاتَهُمْ كَقَوْلِهِ) تعالى (وَ) قد (بِرْ) صدق سبحانه وتعالى في قوله: (صَدِّقْ هَذَا اَلْعَبْدُ) أي الرسول (فِي كُلِّ خَبِرْ) جاءكم من عندي، وأمّا صدقهم في غير ما أخبروا به عن الله فيدخل في الامانة"، قال القطب الرباني العارف الشيخ سيدي أحمد بن علوي المستغنمي في المنح القدوسية في شرح قول الشيخ ابن عاشر: "ذكر هنا برهان الصدق، أي إذ "لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ" فيما أخبروا به عن الله "لَلَزِمْ" الإله "أَنْ" يكذبهم، وهو قادرٌ على ذلك فبدل أن يصدقهم بالمعجزة يبتليهم بالاهانةِ التي هي ضدها لو كانوا كاذبين كما وقع لمسيلمة الكذاب وغيره ممن أدعى النبوة"، قلت:.

[394] انظر الحاشية السابقة رقم # 272 للحصول على شرح وبيان أمانة الرسول عليه السلام.

[395] وهو حرقوص بن زهير السعدي، سوء الادب المعروف بذي الخويصرة التميمي، أصل وإمام الخوارج، وذكر أنه كان له في فتوح العراق أثر وأنه الذي افتتح سوق الأهواز ثم كان مع علي في حروبه ثم صار مع الخوارج فقتل معهم، وبقي حرقوص بن زهير حتى قتله أبو المغيرة حبيش بن ربيعة سنة 37 الهجرية.

[396] هنا انتهى الورقة 22 في المخطوطة: ا.

[397] أي: ((وَيحَكَ!))، وفي رواية عبد الرحمن بن أبي نعم: ((وَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِذَا لَمْ أَطَعْهُ؟!))، أي أنه من المستحيل لي عدم طاعة الله، ولمسلم من طريقه: ((أَوْ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ أَطِيعَ اللهَ؟!))، أي لا أحد له الحقّ في طاعة الله أكثر منّي، وفي حديث عبد الله بن عمرو: ((عِنْدَ مَنْ يَلْتَمِسُ الْعَدْلَ بَعْدِي!؟))، أي لن يلتمس العدل مع أي أحد غيري، وفي رواية مقسم عنه: فغضب ﷺ وقال: ((اَلْعَدْلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُون؟!))، وفي حديث أبي بكرة: فَغضب حتّى احمرتْ وجنتاه، ومن حديث أبي برزة: قال فغضب غضبًا شديدًا وقال: ((وَاللهِ لَا تَجِدُونَ بَعْدِي رَجُلًا هُوَ أَعْدِلُ عَلَيْكُمْ مِنِّي!))، فكلُّ هذه الْأَحاديثِ اثبت ان الأمانةَ التّي هي حفظُ جميعِ الجوارحِ الظاهرةِ والباطنةِ من التلبسِ بتحريمٍ او بكراهةٍ واجبٌ لجميعِ الرّسلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ وإن ضدَّها التّي هي الخيانةُ مستحيلةٌ إليهم.

[398] أي: "اعدلْ يا رسول الله!"، وفي رواية عبد الرحمن بن أبي نعم: "اتق الله يا محمد!"، وفي رواية عبد الله بن عمرو: "اعدلْ يا محمد!"، وفي لفظ له عند البزار والحاكم: "يا محمد واللهِ لئن كان الله أمرك أن تعدل ما أراك تعدل!"، وفي حديث أبي بكرة:

وَأَثْبَتَ تَبْلِيغَهُ الرِّسَالَةَ[400] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِأَصْحَابِهِ: ((أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟))،[401] فَقَالُواْ: "نَعَمْ"، قَالَ: ((اللَّهُمَّ اَشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))،[402] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[403]

"يا محمد والله ما تعدل!"، وفي لفظ رواية: "ما أراك عدلت القسمة"، وفي رواية مقسم: "يا محمد قد رأيت الذي صنعت!"، قال عليه السلام: ((وَكَيْفَ رَأَيْتَ؟))، قال: "لم أرك عدلت"، ونحوه من الكلام السوء الذي يكشف عن سوء الادب الذي كمن في ضميره عن رسول الله ﷺ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً من هذه الردود من حرقوص بن زهير، فقال عمر بن الخطاب: "يا رسول الله ائذنْ لي فأضرب عنقه!" فقال: ((لَا))، ثم أدبر فقام خالد بن الوليد سيف الله فقال: "يا رسول الله أضرب عنقه؟!"، فقال: ((لَا))، فهذا حرقوص بن زهير هو الذي ضرب النبي ﷺ له مثلاً إذ قال: ((مَثَلُهُم كَمَثَلِ رَجُلٌ يَرْمِيَ رَمِيَّةً فَتَوَخِى السَّهْمُ حَيثُ وَقَعَ فَأَخَذَهُ فنَظَرَ إِلَى فَوْقِهِ فَلَمْ يَرِ بِهِ دَسَماً وَلَا دَمًا، لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الدَّنَسِ وَالدَّمِ، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَتَعَلَّقُواْ بِشَيْءٍ مِنَ اَلْإِسْلَامِ))، فهم الخوارج اول فرقة ظهرت في الإسلام على يد ذي الخويصرة التي اشتهرت بالخروج بالسيف على عثمان بن عفان وقتله، وخروجهم بالسيف على علي بن أبي طالب، ومن أهم عقائدهم تكفير أصحاب الكبائر، ويقولون بالخروج بالسيف على الحكام الظالمين والفاسقين.

[399] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري؛ وهو أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، ولد أبو سعيد الخدري قبل الهجرة بعشر سنين، وشهد بيعة الرضوان وغزوة الخندق وغزوة بني المصطلق وعشرة غزوات أخرى مع النبي ﷺ، ومات سنة 74 الهجرية ودفن بالبقيع.

[400] انظر الحاشية السابقة رقم # 274 للحصول على شرح وبيان في حق تبليغ الرسالة للرسول عليه السلام، فواجب في حقّ الرسل عليهم الصلاة السلام تبليغ الرسالة "للعباد ليبلغوهم أمر الله تعالى في نهيه وإباحته وما يتعلق بذلك" كما قال الإمام السنوسي في العقيدة الوسطى ملخصا، وقال ايضًا في شرح هذا الكلام: "أشار بهذا إلى بعض الفوائد التي اشتملت عليها بعثة الرسل عليهم الصلاة السلام فضلًا من الله تعالى، فذكر أعظمها وأشرفها المقصود الأول، وذلك بيان أحكام الله تعالى التكليفية والوضعية،" انظر الحاشية السابقة رقم # 202 للحصول على شرح وبيان تبليغ الرسول عليه السلام رسالة الله للخلق؛ وانظر العقيدة الوسطى وشرحها: المتن والشرح كلاهُما للإمام محمد بن يوسف السنوسي، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971 م، ص 271.

[401] أي ألا هل بلغت رسالة الله إليكم؟، ونص الحديث كما رواه البخاري عن أبي بكرة: "خَطَبَنَا النبي ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟))، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟))، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟))، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟))، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟))، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ

وَأَثْبَتَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ جَوَازَ الأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ[404] **لَهُ**[405] بِقَوْلِهِ: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))،[406] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَن أَنَسٍ.[407]

رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟)) قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))".

[402] معنى قوله عليه السلام: ((أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟))، وفي رواية: ثلاثاً أي كررها عليه السلام ثلاث مرات، وعن أبي بكرة قال: "كل ذلك يجيبونه: ألا نعم"، قال الشيخ الأوجليّ: "ويجب في حق الرسل التبليغُ، وهو الوفاءُ بما أمروا بتبليغه للخلقِ، وهذه شروطٌ عقليةٌ للنبوّةِ، وأما شروطها الشرعية والعادية، فهي: البشريّةُ والحريّةُ والذكورةُ وكمالُ العقلِ والخَلقِ والخُلقِ حالُ الارسالِ"، معنى قوله عليه السلام: ((اللَّهُمَّ اشْهَدْ))، وإنما قال ذلك لأنه كان فرضا عليه أن يبلغ، فأشهد الله على أنه أدى ما أوجبه عليه، وفيه وجوب تبليغ العلم على الكفاية، وقد يتعين في حق بعض الناس، فيجب تبليغه بحيث ينتشر، معنى قوله عليه السلام: ((فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ))، أي الحاضر في المجلس، معنى قوله عليه السلام: ((الْغَائِبَ)) أي الغائب عنه والمراد إما تبليغ القول المذكور أو تبليغ جميع الأحكام، وفيه جواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطا في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة، واستنبط ابن المنير من تعليل كون المتأخر أرجح نظرا من المتقدم أن تفسير الراوي أرجح من تفسير غيره، وفيه التَّصريح بوجوب نقل العلم وإشاعة السُّنن والأحكام.

[403] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري عن أبي بكرة الثقفي، وهو أبو بكرة الثقفي نُفَيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الطائفي الحبشي، مولى النبي ﷺ، أول من نزل إلى النبي محمد من الطائف عند حصاره له، كان من فقهاء الصحابة، فمات في خلافة معاوية بالبصرة، سنة 71 الهجرية.

[404] هنا انتهى الورقة 63 في المخطوطة: ب.

[405] أي يجوز في حقّ الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتب النبوة، قال المصنف الشيخ رحمه الله في أصول الدين: "وَيَجُوزُ في حَقِّهِمْ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالنِّكَاحُ وَالبَيْعُ وَالشِّرَاءُ وَالْمَرْضُ اَلَّذِي لَا يُؤَدِي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمْ"، أي أنه يجوز في حق الرسل عليهم السلام جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، فدليل جواز في حقهم الأعراض البشرية كالزواج وغير ذلك في العقل وقوعها فيهم، فمعناه أن جواز للأنبياء والرسل كل الخصال البشيرة التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، وقال العارف الأوجلي في دليل القائد:

"ثم اجز في حقّهم من عرض * البشرية التي كـــــــــالمرض

وليس ما يوجب نقصاً كالعمى * والدُود فارق من ذرى الحقّ سمى"؛

وقال أيضا في شرحه مزيد العقائد على دليل القائد: "ثم شرع في القسم الثالث من أقسام العقلِ الواجبةِ في حقّهم عليهم الصلاةُ والسلامُ، أي اعتقاد في حقهم جوازَ كل عرضٍ بشريٍّ ليس مُحرّمًا وَلا مكْرُوهًا ولا مُباحًا ضروريًا ولا مما تَعَافُهُ الانفسُ ولا مما يُؤدّي إلى النفرةِ، وهي معرفةٌ كليّةٌ أجماليّةٌ ليس فيه تفصيليةٌ، وذلك كالأكل والشرب للحالِ والنوم والجماع بالبلد للمسلماتِ والكتابيات لا مجوسيّاتٍ، وبالنكاح لما عُرى الكِتابيَةَ وَالمجوسيَّةَ والأمة لِاسْتِحالةِ المُجوزِ لنكاحِ الامة في حقهم عليهم الصلاة

والسلام في غير حال حرمة الومّى، ولا يجوز الاحتلامُ في حقهم، والمرضُ جائزٌ، وإليه أشار بقوله: (كَالْمَرَضِ)، لأنهم صلواتُ الله وسلامه عليهم من البشر أرسلواْ إلى البشر، فظواهرهم خالصةٌ للبشر يجوزُ عليها من الآفاتِ والتغيراتِ والالام والاستقامة، وتجرع كاسر الحطام ما يجوزُ على البشرِ، ولا نقيصة فيه لأن النقصَ يحصل بالنسبةِ لِلإكمالِ من نوعِهِ، وقد كتب اللهُ على أهل هذه الدارِ فيها يحوي فيها يموتون ومنها يخرجون، فقد مرض ﷺ واشتكى وأصابه الحرّ والبرد، وادركه الجوعُ والعطشُ، والحقهُ الغضبُ والضجرُ، وناله النصبُ والتعبُ ومسه الضعفُ والكبرُ، وسقط، فجحش شقه، وكُسرتْ رباعيته، وسُقى السّمّ، وسُحِرَ، وتداوي، واحتجمَ وتنشر ونعوّذ، ثم قضى نحبه، فتُوفى ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلّص من دار الامتحانِ والبلوى، وهذه سماتُ البشر التي لا محيص عنها وأصاب الأنبياء غيره ما هو أعظم، فقُتِلُوا ورَمُوا في النار ونُشِرُوا بالمناشر، وأما بواطنهم فمُنَزهةُ عن ذلك معصومةٌ منه متعلقةٌ بالملا الأعلى، والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم، قوله: (وَلَيْسَ مَا) الخ، أي وليس يجوزُ في حقّهم ما يُوجبُ نقصًا من الامراضِ المنفرة للطبع كالجذامِ والبرصِ والاقعادِ والجنونِ وقلةِ المروةِ كالأكْل على الطريق ودناءةِ الصناعة كالحجامةِ وقسوة القلبِ لأنها توجبُ البعد عن جناب الربّ ففي الحديث: ((إِنَّ بُعْدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي)) انتهى، والعمى ولم يُعم نبيٌ قطٌ، وما ذكر عن شعيبٍ لم يَثْبُتْ، وأما يعقوبُ فحصلتْ له غشاوةٌ، ثم زالتْ، وكذلك الدودُ، وما ينسبه جهلةُ المُفسرين، وكذبة المؤرخين لِأَيُّوبَ عليهم الصلاة والسلام مستحيلٌ، فالحقُّ أنه أصابه مرضٌ وحاشَ أن يبلغ حدّه التدوا يد المنفرد، وكذلك الصمم والعمى والبكم والشلل فارقٌ عن هذه الاعتقادِ لسماء ذروة الحقّ الذي لا شك فيه ممّا قدمنا، واشددْ يدك على هذا الحقّ الحقيق والله سبحانه لا غيره ولي التوفيق"، وقال القطب الشيخ محمد بن يوسف السنوسي في أم البراهين: "وأما برهان جواز الأعراض البشرية عليهم: فمشاهدةٌ وقوعها بهم، إما لتعظيم أجورهم، أو للتشريع، أو للتسلّي عن الدنيا، أو للتنبيه لخسّة قدرها عند الله تعالى، وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه باعتبار أحوالهم فيها عليهم الصلاة والسلام"، وشرحه الشيخ العارف محمد الوالي بن سليمان الفلاني في المنهج الفريد بقوله: "(وأما برهان جواز الأعراض البشرية عليهم: فمشاهدة وقوعها بهم)، يعني إن دليل جواز الأعراض البشرية عليهم الصلاة والسلام مشاهدة وقوعها، يعني إن دليل جواز الأعراض البشرية عليهم الصلاة وسلامه عليهم مشاهدةٌ، أي معايّنةٌ وقوعها بهم لمن كان في عصرهم، لأن أصحاب النبي ﷺ قد رواه قد جاع وعطش ومرض وسقط عن دابته، وجرح وكُسِرَتْ رباعيته وسُحِرَ واتداوى وبرأ، حتى توفي ﷺ، ونحن عرفنا ذلك بالتواتر، كان سائلًا سأل: لِمَ جازتْ الأعراض عليهم صلوات الله وسلامه عليهم؟ فأجاب الشيخ السنوسي بستّةٍ أتى بخمسةٍ في الكتاب، وسكتْ عن السادس، فقال: (إما لتعظيم أجورهم)، لأنّ افعالَ بني آدم ثلاثة: [1] فعل البدن، [2] وفعل المال، [3] وفعل الصبر، ففعل البدن إذا عمله ابن آدم ضُوعف له أجره بعشرة حسناتٍ لقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وفعل المال إذا عمله ضُوعف له أجره بسبع مائةٍ ضعفٍ لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ﴾، اَلْآيَةُ، مثاله أن تأخذ حبّة فتزرعها بموضع طيّبٍ، وتنبتْ قصبةً، فتتفرع تلك القصبةُ إلى سبع قصباتٍ، فإن سنبلة تلك القصبات، فكل سنبلةٍ أخرجتْ مائة حبّةٍ، وهكذا بماله لله تعالى تأخذ الملائكة فتوديه إلى الجنان، فتبنى له قصرًا، فيمتلئ مترعاً، وتبنى أخر فيمتلئ مترعاً، فتبنى أخر فيمتلئ مترعاً، وفعل الصبر أن عمله ضُوعف له أجره إلى ما لا نهاية له لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، مثاله كالمطر الوابل الذي يمطر، فلا يعلم أحدٌ من بني آدم عدد قطرها، ولكن الملائكة يعرفون عدد قطره لأنهم يعرفون عدد الأمطار التي مطرتْ من ابتداء الدنيا إلى انتهاء لها، ولا يعلم عدد أجر الصابر إلى الله تعالى، (أو للتشريع)، كإعلامنا يفعل المبتلى لأن من مرض منا عجز عن الصلاة قائماً، صلى جالساً، وإذا عجز عن الصلاة جالساً صلى مضطجعاً، ومن عجز عن الركوع والسجود أومئ،

ومن عجز عن الصيام أفطر، (أو للتسلّي)، أي لتصبر العاقل، (عن الدنيا)، عند فقدها تناسياً بهن منهم مَن منعهن كيحيى وعيسى، ومنهم من اعطيها ولم ينتفع بها، ونفع بها غيره، وقويّ بها دين الله كنبينا محمد ﷺ، (أو للتنبيه لخسّة قدرها عند الله تعالى)، قال الله تعالى: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾...ولقوله ﷺ: ((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بِعُوضَةٍ مَا سَاقِي الْكَافِرِ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))، وروي أن رسول الله ﷺ كان يمشي مع أصحابه ذات يومٍ، فمرّوا على شاةٍ ميتةٍ ملقةٍ في المزبلة، فقال لهم: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّاةَ هَيْنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟))، قالوا: نعم ومن هوانها القوها، فقال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى صَاحِبِهَا))، وقد مثلها العلماء بامرأةٍ عجوزةٍ شعثاء شمطاء شاملة الالسنان منتفخة البطن دقيقة الساقين قطعاً جذماء متقطعة بثياب الحرير، والغافلون رأوا ظاهرها، فاشتغلوا بها، والعارفون رأوا باطنها، فهربوا منها، ويوم القيامة تكشف عنها تلك الثياب، ويؤتي بها على صورتها التي خلقت عليها، توقف بين يدي الخلائق، ويقال لهم: هل تعرفون هذا الخلق؟ فيقولون: معاذ الله مَن معرفة هذا الخلق؟! فيقال لهم: هي الدنيا التي تقتلون النفوس لأجله، وتتضاربون عليهم، ويؤمر بها إلى النار مع إتباعها الخسران كل الخسران لمن اتخذها داراً ووطناً وغرته عن الأخرة، ثم فاتته وبقي فارغ اليد طريدًا عن الله تعالى وعن جميع الخيرات،...(وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه)، الولاية تنقسم قسمين: [1] ظاهرةٌ، [2] وباطنةٌ، فالظاهرةُ كأخذ التراب فيصير هذباً والطيران، والباطنةٌ يرزق أولاً اليقظةَ، فيتيقظ ويعرف أن الدنيا باطلةٌ وأن الأخرة حقٌّ، ثم يرزق التوبة يتوب ويترك الذنوب الصغيرة والكبيرة جميعاً، ويعانق الطاعة الصغيرة والكبيرة جميعاً، ثم يرزق الزهد وهو أن يستوي عنده الوجود والعدم والعزّ والذلّ والمدح والذمّ، ثم يروق الورع وهو أن يأبى ما يأتيه، ثم يرزق التوكّل وهو أن يترك الأسباب، فلا يخاف غير الله تعالى، ولا يرجوا غير الله تعالى، ويُرى هذه الخلائق كلها كهذا المدر، ثم يرزق التفويض وهو الامتثال لأقدار الله تعالى، ومثال ذلك لو زالت عضاه كلها ما تأثر قلبه، ثم يرزق التسليم وهو ترك الإرادة وترك الاختيار وترك التدبير، لا يريد إلا ما أراد الله له، ولا يختار الله له، ولا يدبر إلا ما جبر الله له، مثاله كالميت بين يدي غاسله، وذلك لأمرين: أحدهما إنما لا تسع ما يريد لهم، والثاني إنّها فانيةٌ، والسادس الذي سكت عنه المصنف السنوسي الرفقُ بالضعفاء ليلا يعتقدوا لهم الإلهية لما يرونه منهم من خوارق العادات، ولو كاموا إلهةً لدفعوا عن أنفسهم النقص، وابتدأ كتابه بعلمٍ وختمه بأوليائه، لأن مَن حفظ ما بين علمٍ وأوليائه وعمل به صار وليًا من أولياء الله، وقوله: (باعتبار أحوالهم فيها عليهم الصلاة والسلام)، يحتمل أن يكون راجعاً إلى قوله: (لتعظيم أجرهم)، وما ذكر بعده أو إلى قوله: (للتسلي)،أو لقوله: (عدم رضاه)، والله اعلم،" انتهى كلام الشيخ محمد الوالي بن سليمان ملخصًا.

406 ونص الحديث عن حميد بن حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل ابدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: ((أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، فمعنى قول أنس بن مالك رضي الله عنه: "جاء ثلاثة رهط"، أي الجماعة، أي ثلاثة أنفُسٍ، فالرهط ما دون العشرة من الرجال، فإنه من الثلاثة إلى التسعة، قيل هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهم، فمعنى قوله عليه السلام: ((أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ))، أي أنا أكثركم خوفاً مِنهُ واشدّكم تقوى، فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره، فاعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون

وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد فأنه أمكن لاستمراره وخير العمل ما داوم عليه صاحبه، فمعنى قوله عليه السلام: ((لَكِنِّي))، استدراك من شيء محذوف دل عليه السياق أي أنا وأنتم بالنسبة إلي العبودية سواء، لكن أنا أعمل كذا، فمعنى قوله عليه السلام: ((أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي))، أي أنا لا أفعل ذلك الذي ذكر ولكني أصلي الخ، فمعنى قوله عليه السلام: ((وَأَرْقُدُ))، أي أنام، فمعنى قوله عليه السلام: ((وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ))، أمَّا الأفضل من النِّكاح وتركه فقال أصحابنا: النَّاس فيه أربعة أقسام: [1] قسم تتوق إليه نفسه ويجد المؤن فيستحبُّ له النِّكاح، [2] وقسم لا تتوق ولا يجد المؤن فيكره له، [3] وقسم تتوق ولا يجد المؤن فيكره له، وهذا مأمور بالصَّوم لدفع التَّوقان، [4] وقسم يجد المؤن ولا تتوق، فمذهب الشَّافعيُّ وجمهور أصحابنا: أنَّ ترك النِّكاح لهذا والتَّخلِّي للعبادة أفضل، ولا يقال: النِّكاح مكروه بل تركه أفضل. ومذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشَّافعيّ وبعض أصحاب مالك: أنَّ النِّكاح له أفضل، والله أعلم، فمعنى قوله عليه السلام: ((فَمَن رَغِبَ عَن))، أي أعرض بخلاف رغب فيه، فإنه بمعنى أراد، فمعنى قوله عليه السلام: ((سُنَّتِي))، ما عن طريقتي وأعرض عنها، المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عباهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وعفاف النفس وتكثير النسل، وقوله فليس مني إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى قوله عليه السلام: ((فَلَيْسَ مِنِّي))، أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرهاً لها أو عن عدم اعتقاد بها، وإن كان غير ذلك فإنه مخالف طريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت، فمعنى قوله عليه السلام: ((فَلَيْسَ مِنِّي))، أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة وإن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى فليس مني ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر، وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه، وفيه تتبع أحول الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء، وأن من عزم على عمل بر واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعا، وقال الطبري: فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس وآثر غليظ الثياب وخشن المأكل، والأهم من ذلك أن هذا الحديث أثبت لرسول الله ﷺ، جواز الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقصٍ في مراتبه العلية.

[407] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الجميع الصحيح للبخاري في كتاب النكاح في باب الترغيب في النكاح، عن أنس بن مالك، حديث رقم # 5063؛ وأما الراوي أنس المذكور فهو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن خرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجاري الخزرجي، ولد في يثرب قبل الهجرة النبوية في سنة 10 الهجرية، (الموافق بسنة 612 الميلادي)، فإن هاجر رسول الله ﷺ إلى يثرب دفعت أم سليم مليكة بنت ملحان ابنها أنس بن مالك للنبي ليقوم على خدمته، وعمره يومئذ عشر سنين، وقالت أم سليم: "يا رسول الله هذا أُنيس ابني غلام لبيب كانت، أتيتك به يخدمك، فادع الله له"، فقبله النبي ﷺ ودعا له قائلًا: ((اَللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ عُمْرَهُ وَأَغْفِرْ ذَنْبَهُ))، فخدم أنس بن مالك رسول الله ﷺ مدة مقامه بالمدينة عشر سنين حتى صار أحد المكثرين لرواية الحديث للنبي ﷺ، فقد خرج أنس مع النبي ﷺ إلى بدر ليخدمه، وخرج أنس معه عليه السلام في ثماني غزوات، منها خيبر والطائف وحنين، وشهد فتح مكة وصلح الحديبية وعمرة القضاء وحجة الوداع وبيعة الشجرة، وبعد وفاة رسول الله ﷺ خرج أنس بن مالك مع أبي بكر الصديق في حروب الردة، وشهد معركة اليمامة، ثم بعثه أبو بكر إلى البحرين ليتولى جباية أموال الزكاة، وبعد وفاة أبو بكر الصديق رضي الله تعال عنه كان أنس بن

وَإِثْبَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الصِّدْقَ وَالأَمَانَةَ وَالتَّبْلِيغَ وَجَوَازَ الأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ لِنَفْسِهِ عَيْنُ إِثْبَاتِ ذَلِكَ لِجَمِيعِ إِخْوَانِهِ مِنَ الرُّسُلِ لِجَامِعِ النُّبُوَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ.[408]

وَأَثْبَتَ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْمَلاَئِكَةَ[409] بِقَوْلِهِ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ))،[410] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.[411]

مالك شهد فتوح العراق وبلاد فارس وشهد معركة القادسية وفتح تستر وغيرها، ومكث أنس بن مالك البصرة يُحدّث الناس بما يحفظ من الأحاديث النبوي، ثم أثبت أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أنسًا ليصلي بالناس بالبصرة، وبمعجزة وبركة دعوة رسول الله ﷺ لأنس بن مالك وهو صغير بأن يبارك الله له الله في ولده وماله وعمره، فكثر نسل أنس حتى جاوز المائة في حياته، وقد خلف أنس بن مالك بساناً له كان يُثمر في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك، وورث أنس عن أبيه بئراً في المدينة كانت من أعذاب آبار المدينة، قال أبو هريرة في أنس بن مالك: "ما رأيتُ أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم"، وتوفي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في البصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك في سنة 102 الهجرية (الموافق بسنة 713 الميلادي)، وأنس بن مالك آخر الصحابي من بقي بالبصرة وهو آخر من بقي ممن صلى إلى القبلتين، وكان قد أوصى أن يصلي عليه محمد بن سيرين، فغسله وصلى عليه، ودفن معه عصا النبي ﷺ بين جنبه وقميصه.

408 قال العارف القطب الشيخ محمد بن يوسف السنوسي في شرح صغرى الصغرى: "لا شك أن الناس باعتبار تعظيمهم للرسل عليهم الصلاة السلام ثلاثة أقسام: [1] مفرط، [2] ومفرّط، هما هالكان، [3] ومتوسط، وهو الناجي وفضل الله تعالى وعن القسمين الأوّلين احترزنا بالقيود التي ذكرناها في تفسير الجائز على الرسل عليهم الصلاة والسلام واحترزنا بالأعراض، وهي الصفات الحادثة المتجددة من الصفات القديمة التي هي صفات الإله جل وعلا فلا يصح أن يتصف بها غير مولانا جل وعلا، وقد كفرت النصارى بمخالفتهم هذا القيد، وإفراطهم في حق عيسى عليه الصلاة والسلام، فجعلوا صفة العلم القديم قائمة بجسده عيسى عليه الصلاة والسلام، فجعلوه إلهاً لذلك على خبط لهم شديد وتخليط عظيم لا يفوه به عاقل تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً واحترزنا بقيد البشرية كالأكل والشرب والمرض ونحوها من صفات الملائكة عليهم الصلاة والسلام وهي غناهم عن هذه الأعراض التي وضعها الله تعالى في البشر فلا يشترط ذلك في الرسل عليهم الصلاة والسلام لعدم توقف الرسالة عليها، وليس غني الملائكة عليهم الصلاة والسلام عنها لذواتهم، بل يجعل الله تعالى لهم ذلك، وقد كفرت الجاهلية بمخالفتهم هذا القيد، وإفراطهم أيضاً بزعمهم أن هذه الصفات البشرية ناقصة لا تليق بمرتبة الرسالة، وإنما تليق بها صفات الملائكة، فكفروا وكذبوا بسبب ذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقالوا فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، ولو انكشف الحجاب عن قلوبهم لعرفوا أن في وقوع هذه الأعراض البشرية بالرسل عليهم الصلاة والسلام كمالات لهم في أنفسهم، وتكميلات متكاثرة لأممهم بحيث يغتبطها الملائكة الكرام، ويتمنون وجود مثلها لهم لما فيها من الآداب الرقيقة والعبادات الدقيقة التي لم يجدوا مثلها في عبادتهم هذا مع ما فيها من تأنس الأمم ودفع الوحشة وعنهم بمخالطة من هو من جنسهم ومتصف بحسب الظاهر بصفاتهم وأمكنهم لأجل الحبشية والمخالطة أن يعرفوا أمانته وصدقه ونصيحته والتلقى منه ولو كان ملكاً لتعذر ذلك كله منه قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾، فعامل سبحانه الخلق بمقتضى الفضل العظيم والرحمة واللطف بأن بعث إليهم رسلاً من أنفسهم ظاهرهم بشرى من جنس المبعوث إليهم وباطنهم ملكي بل أعلى ولهذا اتسعت قلوبهم عليهم الصلاة والسلام لمخالطة الفريقين ومراعاة الجانبين".

وَأَثْبَتَ كَوْنَ الْمَوْتِ بِالأَجَلِ[412] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى))،[413] كَمَا فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ[414] فِي قِصَّةِ مَوْتِ اِبْنِ اِبْنَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[415] رَوَاهُ الْبُخَارِي فِي صَحِيحِهِ.[416]

---

409 انظر الحاشية السابقة رقم # 280 للإشارة إلى ماهية الملائكة وجنسهم وجنودهم.

410 معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((يَتَعَاقَبُونَ))، أي تأتي طائفةٌ عقب طائفةٍ، ثم تعود الأولى عقب الثانية، قال ابن عبد البر: وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو رجلين بأن يأتي هذا مرة ويعقبه هذا، ومنه تعقيب الجيوش أن يجهز الأمير بعثا إلى مدّةٍ ثم يأذن لهم في الرجوع بعد أن يجهز غيرهم إلى مدّةٍ، ثم يأذن لهم في الرجوع بعد أن يُجَهِّزَ الأولين، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فِيكُمْ))، أي فيكم المصلين أو مطلق فيكم المؤمنين، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَلَائِكَةُ))، قيل هم الحفظة نقله عياض وغيره عن الجمهور، وقال القرطبي: الأظهر عندي أنهم غيرهم، ويقوّيه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ))، أي ملائكة الليل وملائكة النهار عند صلاة الصبح فيسلم بعضهم على بعض فتصعد ملائكة الليل وتلبث ملائكة النهار، وصورته أن تنزل طائفة عند العصر وتبيت، ثم تنزل طائفة ثانية عند الفجر، فيجتمع الطائفتان في صلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فقط ويستمر الذين نزلوا وقت الفجر إلى العصر فتنزل الطائفة الأخرى حصل اجتماعهم عند العصر أيضا ولا يصعد منهم أحد بل تبيت الطائفتان أيضا ثم تعرج إحدى الطائفتين ويستمر ذلك فتصح صورة التعاقب مع اختصاص النزول بالعصر والعروج بالفجر، والله أعلم.

411 ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الزاج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح في كتاب مواقيت الصلاة عن أبي هريرة؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 275 لسيرة راوي الحديث أبي هريرة الصحابي رضي الله عنه.

412 قال المصنف الشيخ رحمه الله في هداية الطالبين: "ونعتقد أن الموت بالأجل، وهو الوقت الذي كتبه الله في الأزل انتهاء حياته فيه، فلا يموت أحدٌ بدونه مقتولاً كان أو غيره"؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 282 لحكم إثبات الموت بالأجل.

413 ونص الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: "أُرسلتْ ابنةُ النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: ((إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ))، فأرسلتْ إليه تُقْسِمُ عليه ليأْتينّها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجالٌ، فرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ الصَّبِيُّ ونفسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قال: حسبتُهُ أنّه قال: كأنَّها شنٌّ، ففاضتْ عيناهُ، فقال سعد: "يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: ((هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))، وفي روايةٍ "فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره حسبته قال كأنها شنة فبكى رسول الله ﷺ، فقال سعد بن عبادة: "أتبكي؟" فقال: ((إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَكُلٌّ))، أي من الأخذ والإعطاء أو من الأنفس أو ما هو أعم من ذلك، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((عِنْدَهُ بِأَجَلٍ))، والأجل يطلق على الحد الأخير وعلى مجموع العمر، فالأجل عبارة عن الوقت الذي ينقطع فيه فعل الحياة، كما أن أجل الدين عبارة عن الوقت الذي يحل فيه الدين، والمقتول والميت أجلهما عند خروج روحهما، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مُسَمًّى))، أي معلوم مقدر أو نحو ذلك، فمسمى أنه محدد معين وهو ما في قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى

وَأَثْبَتَ سُؤَالَ الْقَبْرِ[417] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ[418] أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِم، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: اَنْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ))، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمَطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ))،[419] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَن أَنَسٍ.[420]

عِنْدَهُ﴾، فالأجل المسمى: هو عمر كل واحد، المعين له في ساعة خلقه، فاثبت بهذا الحديث أن الموت بالأجل حقٌ وأن كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ.

[414] وهو أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، الأمير الكبير، كان أسامة أسود اللون، وكان مالكاً لكل الصفات العظيمة التي تجعله قريباً فكان كبيراً في عينيه عليه السلام، فهو ابن مسلمين كريمين من أوائل المسلمين سبقا إلى الإسلام، ومن أكثرهم ولاء للرسول وقربا منه من قلب رسول الله ﷺ، مات أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما في سنة 54 الهجرية في آخر خلافة معاوية.

[415] هي زينب كما وقع في رواية أبي معاوية عن عاصم المذكور في مصنف ابن أبي شيبة، وهي زيب بنت محمد رسول الله صلى الله عليهما سلم، وهي أكبر بنات النبي ﷺ من زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها الصلاة السلام، وُلدتْ عشر سنوات قبل البعثة النبوية في سنة 23 قبل الهجرية (الموافق بسنة 600 الميلادي)، تزوّجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد، ولها من أولاد: ولدٌ اسمه عليٌّ مات وهو صغير وهو الطفل الذي مات في هذا الحديث، وبنتٌ اسمها أمامة تزوّجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة الزهراء، وتزوّجها المغيرة بن نوفل بعد وفاة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، فهاجرت زينب إلى المدينة، تُوفيت زينب في حياة النبي محمد في سنة 7 الهجرية (الموافق بسنة 629 الميلادي) وعمرها 29 عامًا، ويُروى في سبب موتها أنّها مرضت بسبب ما تعرّضت له أثناء هجرتها إلى المدينة المنورة من إسقاط حملها، فلم يزل بها المرض حتى ماتت.

[416] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري من الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح في كتاب الجنائز في باب قول النبي ﷺ: ((يُعَذَبُ الْمَيْتُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ))، إذا كان النوح من سنته، حديث رقم # 1284.

[417] انظر الحاشية السابقة رقم # 284 لحكم إثبات سؤال القبر.

[418] هنا انتهى الورقة 64 في المخطوطة: ب.

[419] معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((الْعَبْدُ))، أي المَولى الخالِص، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ))، أي وضعه في قبره بعد موته وغسل بدنه كفنه وصلى عليه، كذا وقع عنده مختصرا، وأوله عند أبي داود من طريق عبد الوهاب

بن عطاء عن سعيد بهذا السند: أن نبي الله ﷺ دخل نخلا لبني النجار، فسمع صوتا ففزع فقال: ((من أصحاب هذه القبور؟)) قالوا: يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر ومن فتنة الدجال)) قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ عَلَى قَبْرِهِ))، إن المتوفى أو الميّت إذا وضعه أصحابه في ضريحه؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَتُوُلِيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ))، أي تولي بضم أوله وكسر اللام على البناء للمجهول، أي تولي أمره أي الميت، أي عرض عنه أصحابه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حَتَى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ))، أي يسمع الميت صوت نعالهم عند دوسها على الأرض، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((قَرعَ نِعَالِهِم))، أي شدة الوطء على الأرض، ((أَتَاهُ مَلَكَانِ))، أي منكر ونكير، ((فَأَقْعَدَاهُ))، أي أجلساه، وهما مترادفان، وهذا يبطل قول من فرق بينهما بأن القعود عن القيام، والجلوس عن الاضطجاع، وزاد في حديث البراء فتعاد روحه في جسده كما تقدم في أول أحاديث الباب، وزاد ابن حبان من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة: ((فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالصَّوْمَ عَنْ شِمَالِهِ، وَفِعْلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ،، فَيُقَالُ لَهُ: اِجْلِسْ، فَيَجْلِسُ، وَقَدْ مُثِلَتْ لَهُ الشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ))، وزاد ابن ماجه من حديث جابر: ((فَيَجْلِسُ فَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِي))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟))، التعبير بذلك امتحانٌ للمسؤول، إذ لو ذُكِر بصيغة تعظيمٍ ربما يُلقَّن تعظيمَه من ذلك، زاد أبو داود في أوله: ((مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ فَإِنْ هَدَاهُ اللهُ قَالَ: كُنْتُ أَعْبُدُ اللهَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ))، ولأحمد من حديث عائشة: ((مَا هَذَا الرَّجُلُ اَلَّذِي كَانَ فِيْكُمْ))؛ ثم يُثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: اَنْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ))؛ وله من حديث أبي سعيد: ((فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: صَدَّقْتَ))، زاد أبو داود: ((فَلَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهِمَا))، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر المتقدم في العلم والطهارة وغيرهما: ((فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوْقِنُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيرَاهُمَا جَمِيعًا))، أي المَقْعَدَينِ، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَأَمَّا الْكَافِرُ))، أي الذي يقبل الإسلام لا يؤمن بالله قط، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَوْ الْمُنَافِقُ))، أي الذي يقبل الإسلام بلسانه ولا يؤمن بقلبه، كذا في هذه الطريق بواو العطف، وفي رواية أبي داود: ((وَأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ)) وكذا لابن حبان من حديث أبي هريرة، وكذا في حديث البراء الطويل، وفي حديث أبي سعيد عند أحمد: ((وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا))، بالشك، وله في حديث أسماء: ((فَإِنْ كَانَ فَاجِرًا أَوْ كَافِرًا))، وفي الصحيحين من حديثها: ((وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ))، وفي حديث جابر عند عبد الرزاق وحديث أبي هريرة عند الترمذي: ((وَأَمَّا الْمُنَافِقُ))، وفي حديث عائشة عند أحمد وأبي هريرة عند ابن ماجه: ((وَأَمَّا الرَّجُلُ السُّوْءُ))، وللطبراني من حديث أبي هريرة: ((وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّكِّ))، فاختلفت هذه الروايات لفظا وهي مجتمعة على أن كلا من الكافر والمنافق يسأل، ففيه تعقب على من زعم أن السؤال إنما يقع على من يدعي الإيمان إن محقا وإن مبطلا، ومستندهم في ذلك ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين قال: ((إِنَّمَا يُفْتِنُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا يُسْأَلُ عَنْ مُحَمَّدٍ وَلَا يَعْرِفُهُ))، وهذا موقوف، والأحاديث دلت على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهي أولى بالقبول، وجزم الترمذي الحكيم بأن الكافر يسأل، واختلف في الطفل غير المميز فحزم القرطبي في التذكرة بأنه يسأل، وهو منقول عن الحنفية، وجزم غير واحد من الشافعية بأنه لا يسأل، ومن ثم قالوا: لا يستحب أن يلقن، واختلف أيضا في النبي هل يسأل، وأما الملك فلا أعرف أحدا ذكره، والذي يظهر أنه لا يسأل لأن السؤال يختص بمن شأنه أن يفتن، وقد مال ابن عبد البر إلى الأول وقال، الآثار تدل على أن الفتنة لمن كان منسوبا إلى أهل القبلة، وأما الكافر الجاحد فلا يسأل عن دينه، وفي الكتاب والسنة دليل على أن السؤال للكافر

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ:[421] ((فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الإِسْلاَمُ وَالرَّجُلُ الْمَبْعُوثُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُ الْكَافِرُ فِي الثَّلاَثِ لَا أَدْرِي)).[422]

والمسلم، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ وفي حديث أنس في البخاري: ((وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ))، وفي حديث أبي سعيد: ((فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا))، فذكره وفيه ((وَإِنْ كَانَ كَافِرًا))، وفي حديث البراء: ((وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا))، ذكره وفيه ((فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ))، وفي الكتاب العزيز الدلالة على أن الكافر يسأل عن دينه، قال الله تعالى ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، لكن للنافي أن يقول إن هذا السؤال يكون يوم القيامة؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيتَ))، بفتح حرف الراء لا غير لأنه مِن درى يدري، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَلَا تَلَيْتَ))، أي أصله الواو يُقال: تلوت القرآ، ولكن أتى بحرف الياء للازدواج مع دريت، أي: لا كنتَ داريًا ولا تاليًا، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ثُمَّ يُضْرَبُ بِمَطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ))، أي يضربه على وجهه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ))، أي الجن والإنس، سُميا بذلك لِثِقَلهما على الأرض، والمعنى في عدم سماعهما الابتلاءُ، فلو سمعا لكان الإيمان منهما ضروريًّا، في رواية أبي داود المذكورة: ((وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلِكٌ فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟))، وفي أكثر الأحاديث: ((فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟))، وفي حديث البراء: ((فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ! لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ! لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ! لَا أَدْرِي))، وهو أتم الأحاديث سياقا، وقوله: ((كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ)) في حديث أسماء: ((سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ))، وكذا في أكثر الأحاديث.

[420] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري من الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح في كتاب الجنائز في باب الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم # 1338، وأما راوي الحديث هو انس بن مالك، انظر الحاشية السابقة رقم # 320 للحصول على سيرته مختصرة؛ وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها سؤال منكر ونكير للمقبرين، وإثبات عذاب القبر ونعيمه.

[421] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى أبي داود عن البراء بن عازب في كتاب السنن في كتاب السنة في باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث رقم # 4753، وأما أبو داود هو إمام أهل الحديث أبو داود سليمان بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، ولد أبو داود في خلافة المأمون في سنة 202 الهجرية (الموافق بسنة 817 الميلادي)، طلب الحديث فزار خراسان، والري، وهراة، وزار الكوفة في سنة 221 الهجرية، وقدم بغداد عدة مرات، وآخر مرة زارها كانت سنة 271، وأقام بطرطوس عشرين سنة، كما سمع الحديث بدمشق ومصر، ثم سكن البصرة بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق الذي جاء إلى منزله في بغداد واستأذن عليه ورجاه أن يسكن البصرة ليرحل إليها طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه بعد أن خربت وهُجرت وانقطع الناس عنها لما جرى عليها من فتنة الزنج، وأخذ الأحاديث عن كثير من المحدثين،

منهم: أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وقتيبة بن سيعد وغيرهم، وأخذ عنه الإمام الترمذي والإمام النسائي وغيرهما، وصنف كتاب السنن في سنة 235 الهجرية، وتوفى الإمام أبو داود رحمه الله تعالى في البصرة يوم الجمعة 16 شوال في سنة 275 الهجرية (الموافق بسنة 888 الميلادي).

[422] ونص الحديث عن البراء بن عازب الذي قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤُوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: ((اِسْتَعِيذُواْ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)) مرتين أو ثلاثاً، زاد في حديث جرير ها هنا وقال: ((وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّواْ مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟)) قال هناد: قال: ((وَيَأْتِيهُ مَلِكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ اَلَّذِي بُعِثَ فِيْكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رسول الله ﷺ فَيَقُولَانِ: وَمَا يَدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ))، زاد في حديث جرير ((فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية، ثم اتفقا، قال: ((فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنْ قَدْ صَدَّقَ عَبْدِي، فَافْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُواْ لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهُ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبِهَا، قَالَ: وَيَفْتَحُ لَهُ فِيهَا مُدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: وَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهُ مَلِكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ!، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ!، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ اَلَّذِي بُعِثَ فِيْكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ! هَاهْ!، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَّبَ فَافْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُواْ لَهُ بَاباً إِلَى النَّارَ، قَالَ: فَيَأْتِيهُ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، قَالَ: وَيَضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَى تَخْتَلِفَ فِيْهِ أَضْلَاعُهُ))، زاد في حديث جرير قال: ((ثُمَّ يَقَيضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمَ مَعَهُ مَرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَاباً، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرَبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَاباً، قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيْهِ الرُّوح))، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولَانَ لَهُ))، أي يقولان له منكر ونكير؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَن رَبُّكَ؟))، أي من ربّك الذي تعبده وتخصه بالعبادة، أو مَن إلهك الذي خلقك ويرزقك؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَمَا دِينُكَ؟))، أي ما ملتك التي تتقرب بها إلى ربّك، أو ما عملك الذي تدين به ربّك؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَمَا هَذَا الرَّجُلُ اَلَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟)) أي ما وصفه أرسل، وكما قدّمتُ: التعبير بذلك امتحانٌ للمسؤول، إذ لو ذُكِر بصيغة تعظيمٍ ربما يُلقَّن تعظيمَه من ذلك؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ))، أي الذي يؤمن بالله وعمل الصالحات: معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((رَبِّيَ اللَّهُ))، أي خالقي ورازقي وإلهي الذي أعبد هو الله؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَدِينِيَ الإِسْلَامُ)) أي ملتي التي اتقرب بها إلى ربّي، أو عملي الذي ادين به ربّي هو الإسلام؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَالرَّجُلُ الْمَبْعُوثُ رسول الله ﷺ))، وفي رواية: ((فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ))، وفي رواية: ((فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))، وفي رواية: ((فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوْقِنُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَيَقُولُ الْكَافِرُ))، الذي لا يؤمن بالله قط ويعبد غير الله، المراد به أيضاً المنافق الذي يسلم بلسانه وعماله ويكفر بقلبه؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فِي الثَّلَاثِ لَا أَدْرِي))، أي يقول لا أدري في سؤال: من ربّك؟ وما دينك؟ وما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيثبت في هذا الحديث سؤال القبور وعذابها ونعيمها.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ:[423] ((يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَلِلْآخَرِ النَّكِيرُ)).[424]

---

[423] أي في رواية جامع الترمذي المعروف بـ سنن الترمذي، هو أحد كتب الحديث الستة قام بتجميعه الإمام الترمذي، يعتبره علماء أهل السنة والجماعة خامس كتب الحديث الستة، قال الإمام الترمذي في كتابه: "صَنَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْحِجَازِ، وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَان، فَرَضُواْ بِهِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابِ فِي بَيْتِهِ، فَكَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ نَبِيٌّ يَتَكَلَمُ"، ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية الترمذي عن أبي هريرة في أبواب الجنائز في باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم # 1071، أما الترمذي المذكور هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، فاشتهر بالحافظ أبي عيسى الترمذي الضرير، حافظ للحديث، ولد في مدينة ترمذ في سنة 209 الهجرية (الموافق بسنة 824 الميلادي)، ثم ارتحل لطلب الحديث فذهب إلى خراسان، والعراق، والحجاز، ولم يرحل إلى مصر والشام، وحدّث عن جمع كبير من المحدثين، وتفقه في الحديث بالبخاري، وأصبح ضريرًا في كِبره بعد رحلته وكتابته العلم، قال الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني: "محمد بن عيسى بن سَورةَ الحافظُ، متفقٌ عليه، له كتابٌ في السنن، وكلامٌ في الجرح والتعديل، روى عنه ابن محبوبٍ والأجلاء، وهو مشهورٌ بالأمانة والعلم"، وتوفي الإمام الترمذي رحمه الله 13 رجب في سنة 279 الهجرية (الموافق بسنة 892 الميلادي) في بلدة ترمذ.

[424] ونص الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قُبِرَ الْمَيْتُ [أو قال: أَحَدُكُمْ] أَتَاهُ مَلِكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخِرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتُ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نُمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نُمْ كَنَوْمَةِ الْعُرُوسِ اَلَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَبًا حَتَى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ))؛ فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ)) أي مفعول من أنكر بمعنى نكر، إذا لم يعرف أحداً، فسمى بذلك لإنكار الكافر والمنافق ما يسألانه عنه فسؤالهما إياه منكر عنده فمنكره مفعل؛ ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَلِلآخَرِ النَّكِيرُ))، أي فعيل بمعنى مفعول من نكر بالكسر، إذا لم يعرفه أحد، فهما كلاهما ضد المعروف سميا بهما، لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما، كذا في المرقاة، فسمى بذلك الإنكار وقع عند المسألة لإنكاره قولهما، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "ذكر بعض الفقهاء أن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير، واسم اللذين يسألان المطيع مبشر وبشير"؛ قال القاضي ابن العربي: "هذا كلام إنما عول فيه على إنكار الملفوظ ولم يلتفت إلى روايته ومتعلقاته، ولا يصح أن يسمى الملك منكر لأن ذلك خلط للمعاني، وإنما سمى منكر بمعنى عام يعم كل مسئول مؤمناً وكافرًا لأن كل من يراهما ينكرهما لما عليه من وحشة المنظر وقبيح الصورة وغلظ الكلمة، وما في المقامع التي في أيديهما من الهيبة و المخافة، وهي فتنة يلقاها المؤمن في أول محن الآخرة والكافر في أول نقمها، فيثبت الله المؤمن بفضله ووعده ويلقنه حجّته، فلا يبالي بهما ويخذل الكافر، فيتلجلج قوله ويبهت قوله، فيحل عليه غضب الله ونقمته".

وَأَثْبَتَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ وَبَعْثَ الأَمْوَاتِ[425] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِن أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِن كَانَ مِن أَهْلِ[426] النَّارِ فَمِن أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتّى يَبْعَثُكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))،[427] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَن اِبْنِ عُمَرَ.[428]

---

[425] وانظر الحاشية السابقة رقم # 287 ورقم # 289 ورقم # 293 للإشارة إلى حكم عذاب القبر ونعيمه وبعث الأموات.

[426] هنا انتهى الورقة 65 في المخطوطة: ب.

[427] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ))، أي إذا توفى أي واحد منكم من الإنس والجن، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ))، هو من باب القلب، والأصل عُرِضَ عليه مقعده كما في بعض الروايات، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ))، أي بالصباح والمساء، قال الإمام ابن التين: "يحتمل أن يريد بالغداة والعشي غداة واحدة، وعشية واحدة يكون العرض فيها"، قال الإمام القرطبي: "والمراد بالغداة والعشي وقتهما، وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء، وهذا في حق المؤمن والكافر واضح، فأما المؤمن المخلط فمحتمل في حقه أيضا، لأنه يدخل الجنة في الجملة، ثم هو مخصوص بغير الشهداء لأنهم أحياء وأرواحهم تسرح في الجنة"، ويحتمل أن يقال: إن فائدة العرض في حقهم تبشير أرواحهم باستقرارها في الجنة مقترنة بأجسادها، فإن فيه قدراً زائداً على ما هي فيه الآن، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِن أَهْلِ الْجَنَّةِ))، أي فيعرض عليه من مقاعد الجنّة، أو فمقعده من مقاعد الجنّة؛ قال التوربشتي: "التقدير إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه"؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَإِن كَانَ مِن أَهْلِ النَّارِ فَمِن أَهْلِ النَّارِ))، أي فيعرض عليه من مقاعد النار، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ))، وفي هذا القول تنعيم لمن هو من أهل الجنة وتعذيب لمن هو من أهل النار بمعاينة ما أعد له وانتظاره ذلك إلى اليوم الموعود، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حَتّى يَبْعَثُكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، في رواية مسلم عن يحيى بن مالك: ((حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة))، والمعنى حتى يبعثك الله إلى ذلك المقعد، ويحتمل أن يعود الضمير إلى الله. فإلى الله ترجع الأمور، والأول أظهر، يحتمل أن الإشارة إلى القبر أي القبر مقعدك إلى أن يبعثك الله إلى المقعد المعروض، أو إلى مقعدك المعروض، وحتى غاية للعرض أي يعرض عليك إلى البعث، وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأن الروح لا تفنى بفناء الجسد، لأن العرض لا يقع إلا على حي.

[428] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى رواية البخاري عن عبد الله بن عمر في كتاب الجنائز في باب الميت يُعرضُ عليه مقعده بالغداة والعشي، حديث رقم # 1379، أما عبد الله بن عمر فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر الفاروق بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بم مضر بن نزار بن معد بن عدنان العدوي القرشي، ولد عبد الله بن عمر في مكة قبل الهجرة النبوية إلى يثرب بعشر سنين، وأمه وأم شقيقته حفصة هي زينب بنت مظعون الجمحية أخت الصحابي عثمان بن مظعون، أسلم عبد الله بن عمر بمكة مع أبيه، ولم يكن قد بلغ الحلم يومئذ، ثم هاجر مع أبيه، وصحب النبي محمداً والتف حوله مع غيره من صحابته، ولما أمر النبي محمد ﷺ أصحابه بالخروج إلى غزوة بدر، تطوع يومها عبد الله للقتال، فردّه النبي محمد ﷺ لصغر سنه، وهو ما تكرر عندما حاول التطوع للقتال في غزوة أحد، لم يُجزه النبي محمد للقتال إلا في غزوة الخندق

وَأَثْبَتَ عَذَابَ الْقَبْرِ أَيْضًا[429] بِقَوْلِهِ: ((عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ))،[430] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ.[431]

وكان عمره يومها خمسة عشر سنة كما قال: "عَرَضْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سِنَّةٍ، فَلَمْ يُقْبِلَنِي، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سِنَّةٍ، فَلَمْ يُقْبِلْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةِ سِنَّةٍ، فَقَبِلَ"، وكان ابن عمر دائمًا محل احترام وثقة المسلمين، فهو كان محدثاً وفقيهاً وأحد المكثرين في الفتوى، وكذلك هو من المكثرين في رواية الحديث النبوي عن النبي محمد ﷺ، كان ابن عمر من أكثر الناس اقتداءً بسيرة النبي محمد، ومن أكثرهم تتبُّعًا لآثاره كما كان قبلة لطُلاّب الحديث والفتاوى في المدينة المنورة، وكان عبد الله بن عمر شارك بعد وفاة النبي في فتوح الشام والعراق وفارس ومصر وإفريقية، فحاول عثمان بن عفان توليته القضاء، وعرض عليه علي بن أبي طالب ولاية الشام، ورشحه أبو موسى الأشعري للخلافة يوم التحكيم بين جيشي علي ومعاوية، إلا أنه اعتذر عن ذلك كله، وحرص على عدم الانخراط في أمور الحكم تجنبًا منه للخوض في دماء المسلمين، وتوفى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سنة 74 الهجرية (الموافق بسنة الميلادي) بمكة .

[429] قال الإمام السيوطي في إتمام الدرية: "ونعتقد أن عذاب القبر للكفار والفاسق المراد تعذيبه، بأن ترد الروح إلى الجسد أو ما بقي منه حقٌّ، قال ﷺ: ((عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ))، ومرّ بقبرين فقال: ((إِنَّهُمَا لَيُعْذَبَانِ))، رواهما الشيخان"، وانظر الحاشية السابقة رقم # 287 للإشارة إلى حكم عذاب القبر.

[430] ونص الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنهما أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: ((نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ))، قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنهما: "فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلاَّ تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، زَادَ غُنْدَرٌ: ((عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ))، معنى قول الراوي: "فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"، أي قالت كما في رواية أحمد: "يا رسول الله هل للقبر عذاب؟"، فقال رسول الله ﷺ: ((كَذَبَتْ يَهُود، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار، وهو ينادي بأعلى صوته: ((أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِيذُواْ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ))، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام كما شرحه الإمام ابن حجر: ((نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ))، زاد في رواية الحموي والمستملي: ((حَقٌّ))، معنى قول الراوي: " زَادَ غُنْدَرٌ: ((عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ))"، فتبين أن لفظ: ((حَقٌّ)) ليست في رواية عبدان عن شعبة، وأنها ثابتة في رواية غندر عن شعبة وهو كذلك، وقد أخرج طريق غندر النسائي والإسماعيلي كذلك، وكذلك أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة، قال قتادة: "عذابا في الدنيا وعذابا في القبر"، قال الإمام عبد الرحمن السيوطي: "قال العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أضيف إلى القبر، لأنه الغالب، وإلا فكل ميت إذا أراد الله تعالى تعذيبه ناله ما أراد به، قبر أو لم يقبر، ولو صلب، أو غَرِقَ في البحر، أو أكلته الدواب، أو حرق حتى صار رماداً، أو ذري في الريح، ومحله الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة"، قال الإمام الغزالي: "من أنكره فهو مبتدع، محجوب عن نور الإيمان، ونور القرآن، بل الصحيح عند ذوي الأبصار، ما صحت به الأخبار، أنه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة.

[431] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن أم المؤمنين عائشة في كتاب الجنائز في باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم # 1372، هي أم المؤمنين أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب التيميَّة القُرَشِيّة، وإحدى أزواج النبي

وَأَثْبَتَ الْمِيزَانَ[432] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ[433] عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ))،[434] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.[435]

ﷺ، ولدت سنة 7 قبل الهجرة (الموافق بسنة 616 الميلادي)، هاجرت عائشة إلى المدينة بعد هجرة النبي محمد بصحبة طلحة بن عبيد الله وأخيها عبد الله وأمها أم رومان وأختها أسماء، وزيد بن حارثة وأبي رافع مولى النبي ﷺ وابنتي النبي محمد ﷺ أم كلثوم وفاطمة وسودة بنت زمعة وأم أيمن وابنها أسامة بن زيد، وتروي عائشة حديثًا عن النبي ﷺ أنه رأى في منامه جبريل، وقد جاء بها في ثوب من حرير، وقال له: "هَذِهِ امْرَأَتُكَ"، فرد النبي بقوله: ((إِنْ يَكُن هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمضِهِ))، وفي حديث آخر أن جبريل قال: "هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُنيَا وَالآخِرَة"، وقد تزوجها النبي ﷺ بعد غزوة بدر في شوال سنة 2 الهجرية (الموافق بسنة 624 الميلادي)، كان لملازمة عائشة للنبي ﷺ دورها في نقل الكثير من أحكام الدين الإسلامي والأحاديث النبوية، حتى قال الحاكم في المستدرك: "إِنَّ رُبْعَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ نُقِلَت عَن السَّيِّدَة عَائِشَة"، وكان أكابر الصحابة يسألونها فيما استشكل عليهم، فقد قال أبو موسى الأشعري:، "مَا أُشكِلَ عَلَيْنَا أَصْحَاب رَسُوْل اللّه ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ، إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا"، بعد وفاة النبي محمد واختيار أبي بكر خليفة للمسلمين، لزمت عائشة حجرتها، بعد وفاة أبي بكر، كرّست عائشة حياتها لنشر الدين الإسلامي، فكانت تروي الحديث وتفتي في أمور الدين، وكان عمر ثم عثمان يرسلان إليها فيسألانها، كانت عائشة من أعلم النساء بدين الإسلام وما اتصل به من قرآن وتفسير وحديث وفقه، وقال الحاكم في المستدرك أن: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ"، ، فمسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، واتّفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وأنفرد مسلم بتسعة وستين، وماتت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ليلة الثلاثاء 17 رمضان في سنة 57 الهجرية (الموافق بسنة 678 الميلادي).

[432] أي وزن الأعمال في الميزان، فهو ميزان حقيقي، له كفتان يضعه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وهو ميزان دقيق، لا يزيد ولا ينقص ولا يقدر قدر هذا الميزان، وهو موجود الان في عالم الغيب؛ قال الشيخ إبراهيم بن أحمد المرغانيّ الزيتونيّ في الشذرات الذهبية على منظومة العقائد الشرنوبية: "والميزان، وهو واحدٌ على الراجح، لجميع الأعمال، ومحلّه بعد الحساب، ولا يكون الوزنُ في حقّ كلّ أحدٍ لأنّه لا يكون للأنبياء والملائكة، ولا لِمَن يدخل الجنّة بغير حسابٍ"؛ قال الإمام الغزالي والإمام القرطبيّ ولا يكون الميزان في حقّ كلّ أحدٍ، فالسابقون ألفا الذين يدخلون الجنّة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 304 للحصول على شرح وبيان وزن الأعمال والميزان.

[433] هنا انتهى الورقة 23 في المخطوطة: ا.

[434] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((كَلِمَتَانِ))، أي عبارتان أو جملتان مفيدتان؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ))، أي سهلتان في اللفظ لا تحتجان إلى تكلّفٍ ومشقّةٍ وجُهْدٍ في النطق لقلة حروفهما واتساقهما، وتقارب مخارج الحروف فيها كما قال الإمام السندي في حاشيته؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ))، أي عظيمتان في الأجر والثواب يوم القيامة حيث توزن الأعمال، قَالَ الإمام الطِّيبِيُّ رحمه الله تعالى: "الخفة مستعارة للسهولة، شبّه سهولة جريان هذا الكلام بما يخفّ على الحامل من بعض الحمولات فلا يشقّ عليه، فذكر المشبَّه وأراد المشبّه به، وأمّا الثقل فعلى حقيقته، لأن الأعمال تتجسّم عند الميزان، وقيل توزن صحائف الأعمال"، وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة

وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها، الميزان المذكور هنا هو الذي توزن به الأعمال في الآخرة بعد الحشر في المكان الواحد والموقف، فينصب الميزان لوزن هذه الأعمال والصحف التي أُخذت في هذا اليوم؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَانِ))؛ أي ثنية حبيبة وهي المحبوبة، والمراد أن قائلها محبوب لله، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم، وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله، حيث يجازى على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم، قال الشيخ الصنعاني: "تتمتع هاتان الكلمتان بالمحبوبية عند الله لهما أو لقائلهما لأنّهما تشتملان على تنزيه الله تعالى بصفاته وأفعاله، واستذكار رحمته وعظمته"؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((سُبْحَانَ اللَّهُ وَبِحَمْدِهِ))، أي أنزّه الله عما لا يليق بجلاله، وأثني عليه بصفة الحمد والشكر، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ))، تكرار التسبيح للإشعار بتنزيه الله تعالى على الإطلاق، ومعناها أنزه الله عمّا لا يليق بجلاله، وأبجلّه جلّ شأنه في علاه وجلال قدره؛ وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف، وحث على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل والثقل بالنسبة لإظهار الثواب؛ وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس، وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة فلا ينبغي التفريط فيه، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف؛ واثبت به هذا الحديث النبوية الإيمان بوجود الميزان يوم القيامة، وأنّ الأعمال والكلام لجميع الخلائق سوف توزن ليحاسب كلّ على قدر عمله.

[435] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن أبي هريرة في كتاب الدعوات في باب فضل التسبيح، حديث رقم # 6406؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 275 للإشارة إلى سيرة أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَثْبَتَ صُحُفَ الْمَلاَئِكَةِ اَلْكُتُبَةِ[436] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: ((إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ[437] لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ))،[438] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو].[439]

---

[436] فانظر الحاشية السابقة رقم # 300 للحصول على شرح وبيان إيتاء كتب الأعمال وحكمها.

[437] هنا انتهى الورقة 66 في المخطوطة: ب.

[438] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ))، بتشديد حرف اللام في "سيخلّص"، أي يميز ويختار، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، وفي رواية ابن ماجة: ((يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ))، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ))، أي فيفتح عليه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ))، أي كتاباً كبيراً، والسجل كتاب العهد ونحوه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ))، أي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتدّ إليه بصر الإنسان، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((ثُمَّ يَقُولُ))، أي يقول الله سبحانه وتعالى بهذا الرجل، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟))، أي هل تنكر أي شيءٍ مكتوب في هذه سجلٍ؟، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟))، المراد ب–"كتبتي" بفتحات جمع كاتب والمراد الكرام الكاتبون من الملائكة الحفظة الكتبة الّذين يكتبون لأعمال لكل الإنس والجن في الدنيا، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: أي ما يتكلم من كلام فيلفظه ويرميه من فيه إلا لديه، أي ذلك اللافظ، رقيب، أي ملك يرقب قوله ويكتبه، والرقيب الحافظ المتتبع لأمور الإنسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر، فكاتب الخير هو ملك اليمين، وكاتب الشر ملك الشمال"، وليست هذه الكتابة خاصة بالقول فقط، وإنما شاملة للفعل أيضاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ))، أي شاهد على نفسه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ:))، أي يقول الله سبحانه وتعالى، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَفَلَكَ عُذْرٌ؟))، أي فيما فعلته من كونه شهْواً أو خطأً أو جهْلاً ونحوها، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ))، أي ليس له عذرٌ، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ))، أي يقول الله سبحانه وتعالى، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((بَلَى))، أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً))، أي واحدة عظيمة مقبولة، وفي رواية ابن ماجة: ((ثُمَّ يَقُولُ أَلَكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٍ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: "لا"، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدِنَا حَسَنَاتٌ))، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ))، أي إنّ اليوم يوم يُحاسبُ فيه العبد دون ظلمٍ يقع عليه، أو أن يُبْخَسَ في حقّه، معنى قوله عليه الصلاة

والسلام: ((فَتَخْرُجُ))، وفي رواية ابن ماجة: ((فَيُخْرَجُ لَهُ))، بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ الْمُذَكَّرِ، وَفِي رِوَايَةِ اِبْنِ مَاجَهْ: ((فَتَخْرُجُ لَهُ))، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((بِطَاقَةٌ))، أي صحيفةٌ صغيرةٌ، قال في النهاية: البطاقة رُقْعةٌ صغيرةٌ يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده، وإن كان متاعاً فثمنه، قيل سُمِّيَتْ بذلك لأنها تشدّ بطاقة من الثوب، فتكون الباءُ حينئذ زائدةٌ، وهي كلمة كثيرة الاستعمال بِمِصْرَ، وقال في القاموس: "البطاقة ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشد بطاقة من هُدْب الثوب"، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فِيهَا))، أي مكتوب في البطاقة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))، أي كلمة التوحيد التي آمن بها وأوّل نُطقِهِ لها، قَالَ الإمام الْقَارِي: "يُحْتَمَلُ أنّ الكلمة هي أوّل ما نَطَقَ بها، وَيُحْتَمَلُ أن تكون غير تلك المرّة ممّا وَقَعَتْ مقبولةً عند الحضرة وهو الأظهر في مادّة الخصوص من عموم الأمّة: أُحْضُرْ وَزْنَك، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ))، أي الوزن الذي لك أو وزن عملك أو وقت وزنك أو آلة وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ))، أي الواحدة، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟))، أي الكثيرة وما قدرها يجنبها ومقابلتها، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ))، أي لا يقع عليك الظلم، لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن، أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذا البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات، فرد بقوله: إنك لا تظلم بحقيرة، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه إذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت، فهذه الإشارةُ إلى أنّ الأعمالَ كلّها سيُعرَضُ على الميزان حتّى صَغَيرَةً وقليلةً، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَتُوضَعُ))، أي في الميزان، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ))، أي فردة من زوجي الميزان، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ))، أي وتوضع البطاقة في كفة أخرى، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ))، أي خَفَّتْ السجلات، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ))، أي رجحت البطاقة، والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَلاَ يَثْقُلُ))، أي لا يرجح ولا يغلب، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ))، والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي، بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي، فإن قيل: الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام، أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد: ((حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))، ودلّ الحديث على أنّ السِّجِلّ الذي كتبت فيه الأعمال يُوزَن، كما ورد أنّ العامل نفسَه يُوزَن، ويكون ثقله بقدر إيمانه وعمله، وما ورد في هذا الحديث ليس فيه صيغة عموم، وإنما هي حادثة عين، لشخص واحد يُكرمه الله برحمته، فلا ينبغي أن يتكل الإنسان على إسلامه ويتمادى في فعل المعاصي، وإن وردت نصوص أخرى بالتكفير بالتوحيد على سبيل العموم، لكن قد وردت نصوص أخرى أيضًا بأن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار حتى يُطهَّروا من معاصيهم ثم يخرجون منها إلى الجنة.

[439] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو في أبواب الإيمان، في باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، حديث رقم # 2639؛ وانظر الحاشية السابقة رقم # 423 للإشارة إلى سيرة الإمام الترمذي

وَأَثْبَتَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الصِّرَاطَ[440] بِقَوْلِهِ: ((وَيَضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ))، [قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:][441] ((فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ))،[442] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،[443] وَبِقَوْلِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:[444] "بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ".[445]

وسننه، وانظر أيضا الحاشية السابقة رقم # 306 للإشارة إلى سيرة عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه؛ وما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[440] فانظر الحاشية السابقة رقم # 306 للحصول على شرح وبيان صراط الجهنم وحكمها.

[441] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[442] ونص الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال أُناسٌ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟، فقال: ((هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟)) قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: ((هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟)) قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: ((فَإِنَّكُم تَرَونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَن كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتبَعُ مَن كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَن كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَمَ))، قال رسول الله ﷺ: ((فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِمْ سَلِمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَكَ إِنْ أَعْطَيتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟!، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ لَعَلِي: إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِن عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟!، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ: تَمَنْ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنْ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَى حَتَى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِي، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ))، قال أبو هريرة: "وذلك الرجل آخِرُ أهلِ الجنّةِ دُخُولًا"، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَيَضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ))، فجسرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جَهَنَمٍ أَدقُّ من الشعر وأحدُ من السيف كما سيأتي في الحديث التالي، أي إذا حشروا وقع ما في حديث الباب من تساقط الكفار في النار ويبقى من عداهم في كرب الموقف فيستشفعون، فيقع الإذن بنصب الصراط فيقع الامتحان بالسجود ليتميز المنافق من المؤمن ثم يجوزون على الصراط، وفي رواية شعيب بعد قوله ((أَنْتَ رَبُّنَا)): ((فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ جَسْرُ جَهَنَمٍ))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ))، أي أولَ من يجيز الصراط،

فمعنى: ((يُجِيزُ)) من أَجَزْتَ الواديَ، وجُزْتُهُ: أي قطعتُه، فلا يجوز أحد على الصراط حتى يجيزه رسول الله ﷺ، فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: فأكون أولَ من يُجيزه الله سبحانه وتعالى، وقال النووي: "المعنى أكون أنا وأمتي أول من يمضي على الصراط ويقطعه، يقول جاز الوادي وأجازه إذا قطعه وخلفه"، وقال القرطبي: "يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعدية لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز، فإذا جاز هو وأمته فكأنه أجاز بقية الناس"، وفي رواية شعيب: ((يَجُوزُ بِأُمَّتِهِ))، ووقع في حديث عبد الله بن سلام عند الحاكم: ((ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٌ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ؟ فَيَقُومُ فَتَتَبِعُهُ أُمَّتُهُ بِرُّهَا وَفَاجِرُهَا، فَيَأْخِذُونَ الْجَسْرَ فَيَطْمِسُ اللهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ فَيَتَهَافَتُونَ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، وَيَنْجُو النَّبِيُّ وَالصَّالِحُونَ))، وفي حديث ابن عباس يرفعه: ((نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسِبُ))، وفيه: ((فَتَفْرُجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، فَنمرَ غرًّا مُحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ يَكُونُواْ أَنْبِيَاءَ))، وفي حديث أبي سعيد الخدري: ((فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ ثُمَّ كَمُرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ)).

[443] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن أبي هريرة في كتاب الرقاق في باب الصراط جسر جهنم، حديث رقم # 6573؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 275 للإشارة إلى سيرة أبي هريرة رضي الله عنه، ويثبت بهذا الحديث وقوع الرؤية يوم القيامة، والعبور على الصراط، وأن الصراط حقٌّ وصدقٌ وأنّه مع دقته وحدَّته يسع جميع المخلوقين منذ آدم إلى قيام الساعة.

[444] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري في المسند الصحيح في كتاب الإيمان في باب معرفة طريق الرؤية وهو من قول أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري؛ وانظر الحاشية السابقة رقم # 271 للإشارة إلى سيرة الإمام مسلم وصحيحه، وانظر أيضا الحاشية السابقة رقم # 313 للإشارة إلى سيرة أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

[445] معنى قول أبي سعيد الخدري: "بَلَغَنِي"، أي بلغني عن النّبيّ ﷺ؛ معنى قول أبي سعيد الخدري: "أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ"، وفي هذا إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته، وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم، والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها؛ وذهب أصحاب المتكلمون وغيرهم من علماء السلف من قول أبي سعيد الخري إلي أن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما قال، ولكن قال العلامة القرافي رحمه الله تبعا لشيخه سلطان العلماء المجدد العز بن عبد السلام رحمه الله أنكر كون الصراط أدق من الشعرة واحد من السيف ورأي انه متسع لما ورد ما يدل علي ذلك فقال الإمام القرافي: "الصحيح انه عريض وفيه طريقان: يمني ويسري فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات اليسار، وفيه طاقات كل طاقه تنفذ إلي طبقه من طبقات جهنم"، قال المجدد القطب الشيخ زروق رحمه الله: "ما ذكره القرافي يحتاج إلي توقيف ولعله حفظه فيسلم له ولا يعدل عن الصحيح إليه، انه مختلف في الضيق والاتساع باختلاف الأعمال"، وقال الصاوي رحمه الله: "وهو الصواب"، فيختلف هل يمر الكفار على الصراط على قولين: قيل إن الكفار لا يمرون عليه بل يؤمر بهم إلى النار من أول الأمر، وقيل بعضهم يمر وبعضهم لا يمر، أما أقسام المارين على الصراط وأحوالهم فهم مختلفون: فمنهم من يجوزه كلمح البصر، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوزه كالريح العاصف، ومنهم كالطير، ومنهم كالجواد السابق، ومنهم من يسعى سعيا،

وَأَثْبَتَ الْكَوْثَرَ[446] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَن شَرِبَ[447] مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا))،[448] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.[449]

ومنهم من يمشي، ومنهم من يمر عليه حبوا، ومنهم من تخدشه كلاليبه ولكن يتعلق بها فيعتدل ويمر ويجاوزه بعد أعوام، وهذا على قدر تفاوتهم في الأعمال الصالحة والإعراض عن المعاصي فكلما كان أسرع إعراضا عنها إذا مرت علي خاطره كان أسرع مرورا، منهم غير السالم بل يسقط في نار جهنم وهم متفاوتون ايضا بقدر الجرائم؛ قال الإمام ابن الفاكهاني: "الصراط موجود والأخبار عنه صحيحة".

[446] أي حوض النبي مسمى الكوثر، وهو مكانٌ أعدّ اللهُ فيه شرابًا لأهل الجنة يشربون منه قبل دخول الجنة وبعد مجاوزة الصراط، وقد أعدّ الله لكل نبيٍّ حوضًا، فلنبيّنا ﷺ حوضٌ مسمى الكوثر، وهو أكبر أحواض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ترده أمّته فقط، فلا ترده أمم غيره، وهو موجود الان في عالم الغيب؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 308 ورقم # 309 للحصول على شرح وبيان ماهية الكوثر وحكمه.

[447] هنا انتهى الورقة 67 في المخطوطة: ب.

[448] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ))، أي طول عرض حوضه ﷺ، وفي رواية الحسن البصري رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند أحمد بن حنبل: ((كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ إِلَى أَيلَةَ أَوْ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَكَّةَ))، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة وابن ماجه: ((مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ))، وفي حديث عتبة بن عبد رضي الله عنه عند الطبراني: ((كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءَ إِلَى بَصْرَى))، والبيضاء بالقرب من الربذة البلد المعروف بين مكة والمدينة، وهذه المسافات متقاربةٌ، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلا أو تنقص؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ))، أي لون ماؤه أشد بياضا من اللبن، كما وقع في رواية أبي ذر رضي الله عنه عند مسلم بلفظ: ((أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ))، وكذا لابن مسعود رضي الله عنه عند أحمد، وكذا لأبي أمامة رضي الله عنه عند ابن أبي عاصم؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ))، أي رائحة ماء حوض النبي ﷺ أطيب من رائحة المسك كما في حديث ابن عمر عند الترمذي: ((أَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ))، ومثله في حديث أبي أمامة عند ابن حبان: ((رَائِحَةً))، وزاد ابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا في حديث بريدة رضي الله عنه: ((وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبَدِ))، وزاد مسلم من حديث أبي ذر وثوبان رضي الله عنهما: ((وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ))، ومثله لأحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وله عن أبي أمامة: ((وَأَحْلَى مُذَاقاً مِنَ الْعَسَلِ))، وزاد أحمد في حديث ابن عمرو من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما: ((وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلَجِ))، وكذا في حديث أبي برزة، وعند البزار من رواية عدي بن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنهما، ولأبي يعلى من وجه آخر عن أنس وعند الترمذي في حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنه: ((وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَرْدًا مِنَ الثَّلَجِ))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَكِيزَانُهُ))، أي أباريقه؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((كَنُجُومِ السَّمَاءِ))، أي أكثر عددًا من نجوم السماء، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي بعده: ((وَفِيْهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَّةِ نُجُومِ السَّمَاءِ))، ولأحمد من رواية الحسن عن أنس: ((أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ))، وفي حديث المستورد في أواخر الباب: ((فِيْهِ الْآنِيَةُ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ))، ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر: ((فِيْهِ أَبَارِيقٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ))؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَن شَرِبَ مِنْهُ))،

وَأَثْبَتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ[450] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَا مِن شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ))،[451] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ صَلاَةِ الْكُسُوفِ مِن حَدِيثِ أَسْمَاءَ.[452]

أي مَن شرب مِنَ الكيزان، أو كما في رواية الكشميهني، من شرب من الحوض؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا))، أي لا يعطش أبداً، في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: ((مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرَبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً))، وفي رواية موسى ابن عقبة: ((مَنْ وَرَدَهُ فَشَرَبَ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً))، وهذا يفسر المراد بقوله: ((مَنْ مَرَّ بِهِ شَرِبَ))، أي من مر به، فمكن من شربه فشرب لا يظمأ أو من مكن من المرور به شرب، وفي حديث أبي أمامة: ((وَلَمْ يَسَوِّدْ وَجْهَهُ أَبَداً))، وزاد ابن أبي عاصم في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: ((مَنْ صَرَفَ عَنْهُ لَمْ يَرْوِ أَبَداً))، ووقع في حديث النواس بن سمعان عند ابن أبي الدنيا: ((أَوَّلُ مَنْ يَرِدُّ عَلَيْهِ مَنْ يَسْقِيَ كُلَّ عَطْشَانٍ)) وفي رواية مسلم عن أنس بن مالك قال ﷺ: بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسِمًا، فقلنا: "مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قال: ((أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ثُمَّ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟)) فقلنا: "الله ورسوله أعلم"، قال: ((فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: "مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ"))؛ فهذا الحديث يثبت لأن الحوض حقٌّ وموجودٌ.

[449] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في كتاب الرقاق في باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، حديث رقم # 6579؛ وانظر الحاشية السابقة رقم # 338 للإشارة إلى سيرة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

[450] كما ذكرتُ سابقاً أن الجنة هي دار الثواب والنعيم المقيم التي أعدّها الله للمؤمنين، وفيها الحور العين والولدان المخلدون ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب، والعسل المصفى، واللبن لم يتغيّر طعمه، والخمر التي فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، وأهلها إخوانٌ على سررٍ متقابلين، نزع الله ما في قلوبهم من غل، فصاروا أحبة متمتعين، تحيّتهم في الجنة: سلامٌ، ونعيمها دائمٌ في دار السلام، ولها ثمانية أبواب، وأعلاها جنة الفردوس، لا يلقي أهلها موتًا ولا يقربهم فناءٌ، وهي موجودةٌ الآن في مكانٍ يعلمه الله تعالى؛ وأما النار كما قدمتُ هي دار العذاب والعقاب أعدها اللهُ للكافرين والعصاة من الموحدين، لها سبعةُ أبوابٍ لكلّ بابٍ جزءٌ مقسومٌ، والعذابُ فيها مختلف الأنواع والأقسام، وهي موجودةٌ الآن باقيةٌ لا تفنى، ويمكثون الكفار والمنافقون في النار مخلدون، فلا يخلد فيها مَن مات على التوحيد ولو ارتكب الكبائر ؛ فانظر الحاشية السابقة رقم # 310 ورقم # 312 للحصول على شرح وبيان ماهية الجنة والنار وحكمهما.

[451] ونص الحديث عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها، قالت: "أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ خَسَفَتْ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ، وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: "مَا لِلنَّاسِ؟" فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ: أَي نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَى تَجَلاَنِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي مَاءً، فَلَمَا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((مَا مِن شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ))، الحديث؛ فمعنى قوله

وَأَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ[453] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي، وَمَن لَمْ يَكُنْ مِن أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَمَا لَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ))،[454] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[455] عَن جَابِرٍ.[456]

عليه الصلاة والسلام: ((مَا مِن شَيْءٍ))، أي من الأشياء الغيب وأمر الساعة وأشراطها من علامات الساعة الصغرى والكبرى، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ))، أي رؤية عين حقيقة، فأنه لم يره هذه الأمور قبل هذا الوقت، فهذه الرؤية وحي من الله، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((فِي مَقَامِي هَذَا))، أي في مقامه في صلاة الكسوف، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ))، وفي رواية مالك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بعد انصرف رسول الله من الصلاة بعد تجلت الشمس: "قَالُواْ يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ"، فقال: ((إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عَنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مُنْظِرًا قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ))، وفيه دليلٌ على وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان اليوم، قال المصنف الشيخ رحمه الله في هداية الطالبين: "وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريق عبيد عن مجاهد عن ابن عامرٍ مرفوعاً: أَنَّ جَهَنَمَ مُحِطَةٌ بِالدُّنْيَا وَإِنَّ الْجَنَّةَ مِنْ وَرَائِهَا، فَلِذَلِكَ كَانَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَمٍ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَنَقِفُ عَنِ النَّارِ، أي نَقُولُ فِيْهَا بِالْوَقْفِ عَنْ مَحَلِهَا حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ؛ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّيُوطِيُّ: فَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي حَدِيثٌ أَعْتَمِدَهُ فِي ذَلِكَ.

[452] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في كتاب الوضوء في باب من لم يتوضأ إلا الغشي المثقل، حديث رقم # 184، ورواه أيضا في كتاب صلاة الكسوف في باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، حديث رقم # 1053.

[453] فالشفاعة هي التوسط في جلب الخير أو دفع الضر، فتكون الشفاعة على قسمين: [1] قسم جلب المنفعة، [2] و قسم دفع البلاء، وشفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من يشفع يوم القيامة هي لدى الله تعالى في أن يجلب الخير للمشفوع ويدفع عنه البلاء والشر، وهذه الشفاعة التي تكون يوم القيامة أنواع ودرجات: منها ما هو للمؤمنين جميعاً، وإن كانوا يتفاوتون في نصيبهم منها، ومنها ما يكون للأنبياء، ومنها ما يكون للنبي ﷺ دون غيره، فشفاعة النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين أيضا: [1] شفاعة خاصة به لا يشركه فيها غيره، [2] وشفاعة له ولغيره، أي تكون منه ومن غيره كالأولياء والعلماء وغيرهما من عباد الله الصالحين؛ فانظر الحاشية السابقة رقم # 314 للحصول على شرح وبيان ماهية الشفاعة وحكمها.

[454] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((شَفَاعَتِي))، أي الشفاعة التي وعدني الله بها إذخرتها كما قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِن أُمَّتِي))، أي لوضع السيئات والعفو عن الكبائر، وأما الشفاعة لرفع الدرجات فلكل من الأتقياء والأولياء، وذلك متفقٌ عليه بين أهل الملة، وقال الإمام الطيبي رحمه الله: "أي شفاعتي التي تُنجي الهالكين مختصةٌ بأهل الكبائر"، قال الإمام النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض: "مذهب أهل السنة جوازُ الشفاعةِ عقلاً ووجوبُها سمعاً بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلاً﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَمَن لَمْ يَكُن مِن أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَمَالَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ))، يعني لا حاجة له إلى الشفاعة لوضع الكبائر والعفو عنها لعدمها، وأما ما دون الكبائر من الذنوب فيكفرها الطاعات، نعم له حاجة إلى الشفاعة لرفع الدرجات، فالشفاعة هي ما وعد الله بها للنبي إذخرتها فإنها عدّ لأهل الكبائر، أي لوضع السيئات والعفو عن الكبائر، يعني لا حاجّة له إلى الشفاعة لوضع الكبائر والعفو عنها لعدمها، وكما قدّمنا أن الشفاعة تنقسم في خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا

وَأَثْبَتَ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى[457] بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا))،[458] كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[459]

ﷺ، وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب، الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشاء الله تعالى، الرابعة: في من دخل النار من المذنبين، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث: لا يبقى فيها إلا الكافرون، الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، فأجمع السلف الصالح ومَن بعدهم مِن أهل السنة على اثبات الشفاعة، وينكرها الخوارج والمعتزلة، لكن الشفاعة حقٌّ وثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

[455] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام الترمذي من سنن الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق عن أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم # 2435؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 320 لسيرة أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه؛ وانظر الحاشية السابقة رقم # 423 للإشارة إلى سيرة الإمام الترمذي وسننه.

[456] أي قال الإمام الترمذي في آخر هذا الحديث: "وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ"، أي أخرجه الترمذي في هذا الباب، وأما جابر رضي الله عنه هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، ولد 16 سنوات قبل الهجرة في يثرب، أسلم جابر بن عبد الله صغيرًا مع أبيه حين بيعة العقبة الثانية، فكان جابر من أنصار النبي ﷺ الذين التفوا حوله، وكان من المكثرين في رواية الحديث النبوي، وكانت له حلقة العلم في المسجد ليدرس الناس الحديث والفتوى، فصار مفتي المدينة في زمانه، ومات جابر بن عبد الله رضي الله عنه سنة 78 الهجرية (الموافق بسنة 700 الميلادي).

[457] قد ذكرتُ أن أجمع السلف والخلف على اثبات رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، قال الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه مفسراً لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: "لمّا حجب أعْداءَهُ فلم يروه، تجلّى لأوليائه حتى رأوه"، وقد ذكرتُ أن الإمام الشافعيّ رضي الله تعالى عنه قال في هذه الآية: "لما أنّ حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليلٌ على أوليائه يرونه في الرضى"؛ قال الإمام سعيد بن محمد العقباني في شرح العقيدة البرهانية: "الباري موجودٌ وكلُّ موجودٍ تُمْكِنُ رُؤيتَهُ، فالباري تُمْكِنُ رُؤيته"، قال الإمام النووي: "اعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلًا، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، أي: نقلًا، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين"، قال والد شيخي الشيخ السيد إبراهيم بن إسماعيل اليعقوبي الحسني في الفرائد الحسان: "ورؤيةُ الله تعالى في عرصات القيامة وفي الجنّة حقٌّ بلا كيفَ ولا جهةَ ولا مقابلةَ ولا إحاطةَ حقٌّ، يجب الإيمانُ بها"؛ فانظر الحاشية السابقة رقم # 318 للحصول على شرح وبيان ماهية الرؤية وحكمها.

[458] فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ))، يستخدم النبي ﷺ حرف السين داخلًا على الفعل للإشارة إلى المستقبل بمعنى: "سترون ربّكم في الآخرة"، معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِيَانًا))، أي سترونه عز جل بعيونكم، فمعنى رأه عيانًا رأه مشاهدةً، ووقف عليه شاهد عيان، أي شاهد يشهد بشيء رأه، وظهر للعين، واتضح أي بدا للنظر؛ في رواية عبد الله بن نمير عن إسماعيل عند مسلم: ((إِنَّكُمْ سَتَعْرِضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَونَهُ))، وفي رواية أبي شهاب: ((إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا))، فقال قوم: يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات، وهو على وفق قوله في حديث: ((كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ))، إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية، وذلك أمر زائد على العلم وقال بعضهم: إن المراد بالرؤية العلم

وَأَحَادِيثُ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ مُتَوَاتِرَةٌ،[460] وَإِنَّمَا اَقْتَصَرْنَا عَلَى إِيرَادِ بَعْضِهَا اِخْتِصَارًا.[461]

وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات، وقال بعضهم رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم، إلا أنه أتم وأوضح من العلم وهذا أقرب إلى الصواب من الأول وتعقب الأول بأنه حينئذ لا اختصاص لبعض دون بعض لأن العلم لا يتفاوت، وقال ابن بطال ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة، أخرجه عبد بن حميد والترمذي والطبري وصححه الحاكم من طريق يؤثر بن أبي فاختة عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَ سِنَّةٍ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لِمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَبِّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَتَيْنِ))، ولذلك مستحب أن يجلس ذكراً لله بعد صلاة السبح بعد صلاة العصر، وفي رواية عن جابر: كنا جلوسا ليلة مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اِسْتِطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُواْ عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُواْ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾"، وفي رواية مسلم: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ: أَتُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدَكُمْ؟، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشَفُ الْحَجَابُ فَمَا أَعْطُواْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ))، وفي روايةٍ: ((ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾))، أي الْحسنى الجنّةُ والزيادةُ النظرُ إليه تعالى، ويحصل بأنّ يَكْشِفَ اِنْكِشَافاً تَامًا مُنَزَّهًا عن المقابلةِ والجهةِ أي إليه تعالى، فأما الكفارُ فلا يرونه لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾"، كما قال المصنف الشيخ رحمه الله في هداية الطالبين.

[459] ورد المصنف الشيخ رحمه الله هذا الحديث بسنده من عمه الشيخ الحاج محمد الراج بن مؤدب بن حام بن عال، والشيخ جبريل بن عمر وولده أبي التوفيق عمر إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجميع الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم # 7435؛ وانظر الحاشية السابقة رقم # 360 للإشارة إلى سيرة جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما.

[460] فمعنى التواتر لغةً: التتابع، وهو مجيء الواحد بعد الآخر، تقول تواتر المطر أي تتابع نزوله، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاً﴾، ومعناه اصطلاحاً: هو ما رواه عدد كثير يستحيل في العادة اتفاقهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، وكان مستندهم الحس، فشروط الحديث المتواتر ثلاثةٌ: [1] أن يرويه عدد كثير بحيث يستحيل عادة أن يتفقوا على الكذب في هذا الحديث، وقد اختلفت الأقوال في تقدير العدد الذي يحصل به التواتر، ولكن الصحيح عدم تحديد عدد معين، [2] أن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند، [3] أن يعتمدوا في خبرهم على الحس، وهو ما يدرك بالحواس الخمس من مشاهدة أو سماع أو لمس، كقولهم سمعنا أو رأينا ونحو ذلك، والحديث المتواتر يفيد العلم الضروري، الذي يُضطر الإنسان إلى تصديقه تصديقًا جازمًا لا تردد فيه، ولذلك يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، وقد قسم العلماء الحديث المتواتر إلى قسمين:[1] قسم متواتر لفظي، وهو ما تواتر فيه الحديث بلفظه كحديث: ((مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِداً فَلْيَتَبَوَأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))، [2] قسم متواتر معنوي، وهو ما تواتر فيه معنى الحديث وإن اختلفت ألفاظه، وذلك بأن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة في قضايا متعددة، ولكنها تشترك في أمر معين، فيتواتر ذلك القدر المشترك، كأحاديث رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، فقد روي عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة فيه، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيها هو رؤية الله، فهو تواتر باعتبار المعنى، ومن أمثلة المتواتر عموماً أحاديث الحوض، والشفاعة، والجنة، والنار، وعذاب القبر، وغيرها من أصول الدين، فجميع الأحاديث فيها متواترة.

فَهَذَا أُصُولُ الدِّينِ: إِلَاهِيَّتِهَا[462] وَنَبَوِيَّتِهَا وَسَمْعِيَّتِهَا، قَدْ ثَبَتَهَا النَّبِيَّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ كَمَا ثَبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ،[463] قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي الدُّرَرِ الْمَنْثُورَةِ فِي بَيَانِ زُبُدِ الْعُلُومِ الْمَشْهُورَةِ: [464] "وَهَذِهِ الْأُصُولُ كُلُّهَا مَعْرُوفَةٌ مُقَرَّرَةٌ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ مُخَالَطٍ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ"، اِنْتَهَى.[465]

---

[461] أي اقتصره المصنف الشيخ رحمه الله لورد بعض الروايات المتواترة فقط من أجل الحفاظ على النص مختصراً بسبب اقتصار همم الناس، كما قال في سوق الأمّة إلى اتباع السنة: "وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ لِتَقَاصُرِ هِمَمِ أَهْلِ الزَّمَانِ"، بأن همم الناس في زمانه وفي زماننا هذا قاصرةٌ، فلذلك من رحمةٍ من الله تعالى أن العلماء يقتصر في كتبهم لتقاصر همم الناس، فقد روى البخاري عن الزبير بن عدي قال: "أتينا أنس بن مالك فشكوا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: "اَصْبِرُواْ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلَقِيَ رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ"، فمن بركة هذا كتاب شمس الإخوان أن الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه اقتصره لتقاصر همم الناس في زمانه وزماننا هذا.

[462] هنا انتهى الورقة 68 في المخطوطة: ب.

[463] وانظر الحاشية السابقة رقم # 246.

[464] هذا الكتاب الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة، لا يزال غير منشور وغير مطبوع، وهو موسوعة في علوم القرآن، والفقه وأصوله، والدين، والنحو، والبلاغة، والتصوف وغير ذلك من العلوم الإسلامية؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 64 لسيرة القطب العارف بالله الشيخ أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني رحمه الله.

[465] هذا بأنهم يحصلون معنى هذه الأصول في قلوبهم بواسطة القرآن والحديث أو كلام السلف أو كُتُب العلماء أو بمجرد مخالطة المسلمين.

اَلْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي بَيَانِ قَوَاعِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ اَلَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لِمَنْ يُرِيدُ الدُّخُولِ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِ عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَفُوزِ بِمَنْفَعَتِهِ[466] وَيَنْجُوَ مِنْ مَضَرَّتِهِ[467]

فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ: فَاعْلَمُواْ يَا إِخْوَانِي أَنَّ قَوَاعِدَ عِلْمِ الْكَلَامِ تَنْحَصِرُ أُمَّهَاتَهَا فِي مَعْرِفَةِ عَشَرَةِ أُمُورٍ: **اَلْأَوَّلُ** مَعْرِفَةُ حَدِّهِ،[468] **الثَّانِي** مَعْرِفَةُ حُكْمِهِ فِي زَمَانِ السَّلَفِ،[469] **الثَّالِثُ** مَعْرِفَةُ حُكْمِهِ فِي زَمَانِ الْخَلَفِ،[470] **الرَّابِعُ**[471] مَعْرَفَةُ حُكْمِهِ فِي حَقِّ اِلْعَوَامِ،[472] **اَلْخَامِسُ** مَعْرِفَةُ سَبَّبِ سُوءِ

---

[466] هنا انتهى الورقة 24 في المخطوطة: ا.

[467] قال الإمام الجرجاني في كتاب التعريفات: "علم الكلام علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قائدة الإسلام"، قال المجدد عبد الرحمن السيوطي في معجم مقاليد العلوم: "علم الكلام يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات في المبدأ والمعاد على قانون الإسلام"، قال القاضي أسحاق بن محمد العبدي الاحتراس عن نار النبراس: "علم الكلام هو بيان كيفية الاستدلال على تحصيل عقائد صحيحة، جازمة، بترتيب صحة الشرائع عليها، أو الاستدلال على عقائد وشرائع مخصوصة".

[468] قال شيخ شيوخنا الإمام محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس: "والحدّ منتهى الشيء، ومنه أحد حدود الأرضين وحدود الحرم، وفي الحديث في صفة القرآن: ((لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَلِكُلِّ حدٍّ مَطْلَعٌ))، قيل: أراد لكلّ منتهى له نهاية"، فالحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره، فمعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله: معرفة منتهى علم الكلام، معرفة تمييز علم الكلام عن العلوم الآخر.

[469] أي حكم علم الكلام في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وزمن التابعين وزمن تابع التابعين رضي الله تعالى عنهم، وهم السلف الصالح الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ اَلَّذِينَ يَلُونَهُمْ))، فحكم هذه القرون الثلاثة الأُولى في علم الكلام أَوْلَى بالفضل والعلم والتأسي والاقتداء بهَدْي النبي ﷺ.

[470] أي حكم علم الكلام في زمن علماء أهل السنة والجماعة العاملين بمقتضى النصوص، فهم من جاءوا بعد القرون الثلاثة الذين عاشوا بين عامي البعثة النبوية، وتمام عام ثلاثمائة للهجرة، وتشمل هذه المدة نحو خمسة أجيال من المسلمين، فكلمة "الخَلَف" بمعنى الآتي فيما بعدُ، وأما في اصطلاح المصنف الشيخ رحمه الله يطلق "الخلف" حكم علم الكلام للعلماء الذين جاءوا بعد السلف ويتابعوهم في منهجهم في تفريع الأصول.

[471] هنا انتهى الورقة 69 في المخطوطة: ب.

[472] أي حكم علم الكلام في حقّ العوام فهم مكلفون بمعرفة العقائد عن الأدلة إذا وجد فيهم أهلية لفهمها، وإلا كفّاهم التقليد، فالعوام مؤمنون عارفون بربهم وهم حشوا الجنة كما جاءت به الأخبار وانعقد عليه الإجماع، كما قال الإمام أبو المنصور الماتريدي ملخصاً.

الظَّنِّ اَلَّذِي اِبْتَلَى بِهِ غَالِبَ الطُّلَبَةِ إِذْ أَدْخَلُواْ فِي قِرَاءَتِهِ،[473] **السَّادِسُ** مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمُعْتَمَدَ صِحَّةُ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ، [474] **السَّابِعُ** مَعْرِفَةُ سَبَبِ تَصْنِيفِهِ[475] **الثَّامِنُ** مَعْرِفَةُ أَنَّ حُجَّجَهُ لَا تُثْبِتُ إِلَّا بِالْقَوَاطِعِ،[476] **التَّاسِعُ** مَعْرِفَةُ يَحْمِلُ أَهْلُ الزَّمَانِ فِي اِسْتِغْرَاقِ الْعُمَرِ فِي قِرَاءَتِهِ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ،[477] **الْعَاشِرُ** مَعْرِفَةُ شَأْنِ أَهْلِ اللهِ تَعَالَى فِي التَّصَدِّي لِلرَّدِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَظُّهُمْ مِنَ البَحَثِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.[478]

---

[473] أي بأنّهم يجعلون إثبات العقائد الدينية بالبراهين العقلية موضوعًا عن إنشاء عقد الإيمان بها لا على التبصر في موافقة العقل والنقل وإثبات قوّة الإيمان بها، وخرجوا عن ظاهر حكم الشرع فأخذوا في تكفير عوام المسلمين، فأساء الظن بعقائد عوام المسلمين وتكفيرهم لاستبعادهم الحصول فيما وجدوه في كتب علم الكلام.

[474] قال الإمام العلامة ابن منظور في لسان العرب: "المعتمد ما اعتمدتْ عليه فجعلتْه اسماً للمصْدر، وقولك: "أَجَبْتُه إجابةً"، وهو المعتمد عليه ولا يعرف المعتمد إلا بالسَّماع"، فالمعتمد العمد ضد الخطأ، وعمد الشيء يعمده عمدًا أقامه، فالمعتمد كلُّ ما يُركَنُ إليه ويُتَّكأُ ويُتَوَكَّلُ عليه، ومن مجازه اعتَمَدْتُ على فلان، وعلى رَأْيِهِ، إذا سَكَنتُ إليه ووَثِقتُ به، وهو مُعْتَمَدٌ عليه، أما معناها اصطلاحًا فقهيًّا قال الشيخ محمد بن علي الشافعي: "المعتمد عند المالكية هو القوي سواء كانت قوّته لرجحانه أو لشهرته، فالذي يعتمد عليه من الأقوال ويفتى به هو الراجح أو المشهور، فإن كان الحكم الفقهي قوي الدليل أو كثر قائلوه، قال عنه المالكية: إنه المعتمد من الأقوال"، فالمُقلد قد يعتقد الشيء على ما هو به، ولا يكون عالم، ولذلك يجد حاله كحال الظانّ والشاك، فمعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله: "مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمُعْتَمَدَ صِحَّةُ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ"، أي معرفة أن من يعتمد على البراهين الراجح والأقوال المشهور صحة عقيدة المقلد.

[475] أي سبب تصنيف علم الكلام، فسبب تصنيف علم الكلام هو الرد على المبتدعة في علم التوحيد، الذين أكثروا من الجدال مع علماء المسلمين، وأوردوا شُبها على ما قرّره الأوائل، فاحتاج العلماء من أهل السنة والجماعة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر عقائدهم، وحتى لا يُدْخِلُوا في العقيدة الإسلامية ما ليس منه، ولو ترك العلماء هؤلاء الزنادقة وما يصنعون لاستولوا على كثير من عقول الضعفاء وعوام المسلمين، والقاصرين من الفقهاء والعلماء، فأضلوهم وغَيَّروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة.

[476] أي معرفة أن حجّج علم الكلام لا تثبت إلا بالقواطع التي هي أربعةٌ: [1] البرهان العقلي، [2] نصّ الكتاب، [3] نصّ الحديث المتواتر، [4] والإجماع، ولأجل أنّ النص معدومٌ في ذلك عبّر الشيخ السنوسي في نور السعادة شرح صغراه كلامه في ذلك بقوله: "والحقُّ الذي يدلّ عليه الكتاب والسنّة وجوب النظر الصحيح مع التردّد في كونه شرطاً في صحّة الإيمان، ولم يقل: والحقّ الذي نصّ عليه الكتاب والسنّة، ولذلك قال المقري في إضاءة الدجنّة:

وهو على وجوبه قد دلّا * ولم يقلْ قد نصَّا".

[477] أي معرفة أسباب التي يحمل أهل الزمان في استغراق العمر في قراءة علم الكلام من غير موجب بقطع عمالهم في الاشتغال بردّ خصوم متوهمة أو خصوم موجودة.

[478] أي معرفة أهمية أهل الله العارفين بالله من أوليائه في المواجهة والمعارضة للرد على أهل الفرق الإسلامية الذين يبتدعون في عقائد المسلمين ونصيبهم وتوفيقهم علم الكلام.

أَمَّا حَدُّ عِلْمِ الْكَلَامِ[479] فَقَدْ قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيُّ فِي إِتْحَافِ الْمُرِيدِ بِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ:[480] "عِلْمٌ يُقْتَدِرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْغَيْرِ وَإِلْزَامُهَا إِيَّاهُ بِإِيْرَادِ الْحُجَّجِ وَدَفْعِ الشُّبَهِ".[481]

وَأَمَّا حُكْمُهُ فِي زَمَانِ[482] **السَّلَفِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَالتَّحْرِيمُ، بِلَا شَكَّ لِعَدَمِ ظُهُورِ الْبِدَعِ الصَّرْفَةِ عَنْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي زَمَانِهِمْ غَالِبًا.[483]

---

[479] أي هذه القاعدة الأولى لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

[480] انظر الحاشية السابقة رقم # 11 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[481] لقد أدرج الإمام اللقاني هذا العلم من علوم الكفاية، فقال في مكان آخر من كاتبه اتحاف المريد: "هو (أي علم الكلام) ما يُقْتَدَرُ معه على تحقيق مسائله وإقامة الأدلة التفصيلية عليها وإزالة الشبه عنها بقوة"، قال الشيخ ابن الأمير في معنى قوله: "(عِلْمٌ يُقْتَدِرُ) إشارةٌ إلى أنه ليس بلازم الغير بالفعل، بل هو من أشرف المناصب مطلقاً، ولا يغترّ بما نقله الشعراني في اليواقيت والجواهر أوائله عن ابن العربي من أن علم الكلام مجاهدةٌ مع غير عدو، فإنه لو ترك التمرّن فيه قبل الحاجة لتعسّر عند الحاجة إليه أو تعذر، وهكذا الشأن في الأمور الظاهرية فضلاً عن الأمور الباطنية، وإنما هذه جذبةٌ حاليةٌ، قوله: (مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ) إشارةٌ لتحقيق الحق وأن الربط بين الأشياء اصطحاب والتأثير لله، قيل يشمل غيره إذا صاحب ذلك، وجوابه: أن المراد معيّة خاصة لها مدخلية، فاعترض بدخول علم المنطق كما في شرح المقاصد، بل والحو المرشد لتركيب الكلام والمعاني المبيّن لنكاته، وجوابه أن المراد مدخلية فيه من حيث خصوصه، وعلم المنطق لمطلق الأدلة لا خصوص العقائد، وكذا الحو لكل كلامٍ، والمعاني لجميع النكات، وربما يجاب بأن المراد المعيّة اللازمة وغيره من العلوم يفارق ذلك، نعم أورد في شرح المقاصد شمول جملة علوم منها هذا الفن، وجوابه أن قيد الوحدة مراعى في الجنس، أي علم واحد لا هيئة علوم مجتمعة، قوله: (عَلَى الْغَيْرِ وَإِلْزَامُهَا إِيَّاهُ بِإِيْرَادِ الْحُجَّجِ وَدَفْعِ الشُّبَهِ) إشارةٌ إلى أن الأنسب كما في اليواقيت والجواهر وشرح الموافق وغيرهما ملاحظةٌ أن المناظرات الكلامية لإلزام الغير، وأما إيمان الشخص فيفزع فيه لما في الكتاب والسنة بالوجدان، وينقاد لذلك باطنًا، فإنه أنورٌ وأشرحٌ"؛ انظر اتحاف المريد ص 23؛ انظر أيضا حاشية ابن الأمير للشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر النباوي الأزهري، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ\2001 م، ص 49.

[482] هنا انتهى الورقة 70 في المخطوطة: ب.

[483] قال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة: "واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام"، سئل الإمام أبو حنيفة: "ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟" فقال: "مقالات الفلاسفة؟! عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة!"، فروى عبد الرحمن بن مهدي قال: "دخلتُ على مالك وعنده رجلٌ يسأله عن علم الكلام وخلق القرآن، فقال الإمام مالك رحمه الله: "لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً! فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطلٌ يدل على باطلٍ"، وقال الإمام مالك أيضاً: "مَن طلب الدين بالكلام تزندق، ومَن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومَن طلب غريب الحديث كذب"، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يُفَرُّ من الأسد"، وقال أيضًا: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال،

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[484] "قَالَ أَبُوْ عَمْرٍو وَسُئِلَ اِبْنُ خُزَيْمَةَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَقَالَ: بِدْعَةٌ اِبْتَدَعُوهَا، وَلَمْ يَكُنْ أَئِمَةُ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْبَابُ الْمَذَاهِبِ وَأَئِمَةُ الدِّينِ مِثْلُ مَالِكٍ [وَسُفْيَانِ وَالأَوْزَاعِيِّ وَالشَّافَعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَيَحْيَي بْنِ يَحْيَي][485] وَابْنِ الْمُبَارِكِ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَأَبِي يُوسَفَ يَتَكَلَمُونَ فِي ذَلِكَ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْخَوْضِ فِيْهِ، وَيَدِلُّونَ أَصْحَابَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ".[486]

قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ:[487] "إِلَى التَّحْرِيمِ عِلْمِ الْكَلَامِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَاَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَسُفْيَانُ[488] وَجَمِيعِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ السَّلَفِ".[489]

ويطاف بهم في العشائر والقبائل"، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: "لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل"، وقال أيضًا: "علماء الكلام زنادقة"، وقال إمام المتصوفين الجنيد رحمه الله تعالى: "أقلّ ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب"، وقال النووي في شرح المهذب: وأما أصل واجب الإسلام، وما يتعلق بالعقائد، فيكفي فيه التصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ، واعتقاده اعتقادًا جازمًا سليمًا من كل شلٍ، ولا يتعين على من حصل له تعلم أدلة المتكلمين، هذا هو الصحيح الذي أطبق عليه السلف، والفقهاء المحققون من المتكلمين، من أصحابنا وغيرهم فإن النبي ﷺ لم يطالب أحدا بشيء سوى ما ذكرنا، وكذلك الخلفاء الراشدون، ومن سواهم من الصحابة، فمن بعدهم من الصدر الأول، بل الصواب للعوام، وجماهير المتفقهين، والفقهاء الكف عن الخوض في دقائق علم الكلام، مخافة من اختلال يتطرق إلى عقائدهم، يصعب عليهم إخراجه، بل الصواب لهم الاقتصار على ما ذكرناه من الاكتفاء بالتصديق الجازم"، قال الإمام التفتازني في شرح العقائد النسفية: "ما نُقِل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه، (أي علم الكلام)، فإنما هو للمتعصب في الدين، والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو من أصل الواجبات وأساس المشروعات"؛ انظر شرح العقائد النسفية للإمام سعد الدين التفتازاني، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص 12.

[484] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[485] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[486] وقال الإمام السيوطي بعد هذا الكلام: "فإياك والخوض فيها، والنظر في كتبهم بحال، وقال أبو بكر بن بسار عن الخوض في الكلام فنهاني عنه أشدّ النهي، وقال: عليك بالكتاب والسنة، وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، فإني رأيتُ المسلمين في أقطار الأرض ينهون ذلك وينكرونه، وقال الهروي صاحب الكتاب المذكور: سمعتُ عبد الرحمن بن محمد بن الحسين يقول: وجدتُ أبا حامد الإسفرائيني وأبا الطيب الصعلوكي وأبا بكر القفال المروزي وأبا منصور الحاكم على الإنكار على الكلام وأهله"، أنظر شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 439-440.

[487] انظر الحاشية السابقة رقم # 45 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[488] هنا انتهى الورقة 71 في المخطوطة: ب.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ فِي إِتْمَامِ الدِّرَايَةِ شَرْحِ النِّقَايَةِ[490] عِنْدَ ذِكْرِ أُصُولِ الدِّينِ: "وَلَسْتُ أَعْنِي بِهِ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَهُوَ مَا يَنْصَبُ فِيْهِ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ، وَتَنَقَّلُ فِيْهِ أَقْوَالَ الْفَلَاسِفَةِ، فَذَلِكَ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ"، اِنْتَهَى.[491]

وَأَمَّا بَيَانُ حُكْمِ عِلْمِ الْكَلَامِ فِي زَمَانِ الْخَلَفِ،[492] فَالْإِبَاحَةُ بِلَا شَكَّ، بَلْ هُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ لِكَثْرَةِ ظُهُورِ الْبِدَعِ الصَّرْفَةِ عَنْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي زَمَانِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيَّ قَالَ فِي إِتْمَامِ الدِّرَايَةِ شَرْحِ النِّقَايَةِ:[493] "إِنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ".[494]

---

489 قال الإمام الغزالي قبل هذا الكلام: "أنّ الناس في هذا غلواً وإسرافاً في أطرافٍ، فمِن قائلٍ: إنّه بدعةٌ وحرامٌ، وإنّ العبدَ إن لقي الله عزّ وجلّ بكلّ ذنبٍ سوى الشركِ، خيرٌ له أن يلقاهُ بالكلام، ومِن قائلٍ: إنّه واجبٌ وفرضٌ، إمّا على الكفياة أو على الأعيان، وإنّه أفضل الأعمال، وأعلى القربات، فإنّه تحقيقٌ لعلمِ التوحيد، ونضالٌ عن دين الله تعالى"؛ قال الشيخ عبد السلام اللقاني في اتحاف المريد في معنى جميعها: "(فاعلم أنّ الناس في هذا)، المبحث أي علم الكلام، (غلواً)، أي تجاوزاً عن الحدّ، (وإسرافاً في أطرافٍ)، أي ابعاداً في المجاوزة عنه، (فمِن قائلٍ: إنّه بدعةٌ)، قبيحة، (وحرامٌ)، لا يحل الاشتغال به، (وإنّ العبدَ إن لقي الله عزّ وجلّ بكلّ ذنبٍ سوى الشركِ)، وفي نسخة: "ما خلا الشرك" (خيرٌ له أن يلقاهُ بالكلام)، وهو قول الشافعي رحمه الله، (ومِن قائلٍ: إنّه واجبٌ وفرضٌ)، أي واجب تعلم علم الكلام، (إمّا على الكفياة)، وهو قول أكثر المتأخرين من المتكلمين، وهو قول المصنف الشيخ رحمه الله، (أو على الأعيان)، وهو أبعد الأقوال، فإن الله سبحانه وتعالى لم يفرض على كل انسانٍ أن يكون متكلماً جدلياً، والقائلون بوجوبه يقولون: (وإنّه أفضل الأعمال)، أي الأعمال الاعتقادية، (وأعلى القربات)، إلى الله تعالى، (فإنّه تحقيقٌ لعلمِ التوحيد)، الذي هو متضمن على معرفة وحدانية الله تعالى بما يليق بذاته وصفاته، (ونضالٌ)، أي دفاع، (عن دين الله تعالى)، بردّ شبه المخالفين، وابطال براهين الزائغين، والواجب العيني في التوحيد ما يخرج المكلف من التقليد إلى التحقيق، وأقله معرفة كل عقيدة بدليل ولو جملياً، والكفائي فيه ما يقتدر معه على تحقيق مسائله وإقامة الأدلة التفصيلية عليها وإزالة الشبه عنها، إذ يجب كفاية على أهل كل قطرٍ يشق الوصول منه إلى غيره أن يكون فيهم مّن هو متصف بذلك، ولا يخفي أن حصول ذلك متوقف على تعلم علم الكلام، (إلى التحريم علم الكلام ذهب الأئمة) الأربعة أبو حنيفة و(الشافعي ومالك وأحمد بن) محمد بن (حنبل وسفيان) الثوري وأبو يوسف، (وجميع أهل الحديث من السلف) الصالحين"؛ انظر اتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، الجزء الثاني، ص 47.

490 انظر الحاشية السابقة رقم # 215 للإشارة إلى هذا الكتاب.

491 انظر الحاشية السابقة رقم # 163 للإشارة إلى معنى هذا قول الإمام السيوطي.

492 أي هذه القاعدة الثانية لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

493 انظر الحاشية السابقة رقم # 215 للإشارة إلى هذا الكتاب.

494 قال المصنف الشيخ رحمه الله تعالى في فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر: "والكلام وجميع واصطلاحاتها التي أحدثها المتأخرون لم يكن من فروض الأعيان على الأمة بل هو من فروض الكفاية، ولذلك قال سيدي الحسن ابن مسعود اليوسي في شرح الوسطى في بيان حكم علم الكلام: هو فرضٌ كفايةٌ من قام به من العلماء في كلّ قطر أجزأ عن غيره من

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ:[495] "فَاعْلَمْ إِنَّ الْكَلَامَ وَحَاصَلَ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْكَلَامِ[496] مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا، فَالْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِ، وَمَا خَرَجَ عَنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا مُجَادِلَةٌ مَذْمُومَةٌ، [وَهِيَ مِنَ الْبِدَعِ كَمَا سَيَأْتِي بِيَانَهُ، وَإِمَّا][497] مُشَاغِبَةٌ [بِالْتَعَلَّقِ بِمَنَاقِضَاتِ الْفِرَقِ لَهَا، وَتَطْوِيلٌ بِنَقْلِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي أَكْثَرُهَا تَرَهَاتٌ وَهَذَيَانَاتٌ تَزْدَرِيهَا الطِّبَاعَ وَتَمَجُهَا الْأَسْمَاعُ، وَبَعْضُهَا خَوْضٌ فِيمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ]،[498] وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْهُ مَأْلُوفًا فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ، فَكَانَ الْخَوْضَ فِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبِدَعِ، وَلَكِنَ تَغَيَّرَ الْآنَ حُكْمَهُ إِذْ حَدَّثَتْ الْبِدْعَةُ الصَّرْفَةُ عَنْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَبَغَتْ جَمَاعَةٌ لَفَّقُواْ لَهَا شُبْهًا، وَرَتَّبُواْ فِيْهَا كَلَامًا مُؤَلِفًا، فَصَارَ ذَلِكَ الْمَحْذُورَ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ مَأْذُونًا[499] فِيْهِ، بَلْ صَارَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَّاتِ".[500]

ذلك القطر، اه، حكي في العمدة: أن علم الكلام مظنّةٌ لردّ الشبهات وحلّ الشكوك، ومن ثم قال غير واحدٍ هو فرضٌ كفايةٌ على أهل كلّ قطرٍ يشكّ الوصول منه إلى غيره" قال الإمام الغزالي في الإحياء: "فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلدٍ مَن قائم بهذا العلم (أي علم الكلام)، مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة، وذلك يدوم بالتعليم، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم (أي على عامة الناس) كتدريس الفقه والتفسير، فإن هذا (أي علم الكلام) مثل الدواء (الذي لا يحتاج إليه في كل وقتٍ، وينتفع به آحاد الناس، ويستضرّ به الآخرون)"؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الثاني، ص 62.

[495] انظر الحاشية السابقة رقم # 45 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[496] هنا انتهى الورقة 72 في المخطوطة: ب.

[497] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[498] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[499] هنا انتهى الورقة 25 في المخطوطة: ا.

[500] قال شيخ شيوخنا العارف بالله محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين في معنى كلام الغزالي: "(فَاعْلَمْ إِنَّ) علم (الْكَلَامَ) وهو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، (وَحَاصَلَ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ) علم (الْكَلَامِ مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا، فَالْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ) النبوية (مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِ، وَمَا خَرَجَ عَنْهُمَا) أي عن الكتاب والسنة (فَهُوَ) لا يخلو من حالتين (إِمَّا مُجَادِلَةٌ مَذْمُومَةٌ) نهى الشارع عنها (وَهِيَ مِنَ الْبِدَعِ كَمَا سَيَأْتِي بِيَانَهُ، وَإِمَّا مُشَاغِبَةٌ) أي مخاصمة مع رفع الصوت (بِالْتَعَلُّقِ بِمَنَاقِضَاتِ الْفِرَقِ لَهَا) أي السائل التي ناقض بها بعضهم بعضا (وَتَطْوِيلٌ) وقت (بِنَقْلِ الْمَقَالَاتِ) الكثيرة المختلفة (الَّتِي أَكْثَرُهَا تَرَهَاتٌ) أي بواطلٌ، قال الزمخشري: والترهات في الأصل للطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة، ثم اسعيرت في الاقاويل الخالية عن طائلٍ (وَهَذَيَانَاتٌ) لأمزية فيها (تَزْدَرِيهَا) أي تحقرها (الطِّبَاعَ) السليمة (وَتَمَجُهَا) تلقيها (الْأَسْمَاعُ) المستقيمة (وَبَعْضُهَا خَوْضٌ) واشتغال (فِيمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ) أصلاً، وفي سياق هذا الكلام ردّ على بعض جهال المناطقة الزاعمين أن الشريعة خطاب للجمهور، ولا احتجاج فيها، وإن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطاب والحجج للغواص، وهم أهل البرهان يعنون نفوسهم ومَن سلك طريقتهم، وربما تعلق بعضهم بظاهر قوله تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ

وَقَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى:[501] "قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ هُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى أَهْلِ كُلِّ قُطْرٍ لِيَكُنَ يَشَقُّ الْوُصُولَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ"، اِنْتَهَى.[502]

وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾، وهذا الذي فهموه ليس بشيء، ومعنى الآية قد وضح الحقّ واستبان وظهر، فلا خصومة بيننا وبينكم بعد ظهوره ولا مجادلة، فإن الجدال على شريعةٍ موضوعةٌ للتعاونِ على اظهار الحقّ، فإذا ظهر الحقّ ولم يبق به خفاءٌ فلا فائدة في الخصومة والجدال على بصيرةٍ، فمخاصمة المنكر ومجادلته عنادٌ لا غنى فيه، هذا معنى هذه الآية، وأما انكارهم الاحتجاج في القرآن فمن جهلهم بالشريعةِ والقرآن، فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد واثبات الصانع والمعاد وارسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلًا صحيحاً على ذلك تقريراً المصنف السابق، ومن ذلك قال الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات: لقد تأملتُ الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروى غليلاً، ورأيتُ أقرب الطريق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات إليه يصعد الكلم الطيب: ﴿اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اِسْتَوَى﴾، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ومَن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي؛ وقال بعضهم: أفنيتُ عمري في الكلام أطلبُ الدليلَ، وإذا أنا لا أزداد إلا بعداً عنه، فرجعتُ إلى القرآن أتدبره، وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقًّا معي وأنا لا اشعر به، فقلتُ: والله ما مثلى إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائب جمة * قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما * والماء فوق ظهورها محمول

وإذا هو كما قيل بل فوق ما قيل:

كفى وشفى ما في الفؤاد فلم يدع * لذي أرب في القول جداً ولا هزلاً

والمقصود أن القرآن مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع أنواع الأدلة والاقيسة الصحيحة، وأمر ﷺ فيه بإقامتها، وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودةٌ، ومناظراته ﷺ وأصحابه لخصومهم لا ينكرها إلا جاهل مفرط في الجهل كما سيأتي بيان ذلك في كتاب قواعد العقائد، ثم اعتذر المصنف فقال: (وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْهُ مَأْلُوفًا فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ) عند الصحابة والتابعين (فَكَانَ الْخَوْضَ فِيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْبِدَعِ) والمنكرات (وَلَكِنَ تَغَيَّرَ الْآنَ حُكْمَهُ) باختلاف الازمنة (إِذْ حَدَّثَتْ الْبِدْعُ) من المبتدعة (الْصَّرْفَةُ عَنْ مُقْتَضَى نص الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ) ومقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظ لكن يكون من ضرورة اللفظ (وَنَبَغَتْ) أي ظهرت (جَمَاعَةٌ لَفَّقُواْ) أي جمعوا (لَهَا) لتلك البدع (شُبْهًا) وإيرادات (وَرَتَّبُواْ فِيْهَا كَلَامًا مُؤَلِفًا) يقرؤه الناس (فَصَارَ ذَلِكَ الْمَحْذُورَ) أي الممنوع منه (بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ) والاحتياج (مَأْذُونًا) بالتكلم (فِيْهِ) تعليما (بَلْ صَارَ) القدر المحتاج إليه (مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ) وقال السبكي: ولا شكّ أن السكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت إليه الحاجة فلا يأمر به"، فصارت حكم علم الكلام في قرون بعد السلف جائزة لمن أهل له لدفع عن المبتدعة والشبهات؛ انظر إتحاف السادة المتقين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الأول، ص 174-175.

[501] أي العمدة أهل التوفيق والتسديد؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 19 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[502] قال الإمام السنوسي فيه قبل هذا الكلام: "أما حقيقةُ علمِ الكلامِ فهو العلمُ أحكامُ الألوهيةِ وإرسالُ الرسلِ وصدقُها في كلِّ أخبارِها، وما يتوقفُ شيءٌ من ذلك عليه خاصًّا به، وتقريرُ أدلتِها بقوّةٍ هي مظنةٌ لردِّ الشبهاتِ وحلُّ الشكوكِ، هكذا حدَّهُ الشيخ ابن عرفة قال: فيُخْرِجَ علمُ المنْطقِ، ومن ثم" الخ، ومعنى قوله: (قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ)، أي غير واحدٍ من علماءِ التوحيدِ والمتكلمينَ (هُوَ) أي علمُ الكلامِ (فَرْضُ كِفَايَةٌ) أي ويُسَمَى فرضٌ كفايةٌ لأن فعل البعضِ يكْفِي لحصولِ المقْصودِ، وهو كلُّ أمرٍ مهمٍ يقصدُ

وَقَالَ السَّنُوسِيُّ أَيْضًا فِي شَرْحِ[503] الْوُسْطَى:[504] "وَهُوَ فَرْضٌ كِفَايَةٌ مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي كُلِّ قَطْرٍ أَجْزَاءَ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَلِكَ الْقَطْرِ"، اِنْتَهَى.[505]

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِي فِي مَحْصُلِ الْمَقَاصِدِ:[506]

"فَصْلٌ: وَحُكْمُ الْخَوْضِ فِي ذَا الْعِلْمِ * وَفِي الْأَدِلَّةِ بِحُسْنِ الْفَهَمِ
وَالـــــرَّدُّ لِلشُّبْهِ بِـــاِعْتِنَـــاءِ * فَرْضُ كِفَايَةٍ بِـــلَا مِرَاءِ
يَحْمِلُهُ الرَّاسِخُ فِي الْأُصُـــولِ * وَفِي فُنُونِ الْعَقْلِ وَالْمَنْقُولِ".[507]

في الشرعِ تحصيلَهُ على جهةِ الإلزامِ، من غيرِ تعْيِينِ فاعلِهِ، وهو الْمفْروضُ شرعًا من غيرِ تَعْيِين فاعلِهِ، فيُثَابُ فاعلُهُ، وإذا تركه الجميع أَثِمُواْ، وإذا فعله البعضُ كَفَى، (عَلَى أَهْلِ) أي على العلماءِ أهلًا له (كُلِّ قَطْرٍ) أي كل إقليمٍ في دار الإسلام أو كل إقليمٍ فيه جماعة المسلمين (يَشُقُّ الْوُصُولَ مِنْهُ) أي يصْعَبُ ويسْتَعسَرُ الإدراكَ والبلوغَ والتوصلَ من علم الكلامِ (إِلَى غَيْرِهِ) أي إلى الْعَوامِ الذين غيرُ أهلٍ لتحقيقِ علمِ الكلامِ؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 18 للإشارة إلى هذا الكتاب، ص 68.

[503] هنا انتهى الورقة 73 في المخطوطة: ب.

[504] انظر الحاشية السابقة رقم # 24 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[505] أي نظر في علم الكلام فرض كفاية على العلماء ولكن لا يجوز لغيرهم، قد روى البزار في مسنده عن أبي هريرة فيما يتعلق الذي أعطاه النبي لأولئك العلماء المؤهلين لحمل هذا العلم بقوله ﷺ: ((يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ))، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"فَصْلٌ: وَقَدْ وَجَبَ بِالْإِجْمَاعِ * مَعْرِفَةَ اللَّهِ بِلَا إِنْزَاعِ
وَفِي وُجُوبِهَا عَلَى الْأَعْيَانِ * أَوْ الْكِفَايَةِ لَهُمْ قَوْلَانِ"،

وقال الإمام السنوسي في محل الآخر في شرح الوسطى: "وقد سئل مالك عن مناظرة أهل الأهواء: فقال: أمّا المستبحر فنعمْ، وأما غيره فلا، لأن ذلك وهنٌ في الدين"؛ انظر شرح الوسطى للسنوسي، ص 173.

[506] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[507] ومعنى قوله: (فَصْلٌ) أي بابٌ أو مسألةٌ إبانةُ الحكم عن الآخر، (وَحُكْمُ الْخَوْضِ) أي حكم الشرعي في الدخول والاشتغال بالشيء (فِي ذَا الْعِلْمِ) أي في علم الكلام (وَفِي الْأَدِلَّةِ) أي وحكم الشرعي في الخوض في الأدلة العقلية (بِحُسْنِ الْفَهَمِ)، بشرط تصور المعنى الصحيح من لفظ مصطلحات علم الكلام، (وَالرَّدُّ لِلشُّبْهِ) أي وحكم الشرعي في الخوض في الدفع عن أقوال المبتدعين في علم التوحيد (بِـاِعْتِنَـــاءِ) أي باعتماد على البراهين القاطع، (فَرْضُ كِفَايَةٍ)، أي فحكم الخوض فيه بهذه الشروط فرضٌ كفايةٌ، (بِلَا مِرَاءِ) أي بلا شك ولا ريب في حكمه، (يَحْمِلُهُ الرَّاسِخُ) أي يدرك علم الكلام ويفهمه العالم الثابت (فِي الْأُصُـــولِ) أي أصول الدين وأصول الفقه (وَفِي فُنُونِ) أي يحمله العالم الراسخ في علوم (الْعَقْلِ) أي علم اللغة والمنطق والبيان والمعاني وغيرها، (وَالْمَنْقُولِ) أي يحمله العالم الراسخ في علوم المنسوخ من الكتاب والسنة وكتب علماء أهل السنة والجماعة انظر محصل المقاصد مما به تختبر العقائد للشيخ أحمد بن زكري، مخطوطة عند المحقق، ص 10.

قَالَ الْمَنْجُورُ[508] عِنْدَ شَرْحِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: "فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ قُطْرٍ يَشُقُّ مِنْهُ الْوُصُولَ إِلَى غَيْرِهِ قَائِمٌ بِالْحَقِّ مُسْتَقِلُ بهذا الْعِلْمِ يُقَاوِمُ دَعْوَةَ الْمُبْتَدِعَةِ، وَيَكُفُّ الزَّائِغِينَ عَنِ الْحَقِّ، وَلَوْ خَلَا مِنْهُ قَطْرٌ خَرَجَ بِهِ جَمِيعُهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا مَنْ تَضَلَعَ لِفُنُونِ[509] الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ لِارْتِبَاطِهِ الْمَعْلُومَ وِاحْتِيَاجِ الْبَعْضِ مِنْهَا الْبَعْضَ"، اِنْتَهَى.[510]

وَأَمَّا حُكْمُهُ فِي حَقِّ الْعَوَامِ[511] فَهُوَ التَّحْرِيمُ بِلَا شَكَّ لَمَا يَخْشَى عَلَيْهِمْ فِي الْخَوْضِ فِيْهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّبَهِ الْمُضِلَّةِ، قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى:[512] "إِذْ الْوَهَمُ يُلَابِسُ الْعَقْلَ فِي مَأْخَذِهِ، وَالْبَاطِلُ يَشَاكِلُ الْحَقَّ فِي مُبَاحِثِهِ، وَلِهَذَا كَانَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ، وَمُنِعَ أَنْ يَخُوضَ فِيمَا زَادَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا الْأَفْرَادِ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ"،[513] وَقَالَ فِي شَرْحِ الْوُسْطَى:[514] "إِنَّ ذَلِكَ وَظِيفَةُ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ".[515]

---

[508] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى سيرة أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور ومؤلفه.

[509] هنا انتهى الورقة 74 في المخطوطة: ب.

[510] ، قال الإمام المنجور قبل هذا الكلام: "قسم النظر إلى قسمين: فرضُ عينٍ وفرضُ كفايةٍ، ففرض العين النظرُ ولو في الدليل الجملي، وهو الذي يحصل العلم والطمأنينة في عقائد الإيمان، ولا يقدر فيه على إبطال للشبه وحل الشكوك، وفرض الكفاية النظرُ في الدليل التفصيلي، وهو الذي يقدر فيه على ذلك"، وقال أيضًا بعد هذا الكلام: "قوله بجملة الراسخ في الأصول أي الثابت في أصول الدين"؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى سيرة أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور ومؤلفه؛ انظر أيضًا إلى مختصر نظم الفوائد ومبدئ الفوائد، ص 71.

[511] أي هذه القاعدة الثالثة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"بَلْ الْعَوَامُ سَلِمُواْ مِنَ الْخَطَرِ * لِلشُّغْلِ بِالطَّاعَاتِ مِنْ بَحْثِ النَّظَرِ
وَلَمْ يَرُدْ بَحْثٌ بِهِ عَنِ السَّلَفِ * مَعَ الْعَوَامِ وَبِذَاكَ يَعْتَرِفِ
فَهُوَ إِذًا مِنْ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ * تَقْبِيرُهَا يَلْزَمُ بِالتَّعْيِينِ
وَلَا يَظُنُّ بِالصَّحَابَةِ الْقُصُورُ * بَلْ سَلَكُواْ بِالْخَلْقِ اَيْسَرَ الْأُمُورِ
فَعَلَّمُوهُمُ كَتَعْلِيمِ النَّبِيِّ * قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ بِالْأَمْرِ الْجَلِيِّ".

[512] أي العمدة أهل التوفيق والتسديد؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 19 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[513] وقال الشيخ إسماعيل بن موسى الحامدى في حواشه على معنى قول الشيخ السنوسي: (إِذْ الْوَهَمُ يُلَابِسُ الْعَقْلَ فِي مَأْخَذِهِ)، أي أن الوهم يعارض العقل في مأخذه، وهو القضايا التي يستنتج ويأخذ منها ما يحكم به، فالحياة مثلا إذا رأيتها، قال العقل: هذه دويبة يحركها القضاء والقدر، وكلّ ما كان كذلك فلا يضرّ، فهي لا تضرّ، فيحكم بعدم الانزعاج منها بحيث يقول: هذا ثعبان وكل ثعبان يضرّ، ينتج أن هذا الثعبان مضر، فالوهم قد عارض العقل في القضايا التي استنتج منها ما حكم به، وهذا

وَفِي الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ لِعَبْدِ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيِّ:[516] "قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدُ الدِّينِ[517] التَّفْتَازَانِيُّ وَغَيْرُهُ:[518] التَّحْقِيقُ فِي مَسْأَلَةِ ذَمِّ الْخَوْضِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ أَن النَّظَرَ فِي ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ

تعليل لقوله عسر لأنه إذا كان الباطل يشاكل الحقّ والوهم يلابس العقل تعسر إدراك الصواب من الخطأ فلهذا كان النظر يفيد العلم بعسر، (وَالْبَاطِلُ يَشَاكِلُ الْحَقَّ) أي يشابهه، وذلك كقول أهل السنة، الله موجود وكلّ موجود يصحّ أن يرى، فالله يصحّ أن يرى، وكقوله المعتزلة: الله ليس في جهة، وكل ما كان كذلك لا يرى، فالكبرى باطلةٌ لأنها نشأت من الوهم، لأن الوهم إنما يحكم بما جرت به العادة فهي باطلةٌ، (فِي مُبَاحِثِهِ)، أي في قضايا: أي القضايا الموصلة إليه، فالقضايا الموصلة لكلّ من الحقّ والباطل على صورة قياس ينتج، فالذي لا يعرف يقول: إن كلّ دليل، والعارف يقول: أن ما قاله أهل السنة دليل، وما قاله المعتزلة شبهة لبطلان الكبرى لأن بعض ما ليس في جهة يرى مثل كرة العالم، (وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْحَقِّ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ)، أي من سلم من الزلق ولم يلابس الوهم عقله في مأخذه، (وَمُنِعَ أَنْ يَخُوضَ) بالبناء للمفعول عطف على كان، المانع أهل الفرق الثالث، (فِيمَا زَادَ عَلَى الضَّرُورِيِّ) أي الواجب الذي لا بدّ منه على كلّ عاقل، وهو معرفة الله ولو بدليل اجمالي، (مِنْ هَذَا الْعِلْمِ) أي علم الكلام، ((إِلَّا الْأَفْرَادِ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ)) بيان للأفراد: جمع ذكى من الذكاء، وهو حدّة العقل؛ انظر حواش على شرح الكبرى للسنوسي للشيخ إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدى، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر، 1354 هـ/1936 م، ص 21.

[514] انظر الحاشية السابقة رقم # للإشارة إلى هذا الكتاب.

[515] أي أن القدرة على ترتيب علم الكلام على الوجه الذي يرتبه العلماء، والقدرة على دفع الشبه الواردة عليه، والقدرة على التعبير عنه، والقدرة على الردّ على المبتدع الشبهة، فجميع هذه القدرة منصب العلماء الراسخين في علوم الدين، فمعنى الراسخين في العلم أي الثابتين في العلم بقدم راسخ المتمكنون منه غاية التمكن، فإنهم يحملون العلم على الحقّ الذي يجب حمله عليه، فلا توجد طريقة للعوام للدخول في هذه الوطيفة؛ انظر شرح العقيدة الوسطى للإمام محمد بن يوسف السنوسي، ص 351.

[516] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[517] هنا انتهى الورقة 75 في المخطوطة: ب.

[518] هو أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي، المعروف بسعد التفتازاني، ولد في خراسان في شهر صفر سنة 722 الهجرية [الموافق بسنة 1322 الميلادي]، وهو من أسرة عريفة في العلم حيث كان أبوه عالمًا وقاضياً، وكذلك جده، وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الغفار، وقطب الدين محمود بن محمد التحتاني، والشيخ بهاء الدين السمرقندي الحنفي، والشيخ ضياء الدين عبد الله بن سعد الله القزويني القرمي وغيرهم، وكان سعد التفتازاني عالمًا بالفلسفة وعلم الكلام والمنطق والرياضيات والطبيعيات، والفقه والنحو والأصول، وكان إمامًا من أئمة التحقيق والتدقيق، وانتهت إليه رئاسة العلم في المشرق، وبرز في علم الصرف والمعاني والبيان والتفسير وغيرها من العلوم، وتلامذته كثيرة، منهم: الشيخ حسن بن علي الأبيوردي الخطيبي، وشيخ التاج حيدر بن أحمد بن إبراهيم الرومي، والشيخ علي بن موسى ابن إبراهيم الرومي، وقاضي القضاة محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الشافعي، وغيرهم، وألف السعد التفتازاني كتبًا كثيرةً تدل على غزير علمه، منها: شرح تصريف الزنجاني، وإرشاد الهادي في النحو، والشرح المطول على تلخيص المفتاح، وغاية

الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ تَحْرِيرِ الْأَدِلَّةِ وَتَدْقِيقِهَا، وَدَفْعِ الشُّكُوكِ وَالشُّبْهِ عَنْهَا فَرْضُ كِفَايَةٍ فِي حَقِّ الْمُتَأَهِّلِينَ لَهُ، فَيَكْفِي قِيَامُ بَعْضِهِمْ بِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُتَأَهِّلِينَ مِمَّنْ يَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِيْهِ الْوُقُوعِ فِي الشُّبْهِ الْمُضِلَّةِ، فَلَيْسَ لَهُ الْخَوْضُ فِيْهِ".[519]

وَفِي الْمُحَصِّلِ لِأَحْمَدِ بْنِ زَكَرِي:[520]

"وَلَمْ يَرُدْ بِهِ بَحْثَ عَنِ السَّلَفِ * مَعَ الْعَوَامِ، وَبِذَاكَ يَعْتَرِفُ
فَهُوَ إِذًا مِنْ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ * تَغْيِّيرُ مَا يَلْزَمُ بِالتَّعْيِينِ
وَلَا يَظُنُّ بِالصَّحَابَةِ الْقُصُورُ * بَلْ سَلَكُواْ بِالْخَلْقِ أَيْسَرَ الْأُمُورِ
فَعَلَّمُوهُمْ كَتَعْلِيـــمِ النَبِيِّ * قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ بِالْأَمْرِ الْجَلِّيِّ."[521]

تهذيب الكلام في تحرير المنطق والكلام، وشرح العقائد النسفية وغيرها، وتوفى سعد التفتازاني يوم الاثنين 12 من شهر المحرم سنة 791 الهجرية [الموافق ب سنة 1390 الميلادي].

[519] أي أن الضبط في قضية طعن الاندفاع في علم الكلام أن النظر في ذلك العلم على طريق المتكلمين بغير الأدلة وتدقيقها، ودفع الشكوك والشبه عن علم الكلام فرض كفاية في حق المتأهلين لعلمها، فيكفي قيام بعض العلماء به، وأما غير المتأهلين من العوام والمتوسط في العلم ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه المضلة فليس له الخوض في علم الكلام، أضاف الشيخ عبد الوهاب الشعراني بعد هذا الكلام ما يلي: "قال الجلال المحلي: هذا محمل نهي الإمام الشافعي وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام، اه، وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول: محل النهي عن الخوض في علم الكلام إنما هو في حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر إذ الفكر كثير الخطأ في الإلهيات، أما من يتكلم في التوحيد ولوازمه من طريق الكشف، فلا يدخل في نهي السلف لأن صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الأمور من حيث ما هي عليه في نفسها فلا يخطئ، اه، قلت: ومن هنا خصصتُ تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظري الفكري"، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"فَصْلٌ: وَحُكْمُ الْحَوْضِ فِي ذَا الْعِلْمِ * وَفِي الْأَدِلَّةِ بِحُسْنِ الْفَهَمِ
وَالرَّدُّ الشَّبَهُ بِاعْتِنَاءِ * فَرْضُ كِفَايَةٍ بِلَا اِمْتِرَاءِ
وَلَيْنَهُ مَنْ لَمْ يَتَعِنْ الْقَوَاعِدَ * عَنِ التَّعْرِضِ لِذِي الْمَقَاصِدِ
يَبْنِي عَلَى الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَةِ * كَذَلِكَ الْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَةِ"؛

انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 51.

[520] انظر الحاشية السابقة رقم # 42 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[521] قال الإمام المنجور في شرح هذه الابيات: "قوله: (وَلَمْ يَرُدْ بِهِ بَحَثَ عَنِ السَّلَفِ) الأخ: الأبيات الأربعة ضمير به يعودُ على النظرِ، وأشار بهذا إلى الردِّ على مَن يدعُواْ العوامَ إلى النظرِ ويلزمهم إيّاه، فإن ذلك مخالفٌ لما كان عليه سلفُ هذه الأمّة، فإنهم إنما كانواْ يعلمون العوامَ الأمورَ الجليةَ كتلقينِ مجردِ العقائدِ وتبيينُ أحكامَ الصلاةِ والزكاة والصوم والحاجّ ونحو ذلك ممّا يحتاجون إليه من علم الحلال والحرام، فإذن دعا العوامَ إلى النظرِ والبحثِ عمّا يتعلّق بأحوالِ الدينِ من البدع التي يتعين

وَفِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيِّ:[522] "وَقَدْ صَنَفَ الْغَزَالِيُّ فِي أَخِرِ عُمْرِهِ كِتَابَهُ اَلَّذِي سَمَّاهُ اِلْجَامَ الْعَوَامِ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ[523] وَذَكَرَ: إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَوَامٌ فِي هَذَا الْفَنِّ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ إِلَّا الشَّاذُ النَّادِرُ اَلَّتِي لَا تَكَاد الْاَعْصَارِ تَسَمَحُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ"، اِنْتِهَى.[524]

تغييرها والرّدّ عنها، وكأن المؤلف يشير إلى الإمام السنوسي رحمة الله حيث كان يدعوا إلى تعلم العقائد لفساد عقائد الناس في هذه الأزمنة الصعبة التي قل خيرها وكثر شرّها، وأميتتْ فيها السنن، ولم يبقى من الدين إلا اسمه، قوله: (أدنى) إشارةٌ إلى الدليل البيت هو تفسير للأمر الجلي، وأشار به إلى أنه يكفي في تنبيه العوامِ على معرفة الله تعالى أدنى إشارةٌ إلى الدليل وأيسره، ولا ينبغي أن يخاض معهم في الكلام ودقائقه كتنبيههم بالأدلة القرآنية، فإن فيها الشفاء مع ظهورها وقبول العقول"؛ انظر محصل المقاصد مما به تختبر العقائد للشيخ أحمد بن زكري، مخطوطة عند المحقق، ص 15؛ انظر أيضًا إلى مختصر نظم الفوائد ومبدئ الفوائد للإمام المنجور، ص 95–97؛ وهنا انتهى الورقة 76 في المخطوطة: ب.

[522] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[523] فصنف الإمام الغزالي كتاب إلجام العوام في سنة خمس مئةٍ من الهجرة، وهو آخر كتاب صنفه، فسبب تأليفه أنه سُئلَ عن أخبار آياتٍ وردتْ عن الشارع، وهي تُشْعِرُ بالتشبيه والتجسُّمِ مثل: خبر النزول وخبرِ القَدَم والصورةِ واليدِ وآية الاستواءِ والفوقِ وغير ذلك، فصنف الإمام أبو حميد الغزالي عند ذلك هذا الكتابَ وسمّاهُ: إلجام العوام عن علم الكلام، فقال في مقدمته: "فقد سألتَني، أرشدك الله، عن الأخبار المُوهِبةِ للتشبيه عند الرعاع والجُهّال مِن الحشوية الضلال، حيث اعتقدواْ في الله سبحانه وفي صفاته ما يتعالى ويتقدّس عنه مِن الصورة واليد والقدم والنزول والانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراهُ ممّا أخذوه مِن ظواهر الأخبار وصورِها، فإنّهم زعمواْ أنّ مُعتقدهُم فيه مُعتقد السلف، وأردت أن أشرح لك اعتقاد السلف وأن أُبيّن ما يجبُ على عموم الخلق أن يعتقدوهُ في هذه الأخبار وأكشف فيه الغطاء عن الحقّ وأبيّن ما يجبُ البحث عنه عمّا يجب الإمساك والكفّ عن الخوض فيه"؛ انظر إلجام العوام عن علم الكلام للإمام المجدد حجة الإسلام أبي حميد محمد بن محمد الغزالي، دار المنهاج، 1439 هـ/2017 م، ص 45–46.

[524] وقال بعد ذلك الكلام: "وقال الغزالي: شروط الطائفة القائمة بعلم الكلام أربعةٌ: [1] أن يكونواْ وافرى العقول لأن هذا العلم لا يحقّقه إلا الأذكياء، [2] وأن يكون اشتغالهم كثيرًا لأنه لا أكثر من نصف أصولي، [3] وأن يكونواْ دينين، فإن قليل الدين لا يطلب جواب الشبهة إذا وقعت له، [4] وأن يكونوا فصحاء، فإن العدمَ لا ينتفع به في هذا الباب"؛ انظر شرح الكوكب الساطع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 441–442.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ:[525] "يَنْبَغِي أَنْ يُخَصَّصَ بِتَعْلِيمِ هَذَا الْعِلْمِ مَنْ فِيهِ ثَلَاثُ[526] خِصَالٍ: إِحْدَاهَا التَّجَرُّدُ لِلْعِلْمِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْمُحْتَرِفَ يَمْنَعُهُ الشُّغْلُ عَنِ الْاِسْتِتْمَامِ، وَإِزَالَةِ الشَّكُوكِ إِذَا عَرَضَتْ، الثَّانِيَةُ الذَّكَاءُ وَالْفَطْنَةُ وَالْفُصَاحَةُ، فَإِنَّ الْبَلِيدَ لَا يَنْتَفِعُ بِفَهْمِهِ، وَالْفَدِمَ لَا يَنْتَفِعُ بِحُجَاجِهِ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ ضَرَرِ الْكَلَامِ، وَلَا يُرْجَى فِيهِ نَفْعُهُ،[527] الثَّالِثَةُ أَنْ يُكُونَ فِي طَبْعِهِ الصِّلَاحُ وَالدِّيَانَةُ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَكُونَ الشَّهَوَاتُ غَالَبَةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْفَاسِقَ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ، يَنْخَلِعُ عَنِ الدِّينِ"، اِنْتَهَى.[528]

وَأَمَّا سَبَبُ سُوءِ الظَّنِّ اَلَّذِي اَبْتَلَى بِهِ غَالِبُ الطَّلَبَةِ إِذَا دَخَلُواْ فِي قِرَاءَتِهِ[529] فَهُوَ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ إِثْبَاتَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَةِ بِالْبَرَاهِينَ الْعَقْلِيَّةِ مَوْضُوعًا عَنْ إِنْشَاءِ عَقْدِ الْإِيْمَانِ بِهَا لَا عَلَى التَّبَصَرِ فِي مَوَافِقَةِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَإِثْبَاتِ قُوَّةِ الْإِيْمَانِ بِهَا.[530]

---

[525] انظر الحاشية السابقة رقم # 45 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[526] هنا انتهى الورقة # 26 في المخطوطة: ا.

[527] هنا انتهى الورقة 77 في المخطوطة: ب.

[528] قال شيخ شيوخنا العارف بالله محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين في معنى كلام الغزالي: "(يَنْبَغِي أَنْ يُخَصَّصَ بِتَعْلِيمِ هَذَا الْعِلْمِ مَنْ) وجدت (فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِحْدَاهَا التَّجَرُّدُ لِلْعِلْمِ) والاستعداد لطلب المعرفة (وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ)، بالإكباب على درسه وتعلمه (فَإِنَّ الْمُحْتَرِفَ) أي المشتغل بالحِرفة والصناعة (يَمْنَعُهُ الشُّغْلُ) الذي هو فيه (عَنِ الْاِسْتِتْمَامِ، وَإِزَالَةِ الشَّكُوكِ إِذَا عَرَضَتْ)، لعدم استعداده لذلك (الثَّانِيَةُ الذَّكَاءُ) وهو سرعة الادراك وحدة الفهم، وقيل هو سرعة اقتراح النتائج (وَالْفَطْنَةُ) وهي سرعة هجوم على حقائق معان مما تورده الحواس عليها (وَالْفُصَاحَةُ)، وهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود (فَإِنَّ الْبَلِيدَ) المتحير في أمره الذي لا يوصف بذكاء ولا فطنةٍ (لَا يَنْتَفِعُ بِفَهْمِهِ)، بل هو دائمًا حيران في أمره (وَالْفَدِمَ) وهو البطيء الفهم (لَا يَنْتَفِعُ بِحُجَاجِهِ)، أي بحجاته (فَيُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ ضَرَرِ الْكَلَامِ، وَلَا يُرْجَى فِيهِ نَفْعُهُ، الثَّالِثَةُ أَنْ يُكُونَ فِي طَبْعِهِ الصِّلَاحُ) وهو ضد الفساد، ويختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارةً بالفساد وأخرى بالسيئة (وَالدِّيَانَةُ) وهي التمسك بأمور الدين (وَالتَّقْوَى)، وهي تجنب القبيح خوفاً من الله تعالى (وَلَا تَكُونَ الشَّهَوَاتُ) النفسية (غَالَبَةً عَلَيْهِ)، وفي معنى الشهوات التعصبات للمذاهب والمباهاة بالمعارف (فَإِنَّ الْفَاسِقَ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ)، إذا عرضتْ (يَنْخَلِعُ عَنِ) ربقة (الدِّينِ)" اه؛ انظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد مرتضى الزبيدي، الجزء الثاني، ص 62-63؛ انظر أيضًا إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، المجلد الأول، ص 360-361.

[529] أي هذه القاعدة الخامسة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

[530] فمعنى قول المصنف الشيخ رحمه الله: (وَأَمَّا سَبَبُ سُوءِ الظَّنِّ اَلَّذِي اَبْتَلَى بِهِ غَالِبُ الطَّلَبَةِ إِذَا دَخَلُواْ فِي قِرَاءَتِهِ) أي في قراءة علم الكلام، (فَهُوَ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ إِثْبَاتَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَةِ بِالْبَرَاهِينَ الْعَقْلِيَّةِ مَوْضُوعًا عَنْ) أي في مكان أو كبديل لـ(إِنْشَاءِ عَقْدِ الْإِيْمَانِ بِهَا) أي اثبت أركان الإيمان بخوض في قواعد علم الكلام (لَا عَلَى التَّبَصَرِ) أي على البصيرة (فِي مَوَافِقَةِ الْعَقْلِ) أي

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْجَلِيلِ فِي شُعْبِ الْإِيْمَانِ:[531] "أَمَّا طَرِيقُ الْعِلْمِ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالدَّلِيلِ الْبُرْهَانِيِّ فَبِالْبَحْثِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ وَالْاِعْتِبَارِ بِالمَصْنُوعَاتِ وَالتَّدَبرِ فِي الْأَخْبَارِ وَالْآيَاتِ، [وَتَفْهَمِ الْحُكَمِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَاتِ][532]، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ السَّمْعُ: أَنْ تَصَدَّقَ {[بِأَنَّ اللَّهَ مُوْجِدٌ أَزَلِيٌّ أَوَّلٌ بِنَفْسِهِ لَمْ يُوجِدْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يُوجِدْ نفْسَهُ، بَاقٌ أَبَدًا، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهِرٍ وَلَا جَسَمٍ وَلَا عَرَضٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَقَرٌ عَلَى مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُرَى بِالْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ لَا ثَانِي مَعَهُ، وَلَا شَيْءٌ مِثْلُهُ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ بِذَاتِهِ، وَأَمَّا الْعِلْمُ بِصِفَاتِهِ: بِأَنَّ تَصَدَّقَ بِأَنَّهُ حَيٌّ عَلِيمٌ بِنَفْسِهِ وبِجَمِيعِ خَلْقِهِ، قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءَ، لَا يَمْتَنِعُ عَنْهُ شَيْءٌ، مُرِيدٌ لِمَا يَشَاءَ، وَلَا مُكْرِهٌ لَهُ، مُتَكَلِّمٌ آمِرٌ نَاهٍ زَاجِرٌ، مَوْعِدُ مُتَوَاعِدٍ، وَأَنَّهُ كَامِلُ الإِدْرَاكِ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ وَجَمِيعِ الْإِدْرَاكَاتِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ مَنَزَّهٌ عَنْ حُلُولِ الْحَوادَثِ بِهِ، وَطَرَيَانَهَا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدِيمُ الصِّفَاتِ، فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْمُتَقَدَّةُ لَا بُدَّ مِنْ اَعْتِقَادِهَا وَالْإِقْرَارِ بِهَا، وَذَلِكَ الْوُجُودُ وَالْقِدَمُ وَالْبَقَاءُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ وَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ وَجَمِيعُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَجْمَعُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ إِلَى سَائِرِ][533] اَسْمَائِهِ}[534] وَصِفَاتِهِ مَا عُلِمَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْ، فَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ تَصْدِيقًا جَزِمًا، وَتَقْطَعُ بِهِ قَطْعًا حَتَمًا، فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعَ النَّظَرُ فِي الْمُخْلُوقَاتِ وَالْاِعْتِبَارِ بِالْمَصْنُوعَاتِ، فَيُشَاهِدُ الْعَقْلُ مَا صَدَقَ بِهِ الْقَلْبُ وَيُقَوِيَّ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ بِشَاهِدَةِ الْعَقْلِ،[535] فَيَتَزَايَدُ الْإِيْمَانُ وَتَعْظَمُ الْمَعَرِفَةُ بِحُصُولِ الْيَقِينِ".[536]

العقل الصحيح (وَالنَّقْلِ) أي براهين القرآن والسنن وادلة العلماء العاملين (وَإِثْبَاتِ قُوَّةِ الْإِيْمَانِ بِهَا) أي بتتبع معتقداتهم إلى براهين آيات القرآنية وأحاديث متواترة النبوية وأقوال السلف الصالح وأصول العقل الصحيح.

[531] انظر شعب الإيمان للإمام عبد الجليل القصري الأندلسي، ص 12.

[532] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[533] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[534] ما بين القوسين المعقوفين مفقود في المخطوطة: ب؛ وفي مكانها ما يلي: "تصدق بجميع ما أخبر به سبحانه عن نفسه أو رسوله مما نطقت به كتب واخبرت به رسله من صفاته".

[535] هنا انتهى الورقة 79 في المخطوطة: ب.

[536] انظر شعب الإيمان للشيخ عبد الجليل القصري، ص 29.

Institute of Islamic-African Studies International

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[537] "انْظُرْ يَا أَخِي إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ لَمَا قَالَ لهُ الْيَهُودُ: انْسِبْ لَنَا رَبَّكَ؟، كَيْفَ تَلَا عَلَيْهِمْ سُورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ مِنْ أَدِلَّةِ النَّظَرِ دَلِيلًا وَاحِدًا، فَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَثْبَتَ الْوُجُودَ لِلْأَحَدِ وَنَفْيُ الْعِدَدِ، وَأَثْبَتَ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ نَفْيُ الْجَسْمِيَّةَ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نَفْيُ الْوَالَدَ وَالْوَلَدَ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نَفْيُ الصَّاحِبَةَ وَالشَّرِيكَ، فَيَطْلُبُ صَاحِبُ الدَّلِيلِ الْعَقْلِي الْبُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الْمَعَانِي بِالْعَقْلِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا بِالدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ؟،[538] إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ الْعَظِيمِ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَطْلُبُ مَعْرِفَةَ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلِ، وَيَكْفُرُ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِيْهِ، كَيْفَ كَانَ حَالَتَهُ هُوَ قَبْلَ النَّظَرِ؟ وَفِي حَالِ النَّظَرِ هَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ أَمْ لَا؟ وَهَل كَانَ ثَبَتَ عِنْدَهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَ يُصَلِّي وَيَصُومُ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِهَذَا كُلَّهُ، فَهَذِهِ هِيَ حَالَةُ الْعَوَامِ، فَلْيَتْرُكَهُمْ[539] عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْتَقِدَ هَذِهِ الْأُمُورَ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْاِشْتِغَالِ بِهِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْمَذْهَبِ حَيْثُ اَدَاهُ سُوءَ النَّظَرِ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِيْمَانِ"، اِنْتَهَى.[540]

---

[537] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[538] هنا انتهى الورقة 80 في المخطوطة: ب.

[539] هنا انتهى الورقة 27 في المخطوطة: ا.

[540] قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني قبل هذا الكلام: "وقد بان لك مما ذكرناه أن من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات، فليأخذها من القرآن العظيم كما مرّ فإنه متواترٌ قطعيٌّ معصومٌ بخلاف مَن يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف"، وقال القطب الغوث الشيخ عبد القادر بن مصطفى في العهود والمواثيق: "أَخَذَ عَلَيَّ الْعَهَدَ وَالْمِيثاقَ أَن أبنِيَ عَقِيدَتِي عَلَى آيَاتِ القُرْآنِ لاَ عَلَى الأَدِلَةِ الْعَقْلِيَّةِ والإِنْظَارِ الْكَلامِيَّةِ، فَأَنَا فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مُقَلِّدٌ وَمَقَلِّدِي هُوَ القُرْآنُ الْمَعْصُومُ، فَلَوْ سُئِلْتُ مَثَلاً عَلَى دَلِيلِ حُدُوثِ الْعَالَمِ فَلَا أُجِيبُ بِحُدُوثِ الْأَعْرَاضِ الْمُسْتَلْزِمِ لِحُدُوثِ حُدُوثِ الْأَعْيَانِ، وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الْوُجُوهِ الْكَلامِيَّةِ، بَلْ أَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾"، فَلا دَلِيلٌ لِي غَيْرُ ذَلِكَ، فَأَنْطِقُ بِهِ جَازِمًا لِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَدِلَةِ الْعَقْلِيَّةِ لَا تَقْضِي قَطّ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ بِوَجْهٍ، إِنَّمَا قَصَارَاهَا الدِّلَالَةُ عَلَى وُجُودِ إِلَهٍ مُبْهِمٍ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تَقْضِي قَطٌّ إِلَى تَعْيِينِهِ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَصَادِرٌ مِن عِنْدِ اللهِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلِ إِلَى رُسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَهَذَا مَقْطُوعٌ بِهِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ"؛ انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص 49؛ وانظر أيضًا العهود والمواثيق للشيخ عبد القادر بن مصطفى، معهد سنكرى للدراسات الإسلامية الأفريقية الدولية، باماكو، 1437 هـ\ 2016 م، ص 4.

وَأَمَّا بَيَانُ إِنَّ الْمُعْتَمَدَ صِحَّةُ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ[541] فَاعْلَمْ إِنَّ[542] عَبْدَ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ قَالَ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[543] "قَالَ صَاحِبُ جَمْعِ الْجَوَامِعِ:[544] وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِالتَّقْلِيدِ الْأَخْذُ بِقَوْلِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَعَ اِحْتِمَالِ شَكٍّ أَوْ وَهْمٍ كَمَا فِي تَقْلِيدِ إِمَامٍ فِي الْفُرُوعِ مَعَ تَجْوِيزِ أَن يَكُونَ الْحَقَّ فِي خِلَافِهِ، فَهَذَا لَا يَكْفِي فِي الْإِيْمَانِ عِنْدَ أَحَدٍ لَا الْأَشْعَرِيِّ وَلَا غَيْرِهِ، وَإِنَّ أُرِيدُ بِهِ الْاِعْتِقَادَ الْجَازِمَ لَا المَوْجِبِ، فَهَذَا كَافٌ فِي الْإِيْمَانِ، لَمْ يُخَالِفْ فِيْهِ إِلَّا أَبُو هَاشِمٍ".[545]

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ[546] بَعْدَ حِكَايَةِ كَلَامِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ أَبِي السُّبْكِيِّ:[547] "هَذَا قَالَ الْجَلَالِ الْمَحَلِّيِّ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ"، اِنْتَهَى.[548]

---

[541] أي هذه القاعدة السادسة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

[542] هنا انتهى الورقة 81 في المخطوطة: ب.

[543] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[544] وهو قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي المؤرخ الباحث، ولد في القاهرة في سنة 727 الهجرية (الموافق بسنة 1327 الميلادي)، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها، وكان طلق اللسان، قويّ الحجة، وانتهى إليه قضاء القضاة في الشام، ومن تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى ومعيد النعم ومبيد النقم وتوشيح التصحيح وهذا الكتاب المذكور جمع الجوامع وغيرها، وتوفي الإمام السبكي في سنة 771 الهجرية (الموافق بسنة 1370 الميلادي).

[545] قال الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني في الدرر اللوامع: "قال المصنف: والتحقيق أن التقليد إن كان أخذ القول من الغير بغير حجة، مع احتمال شك أو وهْم، فلا يكفي في الإيمان، وإن كان جزمًا خاليًا عنهما، فيصح، وبه يجمع بين قول الأشعري وغيره، وإن شئتَ تحقيق المسألة بما لا مزيد عليه، فاسمع لمقالتنا، اعلم أن أهل السنة كلهم من قال بإيمان المقلد، ومن لم يقلْ به متفقون على أن مقابل التقليد هنا هو الاستدلال بالأثر على المؤثر، وبالمصنوع على الصانع، ولا يلزم في هذا الاستدلال الاقتدار على إيراد الحجج، ودفع الشبه لو اعترض عليه مبتدع، بل ذلك من فروض الكفاية التي يقوم بها في كل ناحية عالمٌ متبحرٌ"، انظر الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، تحقيق د. سعيد بن غالب كامل المجيدي، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، الجزء الرابع، ص 172؛ انظر أيضًا إلى شرح الكوكب الساطع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 444-445.

[546] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[547] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه، وأما حكاية كلام الشيخ تاج الدين بن السبكي هي قوله: "التحقيق الدافع للتشنيع على الأشعري في هذه المسألة أن المقلد إن كان آخذًا لقول الغير بغير حجةٍ مع احتمالِ شكٍّ أو وَهَمٍ، فلا يكفي إيمان هذا المقلد لعدم الجزم به إذْ لا إيمان مع أدنى تردد، وإن كان المقلد آخذًا لقول الغير بغير حجةٍ لكن جزمًا، فيكفي إيمان المقلدِ عند الأشعري وغيره"، انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الجزء الثاني، ص 51.

وَأَمَّا بَيَانُ سَبَبِ تَصْنِيفِهِ[549] فَاعْلَمْ أَنَّ عُلَمَاءَ السُّنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا صَنَفُواْ كُتُبَ عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَثْبِتُواْ[550] لِأَنْفُسِهِمْ أَوْ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ الْعِلْمَ بِهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعْرُوفٌ بِالْفِطْرَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ وَالتَّوَاتِرِ وَالنَّظَرِ الْفِطْرِيِّ وَالضَّرُورِيِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا أَلَّفُوهَا لِيَعْلِّمُواْ النَّاسَ طُرُقَ الْاِسْتِدْلَالِ الَّتِي تَرُدَّ بِهَا الْخُصُومِ، كَالْفِلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَلِتَخْفِ الْمُئُونَةَ عَلَيْهِمْ زَمَنَ التَّعَلَّمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ كَمَا قَالَ الرَّعِينِيُّ فِي شَرْحِ السُّلَالِجِيَةِ:[551] "إِنَّمَا الدَّلِيلُ وَالْبَرَاهِينُ عَلَى وَجْهِ طُرُقِ الْاِسْتِدْلَالِ".[552]

---

[548] انظر الحاشية السابقة رقم # 109 للإشارة إلى سيرة الشيخ المحلي، وأما قوله: "وهذا هو المعتمد"، معناه المعتمد عليه في الأمور، أصله من العمدة، يقال للقوم: أنتم عمدتُنا الذين يُعْتَمَدُ عليهم، فالقول الذي هو المعتمد هو قول الأشعري وغيره من علماء علم الكلام الذين يقولون إن كان المقلد آخذاً لقول الغير بغير حجة لكن جزمًا فيكفي إيمان المقلد.

[549] أي هذه القاعدة السابعة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته، قال المصنف الشيخ رحمه الله في الدوائر في علم الكلام:

"بِهِ اِنْكِشَافُ حُجُبِ الْحَقَائِقِ * فَمِنْهُ تَعْرِفُ مَعَ الدَّقَائِقِ

وَالْحِفْظُ لِلْعَقَائِدِ الدِّينِيَةِ * حِرَاسُهُ الْمَذْهَبِ السُّنِيَةِ".

[550] هنا انتهى الورقة 82 في المخطوطة: ب.

[551] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرُّعَيْنِيُّ السرقسطي، ولد في سنة 598 الهجرية (الموافق بسنة 1201 الميلادي)، هو وفقيهٌ ومحدثٌ وأصوليٌّ ومتحققًا بعلم الكلام متقدمًا فيه ومصنفٌ، وولي قضاء معدن عوام بمقربة من فاس، ومن كتبه: هذا الشرح المذكور على العقيدة السلالجية، وتوفى الشيخ الرعيني في رندة سنة 632 الهجرية (الموافق بسنة 1235 الميلادي)، أما شرحه هو الشرح على العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية المشهور بـالعقيدة السلالجية للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى القيسي القرشي السلالجي، ولد في بلد سليلجو سنة 521 الهجرية، وتوفى الإمام عثمان السلالجي في سنة 594 الهجرية، فقد لقيت متن العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية من القبول بين علماء أهل السنة ما جعل أصولها تُشرح في سائر الأقطار الإسلامية المغربية والمشرقية، وتُمثل بحقّ وحدة المعقدات الدينية عند جمهور الفقهاء والمفسرين والأصوليين والمحدّثين وغيرهم من أصحاب المذاهب السُنية، فسبب تأليف الشيخ السلالجي عقيدته كانت واحد تلميذته الأندلسية الزاهدة الصالحات تسمى "خيرونة" رغبت إليه أن يكتب لها في لوحها شيئًا تقرأه على ما يلزمها من العقيدة، فكان يكتب لها في لوحها فصلا متى كلفته ذلك، فكانت تحفظه، فإذا حفظته ومحته كتب لها على لوحها ثانيًا، فكان ذلك دأبها حتى كملت عقيدة، وكتبتها، وكتبت عنها ولقبت بـ"العقيدة البرهانية" وصارت بأيدي الناس كثيرًا؛ انظر "عثمان السلالجي ومذهبية الأشعرية: دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية وشروحها" للدكتور جمال علال البختي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1426 هـ/2005 م، ص 186.

[552] أي أن البرهان هو ما افاد إفادة لا تتصور بغيره، وإنما كانت كذلك لأن مقدمته لا تكون إلا ضرورية على طرق الاستنباط لأن المطلوب في العقائد الدينية تحصيلها علمًا، لا اعتقادًا أو تقليدًا، قال د. نزار حمادي في مقدمة التحفة المفيدة: "والبرهان

وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي الْعُمْدَةِ شَرْحِ الْكُبْرَى:[553] "إِنَّمَا أَحْدَثُ الْمُتَأَخِرُونَ مِنَ الْإِصْطَلَاحَاتِ مَا أَحْدَثُواْ لِتَخَفُ الْمُؤْنَةَ عَلَيْهِمْ زَمَنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مَوْقُوفٌ عَلَيْهَا.[554]

وَلِذَلِكَ[555] **قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ** فِي مُقَدَمَةِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[556] "اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ مَا صَنَفُواْ كُتُبَ الْعَقَائِدِ لِيَثْبُتُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ الْعِلْمَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا وَضَعُواْ ذَلِكَ رِدَاعًا لِلْخُصُومِ اَلَّذِينَ جَحَدُواْ [اَلْإِلَّهَ أَوْ الصِّفَاتَ أَوْ الرِّسَالَةَ أَوْ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْخُصُوصِ، أَوْ الْإِعَادَةَ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ كَافِرٍ]،[557] فَطَلَبَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ إِقَامَةَ الْأَدِلَّةِ عَلَى هَؤُلَاءِ لِيَرْجِعُواْ إِلَى اِعْتِقَادِ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ لَا غَيْرِ، [وَإِنَّمَا لَمْ

كما عرّفه الأئمة: هو الدليل المركّب من مُقَدّمَتَيْنِ قَطْعِيَّتَيْنِ يَقِينِيَّتَيْنِ لِإِنْتاجِ يَقِينٍ، والمقصود بِالْيَقينية أن تكون النسبة بين الأحكام والأمور المحكوم عليها معلومة على وجه لا يحتملُ النّقيض بوجهٍ من الوجوه، لا في الذهْنِ لأجل الجزم، ولا في الخارج لأجل المُطابقة ولا باعْتبارِ تشكيك مُشكّكٍ لأجل الثبات"؛ انظر التحفة المفيدة في شرح العقيدة الحفيدة للشيخ عيسى بن عبد الرحمن السكتاني، تحقيق د. نزار حمادي، ص 17.

[553] أي العمدة أهل التوفيق والتسديد؛ انظر الحاشية السابقة رقم # 19 للإشارة إلى هذا الكتاب.

[554] معنى قول الإمام السنوسي: (إِنَّمَا أَحْدَثُ الْمُتَأَخِرُونَ) أي أنشأ المتأخرون من علماء أهل السنة والجماعة، فمعنى أحدث أنشأ شيئًا الذي لم يكن، فهذا الاحداث يمكن أن يكون حسنا وسيئًا على حد سواء، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقَصَ حَسَنَةٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))، رواه مسلم، (مِنَ الْإِصْطَلَاحَاتِ) أي اصطلاحات الكلامية كمثل: الوجود والعالَم والحادَث والجوهر والعرض والأكوان والواجب والمستحيل والجائز وغيرها من ألفاظ الاصطلاحات المحتاج إليها (مَا أَحْدَثُواْ لِتَخَفُ الْمُؤْنَةَ عَلَيْهِمْ زَمَنَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ) في علم الكلام (لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مَوْقُوفٌ عَلَيْهَا) أي موقف على هذه الاصطلاحات الكلامية، قال الإمام الزركشي: "ثم جاءت جماعة أخرى من المتأخرين فحجّوا ما كان واسعاً وأبعدوا ما كان شاسعاً واقتصروا على بعض رؤوس المسائل وكثروا من الشُّبه والدلائل، واقتصروا على نقل مذاهب المخالفين من الفرق، وتركوا أقوال من لهذا الفن أصَّل، وإلى حقيقته وصّل، فكاد يعود أمرُهُ إلى الأول، وتذهب عنه بهجة المعوَّل، فيقولون: خلافًا لأبي هاشم لأبي هاشم أو وفاقًا للجبّائي، وتكون للشافعي منصوصة، وبين أصحابه بالاعتناء مخصوصة، وفاتهم من كلام السابقين عباراتٌ رائقةٌ وتقريراتٌ فائقةٌ ونقولٌ غريبة ومباحثُ عجيبة"؛ انظر القواطع في أصول الفقه للشيخ أبي المظفر المروزي، تحقيق صالح سهيل علي حمودة، دار الفاروق، عمّان، 1432 هـ/2100 م، المجلد الأول، ص 9.

[555] هنا انتهى الورقة 83 في المخطوطة: ب.

[556] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[557] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا و: ب؛ وفي مكانها ما يلي: "جحدوا ما يجب الإيمان به شرعاً".

يُبَادِرُواْ إِلَى قَتْلِهِمْ بِالسَّيْفِ رَحْمَةً بِهِمْ وَرَجَاءَ رُجُوعِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقّ، فَكَانَ الْبُرْهَانُ عِنْدَهُمْ كَالْمُعْجِزَةِ اَلَّتي يُنْسَاقُونَ بِهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّاجِعَ بِالْبُرْهَانِ أَصَحُّ إِيْمَانًا مِنَ الرَّاجِعِ بِالسَّيْفِ، إِذْ الْخَوْفَ قَدْ يَحْمَلُ صَاحِبَهُ عَلَى النِّفَاقِ، وَصَاحِبُ الْبُرْهَانِ لَيْسَ كَذَلِكَ]،[558] فَلِذَلِكَ وَضَعُواْ عَلْمَ الْجَوْهَرِ وَالْعِرْضِ، وَبَسَطُواْ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ، وَيَكْفِيَ فِي الْمِصَرِ الْوَاحِدِ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ"، اِنْتَهَى.[559]

وَأَمَّا بَيَانٌ أَنَّ حُجَّجَهُ لَا تُثْبِتُ إِلَّا بِالْقَوَاطِعِ،[560] فَقَدْ قَدَمْنَا فِي أَخِرِ فَصْلِ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ أَنَّ مِنْ شَرْطِ وُجُوبِ الْاِعْتِقَادِ وُجُودُ نَصّ مُتَوَاتِرٍ، وَقَدَّمْنَا أَيْضًا فِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ حَدَّ عِلْمِ الْكَلَامِ عِلْمٌ[561] يَقْتَدِرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ[562] الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ عَلَى الْغَيْرِ، وَاَلْزَمُهَا إِيَّاهُ بِإِيْرَادِ الْحُجُجَ وَدَفْعِ الشُّبْهِ، فَكَمَا إِنَّ كُلَّ عَقِيدَةٍ لَا تَثْبِتُ إِلَّا بِالْقَوَاطِعِ، [فَلِذَلِكَ الْحُجَّةُ اَلَّتِي تَثْبِتُهَا عَلَى الْغَيْرِ لَا تَثْبِتُ إِلَّا بِالْقَوَاطِعِ،][563] وَتِلْكَ الْقَوَاطِعُ أَرْبَعَةُ أُمُورٍ: اَلْأَوَّلُ الْبُرْهَانُ الْعَقْلِيُّ، الثَّانِي نَصُّ الْكِتَابِ، الثَّالِثُ نَصُّ حَدِيثٍ مُتَوَاتِرٍ، الرَّابِعُ الْإِجْمَاعُ.[564]

---

[558] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا و: ب.

[559] انظر اليواقيت والجواهر للشيخ عبد الوهاب الشعرانيّ، ص 46-47.

[560] أي هذه القاعدة الثامنة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

[561] هنا انتهى الورقة 84 في المخطوطة: ب.

[562] هنا انتهى الورقة 28 في المخطوطة: ا.

[563] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[564] أصل القواطع من قطعي منصوب إلى قطع، أي لا شك فيه، ما هو مؤكد بالضرورة ولا يحتاج إلى تجربة أمر قطعي، أدلة قطعية تثبت براءته قطعياً بدون شك، ممنوع الانتظار قطعياً، عبارة تنبيه على خطر الانتظار في مكان ما؛ فاختلفوا الأصوليون في عدد القواطع، قال بعضهم القواطع أربعةٌ: [1] الكتاب [2] والسنة [3] وإجماع الأمّة [4] والعبرة، وقال بعضهم: القواطع على قسمين: أصلٌ ومعقولُ أصلٍ، فالأصل: [1] الكتاب [2] والسنّة [3] والإجماع، ومعقول الأصل: [4] هو القياس، وأشار الإمام الشافعي إلى القواطع على قسمين: قسم نصٌّ وقسم معنى، فالنصّ: [1] الكتاب [2] والسنّة [3] والإجماع، فالمعنى هو [4] القياس، وقد ضمّ بعض الأصوليين [5] العقل إلى هذه القواطع وجعله قسماً خامساً، وينقسم أبو العباس بن القاصّ القواطع إلى سبعة أقسامٍ: [1] الحس [2] والعقل [3] والكتاب [4] والسنّة [5] والإجماع [6] والعبرة [7] واللغة، والصحيح أنّ القواطع التي لا يثبت حجّج علم الكلام إلا بها أربعةٌ على ما قال المصنف الشيخ رحمه الله؛ انظر القواطع في أصول الفقه للشيخ أبي المظفر المروزي، المجلد الأول، ص 94.

وَإِلَى هَذِهِ الْقَوَاطِعِ أَشَارَ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ فِي نَظَمِ الْكُبْرَى[565] بِقَوْلِهِ:

"يَثْبُتُ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ * ذَا الْعِلْمِ وَالْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَّةِ".[566]

---

[565] هو العالم العلامة الفقيه الفهامة أبو بكر محمد الطاهر بن الشيخ إبراهيم الباركوم التورودي الفلاني المعروف بغِيرَمَة، أحد تلاميذ القطب الإمام البكري، كان نسيج وحده، عالماً بالمنقول والمعقول، صالحاً تقياً بارعاً والحاصل أنه بلغ مبلغ الرجال، نشأ بموضع يقال له "ذات البقر" بارعاً، كان رحمه الله كثير الحساد في بلد البرنو، لقد عانى من جفاء أهل البلد وجفاء السلطان أمراً فظيعا، لإظهاره النصح لهم، وكان الشيخ محمد الطاهر رحمه الله ممن يبشر بظهور هذا المصنف الإمام الخليفة، الشيخ عثمان بن فوي، فقد روي عنه الثقاة بسنده إلى الشيخ ولوديدي الفلاني أنه قال: "قَدْ أَظِلَكُمْ زَمَانَ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ يَظْهَرُ فِي هِذِهِ الْبِلَادِ، يُجَدِّدُ الدِّيْنَ لِلْبَرِيَةِ، وَيَفْشِي الْعِلْمَ، وَيَنْصُرُ السُّنَّةَ"، للشيخ محمد الطاهر تأليف وأشعار: منها نظمه على الحكم ابن عطاء الله ونظمه على الدرر اللوامع ونظمه على منار الجامع وهذا الكتاب المذكور نظمه على العقيدة الكبرى للسنوسي مع شرحه المسمى المنظومة الكبرى، وهي تحتوي أكثر من ألف بيتٍ، توفي الشيخ محمد الطاهر رحمه الله سنة 1160 الهجرية؛ انظر إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور للسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، تحقيق الشيخ محمد شريف بن فريد، معهد سنكرى للدراسات الإفريقية الإسلامية الدولية، باماكو، 1443 هـ/2022 م، ص 14.

[566] وقال الشيخ محمد الطاهر رحمه الله قبل وبعد هذه القصيدة الشعرية:

وَالْحُجَّةُ الْعَقْلِيَّةُ الْقُرْآنُ * وَالسُّنَّنُ الصِّحَاحُ وَالْحِسَانُ

إِجْمَاعُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَعْصُومَة * مِنَ الضَّلَالِ حُجَّةٌ مَعْلُومَة

يَثْبُتُ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ * ذَا الْعِلْمِ وَالْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَّةِ

إِذْ لَيْسَ يَكْفِي فِيْهِ إِلَّا الْعِلْمُ * لَا يَنْفَعُ الظَّنُّ بِهِ وَالْوَهْمُ

ومعنى قول الشيخ الطاهر: (وَالْحُجَّةُ الْعَقْلِيَّةُ) التي تعتقد في التوحيد (الْقُرْآنُ وَالسُّنَّنُ الصِّحَاحُ وَالْحِسَانُ) كما قال القرافي في الفيته، وأهل الشأن أقسموا السنّن إلى صحيح وضعيف وحسن لأنها إذا اشتملت مع أوصاف القبول على اعلاها فالصحيح، أو على ادناها فالحسن الذي ما بلغ صحة الصحيح، أو لم يشمل على شيء منها فالضعيف، (إِجْمَاعُ) أي عزم واتفاق على أمر الدين (هَذِهِ الْأُمَّةِ) ومن الحجج إجماع الأمّة على شيء حجة لا تنافع بشيء بقوله ﷺ: ((لَا يَجْتَمِعُواْ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ)) (الْمَعْصُومَة) أي المحفوظة (مِنَ الضَّلَالِ) أي من الكفر (حُجَّةٌ) اتفاق الأمّة (مَعْلُومَة) مشهورة التوحيد (يَثْبُتُ) أي يؤيد ويدلل، فعل خبر مقدّم (بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ) أي بالدلائل العقلي أو الحجة العقلية، وهي الفكريات التي يبنى عليها البرهان والتي تترتب عليها القضية منطقياً تسمى الحجج، (ذَا الْعِلْمِ) أي المراد به يثبت علم التوحيد، مبتدأ مؤخر (وَالْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَّةِ) نعت البراهين العقلية أي ويثبت ذا علم التوحيد كما قدمناه بنصّ الكتاب ونصّ السنّة وإجماع الأمّة، فالقواطع النقلية: القرآن والمتواتر من الحديث وإجماع الأمّة، وأما الصحيح والحسن فلا يحتج بها في التوحيد، ولكن يحتج بهما في الفروع لأنهما لا يفيدان إلا الظ، والعمل بالظن مأمور به في الفروع وممنوع في التوحيد، وأما الضعيف فلا يحتج في الفروع فضلاً عن التوحيد، (إِذْ لَيْسَ يَكْفِي فِيْهِ) أي في التوحيد (إِلَّا الْعِلْمُ) أي اليقين (لَا يَنْفَعُ الظَّنُّ بِهِ) أي بالتوحيد (وَالْوَهْمُ) لأن الوهم دون الظن، فإن العلم العقلية المتعلقة بالذات والصفات لا يثبت إلا بالبراهين العقليات والقواطع النقليات كما قدمناه، فلا يحتمل بما دون هذين النوعين من الإدراكات العقلية والأدلة النقلية كما ورد في الأخبار؛ انظر المنظومة الكبرى المخطوطة في يد المؤلف، ص 13.

[**هَذَا إِذَا كَانَ** الْخَصمُ مِمَنْ يَقْبَلُ][567] دَلِيلًا شَرْعِيًا، [وَإِمَّا إِذَا كَانَ لَا يَقْبَلُ دَلِيلًا شَرْعِيًا][568] كَالْبَرَاهِينِ، فَلَا يَحْتَجُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْبَرْهَانِ الْعَقْلِيِّ كَمَا قَدَّمْنَا، إِذَا فَهِمْتَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ عَرِفْتَ أَنَّ هَذَا الْعِلْمُ لَا تَثْبُتُ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ[569] وَلَا بِظَاهِرِ السُّنَّةِ وَلَا بِنَصِّ خَبَرٍ مِنَ أَخْبَارِ الْآحَادِ، لِأَنَّهَا أُمُورُ ظَنِيَّةٍ لَا تَثْبُتُ بِهَا إِلَّا الْفُرُوعِ، وَإِذَا عَرِفْتَ هَذَا كُلَّهُ عَرِفْتَ أَنَّ حُجَّجِ هذا الْعِلمِ لَا تَثْبُتُ بِقَوْلِ كُلِّ مُجْتَهِدٍ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، إِذْ الْاِجْتِهَادَ كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ:[570] "بَذْلُ الْفَقِيهِ الْوُسْعَ لِتَحْصِيلِ ظَنّ بِحُكْمٍ، كَذَا فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ، وَزَادَ اِبْنُ الْحَاجِبِ: شَرْعِي"،[571] وَقَالَ: "فَخَرَجَ بَذْلُ غَيْرِ الْفَقِيهِ، وَبَذْلُ الْفَقِيهِ لِتَحْصِيلِ قَطْعِ بِحُكْمِ عَقْلِيٍّ"،[572] اِنْتَهَى، وَنَصٌّ فِي ذَلِكَ فِي كَوْكَبِهِ:

"بَذْلُ الْفَقِيهِ الْوُسْعَ فِي تَحْصِيلِ * ظَنٍّ بِالْأَحْكَامِ مِنَ الدَّلِيلِ".[573]

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ شَأْنِ أَهْلِ الزَّمَانِ[574] فِي اِسْتِغْرَاقِ الْعَصْرِ فِي قَرَاءَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَوْجِبٍ فَقَدْ قَالَ[575] عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[576] "قَالَ مُحْيِي الدِّينِ: فَعَلَمَ أَنَّهُ لَا

---

[567] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[568] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[569] هنا انتهى الورقة 85 في المخطوطة: ب.

[570] انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[571] قال بعد هذا الكلام: "والمرادُ ببذل الوسع: بذل تمام الطاقة في النظر في الأدلة بحيث تحسّ النفس بالعجز عن الزيادة"؛ انظر شرح الكوكب الساطع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 395.

[572] قال بعد هذا الكلام: "والمرادُ بالفقيه هنا: المتهيئ للفقه مجازاً شائعاً، ويكون بما يحصله فقيهاً حقيقة "؛ انظر شرح الكوكب الساطع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 395.

[573] معنى "الظن" هنا كما قال الإمام السيوطي في شرحه للكوكب: "والظن المحصل هو الفقه المعرّف في أوائل الكتاب بالعلم بالأحكام إلى آخره، قال: فلو عبّر هنا بالظن بالأحكام كان أحسن، فلذا عبرت به، ولا حاجة إلى قول ابن الحاجب: شرعي، لإفهام لفظ: الفقيه، ذلك وإلا لم يكن له معنى"؛ انظر الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع للإمام السيوطي، في الكتاب السابع في الاجتهاد، ص 128 انظر الحاشية السابقة رقم # 28 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه؛ انظر أيضا شرح الكوكب الساطع للشيخ جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، ص 395.

[574] أي هذه القاعدة التاسعة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته.

[575] هنا انتهى الورقة 86 في المخطوطة: ب.

[576] انظر الحاشية السابقة رقم # 91 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَنْسَى حُدُودَ رَبِّهِ اَلَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَيَسْتَغْرِقُ غَالِبُ عُمْرِهِ فِي الْاِشْتِغَالِ بِرُدِّ خُصُومٍ لَمْ يُوجِدْ لَهُمْ عَيْنٌ فِي بِلَادِهِ ، وَبِدَفَعِ شُبْهٍ يَمْكِنُ أَنْ لَا تَكُونَ، ثُمَّ بِتَقْدِيرِ وُجُودِهَا فَسَيْفُ الشَّرِيعَةِ أَقْطَعُ وَأَرْدَعُ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُواْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَتَّى يُؤْمِنُواْ بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ))، وَلَمْ يَدْفَعْنَا ﷺ إِلَى مُخَاصِمَتِهِمْ إِذَا [حَضَرُواْ، إِنَّمَا هُوَ الْجِهَادُ بِالسَّيْفِ إِنْ عَانِدُواْ بِي الْحَقَّ، قَالَ:][577] وَهَذَا هُوَ جَلَّ اِشْتِغَالُ النَّاسِ الْيَوْمَ، فَقَطَعُواْ عُمْرَهُمْ فِي الْاِشْتِغَالِ بِرُدِّ خُصُومٍ مَتَوَهِمَةٍ أَوْ خُصُومٍ مَوْجُودَةٍ، لَكِنَ بِلَازِمِ[578] الْمَذْهَبِ، وَذَلِكَ لَيْسَ بِمَذْهَبٍ عَلَى الرَّاجِحِ، وَيَتَخَيَّلُ لِصَاحِبِ الْكَلَامِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَكَلَمُ مَعَ غَيْرِهِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَكَلَمُ مَعَ نَفْسِهِ، فَعَلَمَ أَنَّ السَّلَفَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مَا وَضَعُواْ كُتُبُ الْكَلَامِ إِلَّا رَدَعاً لِلْخُصُومِ اَلَّذِينَ كَانُواْ فِي عَصْرِهِمْ كَمَا مُرَّ، فَاللَّهُ تَعَالَىَ يَنْفَعَهُمْ[579] بِقَصْدِهِمْ، قَالَ: فَالْعَاقِلُ مَنْ اِشْتَغَلُ الْيَوْمَ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَةِ فَإِنَّ فِيهَا غُنْيَةٌ عَنِ عِلْمِ الْكَلَامِ لِقِيَامِ الدِّينِ بِهَا، وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَاتَ وَهُوَ لَمْ يَعْرِفْ الْكَلَامَ عَلَى الْجَوْهَرِ وَالْعِرَضِ لَمْ يَسْئَلْهُ اللَّهُ تَعَالَىَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ اِحْتَاجُ اِنْسَانٌ إِلَى رَدِّ خَصَمٍ حَدَثَ فِي بِلَادِهِ يَنْكِرُ الشَّرائِعَ [مَثَلًا وَجَبَ عَلَيْنَا بِتَجْرِيدِ النَّظَرِ فِي رَدِّ مَذْهَبِهِ لَكِنَ بِالْأُمُورِ الْعَقْلِيَةِ دُونَ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ بِالشَّرْعِ كَالْبَرْهَمِي مَثَلًا، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ دَلِيلَ][580] الشَّرْعِ عَلَى اِبْطَالِ مَا أَنْتَحَلَّهُ مِنَ الْمَذْهَبِ الْغَرِيبِ اَلَّذِي يَقْدَحُ فِي الشَّرْعِيَةِ،[581] فَإِنَّ الشَّرْحَ هُوَ مَحَلُ النِّزَاعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَا يَثْبِتَهُ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا رُدَّهُ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، فَنُدَاوِيَهُ بِنَحْوِ قَوْلِنَا مَثَلًا: اَنْظُرْ بِعَقْلِكَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَحَقِّقْ النَّظَرَ "، اِنْتَهَى.[582]

---

[577] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[578] هنا انتهى الورقة 87 في المخطوطة: ب.

[579] هنا انتهى الورقة 29 في المخطوطة: ا.

[580] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[581] هنا انتهى الورقة 88 في المخطوطة: ب.

[582] انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص 48-49.

Institute of Islamic-African Studies International

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ شَأْنِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّصَدَي لِلرَّدِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَظُّهُمْ مِنْ الْبَحْثِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ[583] فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ:[584] "كَانَ مُحْيَّ الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ يَتَصَدُواْ لِلرَّدِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا إِنْ خَالَفُواْ النُّصُوصَ أَوْ خَرِقُواْ الْإِجْمَاعَ، فَمَنْ تَصَدَّى لِلرَّدِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يَأْمَنُ أَنَّهُ[585] يَنْكَرُ عَلَيْهِم أَمْرًا هُوَ حَقٌّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ مَا دَامُواْ فِي دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَعْتَقَدُونَ إِلَّا حَقًّا وَمَا فِيْهِ شُبْهَةُ حَقّ بِخِلَافِ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْإِسْلَامِ"، اِنْتَهَى.[586]

وَقَالَ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفُتُوحَاتِ:[587] "مِنْ شأَنِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يَجْرَحُونَ عَقَائِدَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا شَأْنُهُمْ الْبَحْثُ عَنْ مُنَازَعِ الْاِعْتِقَادَاتِ لِيَعْرِفُواْ مِنْ أَيْنَ اَنْتَحَلَهَا أَهْلُهَا، وَمَا اَلَّذِي تَجَلَّى لَهَا حَتَّى اِعْتَقَدَتْ مَا اِعْتَقَدَتْ، وَهَل يُؤْثِرُ ذَلِكَ فِي سُعَادَتِهَا أَمْ لَا، هَذَا حَظُّهُمْ مِنَ الْبَحْثِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ"، اِنْتَهَى.[588]

---

[583] أي هذه القاعدة العاشرة لا بد من معرفتها لمن يريد الدخول في قراءة كتب علم الكلام ليفوز بنفعته وينجو من مضرته، هنا يقدم المصنف الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته مصطلح "أهل الله" فهم من أهل طريق الله من المحققين أهل الكشف والوجود الذين لا يعتقدوا في جميع العقائد إلا ما يلقيه الله تعالى في قلوبهم لا على تحتمله الألفاظ، فعلوم أهل الله ليست من طريق الفكر وإنما هي من الفيض الإلهي.

[584] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[585] هنا انتهى الورقة 89 في المخطوطة: ب.

[586] انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص 48-49.

[587] أي الفتوحات المكيّة للشيخ الأكبر محيي الدين أبي بكر محمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، المعروف بابن عربي، ولد في يوم الاثنين 17 من رمضان سنة 560 الهجرية (الموافق بسنة 1165 الميلادي) في مرسية بالأندلس، وهو كان عالما روحانيا ومتصوفا وشاعرا، لقبه بالشيخ الأكبر وسلطان العارفين ورئيس المكشفين وبحر الحقائق وإمام المحققين وتُنسب إليه الطريقة الأكبرية، انتشرت تعاليم محيي الدين ابن عربي في العالم الإسلام جميعها، وصنف أكثر من 800 كتبا في كل الفن، منها: فصوص الحكم وشجرة الكون وترجمان الأشواق وهذا الكتاب المذكور الفتوحات المكيّة وغيرها، وتوفي في دمشق سنة 638 الهجرية (الموافق بسنة 1240 الميلادي).

[588] انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص 49.

وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْعَشَرُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لِمَنْ يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِ عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَفُوزَ بِنَفْعَتِهِ وَيَنْجُو مِنْ[589] مُضَرَّتِهِ، وَإِلَيْهَا أَشَارَ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيٌّ فِي الْمُحَصِلِ بِقَوْلِهِ:[590]

"وَلَيْنُهُ مَنْ لَمْ تَيَقِنْ الْقَوَاعِدَ * عَنِ التَّعَرِضِ لِذِي الْمَقَاصِدِ."[591]

وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي مُقَدِمَةِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ:[592] "وَهِيَ الْقَوَاعِدُ وَالضَّوَابِطُ اَلَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مَنْ يَرِيدُ التَّبَحَرَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ."[593]

---

[589] هنا انتهى الورقة 90 في المخطوطة: ب.

[590] أي محصل المقاصد، انظر الحاشية السابقة رقم # 42 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[591] قال الشيخ أحمد بن علي المنجور في شرح محصل المقاصد في معنى البيت: (وَلَيْنُهُ مَنْ لَمْ تَيَقِنْ الْقَوَاعِدَ)، أي قواعد الكلام وما ينبني الكلام عليه كقواعد المنطق وغيرها من مبادئ الكلام، (عَنِ التَّعَرِضِ لِذِي الْمَقَاصِدِ) وذي اسم إشارة، والمقاصد مباحث الكلام، وذلك لأن الخائض في الكلام قبل إتقان مبادئه قد يشك وتزلزل عقيدته بما يعن له من الشبه، وإن رأى الجواب عنها فقد لا يقبله لا بثنائه على ما لا يعلمه، وهذا هو الشأن في أكثر الطلبة أعني الجهل بقواعد الكلام ومبانيه، فما بالك بالعوام"؛ انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، ص 99.

[592] انظر الحاشية السابقة رقم # 64 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[593] انظر اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص 46.

خَاتِمَةٌ فِي بَيَانِ الْفَسَادِ لَا يَعُمُّ عَقَائِدَ الْعَامَّةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ[594]

وَظُهُورُ الطَّائِفَةُ الضَّالَّةُ الْمُضِلَّةُ فِي زَمَانِ الْحَسَنِ الْيُوسِي يَزْعَمُونَ أَنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى التَّقْرِيرِ اَلَّذِي يَقَرِّرُ الْعُلَمَاءُ[595] فَهُوَ كَافِرٌ كَمَا ظَهَرَتْ فِي زَمَانِنَا أَمْثَالَهُمْ.

أَمَّا بَيَانٌ أَنَّ الْفَسَادَ لَا يَعُمَّ عَقَائِدَ الْعَامَّةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ فَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيَّ فِي مَحْصَلِ[596] الْمَقَاصِدِ:[597]

"نَقَلَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورِ * أَجْمَعُ أَهْلُ الْحَقِّ فِي مَسْطُورِ

أَنَّ عَوَامَ الْمُسْلِمِينَ مُؤْمِنُونَ * وَإِنَّهُمْ بِرَبِّهِمْ عَـــارِفُونَ

وَرَدَّ إِنَّهُـــمْ حَشْـوُ الْجَنَّةِ * أَكْثَرُهَا اَلْبَلَهُ اِتِّفَاقُ السَّنَّةِ."[598]

قَالَ الْمُنْجُورُ فِي شَرْحِ الْمَحْصَلِ عِنْدَ شَرْحِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ: "قَوْلُهُ أَكْثَرُهَا الْبُلْهُ، وَنَقَلَ بَعْضُهُمْ بِزِيَادَةِ وَأَهْلَ عَلِيِّينَ أَوْلُواْ الْاَلْبَابِ"،[599] ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِشَارَةٌ إِلَى عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ

---

[594] وفي المخطوطة: ا– "إلى قيام الفساد".

[595] هنا انتهى الورقة 30 في المخطوطة: ا.

[596] هنا انتهى الورقة 91 في المخطوطة: ب.

[597] انظر الحاشية السابقة رقم # 42 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

[598] قال الشيخ أحمد بن علي المنجور في شرح محصل المقاصد في معنى هذه الابيات: (نَقَلَ) أي قال (الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورِ) الماتريدي من أكابر أئمة أهل السنة (أَجْمَعُ) أصحابنا (أَهْلُ الْحَقِّ فِي مَسْطُورِ)، أي مسطور الكتب (أَنَّ عَوَامَ الْمُسْلِمِينَ مُؤْمِنُونَ)، أي أجمع على أن العوام مؤمنون، والإجماع فيه لاكن منهم مَن قال لا بدّ مِن نظرٍ عقليٍّ في العقائد، وقد حصل لهم منه القدر الكافي، فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث الموجودات، وإن عجزوا عن التعبير عنه على اصطلاح المتكلمين والعلمِ بالعبارة علمٌ زائدٌ لا يلزمهم، (وَإِنَّهُمْ بِرَبِّهِمْ عَـــارِفُونَ)، بالله تعالى (وَرَدَ) في النصوص (إِنَّهُـــمْ حَشْـوُ الْجَنَّةِ) للأخيار، ميم أنهم مضمومة بدون صلة، إذ ينكسر الوزن بسكون الميم، أو صلتها ولم أرى نقل هذا حديثًا غير أنه مقتضى الكلام السابق لأبي منصور، فهو داخل تحت قول المؤلف: نقل، والحشو ما حشوت به الحشية وهي الفراش؛ انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، ص 81–82.

[599] هذا شرحه عن هذه الابيات: (أَكْثَرُهَا اَلْبَلَهُ اِتِّفَاقُ السَّنَّةِ) إشارة إلى قوله ﷺ: ((أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ))، ونقل بعضهم بزيادة أهل عليين أولوا الألباب، وضمير أكثرها يعود على الجنة بتقدير المضاف، أي أكثر أهل الجنة، ومقتضى سياق المؤلف أن البله كنايةٌ عن العوام لأنه ساق الحديث مساق الاحتجاج بإيمان العوام وإبطال القول بتكفيرهم ولمقابلته بالعلماء أقلها وكون المراد بالبله العوامُ هو الراجح عند القاضي أبي الفضل عياض، ومختار المؤلف كما سيأتي، وأشار بقوله: اتفاق السنة إلى أنه ليس في الحديث ما يناقض أن أكثر أهل الجنة البله، بل في الحديث ما يعضده ويوافق معناه كما سياتي من كلام عياض"؛ انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، ص 82.

وَسَوَادِهِمْ[600] لِأَنَّهُمْ غَافِلُونَ [عَنْ أُمُور لَمْ تَشَوِشْ عَلَيْهِمْ دِيَانَاتِهِمْ وَلَا أَدْخَلَتْهُم فَطَنَتُهُمْ فِي أُمُورٍ]،[601] لَمْ يَصِلُواْ بِهَا إِلَى التَّحْقِيقِ، فَيَكُونُواْ مِنْ أَهْلِ عَلِيِّينَ [مَعَ النبيين وَالصَّدِيقِينَ الشُّهَدَاءِ، وَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَقَفَتْ بِهِمْ عَنِ الْوُصُولِ]،[602] وَحَادَثَهُ بِهِمْ عَنِ السَّبِيلِ، فَضَلُواْ بِكُفْرٍ أَوْ بِدْعَةٍ، فَهَلَكُواْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"،[603] [وَلَفْظُ الْبُلْهُ جمْعُ مَحَلّا بَالٍ[604] وَمِنْ صِيغِ الْعُمُومِ.][605]

وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيَ فِي مَحْصَلِ الْمَقَاصِدِ[606] أَيْضًا بَعْدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

"إِنْ قُلْتَ هَذَا الْحُكْمُ فِيْمَن قَدْ مَضَى * مِنَ الْعَوَامِ ظَاهِرٌ كَمَا اقْتَضَى
وَلَيْسَ يَقْتَضِي عُمُوماً فِي الْعَوَامِ * فِي كُلِّ عَصْرٍ ذَاكَ مَا هُوَ بِعَامِ
إِنْ سَلَمَ اقْتَضَـاؤَهُ لَهُ وُجِبَ * تَخْصِيصُهُ بِنَفْيِ جَهْلِ قَدْ غُلِبَ
قُلْتُ الْعُمُومُ ثَابِتٌ بِصِيغَتِهِ * فَيَقْتَضِي الْحُكْمَ لَهُمْ بِصِفَتِهِ
حَمَلَ جَمِيعُهُمْ عَلَى الْفَسَادِ * مِنْ أَجْلِ حُكْمِ الْبَعْضِ فِي الْمُرَادِ
مُخَالِفُ لِمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ * وَمَا اِقْتَضَتْ أَدِلَّةَ الْمَنْقُولِ

---

[600] مفقود في المخطوطة: ا.

[601] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[602] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[603] هذا شرحه عن هذه الابيات: (فَالْعُلَمَاءُ أَقَلُّهَا) هو تقدير المضاف، أي أهل الجنة، وهذا مقابل قوله: أكثرها البله، (بِالْفَطَنَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ) يتعلق بالعلماء بسبب مالهم من الفطنة والعمل الصالح هم أولوا الألباب هم أقل أهل الجنة بمعنى أن العلماء الذين هم أقل أهل الجنة هم الجامعون بين العلم والعمل، وهم العلماء حقيقة، أما العالم غير العامل فهو بالحقيقة جاهل لا عقل له، وهؤلاء الأقل هم أهل عليين، أي أعلى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء كما سياتي من كلام عياض، (دُونَ مِحَنَةٍ) أي العلماء هم أقل أهل الجنة يخلصون إليها دون محنة وأهوال قبل دخولها بخلاف غيرهم، فإنهم لا يصلون إليها إلا بعد أهوال، (وَالْبُلْهُ فِي أُمُورِ دُنْيَا قُرِرُواْ * بِعَامَّةِ الْإِسْلَامِ أَيْضًا فَسِرُواْ)، ذكر قولين في معنى البله، الأول أن المراد البله في الدنيا، وهم الذين اشتغلوا بالآخرة وما يتعلق بها من العلوم والأعمال حتى غفلوا عن أمور الدنيا، وعليه حمله الغزالي في "كتاب عجائب القلب" في الأحياء، ومثله للجوهري في الصحاح، ونصه: أبله والبلاهة وهو الذي غلب عليه سلامة الصدر، وقد بله بالكسر، وقبله والمرأة بلهاء، وفي الحديث: ((أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ))، يعني البله في أمور الدنيا لقلة اهتمامهم بها، وهم أكياس في أمور الآخرة، والقول الثاني أن المراد بالبله عامة المسلمين لغفلتهم عما يشوش عليهم ديانتهم"؛ انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، ص 83.

[604] هنا انتهى الورقة 92 في المخطوطة: ب.

[605] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[606] انظر الحاشية السابقة رقم # 33 للإشارة إلى هذا الكتاب ومؤلفه.

إِنْ ظَهَرَ الْفَسَادُ وَهُوَ مُنْكِرٌ * تَغْيِيرُ ذَلِكَ بِمَا لَا يُنْكِرُ

مِنْ أَسْهَلِ الْأُمُورِ بِالْأَصْعَبِ * إِذْ قَدْ يَؤُول أَمْرَهُ لِلْعَطَبِ."[607]

قَالَ الْمَنْجُورِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:[608] "قُلْتُ هِيَ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي الْبُلْهِ لِلْعُمُومِ، وَأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى عَامَّةِ السَّلَفِ، لَكِنَ لَا نُسَلِّمُ إِنَّ الْعَامَّ فِي الْأَشْخَاصِ عَامٌّ فِي الْأَزْمَانِ حَتَّى يَشْمَلَ عَامَّةَ هَذَا الزَّمَانِ اَلَّتِي الْكَلَامُ فِيْهَا سَلَمْنَا إِنَّ الْعَامَّ فِي الْأَشْخَاصِ عَامٌّ فِي الْأَزْمَانِ [لِكِنَ لَا نَدَعِي التَّخْصِيصَ بِإِخْرَاجِ عَامَّةً مِثْلَ هَذَا الزَّمَانِ الْفَسَادِ عَقَائِدِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَعَدَمَ إِتْقَانِهِمْ لَهَا، وَلَوْ بِالتَّقْلِيدِ فَضْلًا عَنِ الْمَعْرِفَةِ، فَالْجَوَابُ: إِنَّ الصَحِيحَ أَنَّ الْعَامَّ فِي الْأَشْخَاصِ عَامٌّ فِي الْأَزْمَانِ][609] كَمَا نَقَرَّرَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ شَامِلٌ لِعَامَّةِ كُلَّ عَصْرٍ، وَدَالٌّ عَلَى ذَلِكَ بِصِيغَتِهِ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَحِينَئِذٍ لَا يَخْرَجُ مِنَ الْعَوَامِ إِلَّا مَنْ فَسَدَتْ عَقِيدَتَهُ، وَذَلِكَ [فِي اِلْبَعْضِ لَا فِي الْكُلِّ، وَحَمَلَ جَمِيعُهَا عَلَى الْفَسَادِ لِفَسَادِ الْبَعْضِ لَا يَصِحُّ عَقْلاً وَلَا نَقْلاً، نَعَمْ إِنْ ظَهَرَ فَسَادُ أَحَدٍ مِنْهُم فَهُوَ مُنْكِرٌ][610] يَجِبُ تَغْيِيرَهُ وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ، فَالْأَصْلُ[611] السَّلَامَةُ وَالدُّخُولُ تَحْتَ الْحَدِيثِ، وَتَغْيِيرُ ذَلِكَ يَكُونُ بِمَا يَقْبِلَهُ الْعَامِّي، وَلَا [يَنْكِرُهُ مِنَ الْأَدَلَةِ الْوَاضِحَةِ السَّهْلَةِ الْقَرِيبَةِ عَلَى الْعَامِّي، وَلَا تَمَزِجُ][612] بِاِصْطِلَاحَاتِ الْمُتَكَلِمِينَ اَلَّتِي تَعَمَى عَلَى الْغَبِي، وَلَا يَحْصَلُ مَعَهَا الْمُرَادُ وَلَا بِإِيْرَادِ الشُّبْهِ، وَلَوْ مَعَ الْإِنْفِصَالِ عَنْهَا لِأَنَّ الْغَبِيَّ لَا يَزْدَادُ [إِلَّا شَكًّا، هَذَا مَا ظَهَرَ لِي فِي تَقْرِيرِ كَلَامِ الْمُؤْلَفِ، وَهُوَ وَاللهُ أَعْلَمُ رَدٌّ عَلَى الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ حَيْثُ كَانَ يَدْعُو جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى تَعْلِيمِ الْعَقَائِدِ، وَيَشَدِّدُ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ وَلَا يَرْخَصُ فِي تَرْكِهِ لِطَالِبٍ أَوْ غَيْرِهِ، قَوْلُهُ: (إِنْ قُلْتَ هَذَا الْحَكَمُ) البيت الْمُرَادُ بِالْحَكَمِ كَوْنُ الْعَامَّةِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفَاعِلُ اِقْتِضَى الْبُلْهِ أَوْ الْحَدِيثِ؛ قَوْلُهُ: (ذَلِكَ هُوَ بِعَامٍّ) أَيْ فِي كُلِّ عَصْرٍ، قَوْلُهُ: (إِنْ سَلَمَ اِقْتِضَاؤُهُ لَهُ وَجَبَ) البيت أَيْ إِنْ سَلَمَ اِقْتِضَاؤُهُ اللَّفْظُ لِلْعُمُومِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَجَبَ اِخْتِصَاصُهُ بِأَنْ يَقْصِرَ عَلَى لَفْظِ

---

[607] انظر محصل المقاصد للإمام أحمد بن زكري التلمساني، المخطوطة في يد المؤلف، ص 13.

[608] هنا انتهى الورقة 93 في المخطوطة: ب.

[609] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[610] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

[611] هنا انتهى الورقة 94 في المخطوطة: ب.

[612] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا.

Institute of Islamic-African Studies International

الْجَهْلِ الْغَالِبِ، قَوْلُهُ: (قُلْتَ الْعُمُومُ ثَابِتٌ بِصِيغَتِهِ) لَفْظُ الْبُلْهِ أَوْ بِصِيغَةِ اللَّفْظِ الدَّالُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ هُنَا الْبُلْهُ لِأَنَّهُ جَمْعُ مَحَلِى بِأَلٍ وَهُوَ مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ، قَوْلُهُ: (فَيَقْتَضِي الْحَكَمُ لَهُمْ بِصِفَتِهِ) اَلْمُرَادُ بِالْحَكَمِ كَوْنُهُمْ حَشْوُ الْجَنَّةِ وَأَكْثَرُ أَهْلِهَا، أَيْ فَيَقْتَضِي اللَّفْظَ أَنَّ عَامَّةَ كُلِّ عَصْرٍ دَاخِلُونَ فِي الْبُلْهِ اَلَّذِينَ هُمُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَوْلُهُ: (تَغْيِيرُ ذَلِكَ بِمَا لَا يُنْكِرُ * مِنْ أَسْهَلِ الْأُمُورِ لَا بِالصَّعْبِ) تَغْيِيرُ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ بِمَا لَا يُنْكِرُ وَمِنْ بَيَانٍ لَمَا قَوْلَهُ: (إِذْ قَدْ يَؤُولُ أَمْرُهُ لِلْعَطَبِ) أَيْ الْأَمْرِ الْأَصْعَبِ"؛ اِنْتَهَى.][613]

وَأَمَّا بَيَانُ ظُهُورِ الطَّائِفَةِ الضَّالَةِ الْمُضِلَةِ فِي زَمَانِ الْحَسَنِ الْيُوسِي يَزْعَمُونَ إِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى[614] لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى التَّقْرِيرِ اَلَّذِي يُقَرِّرُهُ الْعُلَمَاءُ فَهُوَ كَافِرٌ، فَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ الْيُوسِي فِي مُحَاضِرَاتِهِ:[615] "كُنْتُ فِي عَامِ السَّبَعِينَ وَاَلْفٍ، قَصَدْتُ إِلَى زِيَارَةِ شَيْخِنَا الْبَرَكَةِ، وَقُدْوَتَنَا فِي السُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ بْنِ[616] نَاصِرٍ[617] سَقَى اللَّهُ ثَرَاهُ، فَمَرَرْتُ بِبَلَدِ سِجْلَمَاسَةِ، فَوَجَدْتُ فِتْنَةً ثَارَتْ بَيْنَ الْطُّلَبَةِ فِيهَا فِي مَعْنَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، فَكَانَ بَعْضُ الطُّلَبَةِ قُرِّرَ فِيهَا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ السَّنُوسِيُّ مِنَ أَنَّ الْمَنْفِيَ هُوَ الْمِثْلُ الْمُقَدِرُ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ لَهُمْ الرِّيَاسَةِ فِي النَّوَازِلِ الْفِقْهِيَةِ وَفَصْلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَةِ، [وَلَيْسَ لَهُمْ نَفَاذٌ فِي الْعُلُومِ النَّظَرِيَةِ، وَأَخَذُواْ

---

[613] انظر مختصر نظم لفوائد للإمام المنجور، ص 85–86؛ وما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[614] هنا انتهى الورقة 31 في المخطوطة: ا.

[615] هو المجدد الإمام الشيخ عالم المغرب نور الدين أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يحيي بن يوسف بن داوود بن يدراسن بن ينتتو اليوسي، وُلد سنة 1040 الهجرية [الموافق بسنة 1631 الميلادي] هو فقيه مالكي أديب متكلم صوفي، تعلم بالزواية الدلائية، وتنقل في الامصار، فأخذ عن علماء سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكالة، واستقر بفاس مدرسا، واشتهر حتى يُنعت بغزالي عصره، وله كتب عديدة، منها: قانون أحكام العلم وحاشية على الكبرى للسنوسي ومناهج الخلاص من كلمة الإخلاص وهذا الكتاب المذكور المحاضرات وغيرها، توفى الشيخ الحسن اليوسي يوم الإثنين 23 شهر ذي الحجة سنة 1102 الهجرية [الموافق بسنة 1691 الميلادي].

[616] هنا انتهى الورقة 95 في المخطوطة: ب.

[617] هو القطب الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر الدرعي، المشهور بالشيخ محمد بن ناصر، ولد يوم الجمعة من شهر رمضان سنة 1011 الهجرية [الموافق بسنة 1602 الميلادي]، فتح الله على الشيخ محمد بن ناصر إلى الشيخين الزاهدين: القطب سيدي عبد الله بن حسين القباب وسيدي أحمد بن إبراهيم الأنصاري، فاجتهد في بث العلم ونشر الدين ومحاربة البدعة وإقامة السنة على غاية من الورع والزهد والعبادة، ومن تلاميذه الشيخ الإمام المجدد الحسن اليوسي الذي ألف القصيدة الدالية مدحاً بها الشيخ محمد بن ناصر، توفى رحمه الله سنة 1080 الهجرية.

بِنَحْوِ مَا أَخَذُواْ بِهِ الشَّيْخُ الْهَبْطِيُّ فِي مَشَاجِرَتِهِ الْمَشْهُورَةِ[618] مَعَ أَهْلِ عَصْرِهِ حَتَّى اَمْتَحَنُوهُ بِالسِّيَاطِ]،[619] فَجَعَلْتُ أَقْرَّرَ لِأُولَئِكَ الْمُنْكِرِينَ الْكَلِمَةِ بِوَجْهٍ يُقَرِبُ بَيْنَ الْمَأْخُذِينَ، وَيَصْلَحُ بَيْنَ الْخَصِمِينَ، فَلَمْ يَفْهَمُواْ ذَلِكَ، وَصَمَّمُواْ عَلَى مَا طُرِقَ أَسْمَاعهُمْ [مِن أَنْ الْهَبْطِيَّ أَخْطَأَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا]،[620] ثُمَّ وَقَعَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ أَيْضًا بِمَدِينَةِ مَرَاكَش عَنْ قَرِيبٍ مِن هَذِهِ بَيْنَ طَلَبَتِهَا حَتَّى ضَلَّلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِن أَجْلِ ذَلِكَ أَلَّفْتُ كِتَابَ مَنَاهَجُ الْخَلَاص مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ[621] كَمَا نَبَهْتُ عَلَى[622] ذَلِكَ فِي خُطْبَتِهِ، فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَافِيًا فِي لِلْغَرَضِ، شَافِيًا لِلْمَرْضِ.

---

[618] هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الهبطي الكبير، ولد بقرية اهباطة سنة 890 الهجرية [الموافق بسنة 1485 الميلادي]، توفى سنة 963 الهجرية [الموافق 1558 الميلادي].

[619] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[620] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، و: ب.

[621] فقال الشيخ الحسن اليوسي في مقدمة المناهج: "فهذه إن شاء الله تعالى حملةٌ مفيدةٌ في تفسير الكلمة المجيدة وهي كلمة الإخلاص التي جعلتُ ترجمة على الإيمان في حقّ العام والخاصّ، وقد كانت هذه الكلمة المشرفة نشأ فيها نزاع بين المتأخرين من زمان أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي، وذلك في المنفي المستثنى منه، أهو المعبود بالحق أم غيره؟ ثم لم يزل إلى الآن يثور فيها بين الطلبة النزاع، ويقع الدفاع والقراع، وربما انجر ذلك إلى كلام بشيع ومنكر شنيع وتضليل وتشنيع، فأردتُ أن أبين إن شاء الله معناها وأؤسس مبناها على حسب ما تطاول إليه باعي القصير، وانتهى إليه طرفي الحسير، متبرئًا م الحول والقوة في الإيراد والإصدار وما الحول والقوة إلا لله تعالى الذي بيده أزمة الأقدار، وأشرتُ فيها إلى غرضين: أحدهما ما لا بدّ منه للمكلف فيها من الاعتقاد بحيث إذا خرج عنه ولج بحبوحة الكفر أو كاد، والثاني ما ينبغي له أن يعتقده منها من الوجه الكامل، بحيث إذا سقط عنه زل عن شرف الخصوصية إلى الحضيض السافل، وبحسب الاعتبار الأول نسمي هذه النبذة إن شئنا: مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص، وبالاعتبارين جميعاً نسميها إن شئنا: مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، وكان سبب الانتهاض إليه ولترامي عليه بعد مشيئة الله السابقة وربوبيته الهادية السالفة أمورًا: أحدها...إن هذه الكلمة المشرفة هي عنوان الإيمان وسبب الفلاح والأمان، وهي عصمة من الكفران والمنجاة من الهلاك والخسران، فوجب الاعتناء بفهمها والمحافظة على رسمها، ثانيها إنها أجلّ الأذكار وقدرها أعظم الأقدار كما سيظهر إن شاء الله، إذا وقع الإلمام بشيءٍ من فضلها وبين شفوف محلها، فتأكد على كل موحد الاعتناء بها، والاعتراف بشريف منصبها، ثالثها إسعاف الراغبين وتلبية الطالبين، فإنهم ما زالوا يلحون على هذا المأرب ويتشوقون إلى هذا المطلب، رابعها رجاء أن يقع الإنصاف وتنحسم مادة الخلاف، فإن الاختلاف في هذا الأصل الكبير كبيرٌ وزعزعةُ مثل هذا الأساس خطيرٌ مبيرٌ، خامسها التبرك بهذا الذكر الشريف وجاء الدخول بذلك في زمرة أهل التعريف مع ما يرجى من ذلك من حصول ثواب وفتح أبواب، سادسها إعانة مسلم وكفاية مُهم ومن الله تعالى أسأل التوفيق والعون، ومنه أستمد العصمة والصون، وهذا أوان الشروع في المقصود باسم ربنا المعبود".

[622] هنا انتهى الورقة 96 في المخطوطة: ب.

ثُمَّ رَجَعْتُ فِي زَوْرَةٍ أُخْرَى بَعْدَ هَذِهِ، فَمَرَّرْتُ أَيْضًا بِسِجِلْمَاسَة، فَوَجَدْتُ فِتْنَةً أَبْشَعُ مِنْ هَذِهِ وَأَشْنَعُ وَقَعَتْ لِهُؤُلَاءِ مَعَ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَافَةً عَامَةً وَخَاصَّةً، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَظَرُواْ فِي كَلَامٍ مِن حِرْضٍ مِنَ الْأَئِمَةِ عَلَى النَّظَرِ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَحَذَرَ مِنَ الْجَهْلِ فِيْهِ وَمِنَ التَّقْلِيدِ، فَجَعَلُواْ يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَا يَعْتَقِدُونَ، وَيُكَلِفُونَهُمْ الْجَوَابَ وَالْإِبَانَةَ عَنِ الصَّوَابِ، فَرُبَّمَا عَثَرُواْ عَلَى قَاصِرِ الْعِبَارَةِ عَمَا فِي قَلْبِهِ، أَوْ مُتَلَجْلَجُ اللِّسَانِ لَدَهَشِ نَالِهِ، أَوْ جَاهِلٌ بِشَيْءٍ مِمَّا يَقْدَحُ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ يَظُنُونَهُ قَادِحًا وَإِنْ لَمْ يَقْدِحْ، فَيَشْنِعُونَ عَلَيْهِ الْجَهْلَ وَالْكُفْرَ، ثُمَّ أَشَاعُواْ أَنَّ الْفَسَادَ قَدْ ظَهَرَ[623] فِي عَقَائِدِ النَّاسِ، وَجَعَلُواْ يُقَرِّرُونَ الْعَقَائِدَ لِلْعَوَامِ، فَشَاعَ [عِنْدَ النّاسِ أَن مَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى النَّمْطِ اَلَّذِي يُقَرِّرُونَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَشَاعَ][624] عِنْدَهُمْ أَنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَيِ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ عَلَى التَّقْرِيرِ اَلَّذِي يُقَرِّرُهُ الْعُلَمَاءُ فَهُوَ كَافِرٌ، فَدَخَلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ كَبِيرٌ، فَلَمَا دَخَلْتُ الْبَلَدَ جَاءَنِي النَّاسُ أَفْوَاجًا يَشْتَكُونَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَبْلُغُ إِلَى فَهْمِ تَقَارِيرِ الْعُلَمَاءِ، فَأَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنّمَا تُعْبِدُكُمْ بِاعْتِقَادِ الْحَقِّ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَفَلَا تَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقٌّ مَوْجُودٌ؟ فَيَقُولُونَ: "بَلَى"، أَفَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي مُلْكِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا إِلَهٌ مَعَهُ وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بِاطِلٌ؟ فَيَقُولُونَ: "بَلَى"، هَذَا كُلُّهُ [يَقِينٌ عِنْدَنَا لَا نَشَكُّ فِيْهِ وَلَا نَرْتَابُ، فَأَقُولُ لَهُمْ: هَذَا هُوَ][625] مَعْنَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ الْمَطْلُوبِ مِنْكُمْ اِعْتِقَادَهُ، سِوَاءٌ عَرِفْتُمُوهُ مِنْ لَفْظِهَا أَوْ لَا، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ[626] عَرَبِيَّةٌ، وَالْأَعْجَمِيُّ لَا حَظَّ لَهُ فِي دِلَالَتِهَا، وَإِنَّمَا حَسْبَهُ أَنْ يَتَرَجِمَ لَهُ مَضْمُونُهَا فَيَعْتَقِدَهُ، وَكَذَا الْعَقَائِدُ كُلُّهَا الْمَطْلُوبَ اِعْتِقَادَهَا بِالْمَعْنَى، وَلَا يَشْتَرِطُ فَهْمَ أَلْفَاظِهَا اَلَّتِي يُعَبِرُ بِهَا عَنْهَا فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا إِدْرَاكُ حُدُودِهَا وَرُسُومِهَا اَلَّتِي تَعْرِفُ بِهَا، فَإِنَّ فَهْمَ[627] هَذِهِ الْعِبَارَاتِ وَالْإِحَاطَةَ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ وَالتَّقْرِيرَاتِ عِلْمٌ آخِرٌ لَمْ يُكَلِفْ بِهَا الْعَوَامُ، فَإِذَا أَجِبْتُهُمْ بِذَلِكَ اَنْطَلَقُواْ مَسْرُورِينَ حَامِدِينَ شَاكِرِينَ، ثُمَّ جَاءَنِي رَئِيسِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَسَأَلَنِي عَنْ مَسَائِلِ فِي هَذَا الْمِنْحَى فَأَجَبْتُهُ، ثُمَّ تَقَدَمْتُ إِلَيْهِ بِالنَّصِيحَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أَكْثَرُ النَّحَلِ وَجَلُّ الطَّوَائِفِ الضَّالَةِ

---

[623] هنا انتهى الورقة 97 في المخطوطة: ب.

[624] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[625] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب.

[626] هنا انتهى الورقة 98 في المخطوطة: ب.

[627] هنا انتهى الورقة 32 في المخطوطة: ا.

SANAD Institute of Islamic-African Studies International

إِنَّمَا خَرَجَتْ فِي هَذَا الْعِلْمِ، فَإِنْ أَرْدْتَ نَفَعَ النَّاسَ فَقَرِّرْ لَهُمْ[628] الْعَقَائِدَ بِالْقَدْرِ اَلَّذِي يُبلِغُونَ، وَحَدِّثْ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ، وَدَعْ عَنْكَ هَذِهِ الْإِمْتِحَانَاتُ وَالتَّدْقِيقَاتِ وَالتَّشْنِيعَاتِ اَلَّتِي لَمْ تَجْرِ بِهَا سُنَّةُ أَهْلِ الدِّينِ فِي عَصْرٍ مِنَ الْاَعْصَارِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَشْرِبُ ذَلِكَ وَتَمَكِنُ فِيهْ التَظَاهِرُ بِهِ، وَإِذَا تَمَيِّزَهُ قَدْ نَقَصَ عَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، نَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَتُمَادِى عَلَى ذَلِكَ وَأُصَفَقْتَ عَلَيْهِ الْعَوَامَ حَتَّى سَمِعُواْ مَقَالَتَهُ فِيْهِمْ، وَجَعَلَ يَتَغَالَى فِي تَقْرِيرِ الْعَقَائِدِ وَبَيَانِ وُجُوهِ الْمُخَالِفَةِ وَنَحْوِهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِمَا لَا حَاجَةً إِلَيْهِ حَتَّى يَقَعَ فِي ذِكْرِ مَا هُوَ سُوءُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَمَا لَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ رَائَحَةٌ مِنْ عُظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَن يَفُوهُ بِهِ، وَيَحْضَرُ[629] مَجْلَسَهُ أَوْ بَاشَ الْأَعْرَابُ مِنْ جَزَارَةٍ وَنَحْوِهَا، فَإِذَا رَجَعُواْ إِلَى قَوْمِهِمْ ذَهَبُواْ بِتِلْكَ الْمَقَالَاتِ وَجَعَلُواْ يَلِقُونَ عَلَى أَمْثَالِهِمْ مِنَ الرِّعَاعِ الأَسْئَلَةِ مِنْ هَذَا الْمَنْحِى، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَيْنَ بَاتَ اللَّهُ؟ وَأَيْنَ يُصْبِحُ؟ وَأَيْنَ يَظِلُّ؟ وَأَيْنَ هُوَ؟ وَكَيْفَ هُوَ؟ إِلَى مَا هُوَ أَبْشَعُ مِنْ ذَلِكَ مِمَا لَا أَذْكَرَهُ، وَقَدْ نَبَهْتُ عَلَى طَرْفٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِي الْمَذْكُورِ، ثُمَ أَشَاعُواْ أَنَّ عَوَامَ الْمُسْلِمِينَ لَا تُؤَكِلُ ذَبَائِحَهُمْ وَلَا يُنَاكِحُونَ مَخَافَةً أَن يَكُونُواْ لَمْ يَعْرِفُواْ التَّوْحِيدَ، فَحَدَثَنِي الْفَقِيهُ الْمُشَارِكُ الصَّالِحُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُبَارِكٌ بنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيُّ الْغَرْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ اَعْرَابِيًا مِنْ هَؤُلَاءِ الشِّيعَةِ جَاءَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ بَلَدِ تُوَاتْ، فَكَانُواْ إِذَا طَبَخُواْ زَادَهُمْ وَفِيْهِ الْخَلِيعُ يَمْتَنِعُ مِنَ الْأَكْلِ مَعُهُم،[630] وَيَقُولُ: إِنَّ الْجِزَارَ اَلَّذِي ذَبِحَ هَذِهِ الْبَهِيمَةَ لَا نَدْرِي أَيَعْرِفُ التَّوْحِيدَ أَمْ لَا؟ وَلَمَا دَخَلَ الْبَلَدَ جِيءُ بِطَعَامٍ عَلَيْهِ لَحْمَ وَجَمَاعَة مِنَ الْأَشْرَافِ حُضُورٌ، فَدَعُوهُ لِلْأَكْلِ فَامْتِنِعُ، وَقَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ اَلَّذِي ذَبِحَ تْلِكَ الذَّبِيحَةَ لَا نَدْرِي أَيَعْرَفُ التَّوْحِيدَ أَوْ لَاَ؟ فَقَالُواْ لَهُ: مَا ذَبَحَهَا عَبْدٌ وَإِنَّمَا ذَبِحَهَا الْمَوْلَى فُلَانٌ الشَّرِيفُ مِنْهُمْ، فَامْتَنِعُ أَيْضًا وَبَاتَ طَاوِيًا، ثُمَّ لَمْ يَقِفُواْ فِي هَذَا، بَلْ لَمَا اَنْتَهَكُواْ حُرْمَةَ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ اِبْتِلَاهُمْ اللَّهُ بِانْتِهَاكِ حُرْمَةِ خَاصَّتِهِمْ أَيْضًا، فَتَنَاوَلُواْ فُقُهَاءُ وَقْتَهُمْ وَوَقَعُواْ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، ومَنْ هُمْ عَلَى سُنَنِ الْمُهْتَدِينَ، وَضَلَّلُوهُمْ إِذْ لَمْ يَضَلَّلُواْ الْعَامَّةَ، فَوَقَعَ لَهُمْ قَرِيبٌ مِمَا وَقَعَ لِلْكُمَيلِيَةِ مِنَ الرَّوَافِضِ، فَإِنَّهُمْ

Institute of Islamic-African Studies International

---

[628] هنا انتهى الورقة 99 في المخطوطة: ب.

[629] هنا انتهى الورقة 100 في المخطوطة: ب.

[630] هنا انتهى الورقة 101 في المخطوطة: ب.

كَفَرُواْ الصَّحَابَةِ حَيْثُ لَمْ يَقَدِمُواْ[631] عَلِيًّا كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، ثُمَّ كَفَرُواْ عَلِيًّا حَيْثُ لَمْ يَنَازِعُهُمْ فِي حَقِّهِ، وَكَانَ أَهْلَ الْبَلَدِ أَتَبِعُونِي وَأَنَا فِي الطَّرِيقِ سُؤالًا فِيمَا هُوَ مِنْ حُكَمِ الذَّبَائِحِ وَنَحْوِهَا فِي بَطَاقَةٍ، فَأَجَبْتُهُمْ بِمَا عُلِمَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ كُلَّ مَن تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَإِنَّهُ تُؤَكِلُ ذَبِيحَتِهِ، وَتَحِلَّ مَنَاكِحَتِهِ، وَيُدَفِنُ فِي مُقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ وَنَحْوُ هَذَا الْكَلَامِ، فَلَمَا بَلَغَ إِلَى أُوْلَئِكَ قَالُواْ:[632] سُبْحَانَ اللَّهِ! كُنَا نَعْرِفُ فُلَانًا مِنَ الْعُلَمَاء، ثُمَّ هُوَ يَقْتَصِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ وَيَكْتَفِي بِهِ فَلَمْ يَقَعْ كَلَامِي مِنْهُمْ مَوَقِعًا حَيْثُ اَقْتَصَرَتْ عَلَى الْحَاجَةِ وَهُوَ الْحَقُّ وَلَمْ أَتَعِدُ إِلَى مَا يَشْتَغِلُونَ بِهِ مِنَ الْفُضُولِ وَالضَّلَالِ، وَكَانُواْ قَبْلَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ قَدْ تَلَمَّذُواْ لِشَيْخِنَا[633] الْإِمَامِ اِبْنِ نَاصِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخَذُواْ عَهَدَهُ، فَلَمَا لَمْ يَشْتَغِلْ بِمَا اَشْتَغِلُواْ بِهِ أَنْكَرُواْ عَلَيْهِ".[634]

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ الْكَلَامِ: "وَقَدْ اِشْتَعَلْتُ فِتْنَتُهُمْ حَتَّى كَادَتْ تَخْرَجُ إِلَى الْأَفَاقِ كُلِّهَا، ثُمَّ أَطْفَأُهَا اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ، فَجَاءَ الطَّاعُونَ عَامَ تِسْعِينَ وَالْفَا، فَأَجْتَثَّ شَجَرَتُهُمْ مِنْ فَوْقِ اِلْأَرْضِ فَلَمْ يَبْقَى لَهَا قَرَارٌ"، اِنْتَهَى.[635]

قُلْتُ وَقَدْ ظَهَرَتْ أَمْثَالُهُمْ فِي زَمَانِنَا كَمَا مَرَّتْ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ، فَأَجَتَث اللَّهَ صَوْلَتُهُمْ بِتَوَلِيفِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَجَمِيَّةِ كَمَا أَجَتَثَّ اللَّهُ الْبِدْعَ الْمَذْمُومَةَ وَالْعَوَائِدَ الرَّدِيَةَ بِهَا أَيْضًا، فَاَسْتَقَامَةُ السُّنَّةِ، ثُمَّ اَجْتُثَّ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَجَرَةَ الْكُفْرِ بِأَسْلِحَتِنَا، فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ اَلَّذِينَ ظَلَمُواْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[636] فَمَكَنَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ دِينَ الْإِسْلَامِ فِي بِلَادِنَا السُّودَانِيَّةِ هَذِهِ وَبَدَلَ لَهُمْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْنًا.[637]

---

[631] هنا انتهى الورقة 102 في المخطوطة: ب.

[632] هنا انتهى الورقة 33 في المخطوطة: ا.

[633] هنا انتهى الورقة 103 في المخطوطة: ب.

[634] انظر المحاضرات في اللغة والأدب للإمام الحسن بن مسعود اليوسي، ص 93-95.

[635] انظر المرجع السابق ص 95-96.

[636] هنا انتهى الورقة 104 في المخطوطة: ب.

[637] منذ بداية تجديده وحتى انتصاره على وسط بلاد السودان عالج المصنف الشيخ رحمه الله بفعالية الحالات الشاذة التي ظهرت في باب الإيمان والعقيدة الإسلامية كما قال ولده السلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور: "إذ وجد الشيخ في هذه البلاد طائفة مثل الطائفة التي ذكرها الحسن اليوسي، وهم طائفة نظروا في كلام من حض من الأئمة على النظر في علم التوحيد، وحذر من الجهل فيه ومن التقليد، فجعلوا يسألون الناس عما يعتقدون

وَهُنَا اِنْتَهَى كِتَابُنَا شَمْسُ الْإِخْوَانِ، وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى خَتَمَهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادِي الْأَوَّلُ سِنَّةَ شَرَحَكٌ[638] مِنْ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي أَنْعَمَ

ويكلفونهم الجواب والإبانة عن الصواب، فربما عثروا على قاصر العبارة عما في قلبه، أو ملجلج اللسان لدهش ناله، أو جاهل بشيء مما يقدح في العقيدة، أو يظنونه قادحاً، وإن لم يقدح فيشيعون عليه الجهل والكفر، ثم أشاعوا أن الفساد قد ظهر في عقائد الناس، وجعلوا يقررون العقائد للعوام بعبارات مقررة عندهم، واصطلاحات محررة، وحدود معبرة حسب ما في كتب المتكلمين، فشاع عند الناس أن من لم يشتغل بالتوحيد على النمط الذي يقررون فهو كافر، وأشاعوا أن عوام المسلمين لا يؤكل ذبائحهم ولا يناكحون، مخافة أن يكونوا لم يعرفوا التوحيد، ثم لم يقفوا في هذا، بل لما انتهكوا حرمة عوام المسلمين، ابتلاهم الله بانتهاك حرمة خاصتهم أيضاً، فتناولوا فقهاء وقتهم، ووقعوا في أهل العلم والدين، ومن هم على سبيل المهتدين وضللوهم إذ لم يضللوا العامة، وقد اشتعلت فتنتهم، وتراكمت ظلماتهم، حتى كادت تطبق على هذا القطر كله، فطلع هذا الشيخ عليهم، فأطفأ الله به نار فتنتهم، وكشف بنوره ظلماتهم فأبطل مذهبهم، واجتث شجرتهم من فوق الأرض، ولم يبق لها فرار، وله تأليف في الرد عليهم، تنيف على خمسين تأليفاً، وله معهم وقائع ومشاهد في المناظرة أجاد فيها وكشف عن سأسق الحق والحقيقة، والحمد لله"، ومن مصنفاته في هذا المجال: كتاب حصن الأفهام من جيوش الأوهام، وكتاب كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين، وكتاب عمدة دعوة العباد إلى كتاب الله، وكتاب ترغيب عباد الله في حفظ علوم دين الله، وكتاب رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد في التقليد، وكتاب شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل، وتمييز المسلمين من الكافرين، وترويح الأمة على تيسير الملة، وكتاب كفاية المهتدين، ومعراج العوام إلى علم الكلام، وقطع الخصام الذي يقع بين طلبة علم الكلام، ونصيحة أهل الأركان حيث ما كانوا في البلدان، وهذا الكتاب بين يديك الذي هو آخرها وأفضلها شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان وغيرها؛ انظر إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور للسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، ص 52–53.

[638] فحدد المؤلف الشيخ عثمان بن فودي تاريخ الانتهاء من هذا الكتاب باستخدام القيم العددية لحروف العربية، فقال أنه ختمه يوم الخميس 19 جماد الأول في سنة "شرحك"، فعدد حروفها: ش=1000، ر=200، ح=8، ك=20، وهو يساوي 1228 الهجرية [الموافق بـ19 مايو سنة 1813 الميلادي]، وكما قدمناه في بداية الكتاب هذه السنة كان المؤلف أمير المؤمنين الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله في سِيفَاوَ، فهذا الزمان الذي تقاعده فيه من الحكم النشط، فقسم الشيخُ الخلافة الصكتية قسمان: قسم الشرق لابنه محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي وقسم الغرب لشقيقه ووزيره الأستاذ عبد الله بن فودي، على الرغم من أن المصنف الشيخ رحمه الله قد تقاعد من الحكم النشط للخلافة، لكنه شارك بعمق في المساعدة والتأييد على تثبيت الدولة، تشير حقيقة أنه ألف هذا الكتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان خلال هذا الزمن الجازم من تثبيت الحكومة الصكتية إشارة إلى أن مسألة تصحيح عقائد الناس في بلاد السودان الوسطى ظلت مسعى مهماً للشيخ عثمان بن فودي طوال حياته المهنية، فقال الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته حامدًا وشاكراً على هذه المنن التي منّ الله تعالى عليه بإظهار أصول الأديان:

نَحْمَدُ اللَّهَ وَقْتَنَا وَقْتُ نُورٍ * وَقْتُ كَشْفِ الظَّلَامِ لِلْعَالَمِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقْتَنَا وَقْتُ نَصْرٍ * وَقْتُ خِذْلَانِ جُمْلَةُ الْكَافِرِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقْتَنَا وَقْتُ عِزٍّ * وَقْتُ فَرْحٍ لِجُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ

عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا بِسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، [اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لَمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لَمَا سَبَقَ نَاصِرُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمَ وَعَلَى أَلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ،][639] [تَمَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ].[640]

نَحْمَدُ اللَّهَ حِزْبُنَا حِزْبُ عَبْدِ * الْقَادِرِ الْغَوْثِ سَيِّدِ الْعَارِفِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقْتُنَا وَقْتُ إِحْيَاءِ * السَّبِيلِ لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

[639] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ا، هنا انتهى الورقة 105 في المخطوطة: ب، وبانتهائه انتهى المخطوطة ب في كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان.

[640] ما بين القوسين مفقود في المخطوطة: ب، وهنا انتهى الورقة 34 في المخطوطة: ا، وبانتهائه انتهى المخطوطة ا في كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان؛ فبحمد الله وحسن عونه فقد انتهيتُ هذا شرحي وتعليقي وتحريري وتحقيقي على كتاب شمس الإخوان يستضيئون به في أصول الأديان لأمير المؤمنين سيدي الشيخ عثمان بن فودي محمد بن عثمان، المسمى: ضياء البيان من شمس الإخوان لنور الزمان الشيخ ابن فودي عثمان، وقت الظهيرة يوم 20 من شهر الله رجب سنة 1445 الهجرية [الموافق بيوم 30 يناير سنة 2024 الميلادي]، فأقول نظمًا حمدًا شاكرًا لله على جعلني أحد تلاميذ ونواب ومعاوني نور الزمان مجدد الدين إمام الأولياء سيف الحق أمير المؤمنين الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمته ونفعنا ببركاته:

نَحْمَدُ اللَّهَ ثُلُّتُنَا ثُلَّةُ سَيْفِ * الْحَقِّ عُثْمَانَ سَيِّدِ الْمُجَدِّدِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ نَفَرُنَا طَلِيعَةُ * لِلْمَهْدِي سَيِّدِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وِرْدُنَا صَلَاةُ * دَائِماً عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيئِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ سُلُوكُنَا أَخْلَاقُ * اَلَّذِي أَرْسَلَ ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾
نَحْمَدُ اللَّهَ وآخِرُ دَعْوَانَا * ﴿أَنَّ اَلْحَمْد لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

SANKORE
Institute of Islamic-African Studies International

مصادر شمس الإخوان بالترتيب الزمني

1. القرآن المجيد
2. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه الشهير باسم صَحِيحِ الْبُخَارِيّ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المعروف بالبخاري، [194 هـ/809 م – 256 هـ/871 م].
3. الجامع الصَحِيحِ الشهير باسم صحيح مُسْلِمٍ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوريّ، [204 هـ/819 م– 261 هـ/876].
4. السنن المشهور بسنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود، [202 هـ/817 م – 275 هـ/890 م].
5. جامع الترمذي المعروف بـسنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، فاشتهر بالحافظ أبي عيسى الترمذي الضرير، [209 هـ/824 م – 279 هـ/892 م].
6. القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي [249 هـ/863 م – 306 هـ/918 م].
7. أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ السمرقنديّ الأنصاريّ الحنفيّ، [248 هـ/852 م – 333 هـ/944 م].
8. الإمام أبو الأصبغ عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين، [310 هـ/961 م – 387 هـ/1038 م].
9. النظامي في أصول الدين لأبي بكر محمد بن الحسن بن قورك الأنصاريّ الأصبهانيّ الشافعيّ الأشعريّ، [330 هـ/941 م – 406 هـ/1015 م].
10. مقدمة في العقائد المشهور بـعَقِيدَةِ الْمَوَحِدِينَ لأبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الجورائي الغفجومي البربري الصنهاجي الزناتي الفاسي المالكي، [365 هـ/975 م – 430 هـ/1040 م].
11. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي [476 هـ/1083 م – 544 هـ/1083 م].

12. إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المشهور بالإمام الغزالي، [450 هـ/1058 م – 505 هـ/1111 م].
13. اِلْجَامَ الْعَوَامِ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المشهور بالإمام الغزالي، [450 هـ/1058 م – 505 هـ/1111 م].
14. نظم الشيخ يحيي القرطبي أو المقدمة القرطبية أو منظومة القرطبي ليحيي القرطبي المالكي الأشعري [486 هـ/1092 م – 567 هـ/1173 م].
15. كِتَابِ دِيَّانَاتِ الْعَرَبِ لبهاء الدين أبي محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني المعروف بالنجار، [493 هـ/1099 م – 580 هـ/1184 م].
16. العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية المشهور بـالعقيدة السلالجية للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى القيسي القرشي السلالجي، [521 هـ/1124 م – 594 هـ/1197 م].
17. شُعْبِ الْإِيْمانِ للقاضي أبي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري الأوسي الأنصاري القرطبي الاندلسي، توفى 608 هـ/1211 م].
18. شَرْحِ السُّلَالِجِيَةِ لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرُّعَيْنِيُّ السرقسطي، [598 هـ/1201 م – 632 هـ/1235 م].
19. الفتوحات المكية في معرفة أسرار الْمالكية والملكية للشيخ الأكبر محيي الدين أبي بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي [560 هـ/1165 م – 638 هـ/1240 م].
20. بُهْجَةِ النُّفُوسِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ لأبي محمد عبد الله بن سعد ين سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، توفى 699 هـ/1296 م].
21. الحكم العطائية لتاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله، المعروف بابن عطاء الله السكندري المالكي الشاذلي، [658 هـ/1260 م – 709 هـ/1309 م].
22. كِتَابِ حُجَّةِ الْمَسَائِلِ عَنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ لأَبي بكر بن محمد بن أبي بكر السخاوي الشافعي [790 هـ/1749 م – 819 هـ/1749 م].
23. جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، [727 هـ/1327 م – 771 هـ/1370 م].

24. منظومة مَحْصَلِ الْمَقَاصِدِ لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن زكري المانوي المغراوي التلمساني، [830 هـ/1320 م – 900 هـ/1390 م].
25. المختصر الشامل في التوحيد، ومسمى أيضًا المحتصر الكلامي للعلامة أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي المقرئ الفروعي الأصولي المنطقي، [816 هـ/1306 م – 910 هـ/1400 م].
26. عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع وعنيد المشهور بالعقيدة الكبرى لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
27. عمدة أهل التوفيق والتسديد لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
28. العقيدة الوسطى لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
29. شَرْحِ العقيدة الْوُسْطَى لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
30. العقيدة الصغرى المسمى أم البراهين لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
31. نُورِ السَّعَادَةِ شَرْحِ الصُّغْرَى لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
32. المنهج السديد في شرح كفاية المريد، ويعرف أيضًا بـشرح الجزائرية لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الشريف القرشي التلمساني، [830 هـ/1426 م – 895 هـ/1490 م].
33. شرح الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي [849 هـ/1445 م – 911 هـ/1505 م].
34. النقاية في أربعة عشر علما لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي [849 هـ/1445 م – 911 هـ/1505 م].

35. إتمام الدراية لقراء النقاية أو إتمام الدراية شرح النقاية لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي [849 هـ/1445 م – 911 هـ/1505 م].
36. القاضي أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ الخزرجيّ السُّنَيكِيّ القاهريّ الأزهريّ، [824 هـ/1421 م – 926 هـ/1520 م].
37. المشاجرة لأبي محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الهبطي الكبير، [890 هـ/1485 م – 963 هـ/1558 م].
38. كِتَابِ الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني، [894 هـ/1493 م – 973 هـ/1565 م].
39. الدُّرَرِ الْمَنْثُورَةِ فِي بَيَانِ زُبُدِ الْعُلُومِ الْمَشْهُورَةِ لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني، [894 هـ/1493 م – 973 هـ/1565 م].
40. الفتح المبين في شرح الأربعين لشهاب الدين شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي العسقلاني السعدي الأنصاري الشافعي، [909 هـ/1503 م – 974 هـ/1566 م].
41. مختصر نظم الفرائد ومبدى الفوائد لمحصل المقاصد لأبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي المغربي، [926 هـ/1520 م – 995 هـ/1587 م].
42. جوهرة التوحيد للشيخ أبي الأمداد إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي اللقاني المالكي المصري، [توفي 1041 هـ/1632 م].
43. الدر الثمين والمورد المعين لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي المعروف بـ"ميارة"، [999 هـ/1590 م – 1072 هـ/1661 م].
44. اتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري المالكي، [971 هـ/1564 م – 1078 هـ/1668 م].
45. الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر الدرعي، المشهور بالشيخ محمد بن ناصر، [011 هـ/1602 م – 1080 هـ/1671 م].
46. مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص لنور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف أحمد اليوسي، [1040 هـ/1631 م – 1102 هـ/1691 م].

47. نَظَمِ الْكُبْرَى للعلامة أبي بكر محمد الطاهر بن الشيخ إبراهيم الباركوم التورودي الفلاني المعروف بغِيرَمَة، أحد تلاميذ القطب الإمام البكري، [1160 هـ/1749 م].

SANKORE'
Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'

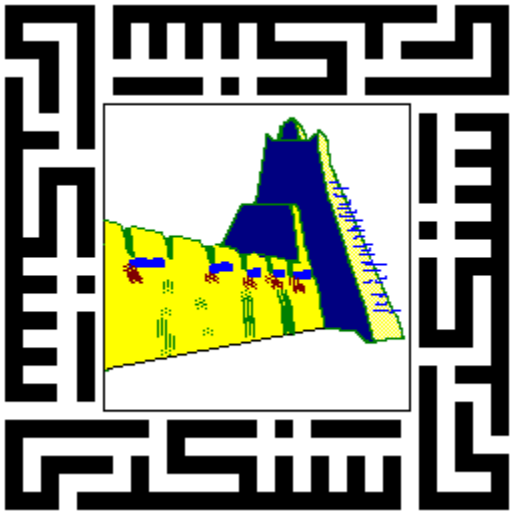

Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'
Institute of Islamic-African Studies International